

كِتَابُ

الصَّوَالِغُ الْمَسْئَلَةُ

عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْطَلَةِ

تَصْنِيفُ

الشيخ الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح
أبي بكر بن أبوبن سعد الشهير بابن قسيم الجوزي
رَحِمَهُ اللهُ

حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
وَقَدَّمَ لَهُ

الدكتور عيسى بن محمد الرخيدل الله

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالرياض

مَجْمَعَةُ الْأَوْقَاعِ

دَارُ الْعِلْمِ

الرياض



(١)

مقدمة الباحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن التأمل في أحوال العالم الإسلامي يجد حشداً هائلاً من الأفكار والاتجاهات بعضها مما يدخل في دائرة الإسلام وبعضها مما يخرج عنها. حتى أصبح الناس فرقاً وأحزاباً، وكلُّ يدّعي أنه يتبع النص الصحيح، والمعقول الصريح، مؤيداً رأيه بنصوص من الكتاب والسنة، فأصبح كثير من المتعلمين في حيرة من أمره.

ولما كانت أمور الناس مبناهما على سلامة العقيدة وحسن الاتجاه، كان لا بد من بيان شامل يضع النقاط على الحروف، ويزيل كثيراً من الإشكالات والعقبات، ويرسم للناس خطأ سلفياً واضحاً، في هذا الزخم الهائل من الاتجاهات.

ولقد عاش الإمام ابن القيم في عصر يشبه العصر الذي نعيشه اليوم إلى حد ما. فقد كانت الأمة الإسلامية حينذاك في حالة يقظة وعودة إلى بارئها بعد ما مُنيت بهزائم ونكسات مريرة.

وكان عصره يموج بالآراء والمذاهب والاتجاهات. فقد انتشرت كتب التصوف والفلسفة وعلم الكلام وفتن بها الناس كما يفتنون اليوم بمناهج التفكير الغربية. فاختلط الحق بالباطل على كثير من الناس.

ولم تخل الأمة من علماء تقاة أبرار، تصدّوا لهذا التيار، ومن هؤلاء الإمام ابن القيم الذي نظر بفكره الثاقب، فمحص هذه الآراء وبين غثها من سميتها، وأخرج الحق من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

فهذا الكتاب مشعل في هذا الطريق ولبنة في البناء الكبير، فهو كما يدل الحائرين إلى طريق الحق، فإنه يجيب على كثير من الأسئلة والاستفسارات لدى المتعلمين، كما هو مرجع متخصص للعلماء والباحثين.

وهو يعالج قضية من أهم قضايا العقيدة بدراسة تحليلية وافية مراعيها فيها قوة الدليل وعمق الفكرة كاشفاً بقلمه السيل إنواءات المحرفين والمؤولين ووسائلهم في الزخرفة والتمويه، لترويج الباطل ووسائلهم في الطعن والسب للتفكير من الحق.

وهو يشير إلى أهم أصول الانحرافات عند الجهمية، لا بل عند كثير من الفرق. فكل شر وبلاء إنما جاء من تقديم العقل أو الشهوة أو الرأي أو الهوى أو السياسة أو الذوق على الوحي:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

والكتاب في أثناء مناقشته لهذه الأصول قد ذكر مناهج عامة وقواعد كلية، ترسم منهجاً مستقلاً، لمعالجة كثير من إنحرافات الفرق، واختلاف الناس، وتكشف الكثير من مناهج وطرق المخالفين للحق في عصرنا الحاضر.

كما ترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه مخطوط يظهر لأول مرة.

لهذا، فقد رأيت أن يكون هذا الكتاب موضوعاً لرسالتي الدكتوراه لعلّي أن أسهم – ولو بجهد المقل – في تحرير نصه وتوثيقه وكشف ما فيه من معاني وأفكار تسهلاً لقارىء هذا العصر الذي يريد أن يخطف العلم خطفاً، متذرعاً بكثرة المشاغل وضيق الوقت.

(٢)

لقد كانت أولى الخطوات التي بدأتها بعد تسجيل هذا الموضوع هي البحث عن نسخ مخطوطة للكتاب. فبحثت لدى المهتمين بجمع الكتب والمخطوطات وفي فهارس المكتبات العالمية والمحلية فبحثت في فهارس مكتبات الرياض، ومكة، والمدينة.

فوجدت صورة لنسخة المكتبة العثمانية بحلب في مكتبة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وهي صورة أهداها الشيخ محمد نسيب الرفاعي للملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله.

كما ذكر الأستاذ أسامة ناصر النقشبندي نسخة المتحف العراقي في مقالة له نشرت بمجلة «المورد»^(١) بعنوان «مخطوطات الخزانة الأלוسية في مكتبة المتحف العراقي» ضمن مخطوطات الشيخ عبدالرزاق محمد ثابت الألوسي رحمه الله.

وقد استعنت بزميلى الأستاذ / موفق عبدالقادر عبدالله للحصول عليها. فبذل جهداً مشكوراً في ذلك حتى حصل على نسخة «ميكروفيلم» فجزاه الله عني خير الجزاء.

وعثرت على النسخة الثالثة (نسخة مكتبة برلين الغربية) في كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ضمن مجموع رقمه (٢٠٩٤).

(١) انظر: مجلة المورد، سنة ١٣٩٥، المجلد الرابع، العدد الأول، ص ١٨٧. وهي مجلة تراثية فصلية تصدرها وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية. طبعت بمطابع دار الحرية للطباعة ببغداد.

بعد ذلك قمت برحلة علمية للبحث عن مزيد من النسخ للجزء الأول. ولعلي
أعثر على نسخة خطية للجزء الثاني من الكتاب الذي لا يزال في حكم المفقود.

وقد زرت في هذه الرحلة المتحف البريطاني بلندن فبحثت في فهراس
المخطوطات. ثم اتجهت بعد ذلك إلى ألمانيا الغربية في زيارة لمكتبة برلين العامة
للاطلاع على المخطوطة الأصلية للنسخة الموجودة فيها، ولعلي أجد لها تمة.

كما زرت تركيا للبحث في مكتباتها التي تضم نخبة من الكتب والمراجع
الإسلامية.

ولكني لم أجد للكتاب أي نسخ أخرى فشرعت بالعمل بما لدي من نسخ.
كما بذلت جهداً في سبيل تحرير النص وإخراجه. فقد حاولت أن أوثق ما نقله
ابن القيم عن غيره ما أمكن، إلا أن بعض الكتب لم أعثر عليها، أو عثرت على
مخطوطاتها ناقصة.

وبعض الكتب التي نقل عنها مفقودة أو في حكم المفقودة كما سترى في السرد
المعجمي لمصادر ابن القيم في هذا الكتاب.

وقد قمت برحلة إلى القاهرة أطلعت فيها على كتاب الرازي «نهاية العقول في
دراية الأصول» والذي نقل عنه ابن القيم في موضوعين من هذا الكتاب فقابلت النص
المنقول على أصله.

كما قابلت كثيراً من العلماء والمتخصصين واستشرتهم في كثير من الموضوعات.
ويعلم الله كم كنت أعاني أثناء مقابلة النسخ في سبيل اختيار النص الأولى
أو الأصح أو في سبيل تصحيح النص ليتم السياق وتستقيم العبارة أو في سبيل الترجمة
لعلم التيسر عليّ أو أتر لم أقف على من خرّجه، وهو جهد غير منظور لا يدركه إلا من
عاناه أو من له باع طويل في هذا المجال.

(٣)

خطة الدراسة والتحقيق

قسمت البحث قسمين رئيسين: القسم الأول للدراسة، والقسم الثاني للتحقيق، بيانها كالتالي:

القسم الأول:

الدراسة

الباب الأول: التعريف بالمؤلف

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر ابن القيم.

أولاً: الحالة السياسية.

ثانياً: الحالة الاجتماعية.

ثالثاً: الحالة العلمية.

الفصل الثاني: ترجمة الإمام ابن القيم.

١ - اسمه.

٢ - أسرته.

٣ - حياته ونشأته.

٤ - شيوخه.

٥ - تلاميذه.

٦ - ثناء العلماء عليه.

- ٧ - مؤلفاته .
- ٨ - كتبه في السنة .
- ٩ - وفاته .
- ١٠ - أهم ما كتب عنه استقلالاً .

الباب الثاني :

التعريف بالكتاب والمخطوطة

وفيه فصلان :

الفصل الأول : الكتاب .

- ١ - عنوانه .
- ٢ - توثيق نسبه لابن القيم .
- ٣ - عدد مجلداته .
- ٤ - تاريخ تأليفه .
- ٥ - سبب تأليفه .
- ٦ - مصادره .
- ٧ - موضوعه .
- ٨ - عرض موجز لأهم الموضوعات الرئيسة في الجزء الأول .
- ٩ - منهج ابن القيم في هذا الكتاب .
- ١٠ - تقويمه .
- ١١ - مقارنته بالمختصر .

الفصل الثاني : المخطوطة .

- ١ - عدد النسخ .
- ٢ - التعريف بالنسخ .
- ٣ - سقط النسخ .
- ٤ - أسباب اختيار نسخة الأصل .
- ٥ - نماذج مصورة من النسخ .

القسم الثاني :
(الكتاب المحقق)

(٤)

منهجي في الدراسة والتحقيق

منهجي في الدراسة والتحقيق :

قسمت الدراسة بابين - كما سبق - وفي كل باب فصلان .

تحدثت في الباب الأول عن عصر المؤلف، وأهم ما جرى فيه من أحداث، للارتباط الوثيق بين الإنسان والزمن، الذي يعيش فيه، فالإنسان يتأثر بالزمان، والمكان والمجتمع، الذي يعيش فيه، والأفكار التي تنتشر في ذلك المجتمع .

ثم كتبت في الفصل الثاني ترجمة مختصرة للإمام ابن القيم، نظراً لشهرته، وكثرة من كتب عنه، ثم أشرت في نهاية هذا الفصل لبعض المؤلفات التي تناولت ابن القيم بالترجمة، أو بدراسة قضية من القضايا المتعلقة بهذا الإمام .

وفي الباب الثاني: تحدثت عن كتاب ابن القيم: الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة «الجزء الأول» مبيناً موضوع الكتاب ومصادره وتوثيقه وسبب تأليفه وتاريخ التأليف وأهم المباحث التي تطرقت إليها ابن القيم بشكل مختصر وذلك لكي ألقى ضوءاً على ما تضمنه هذا الكتاب بشكل عام .

كما بينت منهج المؤلف في كتابه هذا بشيء من التفصيل موضحاً ذلك بالأمثلة .

كما بينت أهم مزايا هذا الكتاب وأهم المآخذ عليه، كما قارنته بمختصره لمحمد الموصلبي .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب ذكرت مخطوطات الكتاب مبيناً أهم عيوبها

وتاريخ نسخها وأماكن وجودها مع ذكر نماذج مصورة للصفحات الأولى والأخيرة منها.

وقد راعيت في هذه الدراسة الاختصار مع الوفاء بالمطلوب، وذلك نظراً لطول المخطوطة، ولأن ضبطها وتحريرها وتحقيقها أخذ مني وقتاً كثيراً.

عملي في التحقيق :

١ - مقابلة النسخ؛ وقد اتبعت فيها ما يلي:

- اعتمدت نسخة «ظ» أصلاً، بحيث أشير إلى كل ما زاد عليها. كما اعتمدت النص الصحيح في الأصل وما رأيت خطأ أو خلاف الأولى أثبتته في الحاشية.

- كل زيادة عن نسخة «ظ» سواء من إحدى النسخ أو من أحد الكتب التي نقل عنها المؤلف أو من عندي، أضعها بين معكوفتين هكذا: [] وأشير في الحاشية إلى أنه إضافة من إحدى النسخ أو أحد الكتب أو من عندي. وإذا كانت الإضافة من عندي أقول: ولعل الصواب ما أثبتت أو ما أثبتته.

أما إذا كانت الزيادة على النص من آية من آيات الله، فإني أضعها بين معكوفتين هكذا [] وأقول في الحاشية سقط من ظ، أو م، أو ب.

- إذا كانت الكلمة في إحدى النسخ خطأ أو خلاف الأولى وفي الأخرى صواباً أو الأولى إثباته، فإني أثبت الصواب أو الأولى في الأصل وأشير إلى الأخرى في الحاشية، دون أن أنص على النسخة التي أثبتته منها اختصاراً.

- فإذا أشرت في الحاشية إلى م، ب فما أثبتته في الأصل من ظ..
- وإذا أشرت في الحاشية إلى ظ، ب فما أثبتته في الأصل من م..
- وإذا أشرت في الحاشية إلى ظ، م فما أثبتته في الأصل من ب..
- وإذا أشرت في الحاشية إلى ظ فما أثبتته في الأصل من م، ب..
- وإذا أشرت في الحاشية إلى م فما أثبتته في الأصل من ظ، ب..
- وإذا أشرت في الحاشية إلى ب فما أثبتته في الأصل من ظ، م..

... وهكذا.

— كل نص وجد في النسخة الأصل «ظ» ولم يوجد في النسختين الأخرين م، ب أضعه بين قوسين هكذا (). وأشار في الحاشية إلى أنه سقط من م أو ب أو منها.

— إذا طال السقط أو الإضافة وضعت نجمتين هكذا (* — *). وأشارت في الحاشية إلى أن ما بين النجمتين إضافة أو سقط.

— لم أذكر ضمن الفروق بين النسخ الاختلافات اليسيرة كاختلاف في وضع النقط مثل «يكون، تكون، يجوز، تجوز، ما لم يترتب على ذلك اختلاف في المعنى.

وأثبت ما كان فيه تغيير لمبنى الكلمة كزيادة حرف ونحوه.

— في حالة عدم وضوح اللفظ أو اختلاف النسخ اختلافاً يحتاج إلى ترجيح، أو غير ذلك، أرجع إلى المختصر، وذلك نادراً.

— اعتمدت الكتابة الإملائية الحديثة في كتابة المخطوطة فيما كتب بغير ذلك مثل القيمة: القيامة، لين: لأن، دون أن أشير إلى ذلك.

— إذا كررت الكلمة — أحياناً — في آخر الصفحة وأول الصفحة التالية لا أشير إلى ذلك لأن الناسخ قد يكرر الكلمة لربط الصفحات ببعضها. وإن أشرت إلى ذلك نبهت عليه.

— مما يجدر ذكره أن نسخة المتحف العراقي التي رمزت لها بـ «م» نقص منها صفحة ١٨، ١٩ إذ وصلني الميكروفيلم ناقصاً هاتين الصفحتين. ولم أتمكن من الحصول على مصورة لها مرة أخرى. إذ لم أحصل على الأولى إلا بصعوبة وبعد مضي وقت طويل.

- ٢ - وثقت النقول بإرجاعها إلى مصادرها ما أمكن، سواء كان ذلك المصدر مطبوعاً أو مخطوطاً.
- ٣ - إذا نقل ابن القيم نصاً من كتاب فإني أحرص على مقابلة النص المنقول مع الكتاب الأصل إن وجد لزيادة توثيق النص وليست هذه المقابلة بدقة مقابلة النسخ مع بعضها وإنما لبيان بعض الكلمات الناقصة أو الجمل والعبارات الزائدة وأحياناً لتعديل اللفظ ليستقيم المعنى.. أو لغير ذلك.
- ٤ - خرجت الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وجعلت ذلك في الأصل بين معكوفتين، هكذا [] حتى لا أثقل الحواشي.
- وأحياناً أكمل بعض الآيات في الهامش، إذ رأيت ضرورة لذلك، كأن يكون ذكر أول الآية، ولم يذكر موضع الشاهد في الأصل.
- إذا جاءت الآية على غير قراءة حفص، جعلت قراءة حفص في الأصل، وأشرت إلى القراءة الأخرى في الحاشية، إلا أن تكون القراءة الأخرى لا يتم المعنى إلا بها وذلك نادر.
- ٥ - خرجت الأحاديث والآثار من مظانها، من كتب السنة، فإن كان الحديث في الصحيحين، اكتفيت بالعزو إليهما، وقد أزيد عليهما.
- وإن كان في غيرهما عزوته إلى مظانه ما أمكن، مع ذكر من حكم عليه بصحة أو ضعف أو حسن ما استطعت.
- في عزو الحديث ذكرت الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد^(١).
- كما أذكر الصحابي الذي روى الحديث، فإن روى من طريق صحابي آخر أشرت إليه، وما لم أجده من الأحاديث أشرت إليه في الحاشية وهي قليلة.

(١) اعتمدت في صحيح مسلم الرقم الخاص دون التسلسل العام.

– حرصت على تخريج الآثار مع ذكر الحكم عليها إن وجد .

٦ – لم أترجم للمشهورين من الصحابة ومن بعدهم ممن ذاع صيته في الأمة، ولم أترجم لرجال الأسانيد إلا ما دعت الحاجة إليه، ولم أترجم للمغمورين ممن لم يكن لهم أثر وإنما ترجمت لما بين ذلك من العلماء واهتم بالترجمة لعلماء الكلام ومن لقوله أهمية في هذا الكتاب .

– كتبت ترجمة مختصرة اقتصر فيها على اسم المترجم له وسنة ولادته ومؤلفاته وسنة وفاته . مع ذكر مراجع ترجمته لمن أراد المزيد .

– اعتمدت التاريخ الهجري في التراجم وغيرها دون أن أرمز له بحرف (هـ) لأن التاريخ الهجري هو الأصل وهو تاريخ المسلمين . فإن ذكرت تاريخاً سواه أشرت إلى ذلك .

٧ – وضعت عناوين جانبية . والعنوان الجانبي : عبارة عن فكرة مختصرة لما يجويه النص مقابل العنوان من معان وأفكار تسهياً للقارئ للوصول إلى كنوز هذا الكتاب وفهم محتواه مراعيماً ما يلي :

– قصر العنوان ما أمكن وقد أضطر أحياناً إلى طول العنوان – وهو طول نسبي – لصعوبة شرح الفكرة بكلمة أو كلمتين .

– لما كان الطابع العام لما كتبه ابن القيم في هذا الكتاب هو التنسيق والتنظيم ، فقد رأيت أن تكون العناوين الجانبية مع العناوين التي وضعها الإمام ابن القيم وحدة واحدة ، بحيث يكون ما وضعته تكميلاً أو زيادة في البيان ، وهذا يتجلى واضحاً عند الاطلاع على فهرس الموضوعات .

– وضعت العناوين الجانبية للموضوعات الأساسية في الكتاب ، دون الموضوعات التي استطردها فيها المؤلف – كالمسائل الفقهية ونحوها – مكتفياً بالإشارة إلى الموضوعات التي استطردها فيها المؤلف في فهرس الموضوعات .

٨ – كتبت بعض التعليقات المختصرة على بعض المسائل العلمية التي وردت في الكتاب .

- ٩ - بينت المصطلحات الكلامية والمنطقية والعلمية التي وردت في الكتاب.
- ١٠ - شرحت الكلمات الغريبة من كتب اللغة ومن كتب غريب الحديث.
- ١١ - أشرت إلى الكتب التي ذكرها المؤلف في الأصل مما تيسر لي الاطلاع عليه أو معرفة مكانه مخطوطاً كان أو مطبوعاً.
- ١٢ - قمت بتشكيل بعض الكلمات الغريبة.
- ١٣ - اعتمدت في هذا التحقيق على المراجع الأصلية ما أمكن.
- ١٤ - عزوت بعض الآيات الشعرية إلى مظانها مع ذكر قائلها إن وجد وفاتني أكثرها.
- ١٥ - السمة العامة للتعليقات والتراجم والتعاريف هي الاختصار وذلك حتى لا أثقل حواشي الكتاب، ولأن الهدف من التحقيق هو إخراج النص دون استطرادات مملة فكنت أضع الدواء على قدر الداء مع بيان كل ما رأيت أنه يحتاج إلى بيان - بقدر ما يفي بحاجة القارئ لأن الهدف ليس هو إثراء معلومات القارئ - فهذا محله كتب الموسوعات - بقدر ما هو ذكّر ما يستعين به على فهم النص.
- ١٦ - أشرت إلى صفحات نسخة الأصل «ظ» في الهامش فأضع خطأً مائلاً يدل على بداية الصفحة وأضع أمامه رقم الصفحة في الهامش هكذا:
[٣٧/١] /
فواحد يعني الجزء الأول من كتاب الصواعق وسبعة وثلاثون تعني رقم الصفحة.
- وقد أضفت على نسخة «ظ» ما يزيد على ستين صفحة من نسخة «ب» أشرت في هذه الزيادة إلى صفحات نسخة ب هكذا:
- أ/٦٠/١ /
ب
- وبيانها الجزء الأول صفحة ستين لوحة (أ) من نسخة «ب».

١٧ - الرموز المستعملة في الرسالة كالتالي:

ظ	نسخة حلب.
م	نسخة المتحف العراقي ببغداد.
ب	نسخة برلين الغربية.
ح	رقم الحديث.
ص	الصفحة.
ج	الجزء
م	بعد رقم (التاريخ الميلادي)
ق.م	قبل الميلاد

١٨ - قمت بعمل فهرس شاملة للآيات، والأحاديث والآثار، والأعلام، والفرق، والغريب، والمصطلحات العلمية، والأماكن والبلدان، والكتب التي ذكرها المؤلف، والأشعار، إضافة إلى فهرس الموضوعات وجريدة المراجع.

(٥)

وبعد:

فإني أحمد الله تعالى وأشكره على ما ييسره لي من إتمام تحقيق هذا الكتاب مع علمي أنني لم أوف هذا الكتاب ما يستحقه من دراسة وتحقيق وحسبي أني بذلت جهدي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»^(١).

فإن فاتني أجرا الإصابة؛ فأمل ألا يفوتني أجر الاجتهاد.

وللإمام ابن القيم كلمة جميلة ذكرها في كتابه «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» يحسن أن نسجلها في هذا المقام، قال رحمه الله: «والمرغوب إلى من يقف على هذا الكتاب أن يعذر صاحبه فإنه ألفه^(٢) في حال بعده عن وطنه وغيبته عن كتبه، فها عسى أن يبلغ خاطره المكدود وسعيه المجهود مع بضاعته المزجاة التي حقيق بحاملها أن يقال فيه «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وها هو قد نصب نفسه هدفاً لسهام الراشقين، وغرضاً لألسنة الطاعنين، فلقارئه غنمه وعلى مؤلفه غرمه، وهذه

(١) رواه البخاري: (فتح الباري ٣١٩/١٣)، من طريق عمرو بن العاص، في كتاب

الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ح ٧٣٥٢ بنحوه.

ورواه مسلم: (١٣٤٢/٣) في كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب

أو أخطأ، ح ١٥.

(٢) روضة المحبين: (علقه).

بضاعته تفرض عليك، وموليتي تهدي إليك، فإن صادفت كفوفاً كريماً لها لن تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان، وإن صادفت غيره فالله تعالى المستعان وعليه التكلان.

وقد رضي من مهرها بدعوة خالصة إن وافقت قبولاً واستحساناً ويرد جميل إن كان حظها احتقاراً واستهجاناً والمنصف يهب خطأ المخطيء لإصابته وسيئاته لحسناته فهذه سنة الله في عباده جزاء وثواباً. ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً، وعمله كله صواباً، وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحي يوحى، فما صح عنه فهو نقل مصدق عن قائل معصوم، وما جاء عن غيره، فثبتت الأمور فيه معدوم، فإن صح النقل لم يكن القائل معصوماً، وإن لم يصح لم يكن وصوله إليه معلوماً^(١).

وإذا كان ابن القيم كتب كتابه في بعد عن وطنه وغيبة عن كتبه، فإنني في وطني وغالب المراجع ميسرة بين يدي، ولكنه العجز والضعف وكفى.

وأخيراً فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم^(٢). المشرف على هذه الرسالة، فلقد كان له أكبر الأثر في تذليل ما واجهني من صعوبات، ولقد استفدت كثيراً من ثاقب رأيه وسديد توجيهاته وحسن درايته بالتحقيق، وهو الذي أخرج كتاب «درء تعارض العقل والنقل»، وكتاب «منهاج السنة».

(١) انظر روضة المحبين، ص ١٢، ١٣.

(٢) هو الأستاذ الدكتور محمد رشاد بن محمد رفيق سالم. ولد في القاهرة عام ١٣٤٧ هـ وقد حصل على شهادة الدكتوراه عام ١٣٧٩ وكان عنوان رسالته «موافقة العقل للشرع عند ابن تيمية رحمه الله» وكان رحمه الله من الرجال القلائل الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتب العقيدة السلفية وعلومها وكان مهتماً بكتب شيخ الإسلام مكباً على تحقيقها وإخراجها للناس وذلك منذ أكثر من ربع قرن وقد أخرج منها كتاب «درء تعارض العقل والنقل في أحد عشر مجلداً» وكتاب «منهاج السنة النبوية» في ثماني مجلدات.. وغيرها وقد وافته المنية في القاهرة وهو مكباً على إخراج كتاب «نقض تأسيس الجهمية» في شهر ربيع الآخر من هذا العام ١٤٠٧ هـ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

ولقد كان، رحمه الله، حريصاً على حفظ الوقت، كما أعطاني من علمه ووقته وجهده الكثير. فقد قرأ هذه الرسالة كلمة كلمة فجزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأجزل الله له المثوبة في الآخرة والأولى.

كما أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي وهبت نفسها لخدمة العلم والعلماء.

كما أشكر المسؤولين في كلية أصول الدين على ما قدموه لي من تسهيلات وعلى رأسهم فضيلة عميد الكلية الشيخ عبدالعزيز بن زيد الرومي، وفضيلة رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة الأخ الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل.

كما أشكر كل من قدم لي نصحاً أو توجيهاً من المشايخ والزملاء وأدعو الله عز وجل أن يتقبل عملي هذا وأن يجعله خالصاً لوجهه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

علي بن محمد الدخيل الله

الرياض، غرة رمضان ١٤٠٦

القسم الأول :
الدراسة

الباب الأول :
التعريف بالمؤلف

وفيه فصلان :

الفصل الأول : عصر ابن القيم .

الفصل الثاني : ترجمة الإمام ابن القيم

الفصل الأول: عصر ابن القيم

أولاً : الحالة السياسية .

ثانياً : الحالة الاجتماعية .

ثالثاً : الحالة العلمية .

الفصل الأول: عصر ابن القيم

قبل الحديث عن ترجمة ابن القيم، لا بد من نبذة مختصرة عن عصره، ببيان الحالة السياسية، والاجتماعية، والعلمية، وذلك لأن الإنسان كما يقال: ابن بيئته، فإذا كان الإنسان كما يقول علماء الاجتماع، يتأثر بطبيعة الأرض التي يعيش عليها، فسكان الجبال أشد مراساً من سكان الوديان والسهول الساحلية، وسكان المدن أرق وألطف من سكان الفيافي والقفار، فلا شك أنه يتأثر بما يدور حوله من أحداث، كالصراع على السلطة، وهجوم الأعداء، كما يتأثر بالوضع الاجتماعي والديني، فالرجل الذي يعيش في بيئة صالحة، ليس كالرجل الذي يعيش في بيئة تنتشر فيها المنكرات، وتعم فيها الفوضى. وفيما يلي عرض موجز للحالة السياسية والاجتماعية والعلمية في عصره.

أولاً: الحالة السياسية

(أ) السياسة الخارجية :

مُنيَّ العالم الإسلامي في هذه الفترة بأحداث جسام، كان من أبرزها:

١ - الحروب الصليبية.

٢ - المغول.

١ - الحروب الصليبية (٤٩٠ - ٦٩٠) :

بدأت الحروب الصليبية قبل عصر ابن القيم، ولم تنته إلا في السنة التي ولد فيها، رحمه الله، إلا أنها تركت أثراً كبيراً في نفوس المسلمين في ذلك العصر، فكان لزاماً عليّ أن أعطي فكرة موجزة عنها.

أسباب الحروب الصليبية:

١ - لعل من أبرز هذه الأسباب: ضعف العالم الإسلامي، وتفككه، وصراع الأمراء والسلاطين على السلطة، وكثرة الفرق المنحرفة، كالشيعة، والإسماعيلية، والمعطلة، الذين ساهموا في خلخلة الجبهة الداخلية للأمة الإسلامية وفي التعاون مع الغزاة الوافدين. فمن ذلك أن العلويين الفاطميين (الشيعة) قد توجّسوا خيفة من قوة السلاجقة (السُّنَّة) الذين لم يبق أمامهم إلا مصر وطردهم الحكم الفاطمي منها، فكاتبوا الإفرنج، ليستولوا على الشام، وتكون بينهم قسمة، وهكذا يتخذ الشيعة من الصليبيين أولياء من دون المؤمنين^(١).

ومن ذلك أن الوزير «المزدقاني» وهو من الشيعة الإسماعيلية تأمر في سنة ٥٢٣ مع الصليبيين، على أن يسلم لهم دمشق ويسلموا إليه مدينة صور، ونظمت الخطة على أن يقوم الإسماعيليون بمنع المقاومة، وتسليم دمشق، لكن كشف أمره، فقتله صاحب دمشق، وعلق رأسه على باب القلعة^(٢).

٢ - ومن هذه الأسباب: الحقد الصليبي الدفين، الذي يحمله القساوسة خاصة، والأوروبيون بصفة عامة - ولا يزالون - على الأمة الإسلامية التي هدت عروشهم، ومزقت كيانهم، ووقفت في وجه مطامعهم وشهواتهم، مما حملهم على انتهاز فرصة ضعف العالم الإسلامي للانقضاض عليه. فهذه الحرب دينية عقائدية لأدلة كثيرة منها:

(١) الكامل، لابن الأثير ٩٤/١٠. طبع في مصر سنة ١٣٠٣.

(٢) خطط الشام ٤/٢. طبع في المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٣.

- (أ) أن هذه الحرب نظمت بإشراف الكنيسة الرومانية والبابوية نفسها .
- (ب) أنها قامت لإنقاذ الأرض المقدسة من أيدي المعتصمين المسلمين كما يزعمون .
- (ج) أنها حملت الصليب شعاراً لها، وسميت بهذا الاسم «الحروب الصليبية» .
- (د) أن المؤرخين الأوروبيين الذين عاصروا أحداثها ينظرون إليها هذه النظرة، يقول هوربرت الراهب: «إنها كانت من عمل الله»^(١)، وكما ورد في خطاب البابا الذي ألقاه في مدينة «كلرمون» بفرنسا، الذي أشعل نار الفتيل .

٣ - ومنها أن صاحب القسطنطينية الأرثوذكسي خاف على ولايته من غزو السلاجقة واستيلائهم عليها، فاستنجد بالبابا في مقابل أن يتخلى عن أرثوذكسيته ويدخل في الكاثوليك . فصادف ذلك هوى في نفس البابا أن تخضع له القسطنطينية فأسرع واستجاب^(٢) .

٤ - ومنها الطمع في توسيع أملاكهم في الشرق الغني، فأوروبا في ذلك العصر كانت تعيش حياة الفرقة والصراع والجوع والفقر، فلبوا دعوة الصليب لحرب الشرق علهم يجدون مرعى خصيباً^(٣) .

هذه أبرز الأسباب التي يذكرها المؤرخون لهذه الحرب، وبعض النصارى يذكرون - ظلماً وعدواناً - أن من أسبابها اضطهاد الحجاج النصارى الذين يججون إلى بيت المقدس وهذا السبب يرده النصارى أنفسهم، ويذكرون أن الحجاج كانوا

(١) العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ص ٥١ - ٦٧، تأليف جوزيف نسيم، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٧م. نقلاً عن «هداية الحيارى»، تحقيق محمد الشيخ أحمد الحاج .

(٢) الإسلام والحضارة العربية ٢٩٢/١ . الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠م .

(٣) الإسلام والحضارة العربية ٢٩٤/١ .

يعاملون معاملة إنسانية راقية، كما أن النصارى المقيمين في العالم الإسلامي يعاملون بهذه المعاملة .

يقول بردناردي فيس في مذكراته: «إن السلام سائد فوق تلك الربوع بين النصارى والمسلمين، حتى إنني لو كنت مسافراً ونفق بعيري أو حماري الذي ينقل أمتعتي على الطريق وتركتها كلها دون حارس ولا رقيب، وسرت إلى أقرب مدينة لأجلب لي بعيراً أو حماراً آخر لوجدت عند عودتي أنها باقية على ما هي، لم يمسه أحد»^(١).

كما كذب هذه الدعاوى رجل من القوم هو «منرو» وبين أنها نوع من إهاجة الأفكار على المسلمين^(٢).

وفي الجملة فهذه الأسباب قد توجد كلها، أو بعضها عند بعض منهم، وقد ينفرد بعضهم بواحد منها، وذلك حسب هوى كل واحد منهم، ومصالحته، فالحقد الدفين، والعداء العقدي يبدو لدى رجال الكنيسة أكثر منه لدى الحكام والساسة، والتوسع في الملك والنفوذ والسيطرة يبدو جلياً لدى الحكام والساسة. وأما العامة والرعايا فمنهم المخدوع بنعيم الرب الموعود، ومنهم من همه الغنيمة والكسب، ومنهم من جمع الأمرين والقيامه موعد الجميع والأمر يومئذ لله .

حركة المد والجزر بين المسلمين والصليبيين:

وجه الصليبيون للعالم الإسلامي سبع حملات عسكرية، خلال قرنين من الزمان، كلها اصطدمت بالمسلمين في صراعات دامية، إلا الحملة الصليبية الرابعة، فإنها اتجهت نحو العالم الإسلامي، في السنة الأخيرة من القرن السادس الهجري، وكانت وجهتها مصر، إلا أنها غيرت خططها واتجهت إلى القسطنطينية البيزنطية، واستولت عليها سنة ٦٠٠ .

(١) الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي ٢٩٣/١ .

(٢) الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي ٢٩٣/١ .

وهذه الحملات هي :

- ١ - الحملة الصليبية الأولى وكانت سنة ٤٩٠، واستطاعت أن تحتل انطاكية سنة ٤٩١، ثم اتجهت إلى معرة النعمان واستولت عليها^(١). ثم سقط بيت المقدس في أيديهم سنة ٤٩٢ وكوّن الصليبيون في الشام أربع إمارات هي: القدس، الرها، انطاكية، طرابلس.
- ٢ - الحملة الصليبية الثانية: وكانت رد فعل لسقوط الرها بأيدي المسلمين ودارت أحداثها سنة ٥٤٣^(٢).
- ٣ - الحملة الصليبية الثالثة: بعد استعادة صلاح الدين لبيت المقدس، ثارت نائرة الصليبيين، فاتجهوا صوب العالم الإسلامي سنة ٥٨٥ وانتهت أحداثها سنة ٥٨٨^(٣).
- ٤ - الحملة الصليبية الرابعة: سبق التحدث عنها آنفاً^(٤).
- ٥ - الحملة الصليبية الخامسة: بعد موت صلاح الدين وتفكك وحدة الأمة الإسلامية أرسل الصليبيون الحملة الصليبية الخامسة سنة ٦١٥ واستمرت حتى سنة ٦١٨ وكان هدفها مصر^(٥).
- ٦ - الحملة الصليبية السادسة: واتجهت إلى الشام واستطاعت الاستيلاء على القدس سنة ٦٢٦ وكان ذلك بمساعدة الكامل ابن أخي صلاح الدين الذي خان أمته ليتفرغ لمناوأة خصومه من أبناء جلدته^(٦).

(١) البداية والنهاية ١٢/١٦٨. مطبعة السعادة، (بدون تاريخ).

(٢) الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ١/٢٧٠. مكتبة الشباب، القاهرة، سنة ١٩٧٢م، الطبعة الأولى.

(٣) البداية والنهاية ١٢/٣٥٦ - أحداث سنة ٥٨٦.

(٤) انظر ص ٢٨.

(٥) الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ٢/٢١٦، وما بعدها.

(٦) البداية والنهاية ١٣/١١٨، ١١٩؛ الجبهة الإسلامية ٢/٢٣٧.

٧ - الحملة الصليبية السابعة: وقائدها لويس التاسع ملك فرنسا واتجهت سنة ٦٤٧ إلى مصر^(١).

وكان رد فعل الأمة الإسلامية قوياً كلما قوي كيانه من الداخل، واتحدت تحت قيادة واحدة، وضعيفاً كلما انتشر الخلاف بين المسلمين واحتد الصراع على الحكم، ويُقسَّم الدكتور حامد غنيم أبوسعيد رد فعل الأمة الإسلامية على هذه الحملات ثلاث مراحل:

١ - المرحلة الأولى: وتبدأ من سقوط أنطاكية بأيدي الصليبيين سنة ٤٩١، وتنتهي سنة ٥٦٧، وهي السنة التي سقطت فيها الدولة الفاطمية.

وكانت الأمة في بداية هذه الفترة في حالة ضعف وانقسام، فالصراع بين الدولة الفاطمية (الشيعية) في القاهرة، وبين الخلافة العباسية في بغداد على أشده، إضافة إلى الانقسامات والصراعات المذهبية، مما مكن للصليبيين من الانتصار، والاستيلاء على بيت المقدس سنة ٤٩٢.

وفي نهاية هذه الفترة قويت شوكة المسلمين، فقد تمكن عماد الدين زنكي من استعادة إمارة الرها سنة ٥٣٩.

٢ - المرحلة الثانية: وتبدأ من سنة ٥٦٧، وهو تاريخ تأسيس الحكم الأيوبي في مصر، وتنتهي سنة ٦٤٨، وهي السنة التي اغتيلت فيها شجرة الدر، وهو الحدث الذي انتهى به العهد الأيوبي.

وفي هذه المرحلة تميزت الأمة الإسلامية بالقوة والتلاحم، إذ تمكن صلاح الدين من توحيد الجبهة، فضم مصر والشام في دولة واحدة. وهزم الصليبيين في معركة «حطين» سنة ٥٨٣، وفي رجب من نفس العام تمكن القائد المظفر صلاح الدين من استعادة بيت المقدس^(٢).

(١) الجبهة الإسلامية ٢/٢٧١.

(٢) عندما استولى الصليبيون على القدس سنة ٤٩٢ قتلوا من المسلمين ما يزيد على ستين ألفاً. وفي ذلك يقول ابن كثير: «... وفيها - أي سنة ٤٩٢ - أخذت الفرنج لعنهم الله بيت المقدس =

وبعد وفاة صلاح الدين انقسمت الأمة على نفسها، مما مكن لأعدائهم من إعادة الكرة عليهم المرة تلو الأخرى حتى تمكن الصليبيون من الاستيلاء على بيت المقدس سنة ٥٢٦ بمساعدة الكامل ابن أخي صلاح الدين كما سبق^(١).

وهذه المرحلة عكس المرحلة السابقة، إذ اتصف المسلمون في بدايتها بالقوة، وفي نهايتها بالضعف.

٣ - المرحلة الثالثة: وتبدأ من سنة ٦٤٨، أي مع بداية عهد المماليك، وتنتهي هذه المرحلة بانتهاء الوجود الصليبي من بلاد الشام، بصفة نهائية، وذلك مع نهاية القرن السابع الهجري.

وفي هذه الفترة قويت دولة المماليك وتصدت للوجود الصليبي في بلاد الشام. ففي سنة ٦٦٦ استعيدت أنطاكية وفي سنة ٦٨٨ تمكن المسلمون من إعادة طرابلس، وفي سنة ٦٩٠ سقطت عكا بأيدي المسلمين على يد الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، منهيبة بذلك الوجود الصليبي في مصر والشام، بعد صراع دام قرنين من الزمن^(٢).

= شرفه الله وكانوا نحو ألف مقاتل وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين وجاسوا خلال الديار وتبروا ما علوا تتييراً». البداية والنهاية ١٢/١٦٨، ١٦٩. وعندما فتح صلاح الدين بيت المقدس سنة ٥٨٣ عامل النصارى معاملة المسلم المخلص والحاكم العادل وفيه يقول أحد المؤرخين الصليبيين: «الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية فبينما كان الفرنج منذ ثمان وثمانين سنة يخوضون دماء ضحاياهم، لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب ولم يحمل بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة بناء على أوامر صلاح الدين يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين». الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ٢/١١٩.

تلك صورتان لسلوكين متناقضين هما في الحقيقة صورتان لعقيدتين متناقضتين: عقيدة من عند الله، وعقيدة حرقها البشر. فالفرق بين السلوكين كالفرق بين الإسلام والنصرانية المنحرفة.

(١) انظر ص ٢٩.

(٢) الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ٣/٢١٣ - ٢٢٢.

تلك صورة موجزة لخط سير الصراع بين الإسلام والصليبية في فترة من فترات التاريخ.

٢ - المغول:

في أثناء الحروب الصليبية، قام المغول بهجمة شرسة على العالم الإسلامي، وهم قوم ينسبون إلى منغوليا، وهي: هضبة تمتد في أواسط آسيا، جنوب سيبيريا، وشمال التبت، وغرب منشوريا، وشرق تركستان، بين جبال التاي غرباً، وجبال خنجان شرقاً^(١). وكانت الخلافة الإسلامية في بغداد قبل وصول المغول قد تداعت أركانها، وكان الخليفة المستعصم، آخر خلفاء بني العباس (٦٤٠ - ٦٥٦) رجلاً متديناً، لين الجانب، سهل العريكة، عفيف اللسان... وكان خفيف الوطأة إلا أنه كان مستضعف الرأي، ضعيف البطش، قليل الخبرة بأمر المملكة، مطموحاً فيه، غير مهيب في النفوس، ولا مطلع على حقائق الأمور، كما يقول ابن طباطبا في كتاب «الفخرى في الآداب السلطانية»^(٢). ولم يكن زمام الأمور في بغداد في يد واحدة، فكان الوزراء كل منهم ينقم على الآخر وكان منهم الوزير الشيعي ابن العلقمي.

وكان سكان بغداد من أهل السنة والشيعية والنصارى واليهود، وبينهم من الخلاف ما الله به عليم.

في هذه الظروف أرسل هولاءكو إلى الخليفة، يطلب منه المساعدة في مهاجمة الإسماعيلية في إيران، لكنه رفض طلبه.

وبعدما قضى على الإسماعيلية، أرسل إلى الخليفة رسالة، يهدده فيها، ويأمره بتسليم بغداد، فلم يكثرث الخليفة للأمر.

وكان للخلافة هيبة عظيمة في نفوس الناس، حتى الكفار منهم، فلم يجرو

(١) المغول في التاريخ، ص ٣٠، ٣١، تأليف فؤاد عبدالمعطي الصياد، ١٩٨٠م، دار النهضة العربية، بيروت.

(٢) الفخرى في الآداب السلطانية، ص ٣٣٣. دار صادر، بيروت، ٣٨٦ - ١٩٦٦م.

هولاكو على مهاجمة بغداد، بادىء الأمر، إلا أن نصير الشرك الطوسي^(١) هَوّن عليه الأمر، وأشار عليه بمهاجمة بغداد.

فقرر الزحف إلى بغداد. فتم له فتحها سنة ٦٥٦ وخرج الخليفة بالعلماء والأعيان والقضاة فسلم نفسه وعاصمته للمغول بلا قيد أو شرط بعد أن وعده هولاكو بالأمان - وأنى لكافر أمان - فغدر به وقتله وقتل القضاة والعلماء والأعيان وخلقاً كثيراً من أهل السنة في بغداد واستبقى السحرة والمنجمين والشيعة والنصارى. كما أحرق المكتبات وخرّب المدارس والمساجد^(٢).

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج الناس من تحت الأرض كأنهم الموق إذا نبشوا من قبورهم. وقد أنكر بعضهم بعضاً، فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد ففتانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتل^(٣).

الشيعة وسقوط الخلافة:

كان ابن العلقمي وزيراً للمستعصم أربع عشرة سنة وقد ساهم - عليه من الله ما يستحق - في سقوط الخلافة العباسية ومقتل الخليفة. وسبب ذلك يعود إلى حادثة نهب الكرخ وتخريب مشهد الإمام موسى الكاظم على يد أبي بكر ابن الخليفة المستعصم وما تبع ذلك من إهانة لحقت بالسكان الشيعة، فتأثر الوزير الشيعي وصمم على أن يساعد هولاكو على سقوط بغداد^(٤).

والذي يبدو أن ابن العلقمي كان له اتصالات سرية مبكرة مع هولاكو قبل حادث الكرخ فيذكر المقرئ في حوادث سنة ٦٥٤: «... وفيها وصلت جواسيس

(١) ستأتي ترجمته. انظر ص ٧٩٠.

(٢) العبر في خبر من غير ٢٢٥/٥، ٢٢٦. مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٦، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

(٣) البداية والنهاية ١٣/١٩٣.

(٤) العبر في خبر من غير ٢٢٥/٥.

هولاكو إلى الوزير مؤيدالدين محمد ابن العلقمي ببغداد وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد بعدة مواعيد والخليفة في لهوه لا يعبأ بشيء من ذلك^(١).

وكان ابن العلقمي يرسل الرسل سراً إلى هولاكو ليطلع المغول على ضعف الخليفة. وعمل على قطع أرزاق الجند حتى ضعف الجيش وثبط همة الخليفة وصرفه عن الاستعداد لملاقاة هولاكو بحجة أنه رتب معه شؤون الصلح حتى انخدع الخليفة وسقطت بغداد في أيدي المغول. كما ساهم شيعة الكرخ والمحلة التي حول مشهد موسى الكاظم بذلك واتصلوا بالعدو سراً.

ومما يؤكد خيانة ابن العلقمي أنه تولى الوزارة في دولة المغول، فلو كان صادقاً مع الخليفة لما استبقاه هولاكو وقد قتل الآلاف لكنه علم نصحه وإخلاصه وتفانيه في خدمته فولاه.

ولسنا بحاجة إلى إثبات الأدلة والشواهد على ما فعله ابن العلقمي بأهل السنة في بغداد.

فالشيعنة أنفسهم يعترفون بموقف ابن العلقمي فيقول أحد مؤرخي الشيعة، وهو القاضي نورالله الششتري في كتابه «مجالس المؤمنين»: «أنه كاتب هولاكو وخواجه نصيرالدين الطوسي وحرصهما على تسخير بغداد للانتقام من العباسيين بسبب جفائهم لعترة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم»^(٢).

كما ساهم نصير الشرك والكفر الطوسي وزير هولاكو في قتل المسلمين وإيذائهم^(٣).

(١) المقرئزي: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٤٠٠، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٥٥ - ١٩٣٤م.

(٢) مجالس المؤمنين، ص ٤٠٠، نقلاً عن المغول في التاريخ، ص ٢٧٦.

(٣) انظر إغاثة اللفهان ٢/٢٦٧. طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٣٥٧، تحقيق محمد حامد الفقي.

حملة هولاكو على الشام:

وبعد سقوط بغداد توجه هولاكو صوب الشام، فسقطت حلب في أيديهم سنة ٦٥٧. ثم توجهوا إلى دمشق ووجدوا المدافعين قد هجروها فأخذوا المدينة دون قتال، ثم استمر الجيش المغولي في زحفه نحو مصر بقيادة «كيتو بوقا» ومعه بعض الصليبيين فالتقى بجيش المسلمين بقيادة قطز في رمضان سنة ٦٥٨ حيث دارت المعركة بين الفريقين في عين جالوت^(١).

فأسفرت المعركة عن هزيمة المغول هزيمة منكرة، فقتلوا وأسروا عدداً كبيراً منهم.

وبعد ذلك تابع قطز سيره حتى دخل دمشق دخول الظافر المنتصر وبذلك دخلت مصر والشام تحت حكم المماليك وكانت عاصمتهم القاهرة.

وبعد هزيمة المغول في الشام، وموت هولاكو، دخل جماعة منهم في الإسلام، وحسن إسلامهم، ومن الذين أعلنوا إسلامهم السلطان أحمد تكودار، وكان على مذهب أهل السنة، وحكم من سنة ٦٨١ إلى سنة ٦٨٣، وأسلم على يديه كثير من المغول، إلا أن المغول ثاروا عليه بسبب إسلامه وقتلوه.

آثار هذه الحملات على العالم الإسلامي:

هذه الحروب والحملات على العالم الإسلامي والتي راح ضحيتها الكثير الكثير من الأرواح والأموال، والتي دمرت فيها المدارس والمعاهد ودور العلم، وأحرقت فيها المكتبات، كان لها أثر إيجابي، رغم ذلك كله، فقد كان من آثارها، أن أوجدت في المسلمين روح التحدي، والحماس لدينهم، ومقدساتهم، فأيقظت فيهم الإيمان، والجهاد والتضحية مما جعلهم يردون هذه الحملات على أعقابها، بعد سنوات قليلة. كما علمتهم الكثير من فنون الحرب والقتال.

(١) عين جالوت: بليدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، معجم البلدان ٤/١٧٧. دار صادر، دار بيروت، سنة ١٣٧٦، بيروت.

(٢) البداية والنهاية ١٣/٢٠٨، ٢٠٩.

كما كان لها أثر كبير في اهتمام علماء المسلمين بدراسة عقائد وانحرافات هؤلاء الغزاة، كما كتبت دراسات عن الخونة من المنتسبين للإسلام، كالإسماعيلية والنصيرية والشيعة، كما هو واضح في موقف شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، في تعرية هذه المذاهب وفضح عوارها.

كما كان لها أثر كبير في إعطاء الحرية الفكرية، فظهرت آراء فقهية وعقدية كانت مثار جدل في ذلك الزمان، كما استعاد العلماء سلطانهم، وبدأوا يناقشون السلاطين ويقفون في وجوههم أحياناً، كما حدث للإمام النووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والعز بن عبدالسلام، وغيرهم^(١).

ومن جانب آخر، فقد كان لها أثر طيب في نفوس النصارى الذين عرفوا الإسلام عن قرب، عندما اختلطوا بالمسلمين، فعرفوا محاسنه ومزاياه^(٢).

كما كان لذلك أثر في نفوس المغول الذين اعتنقوا الإسلام، فعادوا دعاة هدى وخير، بعد أن كانوا دعاة ضلال وفتنة.

(ب) السياسة الداخلية :

عاش ابن القيم، رحمه الله، في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع، وكانت دمشق موطن إقامته تحت حكم المماليك، والمماليك هم جماعة من الأرقاء الذين استقدمهم الخلفاء لدعم نفوذهم وحماية دولتهم، فهم بمثابة قوات الأمن الخاصة بحماية الدولة.

وكان الخلفاء العباسيون أول من استخدم المماليك، لتوطيد نفوذهم، وبخاصة منذ أيام الخليفة المأمون، عندما أخذوا ينجشون من ازدياد نفوذ الفرس، ويشكون فيهم.

(١) حسن المحاضرة ١٦١/٢، ١٦٢، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٧٨، الطبعة الأولى؛ طبقات الشافعية ٢١٠/٨، عيسى البابي الحلبي، تحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو.

(٢) الإسلام والحضارة العربية ٣١٧/١.

ولما كان الجيش هو الركن الأول، الذي يعتمد عليه الحاكم في أي بلد من البلاد، إذ هو القوة العسكرية، التي تملك النفوذ، فقد استفحل أمر هؤلاء وزاد نفوذهم، حتى إذا ضعف الخلفاء أصبحوا هم السلاطين وأصبحت الخلافة مجرد مظهر اجتماعي لإعطاء الحاكم صفة الشرعية، أما الخليفة فلا حول له ولا قوة. ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأمرون وهم شهود والممالك قسمان:

* الممالك البحرية: وسموا بذلك نسبة إلى بحر النيل، وذلك لأن السلطان الصالح أيوب اختار لهم جزيرة الروضة وسط النيل لتكون مقراً لهم، وقد حكموا من سنة ٦٤٨ - ٧٨٤^(١).

* الممالك البرجية: وسموا بذلك نسبة إلى أبراج القلعة، التي أنزلهم بها السلطان قلاوون، وقد حكموا من سنة ٧٨٤ - ٩٢٣^(٢).

وكانوا يحرصون على تربيتهم تربية فكرية وعسكرية خاصة. ولذا فقد عزلوهم عن العالم من حولهم وأغدقوا عليهم النعم ليتمكن الولاء من قلوبهم. ولما كانت دمشق هي مقر إقامة ابن القيم فسأقتصر على استعراض الحالة السياسية الداخلية في الشام وبخاصة دمشق.

سيادة الممالك على الشام:

في سنة ٦٥٨ بدأت سيادة الممالك على الشام، وذلك بعد انتصارهم على المغول في معركة «عين جالوت»، كما سبق. ومنذ ذلك التاريخ، ونواب الشام الذين يعينهم السلطان المقيم في مصر في صراع مع السلاطين أنفسهم.

(١) النجوم الزاهرة ٦/٣١٩، طبعة مصورة عن دار الكتب، مطابع كوستاتسوماس وشركاه. حسن المحاضرة ٢/٣٤؛ العصر المالكي، ص ٥، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، دار النهضة العربية - القاهرة.

(٢) النجوم الزاهرة ٧/٣٣٠؛ العصر المالكي، ص ١٤٠ - ١٤٢.

فقد خرج الأمير علم الدين سنقر الحلبي نائب دمشق على الظاهر بيبرس بعد شهر واحد من توليه السلطنة وتلقب بالملك المجاهد ووضع اسمه على النقود ودعا لنفسه في خطبة الجمعة، إلا أن الظاهر بيبرس استطاع إخماد فتنته.

ولما تولى السلطان المنصور قلاوون خرج عليه شمس الدين سنقر نائب الشام وامتنع عن مبايعته ودعا أهل دمشق إلى طاعته وتلقب بالملك الكامل وخطب له في الجامع الأموي إلا أن السلطان استطاع إخماد فتنته وفر الأمير سنقر إلى صهيون.

وفي سنة ٦٩٣ تولى السلطان الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون. وفي سنة ٦٩٤ اغتصب السلطان العادل «كتبغا» بن عبدالله المنصوري السلطنة وزار الشام، فعزل الأمير عزالدين أيبك الحموي نائب دمشق وعين مكانه الأمير سيف الدين أغرلوا العادلي.

وفي سنة ٦٩٦ تولى السلطنة حسام الدين لاجين بعد أن عزل السلطان «كتبغا» فهرب كتبغا إلى دمشق.

وقد عين السلطان المنصور حسام الدين لاجين الأمير سيف الدين قبجق نائباً بالشام.

كما أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك ليأمن خطره، وبسبب سياسته التعسفية خرج عليه نائبه على الشام قبجق.

وفي سنة ٦٩٨ عاد السلطان الناصر محمد إلى السلطنة، وظل في السلطنة حتى ضيق عليه الأميران بيبرس الجاشنكير وسلار مما جعل الناصر محمد يتظاهر بالخروج إلى الحجاز حتى إذا بلغ الكرك أعلن تنازله عن السلطنة.

وفي سنة ٧٠٩ اختار الأمراء بيبرس الجاشنكير سلطاناً بعد تنازل السلطان الناصر محمد.

غير أن أمراء الشام لم يرضوا بالسلطان الجديد، وفي نفس السنة عاد السلطان الناصر محمد إلى دمشق، فاستقبل استقبالاً حافلاً وأقيمت له الخطبة، وقدم له الأمراء فروض الولاء، ثم عاد بعد ذلك إلى مصر، ليتولى السلطنة للمرة الثالثة.

وعين الناصر محمد الأمير قرا سنقر المنصوري نيابة الشام. ثم عزله، وعين الأمير تنكز الحسامي الناصري نيابة دمشق، ثم ولاه جميع بلاد الشام، إلا أنه خشي من نفوذه، فعزله وعين محله الأمير الطنباغا الصالحي.

وبعد وفاة الناصر محمد تولى أولاده وأحفاده، وشهد عصرهم كثيراً من التقلبات والفتن، إذ خلال إحدى عشرة سنة تولى سبعة منهم السلطنة، وقد امتاز عهد السلطان الناصر محمد بطول المدة الزمنية، إذ تولى من سنة ٧٠٩ حتى سنة ٧٤١. كما امتاز بالاستقرار النسبي.

وابن القيم عاش في دمشق في هذه الفترة، التي كان الصراع على السلطة فيها على أشده، في بدايتها ونهايتها، بينما قضى ثلاثين سنة من عمره، هي مدة حكم الناصر محمد الثالثة، ودمشق في حالة استقرار نسبي^(١).

ثانياً: الحالة الاجتماعية

كل مجتمع من المجتمعات، لا يخلو من أربع طبقات، وهي: الحكام والعلماء والتجار والعامّة.

ولا شك أن أقوى هذه الطبقات تأثيراً في المجتمع عادة هي: طبقة الحكام، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. والناس على دين ملوكهم.

ثم يليهم العلماء، الذين يستطيعون بما آتاهم الله من علم وورع وتقوى، أن يملكوا قلوب الناس، وأن يوجهوهم إلى الخير والبر والتقوى، بحسب قوة إيمانهم، وتجردهم، وإخلاصهم في الدعوة إلى الله، وسلطانهم سلطان يقوم بالقلوب لا كسلطان الملوك القائم على الرغبة أو الرهبة.

وقديماً قيل:

(١) العصر المالكي، ص ٢٢٠ - ٢٣٠؛ وابن القيم: حياته وآثاره، ص ٢٨، ٢٩، تأليف أحمد ماهر البقري.

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سوء ورهبانها
ثم يلي ذلك طبقة التجار، الذين يتحكمون في رفع الأسعار، واحتكار الأقوات،
مما يعكس أثراً سيئاً في المجتمع.

وأما العامة، فهم ميدان الصراع، فلا حول لهم، ولا قوة.

ولقد مُنيَ العالم الإسلامي في ذلك الوقت بهجمات شرسة من الصليبيين في
الغرب، ومن المغول في الشرق، — كما سبق — مما ترك آثاراً سيئة في المجتمع، نتيجة
الاحتكاك بغير المسلمين.

كما أن التفكك الداخلي، والخلافات المذهبية، بين الشيعة والسنة، وكثرة
الاضطرابات والفتن، لم تجعل للحكم هبة قوية تضع حداً لتصرفات الناس
وأخطائهم.

لهذا، ولضعف الإيمان، فقد نشأ في ذلك المجتمع كثير من العادات والتقاليد
الضارة، كما انتشر كثير من المعاصي والمنكرات.

فانتشر البغاء، وعرف ما يسمى «بضمان الغواني»، وهو مال تدفعه البغايا،
وتنزل البغي اسمها عند امرأة تسمى الضامنة، فلا يقدر أكبر من في مصر أن يمنعها
من البغاء، إلى أن أبطل ذلك الناصر محمد^(١).

كما انتشرت الأغاني، وآلات اللهو والطرب، وكثرت المخدرات وعرف
الحشيش، وانتشرت الحيل، سواء في المعاملات أو الأعمال، فظهر المحلل والمحلل
له، بشكل معلن.

كما انتشرت الرشوة، واستغلال النفوذ. وحصل الجذب والقحط، فكثرت
الصوص، وقطاع الطرق، فزاد السلب والنهب، وعمد الناس إلى الغش في البيع
والشراء، واحتكار الأقوات، إلى غير ذلك من الأمراض الاجتماعية.

(١) بدائع الزهور ٢/١٥٠، مطابع الشعب، ١٩٦٠م.

وأمام هذا السيل الجارف من الإنحراف، والذي كان ظاهرة من ظواهر ذلك المجتمع، قام العلماء والدعاة والمصلحون بدور بارز في محاربة هذه الأمراض الاجتماعية.

فأنكروا ذلك باليد واللسان والقلب امتثالاً لأمر نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

فألقت الكتب التي تبين للناس حكم هذه المنكرات وما لها من آثار على النفس والمجتمع.

فألف العز بن عبدالسلام «مجلس في ذم الحشيشة»^(١) وألف شيخ الإسلام ابن تيمية «رسالة في تحريم احتكار الأقوات»^(٢)، وألف ابن القيم، رحمه الله، كتابه «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» مبيناً حكم كثير من هذه المظاهر والمنكرات المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

كما وقفوا وقفة شجاعة وأعلنوا كلمة الحق صريحة في وجه كل من خالف أمر الله.

فقد وجد في ذلك العصر علماء أفذاذ، اتسموا بالعلم الغزير، والنية الصادقة، والجرأة والشجاعة، فوقفوا من الحكام والشعوب والأفراد مواقف مشرفة، وكان الحكام يحشون سطوة العلماء في الحق، ويسطون عليهم أحياناً.

فمن ذلك:

إنكار العز بن عبدالسلام على ابن شيخ الشيوخ وزير نجم الدين أيوب، حيث بنى داراً للهو والغناء على أحد مساجد مصر، ولم يكف الشيخ بالإنكار بل قام بهدمها مع أولاده، وأسقط عدالة الوزير، وعزل نفسه عن القضاء^(٣).

(١) العز بن عبدالسلام: حياته وآثاره ومنهجه في التفسير، ص ١١٧، د. عبدالله الوهبي، المطبعة السلفية ومكنتها ١٣٩٩، الطبعة الأولى.

(٢) الأعلام العلية، ص ٢٧، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب الجديد ١٣٩٦.

(٣) حسن المحاضرة ١٦٢/٢؛ طبقات المعتزلة ٢١٠/٨.

ومن ذلك أيضاً موقفه المشهور، عندما حكم على المماليك بالبيع وكان فيهم نائب السلطنة - الرجل الثاني في الدولة - وأمراء الجيش لأنهم مماليك لبيت مال المسلمين فأزعجهم ذلك وأرعدوا وأزبدوا، وشكوه إلى نجم الدين أيوب، فلما علم بذلك عزل نفسه عن القضاء، وقرر الرحيل عن مصر، فلما خرج تبعه العلماء والصلحاء والنساء والصبيان.

فلما علم بذلك نجم الدين أيوب، خاف على ملكه، فلحقه، وأدركه في الطريق، وترضاه، وطلب منه أن يعود، فشرط عليه العز تنفيذ حكمه ببيع المماليك فأجابته إلى ذلك فرجع. فبيعوا، ورد ثمنهم لبيت المال ليصرف في وجوه الخير^(١).

وكان لتلميذ العز، ابن دقيق العيد مواقف مشرفة، من أجلها عزل عن القضاء، أكثر من مرة، ثم يعاد^(٢).

وكذلك وقف الشيخ محي الدين النووي من السلطان الظاهر بيبرس، حينما أراد جمع الأموال من أهل الشام، وأفتاه جماعة بموافقة هواه، فقام الشيخ محي الدين وأنكر عليه ذلك، وقال: «افتوك بالباطل»^(٣).

وابن القيم، رحمه الله، أحد هؤلاء الأجلاء، فقد أنكر شد الرحيل إلى قبر الخليل^(٤)، وبين ذلك، وشدد في إنكاره، مما تسبب في تعرضه للحبس والإهانة كما فعل بشيخه ابن تيمية لأنها نفس التهمة التي حبس من أجلها شيخ الإسلام سنة ٧٢٦.

(١) طبقات الشافعية ٢١٦/٨، ٢١٧.

(٢) طبقات الشافعية ٢١٢/٩.

(٣) حسن المحاضرة ١٦٢/٢، ١٦٣.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٨/٢، الناشر دار المعرفة، بيروت، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢؛

الدرر الكامنة ٢١/٤، مطبعة المدني، مصر، الناشر دار الكتب الحديثة، تحقيق محمد سيد

جادالحق؛ شذرات الذهب ١٦٨/٦، مكتبة القدس، مصر ١٣٥١.

ثالثاً: الحالة العلمية

مما سبق في عرض الحالة السياسية والاجتماعية، تبين مدى الاضطراب والتزعزع في كيان الأمة وما خلفه من آثار سلبية، إلا أنه رغم ذلك فقد وجدت نهضة علمية مباركة متميزة.

فقد اهتم المماليك ببناء المدارس، والإنفاق عليها بسخاء، إذ كان للدين والعلم في نفوسهم منزلة كبيرة، لأنهم نشأوا وتعلموا على أيدي علماء أتقياء، بررة، زرعوا حب الدين والسنة في نفوسهم، فأدركوا ما للعلم والدين من أثر في بناء الأمة، وحفظ كيانها في الداخل وماله من أثر في مواجهة أعدائها في الخارج.

ونتيجة لما أصاب الأمة في أعز ما تملك وهو تراثها الفكري وذلك في حروبها مع أعدائها الذين خربوا المدارس والمساجد وأحرقوا الكتب والمعاهد ودور العلم. فقد شحذ العلماء والحكام همهمم للتعويض عما فات.

كما تميز هذا العصر بتشجيع المذهب السني عقيدة وعملاً ومحاربة المذهب الشيعي الباطني والعقائد الإسماعيلية التي خلفتها الدولة الفاطمية. وهذه حسنة من حسنات دولة المماليك وهي كثيرة.

وقد برزت هذه النهضة العلمية في أمور كثيرة منها:

كثرة المساجد والمدارس ودور العلم:

انتشرت المدارس والمساجد في عهد المماليك في مصر والشام وكان من أشهرها

في مصر:

- ١ - الجامع الأزهر، وقد تم بناؤه سنة ٣٦١.
- ٢ - جامع ابن طولون، وقد تم بناؤه سنة ٣٦٦.
- ٣ - جامع عمرو، وقد تم بناؤه سنة ٧٠٢، وقد كان موجوداً قبل ذلك.
- ٤ - جامع الحاكم، وقد تم بناؤه سنة ٣٩٣.

ومن أشهر المدارس في مصر:

- ١ - المدرسة الصلاحية ويقال لها الناصرية، أسسها السلطان الناصر صلاح الدين ابن أيوب، سنة ٥٧٢.
- ٢ - المدرسة الكاملية، أسست سنة ٦٣١، وكانت داراً للحديث.
- ٣ - المدرسة الظاهرية وتنسب للظاهر بيبرس وقد تم بناؤها سنة ٦٦٢.
- ٤ - المدرسة المنصورية، وتنسب إلى الملك المنصور قلاوون.
- ٥ - المدرسة الناصرية، أسسها العادل زين كتبغا وقد تم بناؤها سنة ٧٠٣^(١).

كما عمرت دمشق وبلاد الشام بكثير من المدارس والمساجد ولكثرتها وتنوعها فقد اهتم بها العلماء والمؤرخون، فقد كتب الأستاذ محيي الدين أبي المفاخر عبدالقادر بن محمد النعيمي، المتوفى سنة ٩٢٧ كتابه «الدارس في تاريخ المدارس» ودون في هذا الكتاب وجمع فيه كل ما يتعلق بمدارس دمشق منذ القرن الخامس الهجري.

وكتب الشيخ عبدالقادر بدران، المتوفى في دمشق سنة ١٣٤٦، كتابه «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال»^(٢)، في مدارس دمشق.

ولولا كثرتها وتنوعها لما كانت محط أنظار المؤرخين والمؤلفين.

وسأذكر بعضاً من هذه المدارس على سبيل الإجمال، وأما ما يتعلق بحياة ابن القيم، فبشيء من التفصيل.

فمن هذه المدارس:

- ١ - المدرسة الظاهرية، وقد أسسها الظاهر بيبرس، وقد تم بناؤها سنة ٦٦٢.
- ٢ - المدرسة الأتابكية، أنشأتها زوجة الملك الأشرف موسى.
- ٣ - المدرسة الأسدية، وقد بناها شيركوه بن شادي بن مروان الملقب أسدالدين.
- ٤ - المدرسة الأمدية.
- ٥ - المدرسة البدرية، وقد بناها الأمير بدرالدين حسن بن الداية المعروف بلؤلؤ.

(١) ابن القيم الجوزية: عبدالعظيم شرف الدين، ص ٤٣ - ٥١.

(٢) انظر منادمة الأطلال، ص ١١٩ - ١٢١، المكتب الإسلامي، دمشق.

- ٦ - المدرسة الصلاحية، أنشأها السلطان صلاح الدين .
- ٧ - المدرسة الصمصامية^(١) .
- ٨ - المدرسة الضيائية المحمدية، وقد بناها الفقيه ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة ٦٤٣^(٢) .
- ٩ - المدرسة الصاحبة: أنشأتها ربيعة خاتون الصاحبة أخت صلاح الدين والعاذل^(٣) .
- ١٠ - المدرسة الصدرية: أنشأها أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي صدرالدين الدمشقي، المتوفى سنة ٦٥٧، كانت داراً للوقف، فجعلها مدرسة، ووقف لها أوقافاً، ووقفها على الحنابلة^(٤) .
- وكان من أفاضل مدرسيها، محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن قدامة الجماعلي الصالح الفقيه المقرئ، الحافظ النحوي، المتوفى سنة ٧٤٤. كما درّس بها الإمام ابن القيم، رحمه الله، وابنه إبراهيم مؤلف كتاب «إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك»^(٥) .
- ١١ - المدرسة الجوزية: أنشأها الإمام يوسف بن عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله بن عبدالله الجوزي، القرشي، البغدادي، ابن الإمام الواعظ المشهور بابن الجوزي، قتل مع الخليفة، والفقهاء، والأعيان، عند سقوط بغداد سنة ٦٥٦، بمكيدة ابن العلقمي الوزير الرافضي، وقد فرغ من بنائها سنة ٦٥٢ .
- وتقع «بالزوريه» في دمشق المسماة قديماً بسوق القمح، قال في منادمة الأطلال^(٦): «وقد اختلس جيرانها معظمها، وبقي منها الآن بقية، ثم

(١) انظر منادمة الأطلال، ص ٧٧، ٧٩، ١٥٢، ١٥٣، ٢٢٦ .

(٢) انظر منادمة الأطلال، ص ٢٤٣ .

(٣) انظر منادمة الأطلال، ص ٢٣٧، ٢٣٨ .

(٤) البداية والنهاية ١٣/٢٠٥ .

(٥) انظر منادمة الأطلال، ص ٢٣٩، ٢٤٠ .

(٦) ص ٢٢٧ .

صارت محكمة إلى سنة ١٣٢٧، وهي الآن مغلقة، لا ندرى ما يصنع بها الزمان فيما بعد، وقال الأستاذ محمد مسلم الغنيمي: «وقد افتتحتها جمعية الإسعاف الخيرية وجعلتها مدرسة لتعليم الأطفال الأيتام ثم أنها احترقت سنة ١٩٢٥م أثناء الثورة السورية على الفرنسيين ثم أعيد بناؤها الآن»^(١).

وقد قام في التدريس فيها جملة من أفاضل العلماء منهم:

(أ) الجمال المرادوي: يوسف بن محمد بن عبدالله بن محمد بن محمود المرادوي، المتوفى سنة ٧٦٩.

(ب) ابن قاضي الجبل: أحمد بن الحسين بن عبدالله بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة، المتوفى سنة ٧٧١.

(ج) شمس الدين النابلسي: محمد بن أحمد بن محمود النابلسي، المتوفى سنة ٨٠٥.

(د) عز الدين الخطيب: محمد بن علي بن عبدالرحمن بن محمد الخطيب، المتوفى سنة ٨٢٠.

(هـ) القاضي عز الدين: عبدالعزيز بن علي بن العز بن عبدالعزيز بن عبدالمحمود، المتوفى سنة ٨٤٦.

(و) برهان الدين ابن مفلح: إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن مفلح بن محمد بن مفلح، المتوفى سنة ٨٨٤. وكان والده الإمام الشيخ أبوبكر بن أيوب الزرعي قِيماً على المدرسة الجوزية مدة من الزمن فقبل له «قيم الجوزية» واشتهر أبناءه بعده بذلك ومنهم ابنه محمد الذي عرف بابن قيم الجوزية^(٢).

وقد تولى الإمامة في المدرسة الجوزية^(٣).

(١) ابن القيم الجوزية، ص ١٠٠، محمد مسلم الغنيمي.

(٢) البداية والنهاية ١٤/٩٥؛ الدرر الكامنة ١/٤٧٢.

(٣) البداية والنهاية ١٤/٢٠٢.

كثرة العلماء والمؤلفات الموسوعية:

ومن هؤلاء العلماء:

- ١ - شيخ الإسلام ابن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨، الذي ترك مؤلفات كثيرة، منها:
(أ) درء تعارض العقل والنقل في عشرة مجلدات.
(ب) منهاج السنة النبوية.
(ج) فتاويه وقد جمعت وبلغت سبعة وثلاثين مجلداً بفهارسها.
- ٢ - الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤. ومن مؤلفاته: «البداية والنهاية» في أربعة عشرة مجلداً.
- ٣ - الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢، ومن كتبه:
فتح الباري شرح صحيح البخاري في ثلاثة عشر مجلداً والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، والإصابة في تمييز الصحابة، وتهذيب التهذيب في اثني عشر مجلداً.
- ٤ - الإمام شمس الدين: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨، وقد ذكر له الدكتور بشار عواد في مقدمة سير أعلام النبلاء، ما يزيد على مائتي مؤلف، ما بين مصنف ومختصر ومستخرج ومستدرك^(١)، منها كتاب:
(أ) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام.
(ب) سير أعلام النبلاء.
(ج) تذكرة الحفاظ.
(د) ميزان الاعتدال وغيرها.
- ٥ - الشيخ صلاح الدين: خليل أيبك الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤، ومن مؤلفاته: «الوافي بالوفيات».
- ٦ - ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي، أبو العباس، المتوفى سنة ٨٦١، ومن مؤلفاته: وفيات الأعيان^(٢).

(١) مقدمة سير أعلام النبلاء ٧٥/١ - ٩٠، الطبعة الثانية، ١٤٠٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) الاعلام ٢٢٠/١، الطبعة السادسة، عام ١٩٨٤م.

٧ - الإمام اللغوي: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، المتوفى سنة ٧١١، ومن كتبه: «لسان العرب»^(١).

٨ - الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة الجماعيلي^(٢)، ومن مؤلفاته: «الأحكام الكبرى» في سبعة مجلدات، و«شرح ألفية ابن مالك»^(٣). وغيرهم.

وبالجملة فاهتمام الحكام بالعلم أدى إلى كثرة المدارس التي خرجت علماء أفذاذاً ساهموا بمؤلفات اتسمت بالسعة والشمول والتخصص وحسن الترتيب. وكانت ولا تزال هذه المؤلفات مراجع مهمة لطلاب العلم ينهلون من معينها فيسهمون في ترشيد الأمة في طريق عودتها إلى بارئها، والله المستعان.

(١) الاعلام ١٠٨/٧.

(٢) سبق، انظر ص ٤٥.

(٣) مناداة الأطلال، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

الفصل الثاني :
ترجمة الإمام ابن قيم الجوزية

- ١ - اسمه .
- ٢ - أسرته .
- ٣ - حياته ونشأته .
- ٤ - شيوخه .
- ٥ - تلاميذه .
- ٦ - ثناء العلماء عليه .
- ٧ - مؤلفاته .
- ٨ - كتبه في السنة .
- ٩ - وفاته .
- ١٠ - أهم ما كتب عنه استقلالاً .

الفصل الثاني: ترجمة الإمام ابن قيم الجوزية

١ - اسمه:

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز^(١) بن مكّي، أبو عبدالله شمس الدين الزرعي^(٢) ثم الدمشقي الحنبلي المشهور بابن قيم الجوزية.

(١) اختلفت المصادر في اسمه حريز فقد ورد في الوافي بالوفيات ٢/٢٧٠، مطبعة وزارة المعارف - استانبول ١٩٤٩؛ وشذرات الذهب ٦/١٦٨؛ والدرر الكامنة ٤/٢١، أنه: حريز بالحاء والراء المهملتين ثم الياء المثناة بعدها زاي معجمة. وورد في البدر الطالع ٢/١٤٣: أنه جرير بالجيم المعجمة والراء المهملة والياء المثناة بعدها راء مهملة.

وورد في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/٤٤٧ أنه حريز بالجيم المعجمة ثم الراء المهملة ثم الياء المثناة بعدها زاي معجمة. وقد أورد الدكتور بكر عبدالله أبوزيد الأوجه الثلاثة ولم يجزم بواحد منها لعدم التنصيص ورأى أن الأقرب هو الأول حريز.

انظر ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره، ص ٧، الطبعة الأولى ١٤٠٠، مطابع دار الهلال، الرياض.

(٢) الزرعي: بضم الزاي المشددة نسبة إلى زرع قرية قرب حوران. . وكان اسمها في القديم (زرا) أو (زره) وتدعى اليوم زرع. معجم البلدان (٣/١٣٥) الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت. انظر: الضوء اللامع ١١/٢٠٤، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان؛ مقدمة روضة المحبين، بقلم: أحمد عبيد، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧٥، الناشر المكتبة التجارية الكبرى؛ ابن قيم الجوزية، للدكتور بكر أبوزيد، ص ٨.

ولا يجوز أن يقال له ابن الجوزي حتى لا يلتبس بابن الجوزي عبدالرحمن ابن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة ٥١٠، الواعظ المشهور.

ولا أن يقال له ابن القيم الجوزية لأن المعرف بالاضافة لا يعرف بأل.

وقد اشتهر عند المتقدمين بابن قيم الجوزية.

وعند المتأخرين بابن القيم وكلاهما صحيح.

ولد ابن القيم في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٦٩١.

٢ - أسرته :

لقد نشأ ابن القيم في بيت علم ودين، فوالده هو الرجل الصالح العابد، أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، كان رجلاً صالحاً، وعابداً تقياً، تولى قوامة الجوزية، وعنه أخذ ابنه محمد الفرائض، وتوفي رحمه الله سنة ٧٢٣^(١).

وأخوه زين الدين، أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي بكر، من تلامذته الحافظ ابن رجب، وتوفي رحمه الله سنة ٧٦٩.

وابن أخيه زين الدين، عمادالدين أبو الفداء إسماعيل بن زين الدين عبدالرحمن، وكان من أفاضل العلماء، توفي سنة ٧٩٩.

وابنه عبدالله، شرف الدين، وجمال الدين بن محمد، تسلم التدريس بالصدرية بعد والده، وكان رجلاً صالحاً عالماً ورعاً، توفي رحمه الله سنة ٧٥٦.

وابنه إبراهيم، برهان الدين بن محمد، أفتى ودرس بالصدرية، وكان عالماً بالعربية، شرح ألفية ابن مالك في كتاب أسماه «إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك»، توفي رحمه الله سنة ٧٦٧.

تلك هي أسرة ابن القيم، أسرة علم وتقى وطهارة، نالت من العلم حظاً وافراً فسجلها التاريخ.

(١) البداية والنهاية ٩٥/١٤، الوافي بالوفيات ٢٧٠/٢، البدر الطالع ١٤٣/٢.

٣ - حياته ونشأته :

نشأ ابن القيم رحمه الله في بيت والده قيم الجوزية، وفي مدينة دمشق، التي كانت حاضرة من حواضر العلم آنذاك، فتلقى العلم منذ الصغر.

وكان عصره خليطاً من المذاهب والأفكار المخالفة للكتاب والسنة فمستقل ومستكثر ولعل ابن القيم قد تأثر بذلك في بداية نشأته العلمية وأنه لم يتحرر سلفياً إلا بعد اتصاله بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. وقد أشار إلى ذلك في قصيدته النونية حيث قال بعد أن ذكر مذاهب المتكلمين:

يا قوم والله العظيم نصيحة
جربت هذا كله ووقعت في
حتى أتاح لي الإله بفضل
أخذت يده يدي وسار فلم يرم
ورأيت أعلام المدينة حولها
ورأيت آثاراً عظيم شأنها
وقال في موضع آخر:

يا طالب الحق المبين ومؤثراً
اسمع مقالة ناصح خبر الذي
طاف المذاهب يتغي نوراً ليهديه
وكأنه قد طاف يبغي ظلمة الليل البهيم
والليل لا يزداد إلا قوة
حتى بدت في سيره نار على
فرأى بتلك النار أطام المدينة
علم اليقين وحجة الإيمان
عند الورى قد شب حتى الآن
وينجيه من النيران
ومذهب الحيران
والصبح مقهوراً بذا السلطان
طور المدينة مطلع الإيمان
كالخيام تشوفها العينان

(١) نونية ابن القيم مع شرح ابن عيسى ٧٢/٢ - ٧٣، الطبعة الثانية ١٣٩٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق.

فهنالك هنا نفسه متذكراً ما قاله المشتاق منذ زمان^(١)

وكان رحمه الله ذا عبادة، وزهد وورع، وشغف بالمحبة، والذكر، والاستغفار، وكان يطيل الصلاة ويمد ركوعها وسجودها، وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى، حتى يتعالى النهار ويقول: هذه غدوتي لولم أقعدها سقطت قواي^(٢).

وكان على خلق عال لطيف المعشر كثير التودد لا يؤذي أحداً ولا يحسده^(٣).

وكان شغوفاً بجمع الكتب وكان لديه مكتبة عامرة ومن قرأ في شيء من كتبه علم كثرة كتبه وسعة اطلاعه وخير شاهد كتابه الذي بين أيدينا^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: وكان مغرئاً بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصى حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهنراً طويلاً سوى ما اصطفوه لأنفسهم^(٥).

وتولى التدريس بالصدرية والإمامة بالجوزية^(٦) ورحل إلى الحج مرات وجاور بمكة^(٧) وسافر إلى القاهرة أكثر من مرة^(٨).

ولما كان السفر يستغرق وقتاً طويلاً، فقد كان الإمام ابن القيم يشتغل بالكتابة والتأليف في سفره وهذا يدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه لبعده عن كتبه مع ما في السفر من عناء ومشقة، وقد ألف في سفره مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم

(١) نونية ابن القيم ٢/٣٨٠، ٣٨١، مع شرحها لابن عيسى.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٨؛ الدرر الكامنة ٤/٢١ - ٢٢؛ البداية والنهاية ١٤/٢٠٢.

(٣) البداية والنهاية ١٤/٢٠٢.

(٤) انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٩؛ البداية والنهاية ١٤/٢٠٢.

(٥) الدرر الكامنة ٤/٢٢.

(٦) سبق، ص ٤٦.

(٧) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٨.

(٨) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢ ق ٣، ص ٨٣٤، وفيات، سنة ٧٥١؛ إغاثة اللهفان ١/١٧؛

هداية الحيارى، ص ٨٧، طبع في مؤسسة مكة للطباعة والإعلام من مطبوعات الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦.

والإرادة، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين، وزاد المعاد في هدي خير العباد، وبدائع الفوائد وتهذيب سنن أبي داود^(١).

وكان رحمه الله قد جمع إلى العلم والعمل والجهاد فكان من الذين لا يخافون في الله لومة لائم، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متحملاً في سبيل ذلك ما يلقاه من أذى. فقد أنكر شد الرحيل لزيارة قبر الخليل فأوذي وسجن بسبب ذلك^(٢).

٤ - شيوخه :

تلمذ ابن القيم رحمه الله على نخبة من علماء عصره في سائر الفنون وسأذكر لك جملة من شيوخه مرتين حسب وفياتهم :

١ - أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالمنعم بن نعمة الحنبلي أبو العباس، المعروف بالشهاب العابر، لأنه كان يعبر الرؤيا^(٣). وقد توفي سنة ٦٩٧.

وقد أشار ابن القيم إلى تلمذه عليه كما في زاد المعاد^(٤).

٢ - محمد ابن أبي الفتح البعلبكي شمس الدين أبو عبدالله الفقيه النحوي، المتوفى سنة ٧٠٩.

وقد قرأ عليه العربية، فقرأ الملخص «لأبي البقاء والجرجانية» وألفية ابن مالك، وأكثر «الكافية» وبعض «التسهيل»^(٥).

(١) ابن القيم: حياته وآثاره، بكر عبدالله أبو زيد، ص ٣٦.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٨/٢.

(٣) البداية والنهاية ٣٣٥/١٣، شذرات الذهب ٤٣٧/٥.

(٤) زاد المعاد ٣٢/٣، الطبعة الأولى ١٣٤٧، المطبعة المصرية؛

ذيل طبقات الحنابلة ٣٣٨/٢؛ شذرات الذهب ١٦٨/٦؛ طبقات المفسرين للدودي

٩١/٢، تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة وهبة، مصر ١٣٩٢، الطبعة الأولى.

(٥) ذيل طبقات الحنابلة ٣٥٦/٢؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢؛ الدرر الكامنة ٢٥٧/٤.

- ٣ - بنت جوهر، فاطمة بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلي،
المسندة المحدثة، المتوفاة سنة ٧١١. أخذ عنها الحديث^(١).
- ٤ - سليمان بن حمزة بن أحمد بن قدامة تقي الدين أبو الفضل المقدسي الحنبلي،
المتوفى سنة ٧١٥^(٢).
- ٥ - محمد بن عبدالرحيم بن محمد الأرموي الشافعي صفي الدين الهندي الفقيه
الأصولي، المتوفى سنة ٧١٥.
- أخذ عنه ابن القيم أصول الفقه والتوحيد وقرأ عليه أكثر «الأربعين»
و«المحصل»^(٣).
- ٦ - إسماعيل بن يوسف بن مكتوم القيسي الدمشقي الشافعي أبو الفداء
صدرالدين، المتوفى سنة ٧١٦^(٤).
- ٧ - علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد الكندي علاء الدين الوداعي،
ويعرف بكتاب ابن وداعة، المتوفى سنة ٧١٦^(٥).
- ٨ - أبو بكر بن المنذر بن أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي، المتوفى
سنة ٧١٨^(٦). وقد أخذ عنه الحديث.

-
- (١) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢؛ طبقات المفسرين ٩١/٢.
- (٢) ذيل طبقات الحنابلة ٣٦٤/٢، ٤٤٨؛ شذرات الذهب ٣٦/٦؛ طبقات المفسرين ٩١/٢؛
الدرر الكامنة ٢١/٤، ١٤١/٢؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢.
- (٣) البداية والنهاية ٦٥/١٤؛ الدرر الكامنة ١٣٢/٤؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢؛ طبقات المفسرين
٩١/٢؛ البدر الطالع ١٤٣/٢.
- (٤) شذرات الذهب ٣٨/٦؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢؛ الدرر الكامنة ٢١/٤.
- (٥) شذرات الذهب ٣٩/٦؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢، وفيه علاء الدين الكندي الوداعي. قلت:
والأرجح أنه المترجم أعلاه.
- (٦) شذرات الذهب ٤٧/٦؛ ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢؛ طبقات
المفسرين ٩١/٢؛ الدرر الكامنة ٢١/٤.

- ٩ - أبو بكر محمد بن قاسم التونسي الشافعي، مجدالدين، المتوفى سنة ٧١٨. أخذ عنه العربية وقرأ عليه «المقرب» لابن عصفور في النحو^(١).
- ١٠ - عيسى بن عبدالرحمن بن معالي بن أحمد الصالحي المطعم في الأشجار ثم السمسار في العقار شرف الدين، المتوفى سنة ٧١٩^(٢). أخذ عنه الحديث.
- ١١ - والده أبو بكر (قيم الجوزية) بن أيوب، المتوفى سنة ٧٢٣. أخذ عنه الفرائض كما سبق^(٣).
- ١٢ - عبدالله بن عبدالحليم ابن تيمية النميري أبو محمد شرف الدين أخو شيخ الإسلام ابن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٧. أخذ عنه ابن القيم الفقه^(٤).
- ١٣ - أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية النميري الحرائي، شيخ الإسلام تقي الدين، المتوفى سنة ٧٢٨. وقد تأثر به ابن القيم تأثراً كبيراً وقرأ عليه ولازمه أكثر من خمس عشرة سنة. أخذ عنه الأصول والتفسير والحديث والفقه والفرائض وعلم الكلام^(٥).
- ١٤ - إسماعيل بن محمد الفراء الحرائي مجدالدين، المتوفى سنة ٧٢٩. أخذ عنه الفرائض والفقه والأصول^(٦).

- (١) شذرات الذهب ٤٧/٦؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢، ٢٧١/٢؛ الدرر الكامنة ٢١/٤.
- (٢) شذرات الذهب ٥٢/٦. قال ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» في ترجمة المطعم ٥٢/٦ وفيها مسند الوقت: وتفرد وتكاثر عليه، وكان أمياً عامياً، قاله في العبر؛ ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢؛ طبقات المفسرين ٩١/٢؛ الدرر الكامنة ٢٨٢/٣ وفيه أنه توفي سنة ٧١٧.
- (٣) انظر ص ٥٢.
- (٤) انظر ترجمة ص ٣٢٠ من هذا الكتاب؛ الدرر الكامنة ٣٧١/٢؛ شذرات الذهب ٧٦/٦؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢.
- (٥) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢؛ طبقات المفسرين ٩١/٢؛ البداية والنهاية ١١٧/١٤.
- (٦) شذرات الذهب ٨٩/٦؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢؛ الدرر الكامنة ٢١/٤. وذكر الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد أن المراد بالمجد الحرائي ليس جد شيخ الإسلام المجد الحرائي عبدالسلام بن عبدالله كما ظنه بعض أهل العلم. انظر ابن القيم: حياته وآثاره، ص ١٠٢، ١٠٣.

١٥ - أيوب بن نعمة النابلسي ثم الدمشقي الكحال، زين الدين، المتوفى سنة ٧٣٠^(١).

١٦ - محمد بن إبراهيم بن جماعة القاضي، بدرالدين الكناني الحموي الشافعي، الإمام المشهور، المتوفى سنة ٧٣٣^(٢).

١٧ - يوسف بن زكي الدين عبدالرحمن القضاعي الكلبى، الدمشقي الشافعي جمال الدين المزى، المتوفى سنة ٧٤٢^(٣).

٥ - تلاميذه :

تصدى ابن القيم للتدريس والإفتاء والدعوة والمناظرة فتلمذ عليه نخبة من النابيين ممن أعطوا العلم جل اهتمامهم فكان منهم علماء بررة مثل :

١ - محمد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي الحنبلي شمس الدين، ذكر له ابن رجب ما يزيد عن سبعين مصنفاً، وتوفى سنة ٧٤٤^(٤).

٢ - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الشافعي، المتوفى سنة ٧٤٨^(٥).

٣ - عبدالله بن محمد بن قيم الجوزية شرف الدين، المتوفى سنة ٧٥٦^(٦).

(١) شذرات الذهب ٩٣/٦، الوافي بالوفيات ٢٧١/٢.

(٢) الدرر الكامنة ٣٦٧/٣؛ شذرات الذهب ١٠٥/٦؛ البداية والنهاية ١٤١/١٤؛ الوافي بالوفيات ٢٧٠/٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٦٦/١٤، ١٦٧؛ شذرات الذهب ١٣٦/٦؛ حادي الأرواح، ص ٦٧؛ جلاء الأفهام، ص ٣٧، ١٤٧، مطبعة المدني بالقاهرة، بدون تاريخ.

(٤) شذرات الذهب ١٤١/٦؛ ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٩/٢؛ البداية والنهاية ١٨١/١٤، ١٨٢؛ وطبقات الحفاظ للسيوطي، ص ٥٢٠، تحقيق علي محمد عمر، الطبعة الأولى ١٣٩٣، الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة.

(٥) شذرات الذهب ١٥٣/٦ - ١٥٥.

(٦) الدرر الكامنة ٣٩٦/٢؛ البداية والنهاية ٢١٨/١٤، سبق ذكره، ص ٥٢.

- ٤ - علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي تقي الدين أبو الحسن، المتوفى سنة ٧٥٦^(١).
- ٥ - محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المقرئ التلمساني، المتوفى سنة ٧٥٩^(٢).
- ٦ - خليل بن أيك الصفدي صلاح الدين، المتوفى سنة ٧٦٤^(٣).
- ٧ - إبراهيم بن محمد ابن قيم الجوزية برهان الدين، المتوفى سنة ٧٦٧^(٤).
- ٨ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الشافعي أبو الفداء عماد الدين، المتوفى سنة ٧٧٤^(٥).
- ٩ - عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن زين الدين، أبو الفرج ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥^(٦).
- ١٠ - محمد بن عبدالقادر بن محيي الدين عثمان النابلسي شمس الدين أبو عبدالله الحنبلي، المعروف بالجنة^(٧)، المتوفى سنة ٧٩٧^(٨).
- ١١ - محمد بن محمد بن محمد بن الخضر الغزي الشافعي، المتوفى سنة ٨٠٨^(٩).

-
- (١) الدرر الكامنة ٣/١٣٤؛ البداية والنهاية ١٤/٢١٧.
- (٢) المقرئ وكتابه نفح الطيب، د. محمد عبدالكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٨٥ وما بعدها.
- (٣) الأعلام ٢/٣١٥.
- (٤) سبق، انظر ص ٥٢؛ شذرات الذهب ٦/٢٠٨.
- (٥) سبق، ص ٢٧؛ الدرر الكامنة ١/٣٩٩؛ شذرات الذهب ٦/٢٣١.
- (٦) الدرر الكامنة ٢/٤٢٨؛ شذرات الذهب ٦/٣٣٩؛ أنباء الغمر ١/٤٦٠، تحقيق د. حسن حبشي، القاهرة ١٣٨٩، الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- (٧) لقب بالجنة لكثرة ما عنده من العلوم لأن الجنة فيها ما تشتهي الأنفس وعنده ما تشتهي النفس الطيبة. شذرات الذهب ٦/٣٤٩.
- (٨) شذرات الذهب ٦/٣٤٩.
- (٩) البدر الطالع ٢/٢٥٤؛ شذرات الذهب ٧/٧٩.

١٢ - محمد بن يعقوب بن محمد محبي الدين أبو الطاهر الفيروزابادي الشافعي صاحب القاموس، المتوفى سنة ٨١٧^(١).

٦ - ثناء العلماء عليه :

لقد حظي ابن القيم بحب كثير من مشايخه وتلاميذه، إذ كان رجلاً قريباً من القلب، باذلاً للمعروف، محباً للخير، مسدياً للنصيحة، فخلد من عرّفه ذكره، وأثنى عليه ثناء حسناً، فمن هؤلاء:

تلميذه الصفدي فقد قال في ترجمته^(٢): «... اشتغل كثيراً، وناظر واجتهد وأكبّ على الطلب، وصنف، وصار من الأئمة الكبار، في علم التفسير والحديث والأصول، فقهاً وكلاماً، والفروع والعربية، ولم يخلف الشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية مثله».

وقال الإمام ابن كثير^(٣): «... سمع الحديث، واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، لاسيما علم التفسير والحديث، والأصلين، ولما عاد تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشر وسبعمئة، لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علماً جماً، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريداً في بابه، في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتغال».

وقال: «وكنت من أصحاب الناس له، وأحب الناس إليه، ولا أعرف في زماننا هذا أكثر عبادة منه».

وقال: «... وبالجملّة كان قليل النظر في مجموعته، وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير، والأخلاق الصالحة، ساعه الله ورحمه».

(١) البدر الطالع ٢/٢٨٠؛ التاج المكلل لصديق خان، ص ٤٦٦، الطبعة الثانية، المطبعة الهندية العربية، عام ١٣٨٢.

(٢) انظر الوافي بالوفيات ٢/٢٧١.

(٣) البداية والنهاية ١٤/٢٠٢.

وقال ابن رجب^(١): «وتفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين، وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير، لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيها المنتهى، والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعبدية وله فيها اليد الطولى، وتعلم الكلام، والنحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى».

وقال: «وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد. . . لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله».

وقال ابن رجب^(٢): وقال القاضي برهان الدين الزرعي عنه: «ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه».

وقال الحافظ ابن حجر^(٣) رحمه الله: «. . . وكان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف، ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه».

وقال بعد أن ذكر مؤلفاته^(٤): «. . . وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف وهو طويل النفس فيها يتعانى الإيضاح جهده فيسهب جداً ومعظمها من كلام شيخه يتصرف في ذلك وله في ذلك ملكة قوية ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها»^(٥).

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٨/٢.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٩/٢.

(٣) الدرر الكامنة ٢١/٤.

(٤) الدرر الكامنة ٢٢/٤.

(٥) زعم الكوثري وغيره أن ابن القيم ليس إلا نسخة من شيخه ابن تيمية وليس له رأي أو عمل مستقل كما توحي به عبارة ابن حجر السالفة الذكر. وقد بين الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه القيم عن ابن القيم هذه الشبهة ورد عليها بالدليل العلمي القاطع فليراجعه من شاء. ابن القيم حياته وآثاره، ص ٨٣ - ٩٧.

وقال السيوطي^(١): «... صنف وناظر واجتهد، وصار من الأئمة الكبار، في التفسير والحديث والفروع والأصلين والعربية...».

وقال ابن العماد الحنبلي^(٢): «... الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي الأصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية».

قال الشوكاني^(٣): «برع في جميع العلوم وفاق الأقران واشتهر في الآفاق وتبحر في معرفة مذاهب السلف». وقال الشوكاني^(٤) بعد أن ذكر مؤلفاته وكلام ابن حجر السابق: «... وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحبه القلوب، وليس له على غير الدليل معول في الغالب، وقد يميل نادراً إلى المذهب الذي نشأ عليه، ولكنه لا يتجاسر على الدفع في وجوه الأدلة بالمحامل الباردة، كما يفعله غيره من المتمذهيين، بل لا بد له من مستند في ذلك وغالب أبحاثه الإنصاف، والميل مع الدليل حيث مال، وعدم التعويل على القيل والقال...».

وقال^(٥): «وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السُّنة، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثّة أعظم جنة، فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً».

٧ - مؤلفاته :

لقد كان ابن القيم من العلماء الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفات قيمة، في شتى العلوم بأسلوب علمي رصين، فقد جمع فيها بين عمق الفكرة وسلاسة وجاذبية الأسلوب فأنت تقرأ له في الرد على المتكلمين والفلاسفة وكأنك تقرأ في أحد كتب

(١) بغية الوعاة، ص ٢٥.

(٢) شذرات الذهب ١٦٨/٦.

(٣) البدر الطالع ١٤٣/٢.

(٤) البدر الطالع ١٤٤/٢، ١٤٥.

(٥) البدر الطالع ١٤٥/٢.

الأدب التي تجمع النكات الطريفة والحكم البليغة . وخير شاهد على ذلك نونيته المعروفة بالكافية الشافية التي عرض فيها عقائد الجهمية والمعتزلة والأشاعرة مع الرد عليهم بأبيات من الشعر الذي لا تمل سماعه ولا قراءته ويكفيك أن تقارن بين هذه القصيدة وبين أي منظومة في علم من العلوم ليتبين لك الفرق واضحاً . فابن القيم يتميز بأسلوبه الفذ وعبارته الرشيقة وهو يكتب هذا العلم – رغم ما فيه من عمق الفكرة وصعوبة الرد والمناقشة – شعراً فكيف إذا كتب نثراً، فتقرأ له في الرد على الجهمية في الاستواء قوله :

أمر اليهود بأن يقولوا حطة فأبوا وقالوا حنطة لهوان
وكذلك الجهمي قيل له : استوى فأبى وزاد اللام للنكران
نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان^(١)
وتقرأ له في الإرجاء قوله :

وكذلك الإرجاء حين تقر بالمعبود تصبح كامل الإيمان
فارم المصاحف في الحشوش وخرب البيت العتيق وجد في العصيان
واشتم جميع المرسلين ومن أتوا من عنده جهلاً بلا كتمان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لها بل خر للأصنام والأوثان
وأقر أن الله جل جلاله هو وحده الباري لذي الأكوان
وأقر أن رسوله حقاً أتى من عنده بالوحي والقرآن
فتكون حقاً مؤمناً وجميع ذا وزر عليك وليس بالكفران
هذا هو الإرجاء عند غلاتهم من كل جهمي أخي الشيطان

وسترى في كتابه الصواعق ما تقر به عينك .

وقد بذل الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد جهداً مشكوراً في حصر مؤلفات

(١) شرح القصيدة النونية لابن عيسى ٢٦/٢ (بتصرف) .

(٢) المرجع السابق ١١٧/٢ .

ابن القيم، وضبط أسمائها، وبيان ما كتبه فعلاً وما نسب إليه، في كتابه القيم «ابن القيم: حياته وآثاره»^(١) وقد بلغت ستة وتسعين كتاباً سطرها هذا العالم الفذ بعلمه العميق، وأسلوبه الساحر.

وسأقتصر في هذه العجالة، على ما كتبه في السُّنة، أوفي الرد على الفرق والأديان.

٨ - كتبه في السنة^(٢)، (في العقيدة):

١ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: وهذا الكتاب طبع في الهند، سنة ١٣١٤، ثم طبع في المطبعة المنيرية بمصر، سنة ١٣٥١.

وقد ذكره ابن القيم في الصواعق المرسلّة باسم اجتماع العساكر الإسلامية^(٣) كما ذكره في كتابه الفوائد^(٤).

٢ - الروح: وقد طبع في الهند، سنة ١٣٥٧، وطبع في مصر، سنة ١٣٨١، الطبعة الثالثة، وقد قام بتحقيقه الدكتور: بسام علي سلامة، وقدمه كرسالة دكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد ذكره جمع من أهل العلم ممن ترجم للإمام ابن القيم^(٥).

(١) ابن القيم: حياته وآثاره، ص ١١٨.

(٢) كان السلف يسمون الكتب المؤلفة في العقيدة كتب السنة، ولذا سمي الإمام أحمد والخلال وابن أبي عاصم وأحمد العسال ما كتبه في العقيدة باسم «السنة».

(٣) انظر ص ١٢٥٤، ١٣٠٥.

(٤) الفوائد، ص ٤، الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

(٥) فذكره ابن حجر في الدرر الكامنة ٢٢/٤؛ والسيوطي في بغية الوعاة، ص ٢٥؛

وابن العماد في شذرات الذهب ٦/١٧٠، والشوكاني في البدر الطالع ٢/١٤٤؛ وحاجي خليفة

في كشف الظنون ٢/١٤٢١، الناشر دار العلوم الحديثة - بيروت.

- ٣ - الروح والنفس: وقد ذكره ابن القيم في جلاء الافهام^(١).
- ٤ - السنة والبدعة: وقد ذكره أحمد عبيد في مقدمة روضة المحبين^(٢)، كما ذكره الدكتور بكر بن عبدالله أبوزيد^(٣).
- ٥ - شرح الأسماء الحسنى: وقد ذكره ابن رجب^(٤) والداودي^(٥) وابن العماد^(٦).
- وقد دعا ابن القيم ربه أن يعينه ويوفقه لشرح الأسماء الحسنى كما في بدائع الفوائد^(٧).
- ٦ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل^(٨): وقد طبع مرتين، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣، بالمطبعة الحسينية بمصر، والطبعة الثانية سنة ١٩٧٥م بمطبعة أنصار السنة المحمدية. وقال الدكتور بكر أبوزيد: «ولعله هو المذكور عند ابن حجر والشوكاني وصديق، باسم «القضاء والقدر»^(٩).
- ٧ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: وهو قصيدته المشهور بنونية ابن القيم، أو بالقصيدة النونية، وعدد أبياتها ٥٩٤٩^(١٠)، طبعت أكثر من مرة.

(١) ص ١٨٩.

(٢) روضة المحبين، ص، ش من المقدمة.

(٣) ابن القيم: حياته وآثاره، ص ١٦٤.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٥٠.

(٥) طبقات المفسرين ٢/٩٣.

(٦) شذرات الذهب ٦/١٧٠.

(٧) بدائع الفوائد ١/١٧٠، ٢/١٣٧، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(٨) كشف الظنون ٢/١٠٥١، هدية العارفين ٢/١٥٨، الدرر الكامنة ٤/٢٣، وقد ذكرها ابن حجر باسم «القضاء والقدر»، والشوكاني كذلك؛ البدر الطالع ٢/١٤٤؛ التاج المكلل لصديق، ص ٤١٩.

(٩) ابن القيم: حياته وآثاره، ص ١٦٦.

(١٠) ابن القيم: حياته وآثاره، ص ١٨٢.

وقد ذكرها جمع ممن ترجم للإمام ابن القيم^(١).

وقد شرحها ابن عيسى النجدي في كتابه «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد» في شرح قصيدة الإمام ابن القيم رحمه الله.

والشيخ عبدالرحمن السعدي في كتابه «توضيح الكافية الشافية»، والشيخ محمد خليل هراس في كتابه «شرح النونية»^(٢).

٨ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة^(٣): وقد طبع مراراً.

وقد أشار إليه ابن القيم في الصواعق المرسله^(٤).

٩ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ويسمى كتاب صفة الجنة: وقد ذكره ابن القيم في الصواعق المرسله^(٥).

١٠ - الداء والدواء، ويسمى الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: وقد طبع مراراً. وقد ذكره ابن رجب^(٦) والداودي^(٧) وابن العماد^(٨) والشوكاني^(٩) وحاجي خليفة^(١٠) وغيرهم.

(١) ذكرها الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٧١/٧، والسيوطي في بغية الوعاة، ص ٢٥؛ وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢؛ والداودي في طبقات المفسرين ٩٣/٢... وغيرهم.

(٢) انظر ابن القيم: حياته وآثاره، ص ١٨٣.

(٣) ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢، والصفدي في الوافي بالوفيات ٢٧١/٢؛ وابن حجر في الدرر الكامنة ٢٢/٤؛ والسيوطي في بغية الوعاة، ص ٢٥؛ وابن العماد في شذرات الذهب ١٧٠/٦؛ والشوكاني في البدر الطالع ١٤٤/٢ وغيرهم.

(٤) انظر ص ١٤٥٠.

(٥) انظر ص ١٣٣٢؛ والدرر الكامنة ٢٢/٤؛ وذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢؛ والبدر الطالع ١٤٤/٢؛ وطبقات المفسرين ٩٣/٢.

(٦) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢.

(٧) طبقات المفسرين ٩٣/٢.

(٨) شذرات الذهب ١٦٩/٦.

(٩) البدر الطالع ١٤٤/٢.

(١٠) كشف الظنون ٧٢٨/١.

- ١١ - الجواب الشافي لمن سأل عن ثمرة الدعاء إذا كان ما قدر واقع: ذكره الشوكاني^(١).
- ١٢ - جلاء الافهام في فضل الصلاة على خير الأنام: وقد طبع في مصر والهند، وذكره ابن رجب^(٢) والداودي^(٣) والصفدي^(٤) وحاجي خليفة^(٥)... وغيرهم.
- ١٣ - التحفة المكية: ذكره ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد^(٦).
- ١٤ - الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية: ذكرها الصفدي^(٧)، والداودي^(٨) وحاجي خليفة^(٩) والسيوطي^(١٠) وغيرهم.
- ١٥ - مولد النبي صلى الله عليه وسلم: ذكره الشوكاني^(١١) والقنوجي^(١٢).
- ١٦ - المهدي: ذكره صاحب كشف الظنون^(١٣).

-
- (١) البدر الطالع ١٤٤/٢.
- (٢) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢.
- (٣) طبقات المفسرين ٩٣/٢.
- (٤) الوافي بالوفيات ٢٧٢/٤ وقد ذكره باسم «جلاء الأفهام في أحكام الصلاة والسلام على خير الأنام».
- (٥) كشف الظنون ٥٩٢/١.
- (٦) بدائع الفوائد ١١٩/١.
- كما ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢؛ والداودي في طبقات المفسرين ٩٣/٢؛ وابن العماد في شذرات الذهب ١٨٦/٦.
- (٧) الوافي في الوفيات ١٧٢/٢.
- (٨) طبقات المفسرين ٩٣/٢.
- (٩) كشف الظنون ٨٦١/١.
- (١٠) بغية الوعاة، ص ٢٥.
- (١١) البدر الطالع ١٤٤/٢.
- (١٢) التاج المكمل، ص ٤١٩.
- (١٣) كشف الظنون ١٤٦٥/٢.

- ١٧ - اقتضاء الذكر بحصول الخير ودفع الشر: ذكره الصفدي^(١).
- ١٨ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ذكره صاحب كتاب كشف الظنون^(٢).
- وقد طبع الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ وطبع سنة ١٣٩٨ بتحقيق أحمد حجازي السقا.
- وقدم محققاً رسالة دكتوراه بقلم الدكتور محمد الشيخ أحمد محمود الحاج، لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ١٩ - الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة: وهو ما سنتناوله بالدراسة في الباب الثاني.
- ولابن القيم كتب كثيرة في التصوف والرقائق والأخلاق^(٣).

٩ - وفاته:

توفي ابن القيم رحمه الله، بعد عمر مديد، مليء بالأعمال الخيرة البناءة، التي قدم فيها للأمة الإسلامية خيراً كثيراً، فعاش حياً بين الناس، منذ مئات السنين.

وقد كانت وفاته رحمه الله في اليوم الثالث عشر من رجب، سنة ٧٥١ وصلي عليه بالجامع، عقيب الظهر، ثم بجامع جراح، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وشيَّعه خلق كثير، كان منهم الأعيان، والقضاة، والصالحون، رحمه الله رحمة واسعة^(٤).

(١) الوافي بالوفيات ٢/٢٧٢.

(٢) كشف الظنون ٢/٢٠٣٠.

(٣) انظر ما كتبه الدكتور بكر أبو زيد عن مؤلفاته، ص ١١١ - ١٩٩.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٥٠، ٤٥١؛ البداية والنهاية ١٤/٢٠٢، ٢٠٣.

١٠ - أهم ما كتب عنه استقلالاً :

تلك نبذة مختصرة عن حياة هذا العالم الفذ عرضتها على سبيل الإيجاز لشهرته وكثرة من كتب عنه، وأنا أذكر لك جملة من مراجع ترجمته، ممن تناولته استقلالاً، وأقامت بدراسة جانب من جوانب فكر ابن القيم المعطاء؛ فمنها:

١ - ابن القيم وموقفه من التقليد الإسلامي، تأليف الدكتور عوض الله جاد حجازي، وقد اهتم في هذا الكتاب بالجانب العقدي عند ابن القيم، إلا أنه كان من منظور أشعري مما جعله يقع في بعض الهنات.

وقد حدثني الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد بعد أن أثنى على الكتاب، قال: وقد التقيت بالدكتور عوض الله حجازي في المسجد الحرام وأثنت على كتابه وقلت له لولا ما فيه - يعني الأشعرية - فقال: «قد رجعت عما فيه».

يقع الكتاب في ٣٤٢ صفحة من القطع الصغير وهو من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٢ - ١٩٧٢م.

٢ - ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره، تأليف الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد يتناول فيه حياة ابن القيم بشيء من التفصيل مبيناً ما تركه من مؤلفات. وهو كتاب قيم بذل فيه المؤلف جهداً طيباً في تمحيص شخصية ابن القيم والرد على ما أثير حوله من شبه أو نسب إليه من كتب فجاء كتاباً جامعاً في بابه.

يقع الكتاب في ٢٠٤ صفحة وقد طبع الطبعة الأولى بمطابع دار الهلال للأوفست سنة ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.

٣ - ابن قيم الجوزية: عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، تأليف الدكتور عبدالعظيم عبدالسلام شرف الدين، وقد تناول فيه عقيدة ابن القيم من منظور أشعري مما جعله لا يخلو من بعض السقطات.

يقع الكتاب في ٥١٥ صفحة، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧، ١٩٦٧م. الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

٤ - منهج ابن القيم في التفسير، تأليف محمد أحمد السنباطي، بين فيه منهج ابن القيم في التفسير، بعد أن ذكر له ترجمة موجزة.

يقع الكتاب في ١٦٥ صفحة، من القطع الكبير، من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٣٩٣، ١٩٧٣م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

٥ - ابن القيم وآثاره العلمية، تأليف أحمد ماهر محمود البقري، تناول في هذا الكتاب جوانب متعددة، في حياة ابن القيم، وقد بذل فيه المؤلف جهداً طيباً.

يقع الكتاب في ٤١١ صفحة. وقد طبع سنة ١٣٩٧، الناشر مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية.

٦ - ابن قيم الجوزية، تأليف محمد مسلم الغنيمي، وقد ترجم فيه لابن القيم مع حديث مفصل عن أدبه وكتابه روضة المحبين، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح وكتاب الروح.

يقع الكتاب في حدود ٤٠٥ صفحة من القطع الصغير - طبع في المكتب الإسلامي - دمشق.

٧ - ابن القيم وحسب البلاغي في تفسير القرآن، تأليف الدكتور عبدالفتاح لاشين. يقع الكتاب في ٢٢٩ صفحة، طبع دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة ١٤٠٢، ١٩٨٢م.

٨ - ابن قيم الجوزية: جهوده في الدرس اللغوي، تأليف الدكتور طاهر سليمان حموده.

يقع الكتاب في ٢٠٧ صفحة، الناشر دار الجامعة المصرية، الإسكندرية، ١٢٩٦م.

٩ - آراء ابن القيم التربوية، رسالة دكتوراه تقدم بها الدكتور علي حسن الحجامي / إلى قسم التربية بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الباب الثاني :
التعريف بالكتاب والمخطوطة

وفيه فصلان :

الفصل الأول : الكتاب .

الفصل الثاني : المخطوطة .

الفصل الأول: الكتاب

- ١ - عنوانه .
- ٢ - توثيق نسبه لابن القيم .
- ٣ - عدد مجلداته .
- ٤ - تاريخ تأليفه .
- ٥ - سبب تأليفه .
- ٦ - مصادره .
- ٧ - موضوعه .
- ٨ - عرض موجز لأهم الموضوعات الرئيسية في الجزء الأول .
- ٩ - منهج ابن القيم في هذا الكتاب .
- ١٠ - تقويمه .
- ١١ - مقارنته بالمختصر .

الفصل الأول: الكتاب

١ - عنوان الكتاب :

اتفقت جميع المخطوطات والمراجع التي ذكرت الكتاب على عنوان الكتاب مع اختلاف يسير في الألفاظ، بيانه:

ففي نسخة المكتبة العثمانية بحلب، والتي رمزت لها بحرف «ظ» وهي النسخة التي اعتمدها أصلاً، ذكر العنوان هكذا:
«الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية^(١) والمعطلة»

وفي نسخة المتحف العراقي ببغداد، والتي رمزت لها بحرف «م»، كتب العنوان هكذا:

(١) الجهمية : سمو بذلك نسبة إلى جهنم بن صفوان وقد قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٧، وهم من القائلين بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان وأن الإيمان هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل بالله فقط وأن الفاعل هو الله وحده وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم مجازاً ومن أصولهم تقديم العقل على النقل . كما قالوا بخلق القرآن وقيل : إن الجهمية لا تعتبر فرقة قائمة بذاتها كالمعتزلة . ولذا لم تذكر كفرقة عند كثير ممن كتب في الملل والنحل، وإنما تذكر ضمن فرق المعتزلة أو المرجئة .

انظر في مذهبهم: مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١، الطبعة الثانية ١٣٨٩، مكتبة النهضة المصرية؛ تاريخ التراث العربي ٢١/٤/١، ٢٢، طبع جامعة الإمام؛ البرهان في عقائد أهل الأديان ١٧، ١٨، دار التراث العربي؛ الفصل في الملل والنحل ٢٠٤/٤ دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ .

«الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعتلة»

وفي نسخة المكتبة الوطنية ببرلين الغربية، والتي رمزت لها بحرف «ب»، كتب العنوان هكذا:

«الصواعق المرسله على فرق المعتزلة^(١) والجهمية المعتلة»

وفي هامش «ب» قال: ويقال:

«الصواعق المرسله على فرق البدع المتأولة»

وعند بعض من ترجم لابن القيم ورد العنوان هكذا:

«الصواعق المنزلة على الجهمية والمعتلة»

وفي نسخة مختصر الصواعق في دار الكتب القومية^(٢) بمصر كتب العنوان هكذا:

«الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة»

وفي المختصر المطبوع كتب العنوان هكذا:

(١) سموا بذلك لاعتزالهم أقوال المسلمين في مرتكب الكبيرة حيث قالوا: إنه في منزلة بين المنزلتين. فلا هو مؤمن ولا هو كافر وقيل: لاعتزال زعيمهم واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، ومذهبهم يقوم على نفي الصفات عن الله تعالى، ونفي القدر في معاصي العباد، وإضافة خلقها إلى فاعليها. وأن القرآن مخلوق ونفوا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكباير وهم فرق كثيرة منها الجبائية والضرارية والنظامية والجاحظية... وغيرها.

انظر في مذهبهم: البرهان في عقائد أهل الأديان، ص ٢٦، ٢٧؛ مقالات الإسلاميين ٣٣٥/١، وما بعدها؛ الملل والنحل للشهرستاني ٥٤/١، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ٢٧ وما بعدها.

(٢) وهذه النسخة توجد في قسم المخطوطات بدار الكتب القومية الخزانة التيمورية برقم (٣٤٧) عقائد.

وقد ظن الدكتور عوض الله حجازي أنها كتاب ابن القيم الأصل كما في حاشية كتابه «ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي»، ص ٩١. وقد رد عليه الدكتور بكر عبدالله أبو زيد وبين أنه وقف على مصورتها وأنها المختصر المطبوع، انظر ابن القيم: حياته وآثاره، ص ١٦٨. قلت: ولدي نسخة مصورة عنها وهي المختصر المطبوع، وتقع في ٥٧٢ صفحة.

«مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله»

من هذا، وما سيأتي في توثيق نسبة الكتاب لابن القيم^(١) يتبين أن العنوان ورد بخمس صيغ:

- الأولى : «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله».
- الثانية : «الصواعق المنزله على الجهمية والمعطله».
- الثالثة : «الصواعق المنزله على الطائفة الجهمية والمعطله».
- الرابعة : «الصواعق المرسله على فرق المعتزله والجهمية والمعطله».
- الخامسة : «الصواعق المرسله على فرق البدع المتأوله».

فالفارق بين الصيغة الأولى والثانية في كلمة المنزله أو المرسله وفي الصيغة الثالثة زيادة كلمة «الطائفة»، وفي الرابعة زيادة «فرق المعتزله»، وفي الخامسة الاختلاف في الشطر الثاني من العنوان حيث ورد بلفظ على فرق البدع المتأوله.

وقد وردت الصيغة الأولى عند كل من الحافظ ابن حجر وابن العماد والشوكاني وحاجي خليفة والبغدادي والقنوجي والألوسي^(٢)، وكذا في المختصر.

ووردت الصيغة الثانية عند كل من الحافظ ابن رجب والداودي وابن بدران وابن عيسى^(٣).

وردت الصيغة الثالثة في نسخة المكتبة الحلبية والتي رمزت لها بحرف «ظ» والتي هي أصل هذا الكتاب.

- وكذا في نسخة المتحف العراقي والتي رمزت لها بحرف «م».
- ووردت الصيغة الرابعة في نسخة برلين الغربية والتي رمزت لها بحرف «ب».
- ووردت الصيغة الخامسة في هامش نسخة برلين الغربية.

(١) انظر ص ٧٨.

(٢) انظر ص ٨٠، ٨١.

(٣) انظر ص ٨٠، ٨١.

والذي أختاره الصيغة الأولى، لأن المؤلف الإمام ابن القيم صرح بها في كتابه «مدارج السالكين»^(١) فقال: «ذكرتها في كتاب الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله».

ولشهرتها ولكثرة من ذكرها وقد جاءت في المختصر كذلك، ولأن الفرق بين الصيغة الأولى والثانية بكلمة المنزلة وهو فرق طفيف، فالصواعق تكون منزلة ومرسلة. وما جاء في نسخة ظ، م كان بزيادة كلمة «الطائفة» وهي لا تضيف كبير معنى.

٢ - توثيق نسبة الكتاب لابن القيم :

لا أشك أن كتاب الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله من مؤلفات ابن القيم رحمه الله. كما لم يشكك أحد ممن ترجم لابن القيم أو ذكر كتبه - فيما اطلعت عليه - بنسبة هذا الكتاب إليه. ومما يزيد الأمر يقيناً ما يلي :

١ - أن هذا الكتاب صرح ابن القيم باسمه، وذكر بعض مباحثه في بعض مؤلفاته: فقد ذكره في كتابه «إغاثة اللهفان»^(٢) في الباب السابع في أن القرآن متضمن لأدوية القلب وعلاجه من جميع أمراضه.

فبعد أن ذكر قول الرازي في شهادته على نفسه بالحيرة والشك وأن علم الكلام لا يشفي عليلاً ولا يروي غليلاً وذلك في مقالته المشهورة التي بدأها بقوله:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

قال: «.. فهذا إنشاده ألفاظه في آخر كتبه، وهو أفضل أهل زمانه على

(١) ٣/٣٥٢.

(٢) إغاثة اللهفان ١/٤٥.

قال: «.. قال الشيخ محمد حامد الفقي تعليقاً على كتاب الصواعق في حاشية إغاثة اللهفان ١/٤٥: «كتاب الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله أنفس وأقوى ما ألف في هدم طواغيت الملاحدة والمتفلسفة والمفتونين بهم من المؤولين والمحرفين للنصوص».

الإطلاق في علم الكلام والفلسفة، وكلام أمثاله في مثل ذلك كثير جداً قد ذكرناه من كتاب الصواعق وغيره».

وهذا النص المذكور في كتاب الصواعق المرسله الذي بين أيدينا كما في ص ١٦٨ .

كما ذكره في كتابه «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»^(١) في موضعين :

أحدهما: قال بعد أن قرر أن الرسالة جاءت بإثبات الصفات على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء: « . . . وكذلك كان تأويل آيات الصفات وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد، وأخباره، بل أبعد منه، لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله».

وقد ذكر ذلك في هذا الكتاب. انظر ص ٦٧٧، ص ١٠٩٦ .

الثاني: قوله «وقد ذكرنا في كتاب الصواعق أن تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها – هو أصل إفساد الدنيا والدين وزوال الممالك وتسليط أعداء الإسلام عليه إنما كان بسبب التأويل، ويعرف هذا من له اطلاع وخبرة بما جرى في العالم ولهذا يحرم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم لصحته لأنه سبب فساد العالم وتعطيل الشرائع».

وقد ذكر ذلك في هذا الكتاب، انظر ص ٣٤٨، ٣٦٥، ٣٧٦ .

كما ذكره في القصيدة النونية «المعروفة باسم الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

حيث قال عند حديثه عن الجهمية الذين فسروا الاستواء بالاستيلاء^(٢)

ولقد ذكرنا أربعين طريقة قد أبطلت هذا بحسن بيان

(١) مدارج السالكين ٣/٣٥٢، ٣/٣٥٣ .

(٢) انظر شرح القصيدة النونية لابن عيسى ٢/٢٦ .

هي في الصواعق إن ترد تحقيقها لا تختفي إلا على العميان
نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان
وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله الرد على من فسّر الاستواء بالاستيلاء من
اثنين وأربعين وجهاً في الصواعق المرسلّة. انظر مختصر الصواعق ٢/٣٢٠ - ٣٣٦.

٢ - أن هذا الكتاب قد ذكره أكثر من ترجم له أو كتب عنه.

فقال تلميذه ابن رجب^(١) في أثناء ذكره لمؤلفات ابن القيم: «كتاب الصواعق
المنزلة على الجهمية والمعطلة»، في مجلدات.

وقال الحافظ ابن حجر^(٢) عند ذكر مؤلفاته: «والصواعق المرسلّة على الجهمية
والمعطلة»، ولم يذكر عدد مجلداته.

وقال الداودي في طبقات المفسرين^(٣) عند ذكر مؤلفاته: «الصواعق المنزلة
على الجهمية والمعطلة»، في مجلد.

وقال ابن العماد في شذرات الذهب^(٤): «كتاب الصواعق المرسلّة على الجهمية
والمعطلة»، مجلدان.

وقال الشوكاني في البدر الطالع^(٥) عند ذكر مؤلفاته: «الصواعق المرسلّة على
الجهمية والمعطلة»، ولم يذكر عدد مجلداته.

وقال ابن بدران في منادمة الأطلال^(٦): «الصواعق المنزلة على الجهمية
والمعطلة»، مجلدان.

(١) ذيل طبقات الخنابلة ٢/٤٥٠.

(٢) الدرر الكامنة ٤/٢٢.

(٣) طبقات المفسرين ٢/٩٣.

(٤) شذرات الذهب ٦/١٦٩.

(٥) البدر الطالع ٢/١٤٤.

(٦) منادمة الأطلال، ص ٢٤١.

وقال حاجي خليفة في كشف الظنون^(١): «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله»، ولم يذكر عدد مجلداته.

وقال البغدادي في هدية العارفين^(٢): «الصواعق المرسله على الجهمية المعطله»، ولم يذكر عدد مجلداته.

وقال صديق بن حسن القنوجي في كتابه «التاج المكلل»^(٣): «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله»، في مجلدات.

وقال ابن عيسى في كتابه شرح نونية ابن القيم^(٤): «الصواعق المنزله على الجهمية والمعطله»، مجلدان.

وقال أيضاً^(٥): «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله»، وهو في مجلدات.

وقال الألوسي في كتابه جلاء العينين^(٦): «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله»، ولم يذكر عدد مجلداته.

٣ - أنه نقل في هذا الكتاب عن شيخ الإسلام ابن تيمية وهو من كبار مشايخه. انظر ص ١٦٢، ٣١٤، ٥٤٣ من هذا الكتاب.

كما نقل عن أخي شيخ الإسلام عبدالله ابن تيمية وهو أحد مشايخه أيضاً. انظر ص ٣٢٠ من هذا الكتاب.

٤ - إن الشيخ محمد الموصلي قد اختصر هذا الكتاب وطبع هذا المختصر أكثر من مرة وانتشر بين الناس واستفاضت معرفته استفاضة لا يتطرق معها إليه شك.

(١) كشف الظنون ١٠٨٣/٢.

(٢) هدية العارفين ١٥٨/٢.

(٣) التاج المكلل، ص ٤١٩.

(٤) شرح نونية ابن القيم ٨/١، المقدمة.

(٥) شرح النونية ٢٧/٢.

(٦) جلاء العينين، ص ٣١.

٥ - إن من يقرأ هذا الكتاب لا يشك أنه من مؤلفات ابن القيم . فقد ظهر فيه منهجه في العرض والتحليل كما ظهر فيه منهجه في الاستدلال والمناقشة والنقل كما ظهرت فيه الجاذبية في أسلوبه وبيانه . وما امتازت به مؤلفاته من السعة والشمول وطول النفس .

٣ - عدد مجلداته :

ذكر الحافظ ابن رجب^(١) أنه في مجلدات ولم يحدد عددها وتبعه القنوجي في التاج المكلل^(٢)، وابن عيسى في شرح النونية^(٣) . وذكر ابن العماد^(٤)، وابن بدران^(٥) أنه في مجلدين، وذكر الداودي في طبقات المفسرين^(٦) أنه في مجلد .

والظاهر أنه لا يقل عن مجلدين، إذ بلغت عدد الصفحات في نسخة المتحف العراقي ٤٧٥ صفحة (أربعمائة وخمس وسبعين صفحة للجزء الأول - علماً بأنه قد سقط منه ما يزيد عن (٤٥) خمس وأربعين صفحة أضيفت من نسخة برلين . وهذه لا تقل عن مجلد بمفهوم العصر .

٤ - تاريخ تأليف الكتاب :

ذكر ابن القيم كتابه هذا في كتابين من كتبه - كما سبق -^(٧) هما مدارج السالكين، وإغاثة اللهفان، ولم أقف على تاريخ تأليفها ولا أستطيع أن أحدد ولو على وجه التقريب تاريخ تأليفه لهذا الكتاب .

كما ذكر في كتابه هذا ثلاثة كتب من كتبه هي :

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤/٤٥٠ .

(٢) التاج المكلل، ص ٤١٩ .

(٣) شرح نونية ابن القيم ٨/١ .

(٤) شذرات الذهب ٦/١٦٩ .

(٥) منادمة الأطلال، ص ٢٤١ .

(٦) طبقات المفسرين ٢/٩٣ .

(٧) انظر ص ٧٨، ٧٩ .

- ١ - مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة، انظر ص ١٤٥٠ .
- ٢ - وكتاب اجتماع العساكر الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، انظر ص ١٢٥٤، ١٣٠٥ .
- ٣ - وكتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح المسمى كتاب «صفة الجنة»، ص ١٣٣٢ .

وقد بحثت عن تاريخ تأليفه لأحد هذه الكتب ليساعدني في تحديد وقت تأليف هذا الكتاب .

وبعد البحث والتنقيب وجدت في فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل^(١) إعداد سالم عبدالرزاق أحمد، ما يساعد على تحديد وقت تأليف هذا الكتاب . حيث ذكر نسخة من كتاب ابن القيم «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» برقم ٦/٢ وفي آخرها أن المؤلف فرغ من تأليفه سنة ٧٤٥ أي أنه ألفه قبل وفاته بنحو ست سنين^(٢) .

ولما كان ابن القيم قد ذكر كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح وأحال إليه حيث قال في الطريق الخامس والعشرين (وهو الوجه الثاني والسبعون بعد المائة) ص ١٣٣١، ١٣٣٢ من هذا الكتاب : «أنه قد ثبت بالعقل إمكان رؤيته سبحانه وبالشرع وقوعها في الدار الآخرة فاتفق العقل والشرع على إمكان الرؤية ووقوعها، وقد ذكرنا في كتاب صفة الجنة، أربعين دليلاً على مسألة الرؤية من الكتاب والسنة . الخ» .

دل ذلك على أن كتاب الصواعق المرسله متأخر في التأليف عن كتاب حادي الأرواح .

ولما كان كتاب حادي الأرواح قد كتب سنة ٧٤٥ أي قبل وفاة ابن القيم بست سنين .

دل ذلك على أن كتاب الصواعق المرسله قد كتب بعد هذا التاريخ فهو من آخر ما ألفه ابن القيم وهذا يعطي الكتاب قيمة علمية، ولا زالت المسألة بحاجة إلى مزيد من العناية والبحث .

(١) ١٩/٢، طبع سنة ١٣٩٥ .

(٢) انظر ابن القيم: حياته وآثاره، بكر بن عبدالله أبوزيد، ص ١٤٩ .

٥ - سبب تأليف الكتاب :

لم يذكر المؤلف في مقدمة كتابه سبباً مباشراً لتأليف هذا الكتاب. والظاهر أنه ألفه جواباً لسؤال حيث قال في نهاية المقدمة ص ١٧٠ «فهذه مقدمة بين يدي جواب السؤال المذكور وإنما تتبين حقيقة الجواب بفصول...» ثم ذكرها.

ولم يتقدم سؤال إلا فيما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية في ص ١٦٩، ١٧٠ حيث قال: «... قال شيخنا: وكيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وصفاته وأسمائه وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؟... ثم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال الصابئين وأشباههم وأشكالهم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟...» اهـ.

فلعل سبب تأليفه والله أعلم ما راج في ذلك الزمان من تقديم كلام الفلاسفة وعلماء الكلام والمنطق على كلام الله ورسوله واعتبار كلامهم قواطع عقلية وكلام الله ورسوله ظواهر سمعية، وهذه هي القضية التي يعالجها هذا الكتاب.

٦ - مصادر الكتاب :

لقد كان الإمام ابن القيم رحمه الله يملك مكتبة مليئة بأمهات الكتب وظهر ذلك جلياً في كتبه وذلك في كثرة عزوه ونقله من الكتب وقد ذكرها الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه موارد ابن القيم في كتبه^(١). فبلغت ٥٩٦ (خمسمائة وستة وتسعين) كتاباً وذلك عدا كتب الصحاح والسنن وكتب شيخه ابن تيمية. وقد استخراجها الدكتور بكر من الكتب المطبوعة فقط وعددها واحد وثلاثون مؤلفاً.

وقد بلغت مصادره في هذا الكتاب في الجزء الأول وفي الجزء الثاني من المختصر مائة وخمسون كتاباً منها ثلاثة وأربعون كتاباً في الجزء الثاني من المختصر.

(١) انظر موارد ابن القيم في كتبه ، ص ٩.

وكان من أهم الكتب التي رجع إليها ابن القيم في هذا الكتاب - بعد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية «درء تعارض العقل والنقل» وذلك عند حديثه عن الطاغوت الثاني وهو تقديم العقل على النقل. وقد أشار إليه في بداية حديثه عنه. انظر ص ٥٢٤.

كما نقل عن المتكلمين في مواضع متعددة كالغزالي والآمدني والرازي وابن سينا وابن رشد.

انظر ص ١٢٨٢، ١٣١٩، ١٠٩٧، ١٠٩٩، ١٤٠٣.

كما كان من مصادره المشافهة فقد نقل عن أخي شيخ الإسلام عبدالله بن تيمية مناظرة لبعض الجهمية فقال: «حدثني بضمونها شيخنا عبدالله بن تيمية رحمه الله». انظر ص ٣٢٠.

كما نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: «وحدثني شيخ الإسلام قال حكى لي بعض الأذكياء.. الخ». انظر ص ٨٤٢.

كما كان من مصادره تجاربه الشخصية ومناظراته، وحافظته القوية، وعلمه الغزير، كالمناظرة التي ذكر أنها جرت له مع بعض علماء النصارى. انظر ص ٣٢٧. وفيما يلي عرض معجمي لمصادر ابن القيم في هذا الكتاب، سأورد فيه، ما صرح فيه ابن القيم بذكر اسم الكتاب والمؤلف، أو باسم المؤلف فقط، أو باسم الكتاب فقط ونقل منه، أو باسم الكتاب فقط وأحال عليه ولم ينقل منه، وذلك عدا كتب الصحاح والمسانيد والتفاسير المشهورة.

١ - الآداب، لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني: (انظر المختصر ٣٢٤/٢).

٢ - الآراء والديانات، للنوبختي: (انظر ص ٧٨٢).

٣ - الإبانة، لأبي الحسن الأشعري: (انظر ص ١٢٤٨؛ والمختصر ٣٤٦/٢، ٣٦٧).

٤ - الإبانة، لأبي بكر الباقلاني: انظر ص ١٢٥٢؛ والمختصر ٣٤٦/٢.

٥ - الإبانة، لأبي نصر السجزي: (انظر ص ١٢٨٣؛ والمختصر ٣٧٥/٢).

- ٦ - الإبانة، للحافظ أبي عبدالله ابن بطة: (انظر المختصر ٣٧٥/٢).
- ٧ - أبحار الأفكار، للآمدي: (انظر ص ١٥٠٤).
- ٨ - إثبات صفة العلو، لابن قدامة المقدسي: (انظر ص ٩٨١).
- ٩ - الأحاديث المختارة، للحافظ محمد بن عبدالواحد المقدسي: (انظر ص ٦٢٦؛ والمختصر ٤١٩/٢).
- ١٠ - إحكام الأحكام^(١) للإمام أبي محمد ابن حزم: (انظر ص ٥٢١).
- ١١ - إحياء علوم الدين، للغزالي: (انظر ص ١٢٦٨).
- ١٢ - كتاب اختلاف العلماء، لإسحاق بن راهويه: (انظر ص ٦٢٢).
- ١٣ - كتاب اختلاف مالك، للإمام الشافعي: (انظر المختصر ٤٧٦/٢).
- ١٤ - الإرشاد، لأبي المعالي الجويني: (انظر ص ١٤٤٢).
- ١٥ - الإرشاد، لابن أبي يونس: (انظر المختصر ٤٧٥/٢).
- ١٦ - الاستذكار، لابن عبدالبر: (انظر ص ٦٠١).
- ١٧ - أصول الفقه لابن خويز منداد: (انظر المختصر ٤٧٥/٢).
- ١٨ - الإعتقاد، للبيهقي: (انظر المختصر ٣٤٦/٢).
- ١٩ - الإعتقاد، لأبي نعيم: (انظر المختصر ٣٧٥/٢).
- ٢٠ - إعتقاد الشافعي، للحافظ عبدالغني: (انظر المختصر ٣٧٥/٢).
- ٢١ - أقسام اللذات، لفخرالدين الرازي: (انظر ص ٦٦٥).
- ٢٢ - الإنتصار لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني: (انظر المختصر ٥٠٤/٢).
- ٢٣ - يد العارف، لابن سبعين: (انظر ص ١١٥٧).
- ٢٤ - البدع والنهي عنها: (انظر ص ٩٢٨).
- ٢٥ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (انظر ص ١٤١٩).
- ٢٦ - تاريخ نيسابور، للحاكم: (انظر ص ١٣٠٣).
- ٢٧ - التبصرة، لأبي إسحاق الشيرازي: (انظر المختصر ٤٧٥/٢).

(١) ابن القيم لم ينقل من الإحكام وإنما قال: «... وذكر الحميدي في هذا فضلاً من كلام أبي محمد ابن حزم وهو من أحسن كلامه... الخ». وقد وجدت النص المذكور في كتاب الإحكام لابن حزم، إلا بداية النقل وهو جزء يسير، ولذا أثبتته هنا.

- ٢٨ - تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، للحافظ أبي القاسم ابن عساكر: (انظر ص ١٢٨٢؛ وانظر المختصر ٣٢٦/٢، ٣٤٦).
- ٢٩ - التبيين في معالم الدين، لمحمد بن جرير: (انظر المختصر ٣٩٩/٢).
- ٣٠ - التعرف لمذهب التصوف، للكلاباذي: (انظر المختصر ٤٥١/٢).
- ٣١ - تفسير سنيد بن داود شيخ البخاري: (انظر ص ٦٠٩).
- ٣٢ - تفسير شيبان: (انظر المختصر ٤٢٢/٢).
- ٣٣ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر: (انظر ص ١٢٨٢؛ والمختصر ٣٢٤/٢).
- ٣٤ - التمهيد في أصول الدين، لأبي بكر الطيب الباقلاني الأشعري: (انظر ص ١٢٥٢؛ والمختصر ٣٤٦/٢ - ٣٤٧).
- ٣٥ - تمهيد الأوائل، للقاضي أبي بكر: (انظر المختصر ٣٢٥/٢).
- ٣٦ - تهافت التهافت، لابن رشد: (انظر ص ٨٤١).
- ٣٧ - تهافت الفلاسفة، لأبي حامد الغزالي: (انظر ص ٩٦٣).
- ٣٨ - كتاب التوحيد، لأبن خزيمة: (انظر ص ١٤٠٥).
- ٣٩ - الثقات، لابن حبان: (انظر المختصر ٤١٩/٢).
- ٤٠ - الجامع، للخلال: (انظر ص ١٢٤١)، (١٢٩٨).
- ٤١ - جامع بيان العلم وفضله^(١)، لابن عبد البر: (انظر ص ١٢٧٠).
- ٤٢ - جامع النوادر، لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني: (انظر المختصر ٣٢٤/٢).
- ٤٣ - الحجة على تارك المحجة، للشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي: (انظر ص ١٢٨٥).
- ٤٤ - حقائق التفسير^(٢)، لأبي عبد الرحمن السلمي: (انظر ص ٦٩٦).
- ٤٥ - الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني: (انظر ص ٤٥١).

(١) ذكره ابن القيم باسم «كتاب فضل العلم».

(٢) وهو كتاب في التفسير على طريقة المتصوفة.

- ٤٦ - خلق أفعال العباد، للإمام البخاري: (انظر ص ١٣٠١ والمختصر ٤٠٠/٢، ٤٢٠، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٥١).
- ٤٧ - درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا الكتاب اعتمد عليه ابن القيم عند دراسته للطاغوت الثاني وهو قولهم بتقديم العقل على النقل: (انظر ص ٧٩٧).
- ٤٨ - الدقائق، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني: (انظر ص ٨٣٩).
- ٤٩ - الذخيرة، للإمام القرافي من علماء المالكية: (انظر ص ٦٠٢).
- ٥٠ - ذم الكلام وأهله، لإسماعيل بن عبدالله الهروي: (انظر ص ١٢٦٧).
- ٥١ - الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد: (انظر ص ١٢٤١).
- ٥٢ - الرد على الجهمية والزنادقة، لعبدالعزیز بن يحيى الكناني: (انظر المختصر ٣٤٤/٢).
- ٥٣ - الرد على الجهمية لعبدالرحمن بن أبي حاتم: (انظر ص ١٢٩٥).
- ٥٤ - رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد: (انظر ص ٢٤٧).
- ٥٥ - رسائل إخوان الصفا: (انظر ص ١٠٧٥).
- ٥٦ - رسالة في السنة، لابن القاسم صاحب مالك: (انظر المختصر ٤٥١/٢).
- ٥٧ - رسالة الأشعري إلى أهل الثغر: (انظر ص ١٠٩٧).
- ٥٨ - الرسالة الأضحوية، لابن سينا: (انظر ص ١٠٩٧).
- ٥٩ - الرسالة المصرية، للشافعي: (انظر المختصر ٤٧٦/٢).
- ٦٠ - الرسالة النظامية، لأبي المعالي الجويني: (انظر ص ١٤٥٣).
- ٦١ - الرسالة، للإمام الشافعي: (انظر ص ١٥٣، ١٣٠٠؛ والمختصر ٢٤٢/٢).
- ٦٢ - رسالة لأبي عثمان النيسابوري^(١): (انظر ص ١٣٠٣).
- ٦٣ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لشيخ الإسلام ابن تيمية: (انظر ص ٥٤١).
- ٦٤ - الزهد، للإمام أحمد: (انظر المختصر ٣٦٩/٢).
- ٦٥ - السنة، لعبدالله (بن) الإمام أحمد: (انظر ص ١٢٩٥؛ والمختصر ٣٩٢/٢، ٣٩٥، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٥٠).

(١) قال ابن القيم: «وذكره أبو عثمان النيسابوري في رسالته المشهورة».

- ٦٦ - السنة، لابن أبي عاصم: (انظر المختصر ٣٩٥/٢، ٤١٩).
- ٦٧ - السنة، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن حبان أبو الشيخ الأصفهاني: (انظر المختصر ٣٩٥/٢).
- ٦٨ - السنة، للخلال: (انظر ص ١٢٩٤؛ والمختصر ٣٩٦/٢).
- ٦٩ - السنة، لأبي أحمد العسال: (انظر المختصر ٣٩٦/٢).
- ٧٠ - شرح أسماء الله الحسنى، لأبي عبدالله القرطبي: (انظر ص ١٢٩٢؛ والمختصر ٣٢٥/٢).
- ٧١ - شرح الإنجيل: (انظر ص ١٥٤١).
- ٧٢ - شرح التفریع، للتلمساني المالكي: (انظر ص ٦٢٢).
- ٧٣ - شرح التنبيه، لأبي القاسم عبدالرحمن بن يونس: (انظر ص ٦١٣).
- ٧٤ - شرح الرسالة، لابن أبي زيد القيرواني، تأليف أبي بكر محمد بن وهب المالكي: (انظر المختصر ٣٢٥/٢).
- ٧٥ - شرح القدوري: (انظر ص ٦١١، ٦١٢).
- ٧٦ - شرح اللمع، لأبي إسحاق الشيرازي: (انظر المختصر ٤٧٥/٢، ٥١٣).
- ٧٧ - الشريعة، لأبي بكر الأجري: (انظر المختصر ٣٧٦/٢).
- ٧٨ - شعار الدين، للخطابي: (انظر المختصر ٣٢١/٢، ٣٢٥).
- ٧٩ - الشفاء، لابن سينا: (انظر ص ١٠٧٥).
- ٨٠ - الشكاية، للقشيري: (انظر المختصر ٣٤٦/٢).
- ٨١ - الصحاح، للجوهري: (انظر ص ١٧٥).
- ٨٢ - كتاب الصفات، لأبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب: (انظر ص ١٢٨٢).
- ٨٣ - طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، للإمام أحمد بن حنبل: (انظر المختصر ٥٣٠/٢).
- ٨٤ - الطبقات، لمحمد بن سعد: (انظر المختصر ٣٩٦/٢).
- ٨٥ - كتاب الطهور، لإبراهيم بن مسلم الخوارزمي: (انظر ص ٦٠٣).

- ٨٦ - كتاب العظمة، لأبي الشيخ عبيد بن أبي محمد بن حيان الأصفهاني: (انظر المختصر ٣٧٣/٢).
- ٨٧ - العقيدة، لأبي أحمد الكرجي: (انظر ص ١٢٨٦).
- ٨٨ - العلل، للدارقطني: (انظر ص ١٤٦١).
- ٨٩ - علوم الحديث^(١)، للحاكم: (انظر ص ١٣٠٣).
- ٩٠ - العمدة، لأبي محمد المقدسي: (انظر ص ٥٨٩).
- ٩١ - العمدة في أصول الفقه، لأبي نصر ابن الصباغ: (انظر المختصر ٢٧٢/٢).
- ٩٢ - فتاوى القفال: (انظر ص ٦١٣).
- ٩٣ - فصوص الحكم، لابن عربي: (انظر ص ١١٥٦، ١١٥٧).
- ٩٤ - فوائد أبي الفرج الثقفى، لأبي الخير عبدالرحيم بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدان: (انظر المختصر ٣٩٥/٢).
- ٩٥ - الفوائد، لتمام: (انظر المختصر ٤٢٠/٢).
- ٩٦ - القضاء، لأبي عبيد: (انظر ص ٥٩٠).
- ٩٧ - القواصم والعواصم: (انظر المختصر ٣٣٣/٢).
- ٩٨ - كتاب في القرآن، لأبي الوفاء ابن عقيل: (انظر المختصر ٤٤٩/٢).
- ٩٩ - الكشف عن مناهج الأدلة، لأبي الوليد ابن رشد: (انظر ص ١٣٠٤).
- ١٠٠ - مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى: (انظر ٢٤٢/٢).
- ١٠١ - المجسطي، لبطليموس: (انظر ص ٨٣٩).
- ١٠٢ - المحصل: (انظر المختصر ٢٨٦/٢).
- ١٠٣ - مختصر المزني: (انظر ص ٥٩٣).
- ١٠٤ - المدخل للسنن الكبرى، للبيهقي: (انظر ص ٥٨١).
- ١٠٥ - المراسيل، لأبي داود: (انظر ص ٨٢٧).
- ١٠٦ - مسائل الإمام أحمد، رواية إسحاق بن منصور الكوسج: (انظر المختصر ٣٩٩/٢).
- ١٠٧ - مسائل الإمام أحمد، رواية أبي الحارث: (انظر المختصر ٥٢٨/٢).

(١) كذا ذكره ابن القيم واسمه معرفة علوم الحديث، موارد ابن القيم في كتبه، ص ١١٣.

- ١٠٨ - مسائل الإمام أحمد، رواية حرب: (انظر المختصر ١/٢٢٥).
- ١٠٩ - مسائل الإمام أحمد، رواية حنبل بن إسحاق: (انظر المختصر ٢/٣٧٥، ٤٠٦).
- ١١٠ - مسائل الإمام أحمد، رواية الخلال (أحمد بن محمد جامع علوم أحمد): (انظر المختصر ٢/٤٠٦).
- ١١١ - مسائل الإمام أحمد، رواية أبي طالب: (انظر المختصر ٢/٥٢٨).
- ١١٢ - مسائل الإمام أحمد، لابنه عبدالله: (انظر المختصر ٢/٥٢٨).
- ١١٣ - مسائل الإمام أحمد، رواية المروزي: (انظر المختصر ٢/٥٢٨).
- ١١٤ - مسند علي، للحافظ مطين: (انظر ص ١٥٣٧).
- ١١٥ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض: (انظر ص ٥٦٤).
- ١١٦ - مصالح الأفهام في شرح كتاب الأحكام، لعبدالعزیز بن إبراهيم بن أحمد المعروف بابن بزيمة: (انظر ص ٦١٥).
- ١١٧ - مصنف في نفي المجاز لمنذر بن سعيد البلوطي: (انظر المختصر ٢/٢٤٢ - ٢٤٣).
- ١١٨ - المضمون به على غير أهله، لأبي حامد الغزالي: (انظر ص ٨٤١).
- ١١٩ - مطالع الأنوار، لأبي إسحاق ابن قرقول: (انظر ص ٥٦٤).
- ١٢٠ - معاني القرآن: (انظر المختصر ٢/٢٤٢).
- ١٢١ - كتاب المعرفة، لأبي أحمد العسال: (انظر ص ١٢٤٩).
- ١٢٢ - مقالات أبي محمد ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري، وذكر اتفاقهما إلا فيما ندر، لابن فورك: (انظر المختصر ٢/٣٦٤).
- ١٢٣ - مقالات غير الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري: (انظر ص ٨٣٩).
- ١٢٤ - المقالات الكبير، لأبي الحسن الأشعري: (انظر ص ٧٨٢؛ والمختصر ٢/٣٤٦).
- ١٢٥ - مقالات المصلين^(١)، لأبي الحسن الأشعري: (انظر ص ٧٨٢، ٧٨٣).
- ١٢٦ - المقدمات الممهدة في الأحكام الشرعية، لابن رشد: (انظر ص ٦١٤).

(١) وهو المعروف بمقالات الإسلاميين.

- ١٢٧ - الملل والنحل، للشهرستاني: (انظر ص ١٥٣٨).
- ١٢٨ - مناقب الإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد التميمي، للحافظ أبي موسى المديني: (انظر المختصر ٣٨١/٢).
- ١٢٩ - الموجز، لأبي الحسن الأشعري: (انظر ص ١٢٤٣؛ وانظر المختصر ٣٤٦/٢).
- ١٣٠ - نظم السلوك، قصيدة لابن الفارض: (انظر ص ١١٥٦).
- ١٣١ - النظم^(١): (انظر ص ٧٦٧).
- ١٣٢ - نهاية العقول في دراية الأصول، للرازي: (انظر ص ١٤٤٣).
- ١٣٣ - الوثائق: لابن مغيث المالكي: (انظر ص ٦٢١).
- ١٣٤ - الوصول إلى معرفة الأصول، لأبي عمر الطلمنكي المالكي: (انظر ص ١٢٨٤؛ وانظر المختصر ٣٢٤/٢).

٧ - موضوع الكتاب:

كتاب الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، ذكر فيه المؤلف رحمه الله مقدمة مختصرة، ضمّنها سبب تأليفه لهذا الكتاب، ثم تحدث عن التأويل حديثاً مفصلاً، في أربعة وعشرين فصلاً. وقد بلغ مجموع صفحات هذا الجزء إحدى وتسعين وثلاثمائة صفحة.

ثم ذكر أصول الانحراف عند المعتلة، وهي الطواغيت الأربعة كما سماها المؤلف، وبياناها كالتالي:

□ الطاغوت الأول: وهو قولهم: إن كلام الله ورسوله أدلة لفظية، لا تفيد علماً ولا يقيناً، وقد رد هذا الطاغوت من ثلاثة وسبعين وجهاً. وقد بلغت صفحات هذا الجزء من ٦٣٣، حتى ٧٩٥.

□ الطاغوت الثاني: وهو قولهم: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل. وقد

(١) ذكره ابن القيم فقال: «وقال صاحب النظم...» ولم يذكر المؤلف وقد بحثت عنه فلم أجده، ولعله كتاب في التفسير.

رد هذا الطاغوت من أحد وأربعين ومائتي وجهٍ. وقد بلغت صفحات هذا الجزء من صفحة ٧٩٦ حتى نهاية الكتاب ١٥٧٥.

تلك هي الموضوعات الرئيسة في الجزء الأول من هذا الكتاب.

أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فقد تحدث فيه المؤلف عن:

□ الطاغوت الثالث: وهو قولهم: إن آيات الصفات مجازات لا حقيقة لها.

وقد بلغ مجموع صفحات هذا الجزء من صفحة ٢٤١ حتى صفحة ٤٥٤ في المختصر.

□ الطاغوت الرابع: وهو قولهم: إن أخبار الرسول الصحيحة لا تنفيذ العلم وغايتها ان تنفيذ الظن (وهو عدم الاحتجاج بخبر الواحد في باب الاعتقاد).

وقد بلغت صفحات هذا الجزء من صفحة ٤٥٤ حتى صفحة ٥٣٢ في المختصر وهي نهاية الكتاب.

٨ - عرض موجز لأهم الموضوعات الرئيسة في الجزء الأول:

لقد كان ابن القيم - رحمه الله - يعيش في عصر تتجاذبه الأفكار والعقائد والاتجاهات، وكان الناس يعجبون بكل جديد. فكان أن فتن الناس - في ذلك الوقت - بأفكار الفلاسفة والمتكلمين والمنطقيين وبدأوا يتفاخرون بمعرفة مصطلحاتهم ويتنافسون في دراسة آرائهم وكأن الإنسان لا يستكمل علمه ومعرفته ولا يشهد له بالسبق والتقدم إلا بذلك.

تماماً كما يفتن اليوم كثير من المتعلمين من أبناء المسلمين بأفكار الأوروبيين من المستشرقين وغيرهم فلا يكون الرجل مثقفاً عصرياً حتى يدخل في كلامه بعض المصطلحات الأجنبية كالديمقراطية والثيوقراطية والأكاديمية مع النطق ببعض العبارات الأجنبية.

نتيجة لذلك فقد تأثر المسلمون بكثير من هذه الأفكار مما جعلهم يعظمون

الفلاسفة والمتكلمين ويقدمون أقوالهم على كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا بمنزلة الأميين البله فلم يجيدوا معرفة القواعد المنطقية والقواطع العقلية وإنما أخذوا بالظواهر السمعية التي لا تفيد اليقين.

وأنهم أعلم منهم في هذا الباب.

وهذه أهم الأفكار التي تضمنتها مقدمة هذا الكتاب وقد تصدى ابن القيم - رحمه الله - لتيار هذا الانحراف مبتدئاً بالتأويل الذي هو أحد النتائج المنتنة لهذه الانحرافات.

□ التأويل:

تحدث ابن القيم في هذا الكتاب عن التأويل مبيناً أسباب وجوده وأسباب رواجه وانتشاره كما بين أنواعه وناقش المتأولة نقاشاً علمياً مجرداً فأثبت أنهم غير قادرين على إثبات فرق أو إيجاد ضابط مطرد منعكس بين ما يسوغ تأويله وما لا يسوغ.

وبين أن الضابط عندهم هو المذهب وقواعده وما قاله الشيوخ، وهذا ديدن كل فرقة خالفت الحق وجانبت الصواب، فما وافق هواها فهو المقبول وما خالفه فهو المردود.

كما بين أنهم لا يشبتون عند المناقشة والحوار لأنهم لا يملكون دليلاً سمعياً ولا عقلياً موضحاً ذلك بالتفصيل.

وبين أنهم بتأويلهم فروا من تشبيه الله بخلقه فوقعوا في شر من ذلك فجمعوا بين التشبيه والتعطيل فكانوا كما قال الشاعر:

والمستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهكذا فإن كل من فر عن الحق فلا بد أن يقع في الباطل:

﴿ وَإِنَّا أَوْأَيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤]

وبين أن كل مؤول لا تصح دعواه ولا يتم له التأويل إلا بأربعة أمور هي:

- ١ - احتمال اللفظ للمعنى الذي تأوله في ذلك التركيب الذي وقع فيه .
- ٢ - أن يأتي بدليل على تعيين ذلك المعنى .
- ٣ - إقامة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره .
- ٤ - الجواب عن المعارض ورد حجته .

وبيّن أنهم لا يمكن أن يأتوا بواحد من هذه الأربعة، فضلاً عن أن يأتوا ببعضها، أو جميعها .

وهكذا نجد ابن القيم يقف لخصومه وقفة قوية، بحجة ظاهرة، وبرهان قوي، لا يملك أمامه العاقل المنصف الطالب للحق إلا الإذعان والتسليم .

كما بين آثار التأويل ومساوئه، فيبين أن كل ضلال وقع من آدم إلى يومنا هذا، فسببه التأويل، وبيّن أنه يفسد العلوم والمعارف، ومن ذلك التوحيد العلمي والعملي، وأنه يعود على أصل اللغات بالإبطال .

وبيّن أن من آثاره السيئة، وقوع الاختلاف بين الناس، وبسببه وقع التدابر والتطاحن ووقعت الحروب والويلات وقتل العلماء، وأوذوا وفتنوا، فهو سبب فساد الدنيا والدين، والعلم والعقيدة والسلوك .

□ الطاغوت الأول :

وهو قولهم : إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين .

في آخر القسم السابق، ذكر المصنف أصول انحرافات أصحاب التأويل، وذكر منها قولهم : إن نصوص الوحي أدلة لفظية، وهي لا تفيد اليقين، وقد ابتداء هذا القسم بقول الرازي : «مسألة : الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة : - عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ، وإعراها وتصريفها، وعدم الاشتراك والمجاز والنقل والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار والتقديم والتأخير والنسخ، وعدم المعارض العقلي، الذي لو كان لرجح عليه إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل، المستلزم للقدح في النقل، لافتقاره إليه، فإذا كان المنتج ظنياً فما بالك بالنتيجة؟!» .

وهذا القول ذكره الرازي في كتابه: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين^(١).

وفي كتابه: الأربعين في أصول الدين^(٢).

وزاد النصير الطوسي، في تلخيص المحصل^(٣): «ومحكمات القرآن لا يقع فيها شك بسبب رواة ألفاظها وتصريفها وإعرابها، والاشتراك والنسخ والتقديم والتأخير وبسبب المعارض العقلي، فإن وقع فيها شك بسبب المجاز والتخصيص أو الإضمار فممكناً».

وقد ابتدأ المصنف رد هذا الطاغوت بنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية ولعل ذلك من كتابه المفقود شرح أول المحصل^(٤).

وقد ردَّ ذلك من طريقتين:

الأول: عدم التسليم بأن إفادة الدليل اللفظي لليقين موقوفة على هذه الأمور العشرة.

الثاني: أن يقال: إن الأدلة اللفظية لا تختص بالقرآن والسنة، وبين في رده على هذا الطريق بياناً عاماً، بأن الأدلة اللفظية هي وسيلة التفاهم بين المخلوقات، فإن الطيور والحيوانات تتفاهم بأصواتها.

ثم بين أنها أيضاً وسيلة التفاهم بين بني آدم. فالأطفال يتعلمون بالألفاظ والكلمات وهي الوسيلة التي يتفاهم بها الناس وبها يدرس العلماء وبها نقل لنا الدين كابراً عن كابر.

ثم تدرج بعد ذلك في بيان دلالتها في كلام الله ورسوله فيبين أنه إذا كان التفاهم

(١) انظر: ص ٥١.

(٢) انظر: ص ٤٢٤.

(٣) انظر: حاشية ص ٥١ من محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين.

(٤) ألف ابن تيمية مصنفين في تقرير الأدلة السمعية وبيان أنها تفيد القطع واليقين. انظر: مقدمة درء تعارض العقل والنقل، ص ١٩، الطبعة الأولى، ١٣٩٩، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

بها حاصل للطيور والحيوانات فما الظن بالإنسان؟ فما الظن بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؟.

ثم بين بعد ذلك عظم دلالتها في باب الأسماء والصفات وأن كلام الله ورسوله في باب الصفات في إفادة اليقين ككلامها في باب المعاد والأمر والنهي.

فبدأ بالأعم ثم العام ثم الخاص ثم الأخص.

ثم فند هذه الأمور العشرة واحداً بعد الآخر بحجته القوية وأسلوبه الرصين.

ثم بين آثار ونتائج هذا الاعتقاد، فبين أنه يؤدي إلى:

١ - القدح في أعظم آيات الرب الدالة على ربوبيته.

٢ - ويؤدي إلى أنه لا سبيل لأحد أن يعرف أن شيئاً من القرآن محكم.

٣ - ويؤدي إلى جحد الرسالة وإنكارها، بل هو من أعظم أصول الإلحاد.

فقولهم إنا لا نعلم ثبوت ما أخبر به الرسول حتى نعلم انتفاء ما يعارضه، ولا سبيل إلى العلم بانتفاء المعارض مطلقاً. إذ ما من معارض بنفسه إلا ويحتمل أن يكون له معارض آخر.

وأيضاً فلا يلزم من انتفاء العلم بالمعارض العلم بانتفاء المعارض.

قال ابن القيم^(١): «ولا ريب أن هذا القول من أفسد أقوال العالم وهو من أعظم أصول الإلحاد والزندقة وليس في عزل الوحي عن مرتبته أبلغ من هذا».

□ الطاغوت الثاني:

وهو قولهم: «إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل، لأنه لا يمكن الجمع بينهما، ولا إبطاهما، ولا تقديم النقل، لأن العقل أصل النقل؛ فلو قدمنا عليه النقل بطل العقل، وهو أصل النقل فلزم بطلان النقل».

فيلزم من تقديم النقل بطلان العقل والنقل فتعين القسم الرابع وهو تقديم العقل».

(١) انظر: ص ٧٣٢ من هذا الكتاب.

يعتبر هذا الطاغوت امتداداً وجزءاً من الطاغوت السابق فإذا كان الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا بانتفاء عشرة أمور فإن هذا هو الأمر العاشر وهو قولهم «وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل لافتقاره إليه، فإذا كان المنتج ظنياً فما بالك بالنتيجة؟!»

ولهذا فقد أورد الدكتور محمد رشاد سالم في مقدمة تحقيقه كتاب «درء العقل والنقل» النص السابق في الطاغوت الأول كشاهد من كلام الرازي نفسه على قوله هنا في الطاغوت الثاني.

وهذا القول ذكره الرازي في أكثر من كتاب من كتبه. فقد ذكره في أساس التقديس في علم الكلام. وفي المطالب العالية وفي محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين وفي نهاية العقول^(١).

وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - إلى أنه استفاد في رد هذه الشبهة من كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية الكبير والظاهر أنه «درء تعارض العقل والنقل» الذي خصصه شيخ الإسلام لكسر هذا الطاغوت.

ولقد قام الإمام ابن القيم برد هذه الشبهة وتتبع جذورها وأصولها وحواشيها، وآثارها ونتائجها وكتب عن كل ذلك بعبارة رشيقة وبأسلوب أدبي أخاذ.

فبين أسباب نشأتها وأنه الكبر واتباع الهوى. وبين مصدرها وأنه الجهل بالوحي والجهل بالعقل.

وبين أن هذه الشبهة لا تقوم ولا تتم إلا بعد ارتكاب أربعة أمور هي:

(١) انظر: مقدمة الدكتور رشاد سالم في كتابه: درء تعارض العقل والنقل ١٣/١١/١، الطبعة الأولى، ١٣٩٩، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- لبس الحق بالباطل .
- وكتمان الحق .
- والتكذيب به .
- والتصديق بالباطل .

وبين أن معارضة الوحي بالعقل هو منهج إبليس عليه لعنة الله وهو منهج أتباعه من بعده .

كما بين أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم تحرروا من قيود التبعية، وحكموا العقل والمنطق – فهم أرباب المعقولات والأذهان المفتحة – هم أتباع ومقلدون لا يمكن أن يخرجوا عن مناهج أسانذتهم، ومعلميهم، كأرسطو وأفلاطون وسائر الملاحدة، وأفراخ الفلاسفة، فهم أبوا أن يتبعوا كتاب الله ويقلدوا محمد بن عبدالله، ورضوا أن يقلدوا الصابئة والمشركين والفلاسفة والملحدين .

ثم استدل على بطلان دعواه بأدلة عامة منها أن أعمال الناس فرع عن عقائدهم وأفكارهم والله تعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغْيُرَ أُمَّةً بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقديماً قيل: متى يستقيم الظل والعود أعوج .

وبين أن أئمة أهل السنة هم الأنبياء كآدم ونوح وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والصالحون، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وأحمد ابن حنبل، والعزبن عبدالسلام والبخاري، وغيرهم ممن لهم في الأمة لسان صدق وعدل .

وأن أئمة النفاة هم الملاحدة والمشركون، كفرعون وثمود وأرسطو وأضرابهم .

وبين أن سير الفريقين وأعمالهم وشهادة الناس لهم دليل قاطع، فقارن بين الفريقين، بين لك الحق من الباطل .

كما بين في الرد عليهم، أنه لا يوجد ضابط يحصر المعقولات، فالعقول والأفهام تتفاوت، وتختلف، فما يدركه عقل هذا لا يدركه عقل ذاك، وما يعارضه عقل ذاك قد لا يعارضه عقل هذا. وليس هناك عقل كلي مطلق إليه التحاكم.

وبين أن من آثار ذلك أنهم ردوا النصوص وأساءوا الظن بها وجنوا على العقل بردهم ما يوافق النصوص من المعقول، وبتكفيرهم وتبديعهم أو تضليلهم لمن خالفهم في أصولهم التي ابتدعوها.

وبين أن من آمن بهذا القانون لم يتم له الإيمان الجازم بالله وبرسوله وبكتابه، وأنه لا ينتفع بالقرآن والسنة وأخبار الأنبياء.

وبين أنهم بذلك فتحوا باب الإلحاد والزندقة ومحاربة القرآن والسنة، وسوء الظن بالله.

وبين أن ذلك يتضمن القدح في الوحي واللغة والعقل والفطرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه في هذا الفصل تحدث عن تقرير علو الله على خلقه بالأدلة العقلية من ثلاثين طريقاً.

كما رد حجة من زعم أن اللذة لا تصح على الله من ثلاثين طريقاً أيضاً.

ولا أستطيع في هذه العجالة أن أستقصى جميع ما ذكره في هذا الكتاب وحسبي أن أشير إليه إشارة يفهم بها اللبيب ما وراءه.

ومن أراد معرفة موضوعات الكتاب بشيء من التفصيل، فليراجع فهرس الموضوعات، فقد ذكرت فيه ما تضمنه كل وجه من الوجوه التي ذكرها المؤلف - وعددها أحد وأربعون ومائتا وجه - في الرد على هذه الشبهة من معاني وأفكار بعبارة مختصرة هي العنوان الجانبي لكل وجه وقد ذكرت ذلك في ثنايا هذا الكتاب في الهامش.

٩ - منهج الإمام ابن القيم في هذا الكتاب :

١ - الاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في الاستدلال :
ثم يدعم ذلك بما ورد عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن بعدهم، ناقلاً عنهم لتأييد الفكرة التي يناقشها. وهذا كثير في هذا الكتاب، وإذا كان هذا منهج كثير من علماء المسلمين، فإن ابن القيم يزيد بأن يؤيد ما ذهب إليه أحياناً بأقوال المتكلمين والفلاسفة، إذا صدر منهم بعض الحق، آخذاً بالمثل المشهور «من فمك أدينك».

والأمثلة على هذا كثيرة:

فقد استشهد في الفصل السابع عشر بقول أبي الوليد بن رشد، بأن تأويل آيات الصفات يجعل الشرع كله مؤولاً.

كما استشهد في الوجه الستين بعد المائة بقوله أيضاً، حيث حكى اتفاق الحكماء على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت الشرائع.

واستشهد في الوجه الثالث والتسعين بكلام ابن سينا، في الاحتجاج على نفي المعاد، بنفي المتكلمين للصفات.

٢ - طول النفس :

وذلك يبدو عند الإمام ابن القيم، في هذا الكتاب، في أمرين :

(أ) في العرض والتوضيح :

لقد اتسم منهج ابن القيم في هذا الكتاب بطول النفس، وحسبك أن تعلم أنه ناقش الطاغوت الثاني، بما يزيد عن سبعمائة صفحة، في الجزء الأول، من هذا الكتاب.

وانظر أيضاً حديثه عن آثار التأويل، في الفصل الخامس عشر، وحديثه في بيان أن القرآن جمع بين الدليل السمعي والدليل العقلي، في الفصل العشرين، حيث ذكر اثنين وعشرين مثلاً لذلك.

ومن منهجه في العرض أنه يناقش الخصوم، ثم يذكر منهج القرآن بعد ذلك، كما في الفصل الحادي عشر.

وأحياناً يعكس ذلك، فيذكر منهج القرآن، ثم يعقب بالرد، كما في الفصل الثالث عشر.

كما يتعرض أحياناً لبعض المسائل النحوية، إذا كان لها مساس بالمعنى، كما في الوجه الثامن بعد المائة، والوجه الثلاثين بعد المائة.

(ب) في مناقشته لخصومه:

لقد كان ابن القيم — لسعة علمه وصبره وحبه الخير للناس — لا يترك الخصم، حتى ينقطع، وهذا الكتاب خير شاهد على ذلك.

انظر مناقشته لبعض علماء النصارى، في الفصل الثاني عشر، وانظر الوجه السادس والثلاثين في الطاغوت الثاني، والوجه السابع عشر بعد المائة، والوجه الثالث والعشرين بعد المائة.

فابن القيم — رحمه الله — يسير مع الخصم، حتى لا يترك في نفس خصمه مما يعتقده في هذه المسألة شيئاً. فيهندي إن كان طالباً للحق، ويكابر ويعاند إن أغواه الشيطان، فاتبع هواه، وأخلد إلى الأرض.

٣ — السعة والشمول:

إن ظاهرة السعة والشمول في هذا الكتاب تبدو في كثرة المصادر والمراجع التي نقل منها ابن القيم رحمه الله، وقد أشرت إليها في الحديث عن مصادر الكتاب.

كما تبدو في معالجته لكل قضية طرقها من قضايا الكتاب الأساسية معالجة شاملة بحيث لا يدع فيها شاردة ولا واردة إلا ذكرها.

وحسبك أن تعلم أنه ذكر في الرد على الطاغوت الأول ثلاثة وسبعين وجهاً، وفي الرد على الطاغوت الثاني واحداً وأربعين ومائتي وجه.

ومما يدل على سعة علمه واطلاعه، أنه كثيراً ما يختتم الحديث في مسألة من

المسائل بقوله: «وتفصيل أدلة هذه المسألة وبيان بطلان الشبه المعارضة لها يستدعي مجلداً كبيراً ولعلنا إن ساعد القدر أن نكتبه».

ذكر ذلك في نهاية الوجه الثالث والثلاثين بعد المائة، وفي نهاية الوجه الرابع والخمسين في الطاغوت الثاني، الذي خصصه للحديث عن الأدلة العقلية على إثبات صفات الله تعالى.

قال: «وهذا قطرة من بحر نهينا به تنبيهاً يعلم به اللبيب ما وراءه، وإلا فلو أعطينا هذا الموضوع حقه – وهيئات أن يصل إلى ذلك علمنا، أو قدرتنا – لكتبنا فيه عدة أسفار. وكذا كل وجه من هذه الوجوه، فإنه لوبسط وفصل لاحتمل سفيراً أو أكثر، والله المستعان وبه التوفيق».

٤ – المناقشة والتحليل:

إن المطلع على مصادر هذا الكتاب يجد حشداً من المراجع، حتى ليكاد يجزم أن هذا الكتاب مجموعة نقول، وأن المؤلف لا أثر له.

والحق أن الإمام ابن القيم كان يصهر هذه النقول في بوتقة فكره الوضاء، ليخرج للقارئ عصارة أفكار المتقدمين والمتأخرين مع ما يقذفه الله في قلبه من نور، هو أثر من نور الإيمان، فيجد القارئ ما يثلج صدره ويروي غليله ويشفي عليه.

فابن القيم محلاً كما في الوجه التاسع والسبعين، حيث ذكر عبارات السلف في المثل الأعلى ثم قال: «قلت المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا، وعلم العالمين بها ووجودها العلمي والخبر عنها، وذكرها وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذكريه».

فها هنا أربعة أمور:

[الأول]: ثبوت الصفات العليا لله سبحانه في نفس الأمر، علمها العباد أوجهلوا، وهذا معنى قول من فسره بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والتصور، وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف: إنه ما في قلوب عابديه وذكريه من معرفته وذكره ومحبه وإجلاله وتعظيمه،

وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشترك فيه غيره معه، بل يختص به في قلوبهم كما اختص به في ذاته، وهذا معنى قول من قال من المفسرين: أهل السماء يعظمونه ويحبونه ويعبدونه، وأهل الأرض يعظمونه ويحجلونه.

وإن أشرك به من أشرك، وعصاه من عصاه، ومجد صفاته من مجدها، فكل أهل الأرض معظمون له مجلون له خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته وجبروته، قال تعالى:

﴿بَلْ لَهُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَدَرٌ مٌعَدٌّ﴾ [البقرة: ١١٦].

فلمست تجد أحداً من أوليائه وأعدائه إلا والله أكبر في صدره وأكمل وأعظم من كل ما سواه.

والثالث: ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيها عن النقائص والعيوب والتمثيل.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه والإناابة إليه. وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى.

ثم قال: «فعبارات السلف تدور حول هذه المعاني الأربعة لا تتجاوزها».

وابن القيم ناقدًا، يميز الغث من السمين، والخبيث من الطيب. فقد ناقش ابن سينا في الوجه الثالث والتسعين، بعد أن ذكر كلامه، وكذا في الوجه السادس والتسعين حيث قال: «ما ذكره ابن سينا وأمثاله في أنه لم يرد في القرآن من الإشارة إلى توحيدهم شيء، فكلام صحيح. وهذا دليل على أنه باطل، لا حقيقة له. وأن من وافقهم عليه فهو جاهل ضال».

وكذلك ما ذكره أن المواضع التي ذكرت فيها الصفات ما لا يحتمل اللفظ فيها إلا معنى واحداً لا يحتمل ما يدعيه أهل التأويل من الاستعارة والمجاز، كما ذكره في قوله:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾

[البقرة: ٢١٠].

وقوله:

﴿أَوَيَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾

[الأنعام: ١٥٨].

وهذا حجة على من نفى حقيقة ذلك ومدلوله، من المعطلة نفاة الصفات، وهو حجة عليه وعليهم جميعاً، وموافقتهم له على التعطيل لا ينفعه، فإن ذلك حجة جدلية لا علمية، إذ تسليمهم له ذلك لا يوجب على غيرهم أن يسلم ذلك له، فإذا تبين بالعقل الصريح ما يوافق النقل الصحيح دل ذلك على فساد قوله، وقولهم جميعاً.

وكذلك قوله: «هب أن هذه كلها موجودة على الاستعارة، فأين التوحيد والدلالة بالتصريح على التوحيد المحض الذي يدعو إليه حقيقة هذا الدين القيم، المعترف بجلالته على لسان حكماء العالم قاطبة؟! كلام صحيح لو كان ما قاله النفاة حقاً؛ فإنه على قولهم، لا يكون هذا الدين القيم قد بين التوحيد الحق أصلاً». اهـ. وانظر تعليقه على كلام أبي حامد الغزالي في ذم علم الكلام، في الوجه السادس والأربعين بعد المائة.

وابن القيم مؤيداً ومعاضداً.

ففي الوجه السادس والعشرين بعد المائة ذكر طريقة المتكلمين في إثبات حدوث العالم ونفي كون الله جسماً وإثبات المعاد. ثم ذكر رأي أبي الحسن الأشعري والخطابي، وذكر حقيقة ولوازم هذه الطريقة.

قال الخطابي: «... وقد سلك بعض مشايخنا في هذا طريق الاستدلال بمقدمات النبوة، ومعجزات الرسالة، التي دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر، لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلاً في وجوب قبول ما دعى إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: وهذا النوع مقنع في الاستدلال لمن لم يتسع فهمه لإدراك وجوه الأدلة، ولم يتبين معاني تعلق الأدلة بمدلولاتها، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها». اهـ.

قال الإمام ابن القيم: «قلت: وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالاتها ضرورية بنفسها، ولهذا يسميها الله سبحانه وتعالى آيات بينات... الخ».

وابن القيم محققاً ومحرراً: ففي الوجه التاسع والثلاثين من الطاغوت الثاني، لما تحدث عن اختلاف النظائر في السمع والبصر، أيها أفضل، قال: «وفصل النزاع بينهما أن ما يدرك بالسمع أعم وأشمل، وما يدرك بالبصر أتم وأكمل، فهذا له القوة والتمام، وذاك له العموم والإحاطة...».

وقال في الوجه السادس والأربعين بعد المائة، مبيناً رأيه في طريقة المتكلمين: «وأما طريق المتكلمين وأرباب الجدل فهي كما قال الخبير بها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

وأخص أوصافها، أنها تعطيك مناقضة الخصوم، واضطراب أقوالهم، وإما أن تعطيك علماً وهدى.

فيذا بعثت إلى السباخ برائد تبغي الرياض فقد ظلمت الرائد

وإذا كان هذا حالها وهي خير من طريق الفلاسفة وأقرب إلى الحق فكيف يعارض الوحي بهذه الطرق، وهذه، ثم تقدم عليه؟!

هـ - الأمانة والدقة في النقل:

لقد عاش الإمام ابن القيم في عصر لم يكن العلماء يهتمون فيه بالعزو إلى المصادر، بل كان هدفهم بيان الحق وتبليغه للناس دون الاهتمام بمثل ذلك.

أما ابن القيم رحمه الله فقد كان دقيقاً في عزوه، دقيقاً في نقله، فهو كثيراً ما يذكر اسم الكتاب والمؤلف فيقول: قال فلان في كتابه كذا وكذا، وأحياناً يصرح باسم المؤلف فقط، وأحياناً باسم الكتاب فقط، وأحياناً يصرح بأنه نقل هذا الكلام بلفظه لا بلازمه ومعناه.

فيقول في الوجه الثاني والعشرين بعد المائة: «ولعلك تقول إنا حكينا ذلك عنهم بلازم قولهم فاسمع حكاية ألفاظهم قال الرازي في نهايته . . .» فذكره .

ويقول في الوجه الثاني والأربعين بعد المائة: «قال أبو الحسن الأشعري في كتاب الإبانة والموجز والمقالات وهذا لفظه في كتاب الموجز إذ هو من أجل كتبه المتوسطات . . .» فذكره .

وما يدل على أمانته ودقته في النقل أنني عند مقابلي للنصوص التي ينقلها ابن القيم على مصادرها التي نقل منها، سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة، أجد بعض الفروق رغم أن الإمام ابن القيم قد صرح بأن هذا كلامه بلفظه . وفي بيان ذلك، أقول: بأن الكتاب المطبوع أو المخطوط قد يكون له أكثر من نسخة، فيكون ابن القيم قد نقل من نسخة أخرى، غير التي رجعت إليها، أو غير التي طبع عليها الكتاب .

وقد ظهر لي ذلك جلياً عند مقابلي لبعض ما نقله ابن القيم عن بعض الكتب المحققة، فإثناء مقابلي لنصوص من كتاب «الإبانة» للأشعري أجد بعض الألفاظ التي ذكرها ابن القيم تختلف عما في الإبانة المطبوع، رغم أن ابن القيم صرح بأن ذلك كلامه بلفظه، وعند الرجوع إلى كتابه الإبانة المحقق، أجد أن المحقق يشير إلى أن ما ذكره ابن القيم ورد في نسخة أخرى مخطوطة، باللفظ الذي ذكره ابن القيم .

وأحياناً يتصرف في النقل بتقديم، أو تأخير، أو اختصار، كما في الفصل الثالث والعشرين، حينما نقل عن رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لشيخ الإسلام، عند ذكره أسباب اختلاف الأئمة .

وكما في الوجه السادس والأربعين بعد المائة، حينما نقل من إحياء علوم الدين، رأي الغزالي في علم الكلام، فالغزالي في الإحياء ذكر حكم علم الكلام ثم مضرت ثم منفعته، وابن القيم في هذا الكتاب قدم وأخر فذكر نقلاً عن الإحياء حكم علم الكلام ثم منفعته ثم مضرت .

ولعله أحر المصرة - والله أعلم - لتبقى في الذهن ليحذره الناس .

وهذا يفهم، منه الفرق بين حكم علم الكلام عند الغزالي وحكمه عند الإمام ابن القيم، والله أعلم.

وقال في الوجه الثالث والستين بعد المائة:

«ونحن لا نحيلك على عدم بل نحكي ألفاظهم بعينها معزوة إلى أماكنها».

٦ - الموضوعية وإنصاف الخصوم:

لقد كان الإمام ابن القيم منهجياً في بحثه، عادلاً مع خصومه، فهو يذكر كلام الخصم، ويبين ما فيه من حق وباطل، امثالاً لقوله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى
وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ [المائدة: ٨].

وأنا أذكر لذلك أمثلة من كلام الشيخ رحمه الله تبين هذا المعنى.

قال رحمه الله في الوجه السابع والعشرين بعد المائة بعد أن بين أن معارضتهم بين الوحي والعقل نتيجة جهلين عظيمين: جهل بالوحي وجهل بالعقل، قال:

«ولسنا ندفع معرفتهم ببعض العقليات المشتركة بين المسلمين واليهود والنصارى والمجوس وعباد الأصنام، بل ولا ندفع تبريزهم فيها وحقهم بها، وإنما نبين بالبراهين الواضحة أنهم من أجهل الناس بالعقليات المتعلقة بأسماء الرب وصفاته وأفعاله، كما هم جهال بوحيه وبما جاءت به رسله، وقد نفى الله سبحانه وتعالى السمع والعقل عن عرض عن رسله، فكيف بما عارض ما جاءوا به، وأخبر سبحانه أنه لا بد أن يظهر لهم في معادهم أنهم لم يكونوا من أهل السمع، ولا من أهل العقل» اهـ.

وقال في الوجه الرابع والثلاثين بعد المائة:

«ولعل جاهلاً أن يقول إنا قلنا عليهم ما لم يقولوا أو استجزنا ما يستجزونه هم من حكاية مذاهب الناس عنهم فما يعتقدونه هم لازم لأقوالهم فيكذبون عليهم كذباً صريحاً لا يقولون مذهب الحنابلة أن الله لا يجوز أن يتكلم بشيء ولا يعني به شيئاً، ومذهبهم أن الله لا يجوز أن يرى، وأمثال ذلك مما هو كذب صريح وفرية، مستندهم فيها

ما فهموه من لازم قولهم، فنحن لانستجيز ذلك عل أحد من الناس، ولكن هذه كتب القوم فراجعها، ولا تقلد الحاكي عنهم». اه .

وانظر مناقشته لكلام ابن سينا في الوجه السادس والتسعين .

وفي الوجه الرابع عشر من الطاغوت الثاني، ذكر اختلاف الأمة في الأصول والفروع، وأنها انقسمت إلى خوارج وشيعة ومرجئة ومعتزلة، ثم قال: وإذا تأملت أصول الفرق الإسلامية كلها وجدتها متفقة على تقديم الوحي على العقل، ولم يؤسسوا مقالاتهم على ما أسسها عليه هؤلاء من تقديم آرائهم وعقولهم على نصوص الوحي، فإن هذا أساس طريقة أعداء الرسل، فهم متفقون على هذا الأصل، ومنهم أخذ، وعندهم تلقي، كما حكى الله سبحانه وتعالى في كتابه أنهم عارضوا شرعه ودينه بآرائهم وعقولهم، ولكن الفرق بينهم وبين هؤلاء أن أولئك جاهرُوا بتكذيب الرسل ومعاداتهم وهؤلاء أقرُوا برسالاتهم وانتسبوا في الظاهر إليهم، ثم نقضوا ما أقرُوا به وقالوا: يجب تقديم عقولنا وآرائنا على ما جاءوا به، فهم أعظم ضرراً على الإسلام وأهله من أولئك، لأنهم انتسبوا إليه وأخذوا في هدم قواعده وقلع أساسه وهم يتوهمون ويوهمون أنهم ينصرونه» اه .

وقال عن الشيعة في الوجه الرابع والعشرين من الطاغوت الثاني: «... وأما الشيعة فأعظم تفرقاً واختلافاً من المعتزلة، حتى قيل: إنهم يبلغون ثنتين وسبعين فرقة، وذلك لأنهم أبعد طوائف الملة عن السنة» .

ولم يمنع هذا الحكم عليهم من قبول ما عندهم من حق . ففي الوجه التاسع في مسألة الخالف بالطلاق إذا حنث في يمينه قال^(١): إن فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت: أنه لا يقع الطلاق المحلوف به، وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت» ثم قال:

«وهب أن مكابراً كذبهم كلهم وقال: قد تواطؤوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر

(١) انظر: ص ٦١٦ .

الصحابة فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلهم بالكذب والجهل . وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتج به المسلمون ولم يزل الفقهاء ينقلون خلافهم ويبحثون معهم، والقوم وإن أخطأوا في بعض المواضع لم يلزم من ذلك أن يكون جميع ما قالوه خطأ . الخ» اهـ .

٧ - الاستطراد :

إن من يقرأ في كتب ابن القيم يلمس ظاهرة الاستطراد والخروج عن الموضوع الرئيس إلى مواضع أخرى كما يكثر ذلك في كتابات شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ومهما قيل في ظاهرة الاستطراد عند ابن القيم من فوائد فهو استطراد على كل حال .

وسأذكر لك نماذج من استطرادات ابن القيم رحمه الله في هذا الكتاب، فأقول وبالله التوفيق :

في الفصل الثالث والعشرين عند ذكره لأسباب اختلاف الأئمة ذكر في السبب التاسع كثيراً من المسائل الفقهية التي ظن انعقاد الإجماع على خلافها، وذكر من هذه الأمثلة مسألة الخالف بالطلاق والعتاق إذا حنث في يمينه، وفصل فيها القول استطراداً وذكر أن الخلاف ثابت فيها من أحد عشر وجهاً فذكرها تفصيلاً .

ومن ذلك حكاية الإجماع على أن المتكلم بالطلاق الثلاث في مرة واحدة يقع به الثلاث . وفصل فيها القول استطراداً فذكر أن الخلاف ثابت في هذه المسألة من تسعة أوجه وذكرها تفصيلاً .

وفي الوجه السابع والأربعين بعد المائة :

ذكر أن العباد مفتورون على الحق ثم ذكر أن من هذا الحق، علو الله على خلقه، ثم ذكر - استطراداً - ثلاثين طريقاً في تقرير علو الله على خلقه بالأدلة العقلية . وقد عدها من وجوه الرد على من قدم العقل على النقل .

وفي الوجه الموفي مائتين بين أن هؤلاء نفوا صفاته لأنها تستلزم التشبيه أو الشهوة والنفرة، ثم بين حجة من زعم أن اللذة لا تصح على الله ثم ذكر - استطراداً -

ثلاثين وجهاً في الرد على هذه الحجة . وقد عدها من وجوه الرد على من قدم العقل على النقل .

٨ - التكرار:

إن ظاهرة التكرار عند ابن القيم ظاهرة ملموسة، فقد يبحث الموضوع الواحد في أكثر من كتاب^(١)، وإذا كان التكرار قد يكون مقبولاً في أكثر من كتاب، فإنه قد لا يحسن في الكتاب الواحد.

وتختلف درجة التشابه عند ابن القيم في هذا الكتاب . فقد يعرض الموضوع الواحد بصور مختلفة، وقد يعرضه بصور متشابهة، مع زيادة أو نقص .

فمثال الأول: أنه ذكر حيرة أهل الكلام وشكهم وعدم وصولهم إلى الحق، مع طول بحثهم ومثابرتهم وصبرهم في عدة مواضع:

فذكر في المقدمة ما نقل عنهم من أقوال صرحوا بها بذلك وفي الوجه السابع والعشرين من الطاغوت الثاني ذكر أنهم شهدوا على أنفسهم بالحيرة والشك وذكر شهادة أهل الحق عليهم ولم ينقل عنهم شيئاً من أقوالهم .

وفي الوجه الخامس والأربعين بعد المائة ذكر المسائل التي شكوا فيها فقال: «واعتبر هذا بإمام الشك والتشكيك أفضل متأخريهم وكتبه، تجده شاكاً في الزمان والمكان . . . وشاكاً في وجود الرب تعالى . . . وشاكاً في الجوهر الفرد . . . وشاكاً في تماثل الأجسام . . . وشاكاً في النبوت . . . الخ» ثم ذكر بعض النقول عنهم في نهاية هذا الوجه .

ومن ذلك أيضاً أنه ذكر نوعي أدلة الكتاب والسنة وأنها سمعية وعقلية في موضعين:

الأول: في الوجه الثالث والسبعين من الطاغوت الأول، وقد ناقشها من جهة أن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين .

(١) انظر: ابن القيم: حياته وآثاره، ص ٧٣، ٧٨ .

والثاني: في الوجه الثالث والخمسين من الطاغوت الثاني، وقد ناقشها من جهة معارضة العقل لها.

ومثال الثاني: وهو أنه يذكر الموضوع الواحد بصور متشابهة مع زيادة أو نقص، أنه ذكر المثل الأعلى في الفصل الثامن عشر مختصراً وذكره في الوجه التاسع والسبعين مفصلاً.

ومن ذلك أيضاً أنه ذكر أنواع المعارضين للوحي، وأنهم صنفان: الفلاسفة والجهمية. فقد ذكر ذلك في الوجه الثاني والتسعين، وفي الوجه الرابع والتسعين، مشيراً في الموضع الثاني إلى الأول، فهو لم يكرر ذلك عن سهو وغفلة.

٩ - الأسلوب الأدبي:

تميز أسلوب ابن القيم بالبيان، والجادبية، وحسن الصياغة، والعرض، والإكثار من المحسنات اللفظية، كالاقتباس، والتضمين، والسجع. . وغيرها مع قوة المعنى، وعمق الفكرة، فأنت تقرأ في أي كتاب له ولا تمل القراءة لما ترى في أسلوبه من سهولة وعضوبة وسحر حلال. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وإن من البيان لسحراً»^(١).

وهذا سر من أسرار إعجاب الناس بمؤلفات ابن القيم، أعدائه وأصدقائه.

وسأذكر لك نماذج من هذا الكتاب:

فمن ذلك أنه قال في آخر الوجه الثلاثين بعد المائة: «... وإذا عرف هذا فما أثبتته الله لنفسه من صفاته وكلامه وتكليمه واستوائه على عرشه وعلوه على خلقه هو الحق عقلاً وسمعاً وما خالفه هو الباطل والله سبحانه قد فصل لنا هذا من هذا ولم يدعه ملتبساً:

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٢٠١/٩) من طريق بن عمر، في كتاب النكاح، باب الخطبة، حديث ٥١٤٦.

ورواه مسلم (٥٩٤/٢) في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث ٤٧.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وفي الوجه الرابع والستين من الطاغوت الثاني، في تحليله للمثل الأعلى قال: «... الرابعة بيان أن العقل موافق له معاضد لا معارض مناقض»:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

وفي نهاية الفصل الثامن عشر قال: «... فأول هذا الصنف إبليس، ترك السجود لأدم، كبراً، فابتلاه الله بالقيادة لفساق ذريته، وعباد الأصنام لم يقرؤا بنبي من البشر ورضوا بإله من الحجر، والجهمية نزهاوا الله عن عرشه لثلاثا يجويه مكان، ثم جعلوه في الآبار والأنجاس وفي كل مكان، وهكذا طوائف الباطل لم يرضوا بنصوص الوحي، فابتلوا بزبالة أذهان المتحيرين وورثة الصابئين وأفراخ الفلاسفة الملحددين و

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلَ إِذْ وَلِيَ الْمُرْشِدَ﴾

[الكهف: ١٧].

فتأمل ما في قوله: «لم يرضوا بنبي من البشر ورضوا بإله من الحجر» من عمق الفكرة وجمال اللفظ.

وقال في موضع آخر^(١): «والناس ما بين جاهل مقلد ومجتهد مخطيء حسن القصد وظالم متعدد متعصب والقيامة موعد الجميع والأمر يومئذ لله». فانظر هذا التقسيم العجيب الذي لا تخلو منه فرقة من الفرق.

وقال في الوجه السابع والأربعين بعد المائة، في حديثه عن أن العباد مفسطرون على الحق: «... فالفطرة قابلة والعقل مزكٍ والشرع مبصر مفصل...».

وقال في الوجه التاسع والستين من الطاغوت الثاني، مثنياً على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... وقد قام بهذا الأمر من برز به على أهل الأرض في عصره

(١) انظر: ص ٩٠٣.

وفي الأعصار قبله فأدرك من قبله وحيداً وسبق من بعده سبقاً بعيداً، واستنقذ النصوص من أيدي الملحددين، ونفى عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وجعل أرباب المعقولات المعارضين لها أسرى في أيدي المسلمين، وأخذ عليهم بجماع الطرق حتى لم يبق لهم مدد ولا كمين، فجرى عليه من تلامذة هذا الشيخ وأتباعه من الجاهلين والمعاندين والمعطلين، ما جرى على من قام مقامه على مر السنين.

مضوا ومضى ثم التقوا عند ربهم فأخروهم للحكم يوم التخاصم

وقال في الوجه السادس والعشرين بعد المائة، مبيناً طريقة أهل السنة في إثبات وجود الله: «.. وهذا الأمر إنما هو لمن نور الله بصيرته، وفتح عين قلبه لأدلة القرآن، وآتاه فهما في كتابه، فلا تعجب من منكر أو معترض أو معارض.

وقل للعيون العمي للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوساً أطفأ الله نورها بأهوائها لا تستفيق ولا تعي

فأي دليل على الله سبحانه أصح من الأدلة التي تضمنها كتابه كقوله:

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقوله:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

ثم ذكر حشداً من أدلة القرآن على ذلك.

وقال في نهاية الوجه الثالث عشر من الطاغوت الثاني: «فالشريعة ظهرت من الله على لسان أكمل الخلق عقلاً وأعظمهم معرفة وأتمهم يقيناً.

وعقلياتكم ظهرت من جهة رجال فكروا وقدروا، وظنوا وخرصوا، وتعبوا وما أغنوا، ونصبوا وما أجدوا، وحاموا وما وردوا، ونسجوا فهللوا، ومشطوا فقلقلوا وسافروا في درب المطالب العالية على غير الطريق فماربخوا إلا أذى السفر، وبعثوا في البلاد بغير دليل فلم يقفوا للمطلوب على عين ولا أثر.

رضوا بالدعاوى وابتلوا بخيالهم
فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم
لهم كل وقت حيرة بعد حيرة
وجهل على جهل فلا بورك الجهل
وخاضوا بحار الفكر والقوم ما ابتلوا
وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا

١٠ - تقويم الكتاب :

تبرز قيمة الكتاب العلمية في عدة نواح:

الأولى: أنه يعالج أصول الانحرافات لدى الجهمية والمعتلة، وهي الطواغيت التي ذكرها المؤلف وقد فندها تفنيداً لا مزيد عليه.

الثانية: أنه ناقش هذه الأصول من خلال موضوع واحد، وهو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته.

وقد ذكر في هذا الكتاب - في أثناء مناقشته للمخالفين - مناهج وقواعد عامة، يمكن أن تكون منهجاً مستقلاً لمعالجة كثير من انحرافات الفرق، واختلاف الناس ومعرفة الكثير من مناهج وطرق المخالفين للحق في عصرنا الحاضر.

فقد كتب رحمه الله في تاريخ نشأة الفرق، وفي أسباب الاختلاف الواقع بين الأئمة، وفي أصول الفرق المنحرفة، وفي أنواع الفرق وموقفهم من الوحي، وفي التأويل وأسبابه ونتائجه وآثاره، وأسباب قبول الناس له، وكتب في قواعد أصول أهل السنة . . وغير ذلك.

ومن ذلك أنه ذكر في الوجه الخامس والثمانين أن التقديم على النص لا يختص بالجهمية، بل هو منهج لكثير من الفرق والطوائف:

- فالجهمية: قدموا عقولهم على الوحي .
- وبعض الفقهاء: قدموا آراءهم وقياساتهم على الوحي .
- والصوفية: قدموا أذواقهم ومواجيدهم على الوحي .
- والحكام: قدموا أهواءهم وسياساتهم وتديبيرهم على الوحي .
- والباطنية: قدموا التأويل الباطن على الوحي .

.. وهكذا.

وقد أشرت إلى شيء من ذلك في أثناء عرضي لموضوعات هذا الكتاب .
والليب الفطن يدرك ذلك في أثناء قراءته لهذا الكتاب دون أن يحتاج إلى تنبيه عليه .

ولعل الله أن ييسر لي إخراج ذلك في منتخب مستقل يتفجع به سائر الناس فهو وحده المستعان وبه التوفيق .

الثالثة : أنه يجيب على أسئلة كثيرة تدور في أذهان كثير من المتخصصين من أرباب هذا الفن وكثير من طلبة العلم .

ولا شك أن الكتاب ثروة علمية كبيرة كتب فيه المصنف ما يروي الغليل ويشفي العليل بأسلوبه السلس، وعبارته المعهودة .

وإذا كان كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فإن المصنف مع سعة علمه وطول باعه لم يخل كتابه هذا من بعض ما خالف فيه الأولى مما قد يعرض لأي عالم أو باحث . ولذا قال تلميذه ابن رجب في ثنائه عليه :
« . . ولا رأيت أوسع علماً منه، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة، وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله»^(١) .

ولقد كان ابن القيم رحمه الله موضوعياً حتى مع خصومه .

لذا فلا يأخذني الإعجاب بالمصنف رحمه الله فأثبت له كل حسن وأنفي عنه كل ما يخالف ذلك كما هي عادة كثير من الباحثين مع من يكتبون عنهم وذلك رغم قصر باعي وقلة اطلاعي .

وقديماً قيل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معاياه

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٨/٢ .

فما خالف فيه الأولى ما يلي :

١ - الاستطراد .

وقد ذكرت لذلك أمثلة، انظر: ص ١١٠ .

٢ - التكرار .

وقد ذكرت لذلك أمثلة، انظر: ص ١١١ .

٣ - تتميز كتب ابن القيم بحسن السياق والترتيب .

كما هو واضح في هذا الكتاب، وهذه هي القاعدة العامة في كتب ابن القيم، وقد يخرج عنها في بعض المواضع .

ومن ذلك أنه ذكر في هذا الكتاب آثار التأويل في الفصل الرابع عشر، وفي الفصل الخامس عشر، وفي الفصل السابع عشر، وفي الفصل الثاني والعشرين، فلو ذكرها في فصل واحد، أو مرتبة على الأقل، لكان أولى .

ومن ذلك أيضاً، أنه ذكر الطواغيت الأربعة في الفصل الرابع والعشرين، وهذه الطواغيت الأربعة هي أصول الانحرافات عند الجهمية والمعتلة، وهي التي أدت بهم إلى التأويل، فهم لما أصلوا هذه الأصول أولوا النصوص، فالتأويل نتيجة لهذه الأصول، فلو أخرج النتيجة لكان أولى .

والله أعلم .

١١ - المقارنة بالمختصر :

هذا الكتاب اختصره الشيخ الفاضل محمد الموصللي، وقد بحثت عن ترجمته فلم أقف له على ترجمة وقد أشرت في أثناء وصف النسخ إلى اسم أبيه حيث ذكر في بداية نسخة م مختصره محمد بن نصر الموصللي بخط حديث . .

وقال رحمه الله في خطبة كتابه، بعد خطبة الحاجة: «أما بعد، فهذا استعجال الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، انتخبته من كلام شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، ناصر السنة، شمس الدين، أبي عبدالله محمد (بن) قيم الجوزية رحمه الله» اه .

فالمختصر منتخب من كلام الإمام ابن القيم، فعمل الموصلي فيه هو الانتقاء والتنسيق والحذف والاختصار، ولم يكن يذكر رأيه إلا في مواضع قليلة.

فمن ذلك أنه لما ذكر الوجه العشرين في الرد على شبهات إبليس قال: «قال مختصره محمد بن الموصلي عفى الله عنه وهذا الوجه أحسن من الوجه الأول وأصوب والله أعلم» (المختصر ١/٢٣٩).

وفيا يلي مقارنة للموضوعات الثلاثة التي تناوها ابن القيم في هذا الكتاب بما ذكره الموصلي في المختصر:

* المقارنة بالمضمون:

ذكر الموصلي في المختصر مقدمة مشتملة على الموضوعات الرئيسة التي تناوها ابن القيم في مقدمة كتابه. ثم ذكر بعد ذلك: التأويل.

وذكر ابن القيم في التأويل أربعة وعشرين فصلاً. ذكر منها الموصلي أحد عشر فصلاً وحذف ستة فصول واختار مواضع من السبعة الباقية وبيانا كالتالي:

١ - الفصول التي ذكرها الموصلي في المختصر بشكل عام:
الفصل الأول، والفصل الثاني، وقد ذكره ضمن الفصل الأول ولم يشر إلى ذلك والفصل السادس والفصل السابع والتاسع والعاشر والحادي عشر والثالث عشر والسادس عشر والثامن عشر والعشرون.

٢ - الفصول التي لم يذكرها الموصلي في المختصر:
الفصل الثالث والخامس والرابع عشر والحادي والعشرون والثاني والعشرون والثالث والعشرون.

٣ - الفصول التي انتخب منها الموصلي بعضاً وترك البعض الآخر:
الفصل الرابع: في الفرق بين تأويل الخبر وتأويل الطلب، وقد اختار منه الموصلي آخر الفصل، وهو الذي ذكر فيه المؤلف أن آيات الصفات محكمة، ولذا لم يتنازع فيها الناس: الصحابة فمن بعدهم بخلاف آيات الأحكام.

الفصل الثامن: في بيان خطئهم في فهمهم من النصوص المعاني الباطلة التي تأولوها لأجلها، فجمعوا بين التشبيه والتعطيل.

وقد اختار الموصلي من هذا الفصل المثال الذي ذكره ابن القيم، دون ذكر عنوان الفصل، أو مقدمته، التي هي أصل في ربط القاعدة بالمثال.

الفصل الثاني عشر: في بيان أنه مع كمال علم المتكلم وفصاحته وبيانه ونصحه، يمتنع عليه أن يريد بكلامه خلاف ظاهره وحقيقته.

وقد ذكر الموصلي فيه مناظرة الشيخ عبد الله بن تيمية لبعض الجهمية ومناظرة ابن القيم لبعض النصارى.

إلا أنه حذف ربط ابن القيم بين المناظرتين، حيث ذكر وجه التشابه بين الجهمية والنجارية.

الفصل الخامس عشر: في جنائيات التأويل على أديان الرسل، وأن خراب العالم وفساد الدنيا والدين، بسبب فتح باب التأويل.

وقد اختار منه الموصلي بيان أثر التأويل في هدم أصول الإيمان والإسلام، وأنه سبب لطرده إبليس ولعنه، وسبب لخروج آدم من الجنة.

ولم يذكر أثره في ضلال اليهود، وأثره في ضلال النصارى، ولا كونه سبباً في وقوع كثير من الحوادث، التي وقعت بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم.

الفصل السابع عشر: في أن التأويل يفسد العلوم كلها إن سلط عليها، ويرفع الثقة بالكلام، ولا يمكن لأمة من الأمم أن تعيش عليه، وقد اختار الموصلي من آخر هذا الفصل بيان التلازم بين الشرك والتعطيل.

كما ذكر إقرار الفلاسفة بأن تأويل آيات الصفات يجعل الشرع كله مؤولاً.

الفصل التاسع عشر: في الأسباب التي تسهل على النفوس الجاهلة قبول التأويل.

وقد ذكر الإمام ابن القيم ستة أسباب، اختار الموصلي منها الأسباب الثلاثة الأولى فقط.

الفصل الرابع والعشرون: بعد الحديث عن التأويل انتقل الموصلي للحديث عن الطاغوت الأول والثاني في الفصل الرابع والعشرين فذكر بعض الوجوه وترك بعضها وبيانا كالتالي:

□ الطاغوت الأول:

وهو قولهم: «إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين».

شرع الموصلي برد هذا الطاغوت دون أن يذكره أو ينبه عليه مبتدئاً بالوجه الأربعين تاركاً تسعة وثلاثين وجهاً من الوجوه التي ذكرها ابن القيم. وفيما يلي جدول يبين رقم الوجه كما ذكره ابن القيم في الأصل ورقمه في المختصر كما ذكره الموصلي:

رقم الوجه كما ذكره ابن القيم في الأصل	رقم الوجه كما ذكره الموصلي في المختصر
٤٠	٤٠
٤١	٤١
٤٢	٤٢
٤٣	٤٣
٤٤	٤٤
٤٥	٤٥
٤٦	٤٦
٤٧	٤٧
٤٩	٤٨
٥٠	٤٩
٥٣	٥٠
٥٤	٥١
٥٥	٥٢
٥٦	٥٣
٥٧	٥٤
٦٩	٥٥
٧١	٥٦
٧٣	٥٧

فقد ذكر ثمانية عشر وجهاً، من ثلاثة وسبعين وجهاً في الرد على الطاغوت الأول، وفي نهاية هذا الفصل، قال: «ففي هذا كسر الطاغوت الأول وهو قولهم: إن الأدلة لا تفيد اليقين».

ولا شك أن الموصلي حذف مسائل مهمة في هذا الباب، منها ما ذكره في الوجه الثالث، وفي الوجه الرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر، والوجه الثلاثين، والثاني والثلاثين، والثالث والثلاثين، والسادس والثلاثين، والثامن والثلاثين، والتاسع والثلاثين.. وغيرها، وبقية الوجوه يدركها القارئ الكريم بمجرد رجوعه للفهرس العام للموضوعات التي ذكرت فيه الوجوه بشيء من التفصيل.

□ الطاغوت الثاني:

وهو قولهم «إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل». وقد رد ابن القيم هذا الطاغوت في أحد وأربعين ومائتي وجه، ذكر منها الموصلي في المختصر اثنين وخمسين وجهاً فقط، بيانا كالتالي:

رقم الوجه كما ذكره ابن القيم في الأصل	رقم الوجه كما ذكره الموصلي في المختصر
١	١
٢	٢
٤	٣
٥	٤
٦	٥
٧	٦
٩	٧
١١	٨
١٢	٩
١٣	١٠
١٧	١١
١٨	١٢
٣٢	١٣

۳۳
۳۶
۳۸
۳۹
۴۳
۴۴
۴۷
۵۱
۵۲
۵۳
۵۴
۵۵
۵۶
۵۷
۵۹
۶۰
۶۱
۶۸
۶۹
۷۱
۷۲
۷۹
۸۲
۸۶
۸۸
۸۹
۹۳
۱۱۱
۱۲۲
۱۲۶
۱۳۱

۱۴
۱۵
۱۶
۱۷
۱۸
۱۹
۲۰
۲۱
۲۲
۲۳
۲۴
۲۵
۲۶
۲۷
۲۸
۲۹
۳۰
۳۱
۳۲
۳۳
۳۴
۳۵
۳۶
۳۷
۳۸
۳۹
۴۰
۴۱
۴۲
۴۳
۴۴

١٣٣	٤٥
١٣٤	٤٦
١٥٩ (وهو الطريق الثاني عشر)	٤٧
١٦٣ (وهو الطريق السادس عشر)	٤٨
١٨٦	٤٩
١٨٧	٥٠
١٨٨	٥١
- لم يذكره ابن القيم	٥٢ (وهو أن المعارضة بين العقل والنقل أصل كل فساد في العالم)

والملاحظ في هذا الفصل، أن الموصل حذف كثيراً من الاستطرادات، وقد أشرت إليها في أثناء تقويمى للكتاب، كما حذف كثيراً من الأوجه العامة وأثبت جملة مختارة من أهم ما ذكره ابن القيم في رد هذا الطاغوت فجاء مختصراً بحق، ولعل القارىء يستطيع أن يرصد ذلك من خلال نظرة عجلى في فهارس الموضوعات.

* المقارنة بعدد الصفحات :

— عدد الصفحات في المخطوطة الأصل ظ = ٢٧٢ صفحة.

في كل صفحة ٣٥ سطرأ.

في كل سطر ١٥ كلمة.

— عدد الصفحات في المختصر حتى نهاية الجزء الأول في الأصل = ١٩٦
صفحة.

في كل صفحة ٢٧ سطرأ.

في كل سطر ١٣ كلمة.

عدد الأسطر في المختصر = $١٩٦ \times ٢٧ = ٥٢٩٢$ سطرأ.

عدد الكلمات في المختصر = $١٣ \times ٥٢٩٢ = ٦٨٧٩٦$ كلمة.

— عدد الأسطر في الأصل = $272 \times 35 = 9520$ سطرًا.
عدد الكلمات في الأصل = $9520 \times 15 = 142800$ كلمة.
عدد الكلمات في الصفحة الواحدة من المختصر =
 $27 \times 13 = 351$ كلمة.

عدد صفحات الأصل بمقاس صفحة المختصر =
 $142800 \div 351 = 406$ صفحة تقريباً.

زيادة الأصل عن المختصر في عدد الصفحات =
 $406 - 196 = 210$ صفحة.

أي أن الأصل يزيد عن المختصر في الجزء الأول بأكثر من النصف، ولا شك أن في هذه الزيادة مسائل مهمة، قلّ أن تجدها في غير هذا الكتاب، وخصوصاً إذا علمت أن هذه الزيادة من كلام ابن القيم رحمه الله.

وبعد،

مما سبق يتبين أن الموصلي رحمه الله قد ترك من الأصل كثيراً من الاستطرادات، كآثار التأويل، وأسباب اختلاف الفقهاء، وكثيراً من المسائل الفرعية.

كما ترك كثيراً من الاستطرادات في رد الطاغوت الثاني ومنها الوجوه العقلية في تقرير علو الله على خلقه.

ومنها الوجوه في رد حجة من زعم أن اللذة لا تصح على الله، كما ترك كثيراً من المسائل العامة التي لا تختص بموضوع بعينه، وفيها مسائل مهمة.

كما ترك بعض المسائل المهمة في رد الطاغوت الأول.

فالمختصر جيد ولكن الأصل أجود وأكمل منه.

وبيان ذلك:

* أنه في رده على الطاغوت الأول أسقط أربعة وخمسين وجهاً من ثلاثة وسبعين وجهاً.

* منها تسعة وثلاثين وجهاً سقطت لأن الموصلي اختصر الكتاب على نسخة ناقصة ولعلها نسخة ظ أوم أو أصل لهما إذ هذه الوجوه ليست فيها وإنما أضفتها من نسخة ب، وهذا هو السر في كونه بدأ بالوجه الأربعين، لذا، فقد فاتته مسائل مهمة.

* أنه في رده على الطاغوت الثاني أسقط أحداً وتسعين ومائة وجه من أحد وأربعين ومائتي وجه.

ومهما قيل: إن في هذه الوجوه كثيراً من الاستطرادات والقواعد العامة والكليات الجامعة، فلا شك أن فيها مسائل مهمة، قل أن تجدها في غير هذا الكتاب.

ولعل عدد الصفحات يشير إلى ذلك، إذ بلغت زيادة الأصل على المختصر أكثر من النصف — إذ بلغت في حدود (٢١٠) صفحة — وخصوصاً إذا علمت أنها سطرت بقلم الإمام ابن القيم.

الفصل الثاني: المخطوطة

- ١ - عدد النسخ .
- ٢ - التعريف بالنسخ .
- ٣ - سقط النسخ .
- ٤ - سبب اختيار نسخة الأصل .
- ٥ - نماذج مصورة من النسخ .

١ - عدد النسخ :

يوجد للجزء الأول من المخطوطة ثلاث نسخ . إحداها فيه نقص كبير، وأما الجزء الثاني من الكتاب فهو في حكم المفقود وقد بحثت عنه في مكتبات تركيا وفي المتحف البريطاني وفي مكتبة برلين الغربية ولم أجده .

٢ - التعريف بالنسخ :

● النسخة الأولى: في المكتبة العثمانية ضمن مكتبات الأوقاف بحلب. وهي التي رمزت لها بالحرف «ظ».

رقمها في العثمانية ٥٧٠٠ .

وعدد صفحاتها ٢٧٢ صفحة .

في كل صفحة ٣٥ سطرأ .

في كل سطر خمس عشرة كلمة .

وخطها رقعة متوسط .

تاريخ النسخ: انتهى الناسخ من كتابتها في يوم ١٧ ذي القعدة سنة ١١١٠ .

كتب في الصفحة الأخيرة جملة كراس ١٤ إلا ٣ أوراق (أي أربعة عشر كراساً

إلا ثلاث أوراق).

عليها تملك مؤرخ في جمادى الآخرة سنة ١١١٣ .

باسم العبد الضعيف . . . ولم يتبين لي اسمه^(١).

وفي الصفحة الأولى ختم مستدير وختم مربع^(١). فيهما كتابة غير واضحة.

وفي ص ١٨٢ من المخطوطة في الهامش مطلب أول الجزء الثاني. انظر ص ١٢٠٧ من هذا الكتاب.

وفي آخرها بخط حديث جداً

«صورة فوتوغرافية عن النسخة المحفوظة في مكتبة الأوقاف بحلب لكتاب الصواعق المرسله للإمام ابن القيم رحمه الله هدية مشفوعة بالإجلال والتعظيم ترفع:

لإمام الموحدين الملك سعود بن الإمام عبدالعزيز آل سعود المعظم من خادم الدعوة المحمدية للمصراط المستقيم بحلب.

محمد نسيب الرفاعي (توقيع)

حلب ٢٧ رمضان ١٣٧٣.

□ النسخة الثانية: نسخة مكتبة المتحف العراقي والتي رمزت لها بالحرف «م».

وتوجد في مخطوطات الخزانة الألوسية في مكتبة المتحف برقم ٨٥٠٠.

القياس ٤٧٥ صفحة ٣٠ × ٢٠

في كل صفحة ٢١ سطراً.

وفي كل سطر ثلاث عشرة كلمة.

كُتبت بأقلام مختلفة في حلب الشهباء على نسخة في خزانة المدرسة العثمانية في

جمادى الآخر سنة ١٣٤١.

وخطها رقعة جيد

كتب قبل صفحة العنوان:

اختصر هذا الكتاب محمد بن نصر الموصلي.

(١) انظر صورة صفحة العنوان من «ظ».

وقبله كلمة غير واضحة

٣٨٤ كلام لأبي عقيل

٣٢٩ آخر الجزء

٤٠٠ الدال (كذا)

وكانه بخط حديث.

وفي الصفحة الأولى جملة كراس ٢٤

وفي ص ٣٢٩ من المخطوطة في الهامش مطلب أول الجزء الثاني. انظر ص ١٢٠٧ من هذا الكتاب.

وعند بداية الطاغوت الثاني كتب في هامش «م»: (مهم في هذا أن الكتاب قد اشتمل على كسر الطواغيت الأربع مع أن المذكور في هذا المجلد كسر طاغوتين اثنين منه أي بهذا المجلد نصف الكتاب.

وقال في ص ٢٥٤ ما نصه: («وجاء أفضل متأخريهم فنصب على حصون الوحي أربعة مجانيق: الأول: أنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين، الثاني: أنها مجازات واستعارات لا حقيقة لها، الثالث: أن العقل عارضها فيجب تقديمه عليها، الرابع: أنها أخبار آحاد وهذه المسائل علمية فلا يجوز أن يحتج فيها بالأخبار») انتهى ما في الهامش.

□ النسخة الثالثة: نسخة برلين الغربية وقد رمزت إليها بحرف «ب»، وهي نسخة ناقصة.

رقمها (٢٠٩٤) ضمن مجموع^(١).

وعدد صفحاته ٢٠٠ صفحة.

في كل صفحة ٢٣ سطراً.

وفي كل سطر ثلاثة عشر كلمة.

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٠٦/٢ في الطبعة القديمة؛ ١٢٨/٢ في الطبعة الجديدة.

وليس عليها تاريخ النسخ .
وخطها: نسخ جميل .

وهي في مجموع ، مع كتاب لشيخ الإسلام ابن تيمية ، في الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان .

وقال الناسخ وبين هذين الكتابين رسالة أظنها لشيخ الإسلام روح الله رحمه .

وذكر قبل الصفحة الأولى من الكتاب أحد عشر بيتاً من الشعر لشهاب الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ، مطلعها :

تثبت في الأمور ففي التأني لك العقبى وكم ندم العجول

وفي ص ٦٣ من المخطوطة كتب أعلى الصفحة (عبدالقادر رفيق) ولعله (الناسخ) .

وفي آخر المجموع نتف من أول الصواعق في حدود ٢٤ صفحة بخط رديء .

٣ - سقط النسخ :

لا تخلو نسخة من النسخ الثلاث من سقط ، ففي نسخة ظ ، م سقط من ص ٦٢٨ حتى ص ٧٢٩ . أكملت هذا السقط من نسخة ب ، وفي نسخة ب سقط من ص ٧٢٩ حتى نهاية الكتاب ، وفي نسخة ظ ، م سقط من الوجه الثالث والسبعين حتى الوجه التاسع والسبعين ، وكتب في هامشها كذا في الأصل ، انظر ص ١٠٣٠ .

والذي يبدو أن ذلك خطأ من الناسخ ، حيث كتب التاسع بدل الثالث لأن هذا الوجه مرتبط بما قبله في المعنى .

وفي نسخة ظ ، م سقط في آخر الوجه الحادي والأربعين بعد المائتين لم يتبين لي مقداره ، انظر ص ١٥٣٨ .

وفي نسخة ب ، ترك الناسخ بعد قوله البيان والدلالة . . . « صفحة ونصف

الصفحة، وكتب فيها (بياض في الأصل)، والذي يبدو أنه ليس هناك سقط، وذلك لوجود الترابط الوثيق في الألفاظ والمعاني. انظر ص ٧١٢.

وفي نسخة ب في الوجه التاسع والثلاثين بعد قوله صحة النقل... قال في الحاشية سقط من هاهنا شيء: - قلت وهو كذلك، لأن الكلام غير متصل ولم يتبين لي مقدار السقط.

انظر ص ٧٢٣.

وفي نسخة ب في الوجه السابق قال الناسخ بعد قوله الفلاسفة... سقط من ههنا شيء، قلت والذي يبدو أن الكلام متصل، فليس هناك سقط، لترابط المعنى والسياق، بعد زيادة الكاف في (يحي)، وهي الكلمة التي تلي كلمة (الفلاسفة).

انظر ص ٧٢٥.

في نسخة ب في الوجه التاسع والثلاثين.. بعد قوله «لأجلها...» قال الناسخ سقط من هاهنا شيء.

والظاهر أنه ليس هناك سقط بل تحريف يستقيم بعد زيادة عبارة «وأنه لا يرى عياناً... الخ».

انظر ص ٧٢٧.

في النسخ الثلاث كتب بعض العناوين الجانبية وقد أثبتتها في الحاشية.

٤ - أسباب اختيار نسخة الأصل:

قمت باستعراض النسخ الموجودة لدي لاختيار إحداها أصلاً فوجدت أن نسخة ظ هي أكثرها ملائمة وذلك لما يلي:

١ - لأنها أقدم فقد كتبت سنة ١١١٠.

٢ - ولأنها أكمل النسخ، وإن اعترها بعض النقص.

٣ - ولأن نسخة م قد نقلت عنها كما صرح بذلك الناسخ في آخر صفحة منها.

٤ - ولأن نسخة ب ناقصة نقصاً ظاهراً جاوز أكثر من نصف الكتاب.

لذا فقد رأيت أن نسخة ظ هي أولى النسخ بالاعتبار.

(نماذج مصورة من المخطوطات)

كتاب الصواعق المنزلة

على الطائفة الجريئة والمطلة

بهدية

أخي عبد الله حسن الدين

محمد بن أبي بكر بن أبي بكر

سعيد بن القيم الجليلي

السفير بدمشق

الجوزية رقم

أبيه

ابن

الشيخ محمد بن أبي بكر

تملكه السيد الضعيف

أبو بكر

١١١٦

أحمد الأخر



صادر عنه

أحمد محمد بن أبي بكر

مدير المكتبات العربية لاسلامية
بمجلس



صورة صفحة العنوان من المخطوطة «ظ»

رسالة الشيخ العجيز ربه يسر بنفسك الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اجمعين
 الحمد لله رب العالمين والعاقلين المتقين ولا عدوان الاهل العقلمين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
 له الموصوف في صفات الجلال والوقوت الكمال المنزه عما يصفون ذلك كله من سلب صفات اسمايه وصفاته تستلزم وصفه
 لتناقض وصفه المتخولفين فنفى حقائق اسمايه وصفاته تضمن للتعطيل والتشبيه والاثبات خلافها على وجه الكمال
 الذي لا يتخلف سواء هو حقيقة التوحيد والتنزيه فالمعطي احد كمال المعبود والممثل مشبه له بالعبود والوجود
 محتاجين لاسمايه وكما ان وصفه ذلك نظير روح التوحيد فالمعطى بعد عذما والممثل بعد صفته واللوحد بعد رب
 ليس ككلمة الا سماء السننى والصفات العلى وسع كل شئ رحمة وعلما واشهد ان محمدا عبده ورسوله وابنه على وجه
 خيرته من خلقه وحجته على عباده بقرعته للهداية الى العالمين ونعمته التي انعمها على انبيائه من المؤمنين ارسله على
 قتره من الرسل ودرس من الكتب وطوس وقد استوجب هذا الارض ان ينزل بها عليهم العذاب وقد نزل الجزاء جزاء
 اليهم فسيهم من نعم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وكانت الامم اذا ذاك ما بين شرك بالرحمن عابد لايمان وعابد
 للشران وهما بطلان او عابد الشمس والقمر والنجوم كما فر باه الحى القيوم وانما بين في بديل اجلا له جيران قد
 استهواه الشيطان وسد عليه بابى الهدى والايمان فالمعريف عنده ما اتق ارادته ورضاه وانكر ما خالف
 هواه قد تخلى عنه الرحمن وقارنه الخذلان يسع ويتصرفهوا بالهولاء ويبطشون على نفسه وشيطانه لا باه
 قباب الهدى دونه مسدود وهون الوصول الى معرفته ربه وانما يعرض مرضاته مصدره وهاهنا الارض بين تابه جزاء
 وعبد الدنيا نوعها للغان ومنقاد للشيطان جاهل او جاهد او مشرك بالرحمن فالارض تدعشها باظه الكفر
 الشرك والجبل والغناد وقد استول عليها امة الكفر وعكرك الفساد وقد استند كل قوم الى ظلمات اربابهم وكلموا على
 وبين عباده عقلا لهم الباطل وهو ابراهيم فسوقا لباطل فافقه لها القيام وسوق الحق كاسا لا يقام فالارض تدعش
 جيوش الباطل الى انظارها ونواحيها وظنت ان تلك الدولة تدوم لها وانما لا يطعم بمحمداه وحزم فيها بعثت اسم
 رسوله واهل الارض احوح الى رسالته من غيث السماء ومن نور الشمس الذي يذهب عنهم حنادس الظلمة فاجتهدوا الى
 رسالته فوجع الحاجات وضروهم فيهم لا يمتددة على جميع الضرورات فانه لا حياة للعقرب ولا نعيم ولا لذة ولا سرور
 ولا امان ولا طمانينة الا بان تعرف ربها ومعبودها وقاطرها باسمايه وصفاته وافعاله ويكون احب اليها ما سواه ويكون
 سعيها في ما يرضها اليه ويدينها من مرضاته ومن الخصال ان تستقل العقول البشرية يعرفه ذلك وادركه على
 التفصيل وانفتحت رحمة العزيز الرحيم ان بعث الرسول به معرفين واليه واعين ولين اجابهم بشرى ومنزل انهم
 سفذين وجعل مفتاح دعوتهم وزيادة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه باسمايه وصفاته وافعاله اذ على هذا المعرفة
 تشبى مطالب الراسل جميعها وان الخوف والرجا والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو الخوف المحبوب
 المطاع المعبود فكما كان مفتاح الدعوة الالهية معرفة الرب تعالى قال افضل الراعين اليه سبحانه
 لعاديه جلد وقد ارسله الى اليمن الكرماتى قوما اهل كتاب فليكن اول ما تدعوه اليه شهادة ان لا اله الا الله
 وان محمدا رسوله فاذا عرفوا الله فاجبهم ان الله تدفرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليله وذكر باي الحديث
 وهو في الصحيحين هذه اللفظ لمسلم فاساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم معرفة الله سبحانه
 باسمايه وصفاته وافعاله ثم يتبع ذلك اعلان عظيمات احاديثها تعرف الطريق الموصل اليه وهي شرعية المتضمنة لاسم
 وفيه الثاني تعرفه بالكتب بالوصول اليه من النعم الذي لا ينفد وقراء العيس الذي لا يقطع
 ففان الاصلان ايمان للاصل الاول وسينان عليه فاعرف الناس باه اتبعهم للطريق الموصل اليه واعرفهم بحال
 السالكين عند القدوم عليه ولذا سمي الله سبحانه ما انزل على رسوله ربهما توقفا لجملة الحقيقة عليه ونورا لتوقف
 الهداية عليه قال الله تبارك وتعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده في موضعين من كتابه وقال

التميزة وجر

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة «ظ»

مراتها عليه ولا انصرف بل جاز استواءها واخر اجزائها من الاخر على وفق الحكمة حتى ان السكبان
 الذي في غير احد ثمانية جداول يكون فيه حيوان ونبات كالمكان الذي لا تقطع عليه الشمس ولا
 تروى عنه فلو كان النهار مقدار مائة ساعة ان اكثر اوقات الليل كذلك لتعطلت المصالح التي تظن ان الله
 بهذا المقدار من الليل والنهار ثم تأمل الحكمة في انارة النجوم والكواكب في ظلمة الليل فانه مع الحاجة الى
 الظلمة ليدرك الحيوان في برد الهواء تنقص المصلحة ان يكون الليل ظلمة واحدة راجع لانه في انوار
 فلو سكن فيه شيء من العمل وربما احتاج الناس الى العمل بالليل ليعتسق الوقت عليهم في النهار
 ولا يراوا الحر فيوما يحتاجوا الى العمل في الليل في نور القمر من حيث الارض ودفعت الزرع وغير ذلك
 فيعمل ضوء القمر في الليل يعمونه للناس على هذه الاعمال وجعل في الكواكب جزا يسير من النور
 لتدبر مسرعة في ايام الكون وجعلت زينة السماء ومعاليها يهتدي بها في ظلمات الجبال والبحر والارض
 واضحات على الخلق العلم وغير ذلك من الحكمة التي بها انتظام هذا العلم وجعلت الشمس على
 حاله واحدة لا تغيب الا في وقتها وانقصان الليل لتعطل الحكمة المقصودة منها وجعل القمر على حال
 يقبل الا في وقتها وانقصان الليل لتعطل الحكمة المقصودة من جعله كذلك وكان في نوره من البرد
 والتفصيل ما يتقابل ما في ضوء الشمس من التسخين والتجفيف والتنظيم المصلحة وتم الحكمة
 في هذا التسخين والتبريد وتأمل اللفظ والحكمة الالهية في جعل الكواكب السيارة ونوازها
 تظهر في بعض السنين وتختفي في بعضها لانهما لو ظهرت دائما واخفيت دائما لذاتنا الحكمة المخلوقة
 منها وكما اقتضت الحكمة ان يظهر بعضها ويختفي بعضها ولا يظفر بعضها كلما دفعه واحدة
 ولا يختفي دفعة واحدة بل يتوسطها عن خفيها في الدلالة وجعل بعضها ظاهرا لا يختفي
 اصلا بمنزلة الاعلام المنصورة التي يهتدي بها الناس في الطريق الجهول في البر والبحر فيسبح
 فيظن ان اليماني ارادوا ويهتدون بها حيث ساءوا فحاز الامران على وفق الحكمة ثم تأمل
 حال النجوم واختلف مسيرها ففرقة منها لا تزيد من ارضها من الفكر ولا تسير الا بحتمه
 كما يجس النواحد وفرقة منها مطلقه تستقل في البروج وتفتتق في مسيرها فكل احد منها يسير
 سيرة مختلفة عن احدها عام مع الفلك نحو الغرب والاخر خاص لنفسه نحو المشرق فلم
 حركتان مختلفتان على وفق الحكمة وذلك من اعظم الدلائل على الفاعل الخالق العليم الحكيم
 وعلى كمال علمه وقدرته وحكمته وتأمل كيف صار هذا الفلك يشتمه وقوه ونجومه
 وبدو وجوده ودر على هذا العالم هذا الدوران العظيم السريع المستمر بتقدير الحكيم لا يزيد ولا ينقص
 ولا يحصل عن نظامه بل هو تقدير العزيز العليم وقا في الساعات ان ذلك المذبح صار عن
 كمال عزته وعلمه فقال نفا والشمس تجري مسفرة لما ذكر تقدير العزيز العليم وقا في قوله قل اسمك تكفرون
 بالذي خلق الارض في يومين والارض في يومين والارض في يومين والارض في يومين
 ويزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وقال في قوله الاصباح وجعل
 الشمس والنجوم والشمس والنجوم والشمس والنجوم والشمس والنجوم والشمس والنجوم
 الشمس والنجوم والشمس والنجوم والشمس والنجوم والشمس والنجوم والشمس والنجوم
 مقتضى وقوعه على وجه الحكمة الطائفة والشمس والنجوم والكواكب وتذليلها لعزمتها

لسان ذلك تقديره مقلدا من عزير حكيم وحسناديم
 في كل ايامه كقوله يوم ١٧ من ذى القعدة سنة ١١١١
 على ما وجدناه في الاصل بقوله
 باسمه من انما كده
 والفقهاء

حاشيته كراس عماد الاسرار

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة «ظ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمد بن العباس بن علي بن ابي طالب
له المصنف بصفتي له المصنف الكمال الخ
لنصفه بالقبضه وشبه الخ
على وجه الكمال الذي لا يصفه غيره
المحمد بن عبد ربان ليس كغيره لم يراه
ان محمد بن عبد ربان كان في عهد
ابي عبد الله عليه السلام في سنة 210
المستقبلة على هذا وجهه اليهم
بالرحمة والهدى والهدى والهدى
بما ذكره الله في كتابه والهدى
بما ذكره الله في كتابه والهدى
بما ذكره الله في كتابه والهدى
بما ذكره الله في كتابه والهدى

اجاحد ان
مستبه له بالقبضه
بما ذكره الله في كتابه
قطب رحى التوحيد

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة «م»

قد اشتمل هذا الكتاب على كتابين هما اولهما على كتابه المصنوع
 المرسل في الرد على فرق الضلال والمتاولة للحائمة
 المحققين وحاطر لواء اتباع سيد المرسلين
 الى محمد الله صلى الله عليه وسلم بن الشيخ الصالح
 الى محمد بن ايوب بن قيم بجزيرة رحمة
 قدسية وكتابات كتلفة الكلام
 على حقيقة الاسلام والايمان
 لشيخه واستاذه شيخ
 الاسلام والمسلمين
 من ثبت له بحق وتقدير
 واقام على الذبيح
 اتبعوا الهواهم
 الدليل الى العاصم
 تقى الدين احمد
 ابن تيمية الحارثي
 روح الله
 ووجه
 اعين

وبين هذين الكتابين رسالة اظنها لشيخ الاسلام روح الله رحمه



صورة عنوان المجموع الذي فيه المخطوطة «ب»

كتاب الصفة المنسوبة لرسول المعزلة والحمد لله المعطى لصفته

الشيخ الامام العالم العلامة للذات ^{بشهادة} عن كتاب الدرر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ^{بشهادة} في عهد الميرزا محمد باقر
الصالح ابي بكر بن ابوبن القمي الجوزي

كتاب الصفة المنسوبة لرسول
المعزلة والحمد لله المعطى لصفته
الذات المعطى لصفته
والصالح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 للحمد لله رب العالمين والعاقبة للتعين ولا عدوان الا على الظالمين وانهد
 ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الموصوف بصفات الجلال الشعرت شعرت الكلال
 المنزه عن ما يضاف كماله من سلب حقايقا سماوية وصفاته المتلزم لوصفه بالنقص
 وشبه الخلقين في حقايق اسماءه وصفاته متضمن للتعظيم والتشبية وانبات
 حقايقها على وجه الكمال الذي لا يستحقه سواه هو حقيقة التوحيد والتنزيه
 فالعطل جاحد كمال المعبود والممثل مشبه له بالعبيد والوحد مثبت للحقايق
 اسماءية وكال اوصافه وذلك تطيب زجج التوحيد فالعطل يعيد عدما والممثل
 ضمنا والوحد يعيد ربانية كحده في له الاسماء الحسنی والصفات العلی وسع كل شيء حمداً
 وعلماء وان شهد ان محمدا عبده ورسوله وامينه علي وخيه وخيرته ووجهه علي عباده
 فهو رحمة الهداة الى العالمين ونعمة الي انما على اتباعه من المؤمنين ارسله على حين
 فترة من الرسل ودرهم من امة وطوبى من السبل وقداستجب اهل الارض ان يترك
 بسا حتم المناب وقنظر ليجازجل جلاله اليهم فقتلهم عزهم وبعثهم الا بقايا من اهل
 الكتاب وكانت الامم اذ ذاك ما بين شرك بالرحمن عابد للاوثان وعابد للسيران
 وعابد للعبدان او عابد للشمس والقمر والنجم كما فر با الله للحي القيوم او تايه في بيضاء
 الحية

كتاب الصفة المنسوبة لرسول
المعزلة والحمد لله المعطى لصفته
الذات المعطى لصفته
والصالح

حيدان

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة «ب»

بغير محل ومن ذلك خروجهم عن صريح العقل في قولهم ان الرب تعالى عالم بين
سبع بلاد سمع بصير بلاد بصر فاذا ربلد قدرة حكي بلاد حياة فانكر ذلك عليهم
العقل افتر بعضهم الى ان قلا علمه وسمع و بصر و قدرته و حياة هي ذاته
اعقلهم عند نفسه وعند اتباعه انه سبحانه علم كله و قدرة كله و حياة كله و سمع
و بصر كله الى اضغاف اضغاف ما ذكرنا من اقوالهم التي خدجوا فيها عن صريح
فهل تجد في نصوص الوحي التي عارضوا فيها بين العقل والنقل مثل ذلك
قريباً منه فتأمل وتأمل اقوالهم تعلم اي النوعين معه العقل ومن الذي
عن صريحه وباللذ التوفيق تم بلغ بجداته مقابلة حب الالهة

كِتَابُ

الصَّوَالِغُ الْمَسْتَلْتَمَاتُ

عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْطَلَةِ

تَصْنِيفُ

الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح
أبي بكر بن أبوبن سعد الشهير بابن قسيم الجوزي
رَحْمَةُ اللَّهِ

حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
وَقَدَّمَ لَهُ

الدكتور علي بن محمد الخليل الله

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالرياض

جزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١/١]

وبه [أستعين] (١)

مقدمة المصنف (رَبِّ يَسِّرْ بِفَضْلِكَ يَا كَرِيمَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ [وَسَلَّمَ] (٢) أَجْمَعِينَ) (٣).

بيان حال الأمم قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الموصوف بصفات الجلال، [المنعوت] (٤) بنعوت (٥) الكمال، المنزه عما (٦) يضاد كماله، من سلب حقائق أسمائه وصفاته، المستلزم لوصفه بالنقائص وشبه المخلوقين فنفي حقائق أسمائه وصفاته متضمن للتعطيل والتشبيه، وإثبات حقائقها على وجه الكمال الذي لا يستحقه سواه، هو حقيقة التوحيد، والتنزيه، فالمعطل جاحد لكمال المعبود، والممثل

(١) وبه (أستعين): إضافة من ب.

(٢) (وسلم): إضافة من م.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) (المنعوت): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (ونعوت).

(٦) ب: (عن ما).

مشبه له بالعبيد، والموحد ميبين^(١) لحقائق أسمائه وكمال أوصافه وذلك قطب رحي التوحيد. فالمعطل يعبد عدماً، والممثل يعبد صنماً، والموحد يعبد رباً ليس كمثلته شيء، له الأسماء الحسنى والصفات العلى^(٢)، وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وحجته على عباده، فهو رحمته المهداة إلى العالمين، ونعمته التي أتمها على أتباعه من المؤمنين، أرسله على حين فترة من الرسل، ودروس من الكتب، وطموس [من السبل]^(٣)، وقد استوجب أهل الأرض أن ينزل بساحتهم العذاب، «وقد نظر الجبار جل جلاله إليهم فمقتهم^(٤)»، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب^(٥) وكانت الأمم إذ ذاك ما بين مشرك بالرحمن عابد للأوثان،

(١) م: (يدين).

(٢) م: (العليا).

(٣) (من السبل): إضافة من ب.

(٤) في ب كتب تحت هذه اللفظة «مبغضين» وقال في الهامش ونكاح المقت كان في الجاهلية وهو أن يتزوج الرجل بامرأة أبيه مختصر حكي (كذا) قلت وفي القرآن:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدَّ سَلَفٌ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

(٥) هذه العبارة جزء من حديث رواه مسلم، ولفظها في مسلم «... وأن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب...» الحديث.

انظر: صحيح مسلم ٢١٩٧/٤، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح ٢٨٦٥.

ورواه أحمد ١٦٢/٤، وكلاهما من طريق عياض بن حمار.

وعابد للنيران، وعابد للصليبان^(١)، أو عابد للشمس والقمر والنجوم، كافر بالله الحي القيوم، أوتائه في بيدا ضلالتة^(٢) حيران، قد استهواه الشيطان، وسد عليه طريق الهدى والإيمان، فالمعروف عنده ما وافق إرادته ورضاه، والمنكر ما خالف هواه، قد تخلى عنه الرحمن، وقارنه الخذلان، يسمع ويبصر بهواه، لا بمولاه، ويبطش ويمشي بنفسه، وشيطانه، لا بالله، فباب الهدى دونه مسدود، وهو عن الوصول إلى معرفة ربه واتباع مرضاته مسدود، فأهل الأرض بين تائه حيران، وعبد للدنيا^(٣) فهو عليها لهفان، ومنقاد للشيطان جاهل، أوجاحد، أو مشرك بالرحمن، فالأرض قد غشيتها ظلمة الكفر، والشرك، والجهل، والعناد، وقد استولى عليها أئمة^(٤) الكفر، وعساكر الفساد، وقد استند كل قوم إلى ظلمات آرائهم، وحكموا على الله بين عبادهم بمقالاتهم الباطلة، وأهوائهم، فسوق الباطل نافقة^(٥) لها القيام^(٦)، وسوق الحق كاسدة لا تقام، فالأرض قد صالت جيوش الباطل في أقطارها

(١) في ب، كتبت تحت هذه اللفظة: (جمع صليب).

(٢) ظ: (جلالته)، م: (جلالاته)، وقال في الهامش: (كذا في الأصل ولعله: في بيدا جهالاته).

(٣) ظ، م: (وعبد الدنيا).

(٤) م: (أمة).

(٥) نَفَقَ بمعنى: راج، يقال: نفق البيع نفاقاً أي راج وفي الحديث: «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة محقة للبركة». والمعنى أن سوق الباطل عامرة بترويج ما فيها من باطل. اللسان ٤٥٠٧/٦، مادة نفق.

(٦) ظ: (بالقيام).

ونواحيها، وظنت أن تلك الدولة تدوم لها، وأنه لا مطمع بجند الله وحزبه فيها، فبعث الله رسوله، وأهل الأرض أحوح إلى رسالته من غيث السماء، ومن نور الشمس، الذي يذهب عنهم حنادس^(١) الظلمات فحاجتهم إلى رسالته فوق جميع الحاجات، وضرورتهم إليها مقدمة على جميع الضرورات، فإنه لا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا لذة، ولا سرور، ولا أمان، ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها، وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها في ما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته، ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت^(٢) رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ومن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته، وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تنبني مطالب الرسالة جميعها، وإن الخوف والرجاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو^(٣)، المخوف، المحبوب، المطاع المعبود.

بيان أن أساس دعوة
الرسول معرفة الله
بأسمائه وصفاته
وأفعاله

(١) في ب، كتبت تحت هذه اللفظة: (الشديدة الظلمة). وهي كما قال، انظر: لسان العرب ٥٨/٦، مادة حندس، دار صادر. ومنه قول الشاعر:
ونظيري في العلم مثلي أعمى فكلانا في حندس نتصادم
وسياتي. انظر: ص ٣٤١.

(٢) ظ، م: (واقضت).

(٣) ب: (المرجى).

ولما كان مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الرب تعالى، قال أفضل الداعين إليه سبحانه لمعاذ بن جبل وقد أرسله إلى اليمن: إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، وذكر باقي الحديث^(١). وهو في الصحيحين^(٢)، وهذا اللفظ لمسلم.

فأساس دعوة الرسل «صلوات الله وسلامه عليهم» معرفة الله سبحانه بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ثم يتبع ذلك أصلاً عظيماً^(٣).

أحدهما: تعريف الطريق الموصلة إليه. وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه.

الثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم الذي لا ينفد، وقرّة العين التي لا تنقطع.

وهذان الأصلاً تابعان للأصل الأول، ومبنيان عليه، فأعرف الناس بالله: أتبعهم للطريق الموصول إليه، وأعرفهم

(١) قوله: (وذكر باقي الحديث) لعله من كلام الناسخ.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٣٤٧) من طريق ابن عباس، في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي «صلى الله عليه وسلم» أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ح ٧٣٧٢.

ورواه مسلم ٥١/١، في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين؛ وشرائع الإسلام، ح ٣٠، ٣١.

(٣) ب: (أصلين عظيمين).

بحال السالكين عند القدوم عليه، ولهذا سمي الله سبحانه ما أنزل على رسوله روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه، قال الله تبارك وتعالى:

﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥].

[٢/١]

في موضعين من كتابه^(١)، وقال / عز وجل^(٢):

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ آمَرْنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْنَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾

[الشورى: ٥٢].

فلا روح إلا فيما جاء به، ولا نور إلا في الاستضاءة به^(٣)، فهو الحياة، والنور، والعصمة والشفاء^(٤) والنجاة، والأمن، والله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالهدى، ودين الحق، فلا هدى إلا فيما جاء به ولا يقبل الله من أحد ديناً يدينه به إلا أن يكون موافقاً لدينه، وقد نزه سبحانه وتعالى نفسه عما يصفه به العباد إلا ما وصفه^(٥) به المرسلون^(٦) فقال:

(١) هذا أحدهما والآخر في قوله تعالى:

﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢].

(٢) ب: (تعالى).

(٣) ط، م: (إلا فيما استضاء به).

(٤) ط: (الشذا)، م: (الهدى).

(٥) ط، م: (ما وصف).

(٦) في م، ط: (المرسلين).

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾

[الصفات: ١٦٠].

قال غير واحد من السلف: هم الرسل. وقال: (الله سبحانه) (١) وتعالى:

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢].

فنزّه نفسه عما يصفه به الخلق، ثم سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من النقائص، والعيوب، ثم حمد نفسه على تفردّه بالأوصاف التي يستحقّ عليها كمال الحمد.

ومن ها هنا أخذ إمام أهل السنة، محمد بن إدريس الشافعي، قدس الله روحه (٢)، (ونور ضريحه) (٣) خطبة كتابه حيث قال: «الحمد لله الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه» (٤)، فأثبت في هذه الكلمة أن صفاته إنما تتلقى بالسمع، لا بآراء الخلق، وأن أوصافه فوق ما يصفه به الخلق، فتضمنت هذه الكلمة، إثبات صفات الكمال الذي أثبتته لنفسه (٥)، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل، وأن ما وصف به نفسه فهو الذي يوصف به،

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) ظ، م: (سره).

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) الرسالة، للإمام الشافعي، ص ٨، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ولفظه فيها:

«ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه» اهـ.

(٥) ظ: (لرؤيته)، م: (لرؤية).

لا ما وصفه [به] ^(١) الخلق، ثم قال: «والحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدى (شكر) ^(٢) ماضي نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها» ^(٣)، فأثبت في هذا القدر، أن ^(٤) فعل الشكر إنما هو بنعمته على الشاكر، وهذا يدل على أنه رحمه الله مثبت للصفات والقدر، وعلى ذلك درج بزل ^(٥) ^(٦) الإسلام، والرعيّل الأول، ثم فرق ^(٧) على أثرهم التابعون، وتبعهم على منهاجهم اللاحقون، يوصي بها الأول الآخر، ويقتدي فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك بنبيهم مقتدون، وعلى منهاجه سالكون.

(١) (به): إضافة من ب.

(٢) (شكر): ليست في الرسالة، انظر: الرسالة ص ٨.

(٣) الرسالة، للإمام الشافعي، ص ٧، ٨.

(٤) ظ: (وأن).

(٥) ب: (يزك).

(٦) بزل: بالباء المضمومة، والزاي المشددة المفتوحة.

قال في اللسان: «وجمع البازل بزل.. يقال: رجل بازل على التشبيه بالبعير. وربما قالوا ذلك يعنون به كماله في عقله وتجربته».

قال أبو جهل بن هشام:

ما تنكر الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني
أي أنا مستجمع الشباب، والقوة.

انظر: لسان العرب ٥٢/١١، مادة (بزل)، دار صادر، بيروت؛ ومعجم مقاييس اللغة ٢٤٤/١، ٢٤٥، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية.

(٧) كذا في الأصل وهي هنا بمعنى (مضى)، ولم أجد، فيما أطلعت عليه من المعاجم اللغوية فرق بمعنى مضى. ولعلها محرفة عن (قفى) أو كلمة نحوها.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

[يوسف: ١٠٨].

«فمن اتبعني» إن كان عطفاً على الضمير في «أدعو إلى الله»، فهو دليل أن أتباعه هم الدعوة إلى الله.

وإن كان عطفاً على الضمير المنفصل، فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون من عداهم.

والتحقيق أن العطف يتضمن المعنيين، فأتباعه هم أهل البصيرة. الذين يدعون إلى الله.

وقد شهد سبحانه لمن يرى أن ما جاء به من عند الله هو الحق لا آراء الرجال بالعلم، فقال تعالى:

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

وقال تعالى:

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾

[الرعد: ١٩].

فمن تعارض عنده حقائق ما جاء به وآراء الرجال فقدمها عليه، أو^(١) توقف فيه، أو قدحت في كمال معرفته،

(١) في ظ، م: (إذا).

وإيمانه (به)^(١)، لم يكن من الذين شهد الله لهم بالعلم، ولا يجوز أن يسمى بأنه من أهل العلم، فكيف يكون الداعي إلى الله على بصيرة الذي وصفه^(٢) الله بأنه سراج منير، وبأنه هاد إلى صراط مستقيم، وبأن من اتبع النور الذي أنزل معه فهو المفلح لا غيره، وأن من لم يحكمه في كل ما ينازع فيه المتنازعون^(٣) وينقاد لحكمه، ولا يكون عنده حرج منه، فليس بمؤمن (لأن الرسول - عنده)^(٤) قد أخبر الأمة عن الله، وأسمائه، وصفاته، بما الحق في خلاف ظاهره، والهدى في إخراجه عن حقائقه، وحمله على وحشي اللغات، ومستكرهات التأويل، وأن حقائقه ضلال وتشبيه، وإلحاد، والهدى والعلم في مجازه، وإخراجه عن حقائقه^(٥)، وإحالة^(٦) الأمة فيه على آراء المتحيرين، وعقول المتهوكين، فيقول: إذا أخبرتكم عن الله وصفاته العلى بشيء فلا تعتقدوا حقيقته، وخذوا معرفة^(٧) مرادي به من آراء الرجال، ومعقولها، فإن الهدى والعلم فيه.

والدين [إذا أحيل]^(٨) على تأويلات المتأولين، انتقضت

-
- (١) (به): سقط من م.
 - (٢) في م، ظ: (وصف).
 - (٣) ظ، م: (المنازعون).
 - (٤) ما بين القوسين سقط من ب.
 - (٥) في ظ، م: (حقائقها).
 - (٦) ظ، م: (أحال).
 - (٧) ظ، م: (بمعرفة).
 - (٨) (إذا أحيل): إضافة من ب.

عراه كلها، ولا تشاء طائفة من طوائف أهل الضلال أن تتأول النصوص على مذهبيها إلا وجدت السبيل إليه، وقالت لمن فتح لها باب التأويل إنا تأولنا كما تأولتم^(١)، والنصوص أخبرت بما تأولناه، كما أخبرت بما تأولتموه فما الذي جعلكم في تأويلكم مأجورين وجعلنا عليه مأزورين^(٢)، والذي قادكم إلى التأويل ما تقولون: إنه معقول - فمعنا نظيره أو أقوى منه أو دونه.

بيان أن النبي «صلى الله عليه وسلم» عرف الأمة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أتم تعريف.

وسياقي تمام هذا في بيان عجز المتأولين عن الفرق بين ما يسوغ تأويله وما لا يسوغ^(٣).

والمقصود: أن الله سبحانه قد أخبر أنه أكمل له ولأمته به دينهم، وأتم عليهم به نعمته، ومحال مع هذا أن يدع أهم ما خلق له الخلق، وأرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب ونصبت عليه القبلة، وأسست^(٤) عليه الملة - وهو باب الإيمان به ومعرفته ومعرفة أسمائه، وصفاته، وأفعاله - ملتبساً مشتبهاً حقه بباطله، لم يتكلم فيه بما هو الحق، بل تكلم بما ظاهره الباطل، والحق في إخراجهم عن ظاهره، وكيف يكون أفضل الرسل وأجل الكتب غير واف بتعريف ذلك على أتم / الوجوه، مبين له بأكمل البيان، موضح له غاية الإيضاح، مع شدة حاجة النفوس إلى معرفته، ومع

[٣/١]

(١) في م، ظ: (إنا تأولتها كما تأولتم).

(٢) ب: (مأزورين عليه).

(٣) انظر الفصل السادس ص ٢٢٠.

(٤) في ظ: (انتسبت عليه)، وفي م: (وانتسبت إليه).

كونه أفضل ما اكتسبته النفوس، وأجل ما حصلته القلوب، ومن أبين المحال أن يكون أفضل الرسل قد علم أمته آداب البول قبله، وبعده، ومعه، وآداب الوطء، وآداب الطعام، والشراب، ويترك أن يعلمهم ما يقولونه بألسنتهم وتعتقده قلوبهم في ربهم ومعبودهم، الذي معرفته غاية المعارف، والوصول إليه أجل المطالب، وعبادته وحده لا شريك له أقرب الوسائل، ويخبرهم فيه بما ظاهره باطل وإلحاد، ويحيلهم في فهم ما أخبرهم به على مستكرهات التأويلات، ومستنكرات المجازات، ثم يحيلهم في معرفة الحق على ما تحكم به عقولهم، وتوجه آرائهم.

هذا وهو القائل: «تركتكم^(١) على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(٢)، وهو القائل: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على

(١) في م، ظ: (تركتهم).

(٢) رواه ابن ماجة ٤/١ بنحوه من طريق أبي الدرداء في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ح ٥؛ ورواه أيضاً من طريق العرياض بن سارية ٦/١ بهذا اللفظ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ح ٤٢. ورواه الحاكم في المستدرک ٩٦/١، وقال: وقد تابع عبدالرحمن بن عمرو على روايته عن العرياض بن سارية ثلاثة من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام منهم حجر بن حجر الكلاعي. وسكت عنه الذهبي.

ورواه أحمد في المسند ١٢٦/٤.

وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٨٨/١: «رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بإسناد حسن».

وقال الألباني: حديث صحيح - السنة لابن أبي عاصم، ص ٢٧.

خير ما يعلمه لهم، وبنهاهم عن شر ما يعلمه لهم»^(١)، وقال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً»^(٢).

وقال عمر بن الخطاب: «قام فينا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه». ذكره البخاري^(٣).

وصلى بهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» صلاة الظهر ثم خطبهم حتى حضرت العصر فصلى العصر، ثم خطب بهم حتى غربت الشمس فلم يدع شيئاً كان ولا يكون

(١) رواه مسلم ١٤٧٣/٣ بنحوه من طريق عبدالله بن عمرو بن العاص في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ح ٤٦.

ورواه النسائي ١٥٣/٧ بنحوه في كتاب البيعة، باب ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه.

ورواه ابن ماجه ١٣٠٦/٢ بنحوه في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، ح ٣٩٥٦.

(٢) رواه أحمد في المسند ١٥٣/٥ بلفظ: «لقد تركنا محمد «صلى الله عليه وسلم» وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً».

ورواه في موضع آخر ١٦٢/٥ بلفظ: «لقد تركنا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكرنا منه علماً».

قال الساعاتي في الفتح الرباني ١٥٣/١: «لم أقف عليه في غير هذا الكتاب وفي سنده أشياخ من التميم لم يسموا».

(٣) فتح الباري ٢٨٦/٦، ٢٨٧ من طريق طارق بن شهاب - في كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، ح ٣١٩٢.

من خلق آدم إلى قيام الساعة حتى أخبرهم به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه»^(١).

فكيف يتوهم من الله ولرسوله ودينه في قلبه وقار أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قد أمسك عن بيان هذا الأمر العظيم، ولم يتكلم فيه بالصواب، بل تكلم بما ظاهره خلاف الصواب؟ بل لا يتم الإيمان إلاّ باعتقاد أن بيان ذلك قد وقع من الرسول على أتم الوجوه، وأوضحه غاية الإيضاح، ولم يدع بعده لقائل مقالاً، ولا لمتأول تأويلاً، ثم من المحال أن يكون خير الأمة، وأفضلها، وأعلمها، وأسبقها إلى كل فضل، وهدى، ومعرفة، قصروا في هذا الباب فجفوا عنه، أو تجاوزوا فغلوا فيه، وإنما ابتلي من خرج عن منهاجهم بهذين الداءين، وهدوا لأحد الانحرافين، وبزل^(٢) الإسلام، وعصابة الإيمان، وحماة الدين هم الذين كانوا في هذا الباب قائلين بالحق معتقدين له، داعين إليه،

(١) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٤٢٨/٦) من طريق أبي سعيد الخدري في أبواب الفتن - باب ما أخبر النبي «صلى الله عليه وسلم» أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، ح ٢٢٨٦، وليس فيه صلاة الظهر. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وفي سننه علي بن زيد بن جدعان وهو صدوق عند الترمذي ضعيف عند غيره.

وروى مسلم نحوه (٢٢١٧/٤) عن طريق حذيفة - في كتاب الفتن وأشراف الساعة - باب إخبار النبي «صلى الله عليه وسلم» فيما يكون إلى قيام الساعة، ح ٢٣. ورواه الحاكم (٤٨٧/٤) من طريق أبي زيد الأنصاري، ومن طريق حذيفة رضي الله عنهما في كتاب الفتن والملاحم. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي.

(٢) ظ، م، ب: (يزك)، انظر معناها ص ١٥٤.

فإن قيل: القوم كانوا عن هذا الباب معرضين وبالزهد والعبادة والجهاد^(١) مشغولين، لم يكن هذا الباب من همهم^(٢)، ولا عنايتهم به. قيل هذا من أبين المحال وأبطل الباطل، بل كانت عنايتهم بهذا الباب فوق كل عناية، واهتمامهم به فوق كل اهتمام، وذلك بحسب حياة قلوبهم، ومحبتهم لمعبودهم، ومنافستهم في القرب منه، فمن^(٣) في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه، وإرادة لوجهه، وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب، وحرصه على معرفته، وازدياده من التبصر فيه وسؤاله، واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، وأجلّ غاياته، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه، فكيف يمكن - مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات - أن^(٤) يتخلف عنه أثره في خيار الأمة، وسادات أهل العلم، والإيمان، الذين همهم أشرف الهمم، ومطالبهم أجلّ المطالب، ونفوسهم أزكى النفوس، فكيف يظن بهم الإعراض عن مثل هذا الأمر العظيم أو الغفلة عنه، أو التكلم بخلاف الصواب فيه واعتقاد الباطل؟

ومن المحال أن يكون تلاميذ المعتزلة، وورثة

الرد على من زعم أن الخلف أعلم من السلف في باب الإيمان بالله وتوحيده.

(١) م: (وبالجهاد).

(٢) ب: (همهم).

(٣) ظ، م: (لمن).

(٤) (أن): مكررة في ظ.

الصائبين^(١) وأفراخ اليونان، الذين شهدوا على أنفسهم بالحيرة، والشك، وعدم العلم الذي يطمئن إليه القلب، وأشهدوا الله وملائكته عليهم (به)^(٢) وشهد به عليهم الأشهاد من أتباع الرسل، أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأعرف به ممن شهد الله ورسوله لهم بالعلم والإيمان وفضلهم على من سبقهم ومن يجيء بعدهم إلى يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين، وهل يقول هذا إلا غبي جاهل لم يقدر قدر السلف، ولا عرف الله ورسوله، وما جاء به.

قال شيخنا^(٣): وإنما أتى^(٤) هؤلاء المبتدعة^(٥) الذين

(١) الصابىء: هو التارك لدينه الذي شرع له إلى دين غيره؛ ولهذا كان المشركون يسمون النبي «صلى الله عليه وسلم» وصحابته الكرام بهذا الاسم لأنهم خالفوا دين الآباء والأجداد، والصائبون سموا بذلك؛ لأنهم فارقوا دين التوحيد وعبدوا النجوم وعظموها، ولما بعث إبراهيم كان الناس على دين الصابئة.

وهم يقولون: إن مدبر العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم، وهم أقدم من عباد الأصنام؛ لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها، ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من أن يصوروا الكواكب صوراً، فصنعوا أصناماً واشتغلوا بعبادتها فظهرت من هنا عبادة الأصنام.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٤٣.

الملل والنحل، للشهرستاني ٩٥/٢.

البرهان في عقائد أهل الأديان، ص ٥٩.

(٢) (به): سقط من ب.

(٣) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. انظر مجموع الفتاوى ٩/٥ - ١١.

(٤) ظ، م: (والحال في هؤلاء)، وفي المجموع: (فإن هؤلاء).

(٥) في المجموع: (المبتدعين).

فَضَّلُوا^(١) طريقة الخلف^(٢) على طريقة السلف^(٣) (من حيث ظنوا أن طريقة السلف)^(٤) هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه^(٥)، (ولا فهم لمراد الله ورسوله منها، واعتقدوا أنهم)^(٦) بمنزلة الأमीين الذين قال الله فيهم:

﴿وَمِنْهُمْ أَتْمُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكَيْدَ إِلَّا آمَانِي﴾

[البقرة: ٧٨].

وأن طريقة المتأخرين^(٧) هي: استخراج معاني النصوص وصرفها^(٨) عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات (ومستنكر التأويلات)^(٩)، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة، التي مضمونها نبذ الكتاب^(١٠) (والسنة وأقوال الصحابة والتابعين)^(١١) وراء ظهورهم^(١٢)(١٣) فجمعوا [٤/١]

-
- (١) في المجموع: (يُفَضَّلُونَ).
 - (٢) في المجموع زيادة: (من المفلسفة ومن حذا حذوهم).
 - (٣) في المجموع زيادة: (إنما أتوا).
 - (٤) ما بين القوسين مكرر في ب.
 - (٥) في المجموع زيادة: (لذلك).
 - (٦) ما بين القوسين ليس في المجموع.
 - (٧) في المجموع: (الخلف).
 - (٨) في المجموع: (المصروفة).
 - (٩) ما بين القوسين ليس في المجموع.
 - (١٠) في المجموع: (الإسلام).
 - (١١) ما بين القوسين ليس في المجموع.
 - (١٢) في المجموع: (الظهر).
 - (١٣) في المجموع زيادة: (وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف).

بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك، اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص^(١)، فلما اعتقدوا (التعطيل)^(٢) وانتفاء الصفات في نفس الأمر، ورأوا أنه^(٣) لا بد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ، وتفويض المعنى، وهذا الذي هو^(٤) طريقة السلف (عندهم)^(٥)، وبين صرف اللفظ^(٦) (عن حقيقته وما وضع له إلى ما لم يوضع له، ولا دل عليه بأنواع من المجازات والتكلفات)^(٧) التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان والهدى، كما سيأتي بيانه مفصلاً إن شاء الله^(٨).

وصار^(٩) هذا الباطل مركباً من فساد العقل والجهل^(١٠) بالسمع (فلا سمع ولا عقل)^(١١)، فإنَّ النفي،

-
- (١) في المجموع زيادة: (بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين).
 - (٢) (التعطيل): ليس في المجموع.
 - (٣) في المجموع: (وكان مع ذلك لا بد).
 - (٤) في المجموع: (وهي التي يسمونها).
 - (٥) (عندهم): ليس في المجموع.
 - (٦) في المجموع: (إلى معان بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف).
 - (٧) ظ، م: (وبالتكليفات).
 - (٨) ما بين القوسين ليس في المجموع.
 - (٩) في المجموع: (فصار).
 - (١٠) في المجموع: (والكفر بالسمع).
 - (١١) (فلا سمع ولا عقل) ليس في المجموع.

(والتعطيل)^(١) إنما اعتمدوا فيه^(٢) على (شبهات فاسدة ظنوها معقولات صحيحة فحرفوا لها النصوص السمعية عن مواضعها)^(٣)، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين^(٤) الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين^(٥) (الذين هم أعلم الأمة بالله وصفاته)^(٦)، واعتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين البله^(٧) (الذين)^(٨) لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم^(٩) يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف (هم)^(١٠) الفضلاء (العلماء الذين)^(١١) حازوا قصب السبق^(١٢) (واستولوا على الغاية وظفروا من الغنيمة بما فات السابقين الأولين.

فكيف يتوهم من له أدنى مسكة^(١٣) من عقل وإيمان أن

-
- (١) (والتعطيل) ليس في المجموع.
(٢) ب: (عليه).
(٣) ما بين القوسين ليس في المجموع بهذا اللفظ وفيه: (على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه).
(٤) في المجموع زيادة: (الكفريتين).
(٥) في المجموع زيادة: (الأولين واستبلاهم).
(٦) ما بين القوسين ليس في المجموع.
(٧) في المجموع: (من العامة).
(٨) (الذين) ليس في المجموع.
(٩) ظ، م: (ولا).
(١٠) (هم): ليس في المجموع.
(١١) (العلماء الذين): ليس في المجموع.
(١٢) في المجموع زيادة: (في هذا كله).
(١٣) مسكة: المسكة: البقية، يقال: ما بفلان مسكة من خير بالضم، أي بقية. لسان العرب ٤/٦، ٤٢٠٤، مادة مسك.

هؤلاء المتحيرين)^(١) الذين كثر في باب العلم بالله^(٢) اضطرابهم، وغلظ عن معرفة^(٣) الله حجابهم وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه^(٤) (من مرامهم وأنه الشك والحيرة)^(٥)، حيث يقول: لعمرى.

لَقَدْ طُفْتُ [فِي تِلْكَ] ^(٦) الْمَعَاهِدِ كُلِّهَا

وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ

عَلَى دَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ ^(٧)

(١) ما بين القوسين ليس في المجموع.

(٢) في المجموع: (في باب الدين).

(٣) ب: (عن معرفته الله).

(٤) في المجموع: (أمرهم).

(٥) ما بين القوسين ليس في المجموع.

(٦) في جميع النسخ: «لعمرى لقد طفت المعاهد كلها...» وما أثبتته من نهاية الإقدام، ص ٣.

(٧) هذان البيتان ذكرهما عبدالكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه نهاية الإقدام في علم

الكلام، ص ٣، حرره وصححه ألفرد جيوم. ولم يذكر لِن. وقال غيره: هما لأبي بكر

محمد بن باجة المعروف بابن الصائغ الأندلسي كما في وفيات الأعيان ٤/٢٧٤. وقد

ذكر في كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لطاشكبري زاده ١/٣٢٤، مراجعة

كمال بكري وعبدالوهاب أبو النور، طبعة دار الكتب الحديثة (بدون تاريخ)، وقد نسبا

لأبي علي ابن سينا. وذكر طاشكبري زاده أنه وجد ذلك في بعض المجاميع وعقب على

ذلك بقوله والله أعلم. وقد رد عليهما الإمام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعائي

— رضي الله عنه — فقال:

لَعَلَّكَ أَهْمَلْتَ الطَّوْفَ بِمَعْهَدِ الرَّسُولِ وَمَنْ وَالَاهِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ

فَمَا حَارَ مِنْ يُهْدِي بِهَيْدِي مُحَمَّدٍ وَلَسْتَ تَرَاهُ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ

(ديوان الصنعائي، ص ٣٤٥).

ويقول الآخر:

نِهَآةً إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ
وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا
وَعَايَةُ دُنْيَانَا أَدَىٰ وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا
سُوَىٰ أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالَ^(١)

وقال الآخر^(٢):

«لقد خضت البحرَ الحِضْمَ، وتركت أهل الإسلام
وعلومهم، وخضت في الذي نهوني^(٣) عنه. والآن (إن)^(٤)»

(١) هذه الأبيات لفخر الدين الرازي ذكرها في كتابه «أقسام اللذات».

انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٥٩، ١٦٠.

وشرح الطحاوية، ص ٢٢٧، الطبعة الرابعة، بتخريج الشيخ ناصر الدين الألباني.
والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/٥٤.

وطبقات الشافعية لابن السبكي ٨/٩٦، الطبعة الأولى، بتحقيق عبدالفتاح الحلوي.
وقال: الدكتور الأستاذ محمد رشاد عن كتاب أقسام اللذات: «وهذا الكتاب مخطوط
باهند ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي» حاشية درء تعارض العقل والنقل
١/١٦٠.

(٢) القائل هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني أبو المعالي إمام الحرمين وستأتي ترجمته
، وهذا القول ذكره ابن السبكي في ترجمته في كتاب طبقات الشافعية ٥/١٨٥ بعبارات
مقاربة.

وانظر: شرح الطحاوية، ص ٢٢٨.

(٣) ظ، م: (نهوا).

(٤) لفظ (إن): سقط من ب.

لم يتداركني ربي برحمته فالويل لي^(١). وها أنا ذا^(٢) أموت على عقيدة أُمي».

وقال آخر: «أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام»^(٣).

وقال آخر^(٤) منهم عند موته: أشهدوا عليّ أني أموت وما عرفت شيئاً إلا أن الممكن يفتقر إلى واجب ثم قال: «والافتقار أمر عدمي فلم أعرف شيئاً».

وقال آخر، وقد نزلت به نازلة من سلطانه فاستغاث برب الفلاسفة فلم يغث، قال: ثم استغث برب الجهمية فلم يغثني، ثم استغث برب القدرية فلم يغثني، ثم استغث برب المعتزلة فلم يغثني. قال: فاستغث برب العامة فأغاثني».

(١) وفي المجموع: (الويل لفلان).

(٢) ظ، م: (ومانذا)، وفي المجموع: (وها أنا)، وفي حاشية م: (كذا في الأصل ولعله وها أنا ذا).

(٣) انتهى كلام شيخ الإسلام. انظر: مجموع الفتاوي ١١/٥.

(٤) القائل هو: الخونجي محمد بن نامور بن عبدالمك الشافعي المتوفى سنة ٦٤٩، صاحب كتاب «كشف الأسرار عن غوامض الأفكار»، وستأتي ترجمته، ص ٨٤٠. انظر: شرح الطحاوية، ص ٢٢٨.

جهد القريحة في تجريد النصيحة. المطبوع مع كتاب صون المنطق والكلام عن علم المنطق والكلام للسيوطي، ص ٢٢٨.

درء تعارض العقل والنقل ١/١٦٢، ٣/٢٦٢.

قال [شيخنا]^(١)^(٢): وكيف يكون هؤلاء المحجوبون^(٣) المنقوصون^(٤) الحيارى^(٥) المتهوكون أعلم بالله، وصفاته، وأسمائه^(٦)^(٧) وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان^(٨)، ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، ومصايح الدجى، وأعلام الهدى^(٩) الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به^(١٠) على سائر أتباع الأنبياء^(١١) وأحاطوا من حقائق المعارف^(١٢) بما لو جمعت حكمة من عداهم^(١٣) (وعلومهم)^(١٤) إليه^(١٥)

-
- (١) (شيخنا): إضافة من ب.
 - (٢) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٥.
 - (٣) في المجموع زيادة: (المفضلون).
 - (٤) في المجموع زيادة: (المسبوقون).
 - (٥) ب: (الجبارين).
 - (٦) في المجموع: (وأسمائه وصفاته).
 - (٧) في المجموع زيادة: (وأحكم في باب ذاته).
 - (٨) في المجموع زيادة: (من).
 - (٩) في المجموع: (وأعلام الهدى ومصايح الدجى).
 - (١٠) (به): مكرر في ب.
 - (١١) في المجموع زيادة: (فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم).
 - (١٢) في المجموع زيادة: (وبواطن الحقائق).
 - (١٣) في المجموع: (عدهم).
 - (١٤) (وعلومهم): ليست في المجموع.
 - (١٥) في المجموع: (إليها).

لاستحي^(١) من يطلب المقابلة. ثم^(٢) كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركون، وضلال^(٣) الصابئين، وأشباههم، وأشكالهم^(٤)، أعلم بالله من ورثة الأنبياء^(٥)، وأهل القرآن، والإيمان^(٦)؟ اهـ.

«فصل»

التأويل
فهذه مقدمة بين يدي جواب السؤال المذكور^(٧)، وإنما تتبين حقيقة الجواب بفصول:

فهرس مجمل لمباحث
التأويل
الفصل الأول^(٨): [في]^(٩) معرفة حقيقة التأويل ومسامه لغة واصطلاحاً.

*الفصل^(١٠) الثاني: في انقسام التأويل إلى صحيح وباطل.

الفصل الثالث: أن التأويل إخبار عن مراد المتكلم لا إنشاء.

-
- (١) في المجموع: (لاستحيا).
 - (٢) في المجموع: (أم كيف).
 - (٣) في المجموع زيادة: (اليهود والنصارى).
 - (٤) في المجموع: (وأشكالهم - وأشباههم).
 - (٥) م: (ورثة الأنبياء أهل القرآن).
 - (٦) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: مجموع الفتاوي ١١/٥، ١٢.
 - (٧) لعله المذكور في قول شيخ الإسلام ابن تيمية السابق «وكيف يكون أفراخ الفلاسفة...؟» أعلم بالله من ورثة الأنبياء.
 - (٨) ظ، م: (أحدها).
 - (٩) (في): إضافة من ب.
 - (١٠) ما بين النجمتين [* — *] من ١٧٠ حتى ١٧٤: إضافة من ب.

الفصل الرابع: في الفرق بين تأويل الخبر وتأويل
الطلب.

الفصل الخامس: في الفرق بين تأويل التحريف وتأويل
التفسير وأن الأول يمتنع وقوعه في الخبر والطلب والثاني يقع
فيهما.

الفصل السادس: في تعجيز المتأولين عن تحقيق الفرق
بين ما يسوغ تأويله من آيات الصفات وأحاديثها
وما لا يسوغ.

الفصل السابع: في إلزامهم في المعنى الذي جعلوه
تأويلاً نظير ما فروا منه.

الفصل الثامن: في بيان خطئهم في فهمهم من
النصوص، المعاني الباطلة التي تأولوها لأجلها فجمعوا بين
التشبيه والتعطيل.

الفصل التاسع: في الوظائف الواجبة على المتأول التي
لا يقبل منه تأويله إلا بها.

الفصل العاشر: في أن التأويل شر من التعطيل، فإنه
يتضمن التشبيه، والتعطيل، والتلاعب بالنصوص.

الفصل الحادي عشر: في أن قصد المتكلم من المخاطب
حمل كلامه على خلاف ظاهره وحقيقته ينافي قصد البيان
والإرشاد^(١).

(١) ب: (والاعتقاد) والصواب ما أثبت. انظر: الفصل الحادي عشر، ص ٣١٠.

الفصل الثاني عشر: في بيان أنه مع كمال علم المتكلم وفصاحته وبيانه ونصحه يمتنع عليه أن يريد بكلامه خلاف ظاهره وحقيقته وعدم البيان في أهم الأمور وما تشتد الحاجة إلى بيانه.

الفصل الثالث عشر: في بيان أن تيسير القرآن للذكر ينافي حملة على التأويل المخالف لحقيقته وظاهره.

الفصل الرابع عشر: في أن التأويل يعود على المقصود من وضع اللغات بالإبطال.

الفصل الخامس عشر: في جنائيات التأويل على أديان الرسل، وأن خراب العالم وفساد الدنيا والدين بسبب فتح باب التأويل.

الفصل السادس عشر: في بيان ما يقبل التأويل من الكلام، وما لا يقبله.

الفصل السابع عشر: في أن التأويل يفسد العلوم كلها إن سلط عليها، ويرفع الثقة بالكلام إن سلط عليه^(١)، ولا يمكن أمة من الأمم أن تعيش^(٢) عليه.

الفصل الثامن عشر: في انقسام الناس في نصوص الوحي إلى أصحاب تأويل وأصحاب تحييل، وأصحاب تمثيل، وأصحاب تجهيل، وأصحاب سواء السبيل.

(١) في ب: (عليها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) (تعيش عليه) كذا في الأصل والأقرب للصواب أن تكون العبارة هكذا «ولا يمكن لأمة من الأمم أن تعيش»، وستأتي ص ٣٩٨، ٣٩٩.

الفصل التاسع عشر: في الأسباب التي تسهل على النفوس الجاهلة قبول التأويل مع مخالفته [للبيان]^(١) الذي علمه الله الإنسان وفطره على قبوله.

الفصل العشرون: في بيان أن أهل التأويل لا يمكنهم إقامة الدليل السمعي على مبطل أبداً.

الفصل الحادي والعشرون: في الأسباب الجالبة للتأويل.

الفصل الثاني والعشرون: في أنواع الاختلاف الناشئة عن التأويل وانقسام الاختلاف إلى محمود ومذموم.

الفصل الثالث والعشرون: في أسباب الخلاف الواقع بين الأئمة بعد اتفاقهم على أصل واحد وتحاكمهم إليه وهو كتاب الله وسنة رسوله.

الفصل الرابع والعشرون: في ذكر الطواغيت الأربع التي هدم بها أصحاب التأويل الباطل معاقل الدين وانتهكوا بها حرمة القرآن ومحوها بها رسوم الإيمان وهي:

قولهم إن كلام الله وكلام رسوله أدلة لفظية لا تفيد علماً الأول ولا يحصل منها يقين.

وقولهم إن آيات الصفات، وأحاديث الصفات، الثاني مجازات لا حقيقة لها.

(١) ما بين القوسين سقط من ب وقد أضفتها من الفصل التاسع عشر، ص ٤٣٥.

الثالث

وقولهم إن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصحيحة لا تفيد العلم وغايتها أن تفيد الظن.

الرابع

وقولهم إذا تعارض العقل ونصوص الوحي أخذنا
بالعقل ولم نلتفت إلى الوحي (*) [١].

والله المسؤول أن يرينا الحق حقاً ويوفقنا لاتباعه، ويرينا
الباطل باطلاً ويعيننا على اجتنابه، وأن لا يجعلنا ممن يتقدم
بين يديه، ويدي رسوله، ولا ممن يقدم آراء الرجال
وما نحته أفكارها على نصوص الوحي، وهو المسؤول أن
يوفقنا لما طلبناه وأن يجعله خالصاً لوجهه مدنياً من رضاه إنه
خير مسؤول وأكرم مأمول وبه المستعان وعليه التكلان
ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) ما بين النجمتين [* — *]: إضافة من ب.

الفصل الأول في معرفة حقيقة التأويل ومسمّاه لغة واصطلاحاً

التأويل: تفعيل من آل يؤول إلى كذا إذا صار إليه
فالتأويل: التصيير، وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه قال (١)
وتأول، وهو مطاوع أولته (٢).

وقال الجوهري: التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء،
وقد أولته وتأولته تأولاً (٣) بمعنى. قال الأعشى:

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأْوُلُ حُبَّهَا
تَأْوُلُ رِبْعِي السَّقَابِ فَأَصْحَابًا (٤)

(١) ظ، م: (قال).

(٢) ظ، م: (أوليته).

(٣) في جميع النسخ: (تأويلاً وتأولته) وما أثبتته من الصحاح للجوهري.

(٤) هذا البيت لميمون بن قيس المعروف بالأعشى، من قصيدة يهجو فيها عمر بن المنذر بن عبدان ويعاتب بني سعد بن قيس وفيها يقول:

كفى بالذي تولينه لو تجنبا	شفاء لسقم بعد ما عاد أشيبا
على أنها كانت تَأْوُلُ حُبَّهَا	تأول ربعي السقاب فأصحابا
فتمّ على معشوقة لا يزيدھا	إليه بلاء الشوق إلا تحببھا
الربيعي: ولد الناقة في أول الإنتاج.	

السقاب: جمع سقب وهو ولد الناقة ساعة يولد.

قال أبو عبيدة: يعني تفسير حبها، ومرجعه (١) أي أنه كان صغيراً في قلبه فلم يزل ينبت حتى (٢) صار قديماً كهذا / السقب (٣) الصغير، لم يزل يشب حتى صار كبيراً مثل أمه وصار له ابن يصحبه - انتهى كلامه (٤)، ثم تسمى العاقبة تأويلاً؛ لأن الأمر يصير إليها، ومنه قوله تعالى:

﴿فَإِن نَّزَعْنَمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وتسمى حقيقة الشيء المخبر به تأويلاً؛ لأن الأمر ينتهي إليها ومنه قوله:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُمْ مِّن قَبْلُ قَد جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

فمجيء تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد وتفصيله والجنة والنار. ويسمى (٥) تعبير الرؤيا تأويلاً بالاعتبارين، فإنه تفسير لها وهو عاقبتها وما تؤول إليه. وقال يوسف لأبيه:

﴿يَكْتُبْتُ هَذَا تَأْوِيلَ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

= فأصحابا: أصحاب الرجل إذا بلغ ابنه فصار مثله وصار كالصاحب له.

ديوان الأعشى، ص ١٤٨، ١٤٩، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين.

(١) عبارة الصحاح: (يعني تأول حبها أي تفسيره ومرجعه).

(٢) عبارة الصحاح: (حتى أصبح فصار قديماً).

(٣) في ظ: (الشهب).

(٤) الصحاح، للجوهري ١٦٢٧/٤، بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين،

الطبعة الثانية، بيروت ١٣٩٩.

(٥) ظ، م: (وسمى).

أي حقيقتها ومصيرها إلى ها هنا انتهت. وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلاً؛ لأنها بيان لمقصود الفاعل وغرضه من الفعل الذي لم يعرف الرائي له غرضه به، ومنه قول الخضر لموسى عليهما السلام بعد أن ذكر له الحكمة المقصودة بما فعله من تحريق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار بلا عوض:

﴿سَأْنِيْتُكَ بِنَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨].

فلما أخبره بالعلة الغائية التي (١) انتهى إليها فعله قال:

﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ (٢) عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

التأويل في الاصطلاح

فالتأويل في كتاب الله سبحانه وتعالى المراد به حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج، فإن الكلام نوعان: خبر وطلب. فتأويل الخبر هو الحقيقة، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به. وتأويل ما أخبر الله به من صفاته وأفعاله، نفس ما هو عليه سبحانه وما هو موصوف به من الصفات العلى (٣). وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور بها. قالت عائشة كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك يتأول القرآن» (٤)

(١) ظ، م: (الذي). (٢) ظ، م: (تستطع)، وهو خطأ.

(٣) م: (العليا).

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٢/٢٩٩)، من طريق مسروق عن عائشة في كتاب الأذان،

باب التسبيح والدعاء في السجود، ح ٨١٧.

ورواه مسلم ١/٣٥٠، في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ح ٢١٧.

التأويل عند أهل
التفسير

فهذا التأويل هو نفس فعل المأمور (به)^(١). فهذا التأويل في كلام الله ورسوله. وأما التأويل في اصطلاح أهل التفسير، والسلف من أهل الفقه والحديث، فمرادهم به معنى التفسير والبيان ومنه قول ابن جرير وغيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا، وكذا، يريد تفسيره. ومنه قول الإمام أحمد في كتابه في الرد على الجهمية: «فيما تأولته»^(٢) من القرآن على غير تأويله»^(٣) فأبطل تلك التأويلات التي ذكروها، وهي تفسيرها المراد بها، وهو تأويلها عنده، فهذا التأويل يرجع إلى فهم المعنى^(٤) وتحصيله^(٥) في الذهن، والأول يعود إلى وقوع حقيقته في الخارج.

التأويل عند
المتكلمين

وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره، [وحقيقته، إلى مجازه، وما يخالف ظاهره]^(٦)، وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول، والفقه. ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل، والتأويل يحتاج إلى دليل.

وهذا التأويل هو الذي صنّف في تسويغه وإبطاله من

(١) لفظ (به): سقط من ب.

(٢) ظ، م: (تأويله).

(٣) انظر: الرد على الجهمية، للإمام أحمد بن حنبل، ص ١٠٤، تحقيق الدكتور عبدالرحمن راتب عميرة.

(٤) ظ، م: (المؤمن).

(٥) ظ، م: (ويحصل).

(٦) ما بين المعقوفتين إضافة من ب.

الجانبيين. فصنف جماعة في تأويل آيات^(١) الصفات وأخبارها
كأبي بكر بن فورك^(٢) وابن مهدي الطبري^(٣) وغيرهما
وعارضهم آخرون فصنفوا في إبطال تلك التأويلات^(٤)
كالقاضي أبي يعلى^(٥)، والشيخ موفق الدين بن

(١) ب: (إثبات).

(٢) هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر، الشافعي له مصنفات
كثيرة منها كتاب: «تأويل مشكل الحديث»، ولعل هذا الكتاب هو الذي أشار إليه
ابن القيم هنا. وهذا الكتاب له عناوين مختلفة، ذكر فؤاد سزكين أربعة عشر عنواناً، وله
نسخ متعددة موزعة في مكتبات العالم، منها نسخة في مكتبة تشستريتي ٣٩٢٢ -
٩٣ ورقة وقد طبع الكتاب بحيدرآباد ١٩٤٣م. وقد توفي ابن فورك سنة ٤٠٦.

طبقات الشافعية ٤/١٢٧ - ١٣٥.

وفيات الأعيان ٣/٤٠٢.

تبيين كذب المفتري، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

تاريخ التراث ١/٤/٥١ - ٥٤.

الأعلام ٦/٨٣.

(٣) هو علي بن محمد بن مهدي الطبري، (أبو الحسن) الأشعري، من تلاميذ أبي الحسن
الأشعري، كان من المبرزين في علم الكلام. من مؤلفاته «تأويل الأحاديث المشكلات
الواردة في الصفات»؛ وكتاب «تأويل الآيات المشكلة الموضحة وبيانها بالحجة
والبرهان»، وللأخير نسخة في طلعت بالقاهرة مجموع (٤٩١) من ١٠٨ أ - ١٦٢ ب في
القرن الثاني عشر الهجري، توفي ابن مهدي في حدود ٣٨٠.

طبقات الشافعية ٣/٤٦٦، ٤٦٧؛ تبيين كذب المفتري، ص ١٩٥، ١٩٦؛ تاريخ

التراث العربي ١/٤/٤٥؛ معجم المؤلفين ٧/٢٣٤.

(٤) ظ، م: (ذلك التأويل).

(٥) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء القاضي، أبو يعلى البغدادي الحنبلي،
ولد سنة ٣٨٣، له ردود على الأشعرية والكرامية والسالية والمجسمة وابن اللبان، ومن
مؤلفاته كتاب «ذم التأويل» ويسمى «إبطال التأويل»، ذكره «ابن تيمية»، في درء
تعارض العقل والنقل ١/١٦، ٢٣٧/٥؛ وذكره بروكلمان في الملحق ٣/٥٠٣ ولم يذكر =

قدامة^(١) وهو الذي حكى [عن]^(٢) غير واحد إجماع السلف
على عدم القول به . كما ستأتي حكاية ألفاظهم إن شاء الله .
فصل ، وعلى هذا ينبنى الكلام (في)^(٣) .

= أنه موجود، توفي أبويعلى سنة ٤٥٨ .
طبقات الحنابلة ١٩٣/٢ - ٢٣٠ ؛ شذرات الذهب ٣/٣٠٦ ، ٣٠٧ ؛ الوافي بالوفيات
٧/٣ ؛ بروكلمان ٣/٥٠٣ ؛ الأعلام ٦/٩٩ ، ١٠٠ .

(١) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة، موفق الدين المقدسي الحنبلي ولد سنة ٥٣١ من
أئمة الحنابلة، من مؤلفاته «المغني»، وله كتاب في التأويل اسمه «ذم التأويل»، والكتاب
مطبوع، توفي ابن قدامة سنة ٦٢٠ ؛ البداية والنهاية ١٣/٩٩ ؛ مختصر طبقات الحنابلة،
ص ٤٥ ؛ الوافي بالوفيات ١/٢٠٣ ، ٢٠٤ ؛ شذرات الذهب ٥/٨٨ ؛ الأعلام ٤/٦٧ .

(٢) (عن): إضافة من ب .

(٣) (في): سقط من ب .

الفصل الثاني وهو انقسام التأويل إلى صحيح وباطل

فالتأويل^(١) الصحيح هو القسمان الأولان، وهما: التأويل الصحيح حقيقة المعنى وما يؤول إليه في الخارج، أو تفسيره وبيان معناه. وهذا التأويل يعم المحكم والمتشابه والأمر والخبر.

قال جابر بن عبد الله في حديث حجة الوداع: «ورسول الله «صلى الله عليه وسلم» بين أظهرنا، ينزل عليه القرآن، وهو يعلم تأويله فما عمل به من شيء عملنا به»^(٢) فعلمه «صلوات الله وسلامه عليه» بتأويله هو علمه بتفسيره وما يدل عليه، وعمله^(٣) به هو تأويل ما أمر به ونهى عنه.

(١) ظ، م: (فتأويل).

(٢) رواه مسلم (٨٨٧/٢) من طريق جابر بن عبد الله في كتاب الحج، باب حجة النبي «صلى الله عليه وسلم»، ح ١٤٧.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٣٦٤/٥)، في كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي «صلى الله عليه وسلم»، ح ١٨٨٨.

ورواه ابن ماجه (١٠٢٣/٢)، في كتاب المناسك، باب حجة رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ح ٣٠٧٤.

ورواه الدارمي ٣٧٥/١، في كتاب مناسك الحج، باب في سنة الحج، ح ١٨٥٧.

(٣) ب: (وعلمه).

ودخل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» مكة في عمرة
 القضاء وعبدالله بن رواحة آخذ بخظام ناقته وهو يقول:
 خلوا بني الكفار عن سبيله
 خلوا فكلّ الخير في رسوله
 يا ربّ إني مؤمن بقيله^(١)
 أعرف حق الله في قبوله
 نحن قتلناكم على تأويله
 كما قتلناكم^(٢) على تنزيله
 ضربا يزيل الهام عن مقيله
 ويذهل الخليل عن خليله^(٣)
 قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر

(١) لفظ ظ: (رسالة من هو من مثله)، ولفظ م: (رسالة من هو من مثاله).

(٢) ب: (قلناكم).

(٣) هذا الحديث أخرجه عبدالرزاق عن أنس من وجهين، أحدهما: رواية عبدالرازق عن معمر عن الزهري عن أنس: (وفيها ذكر التأويل).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٤٧: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

والرواية الثانية عن عبدالرازق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس: (وليس فيها ذكر التأويل)؛ أخرجه الترمذي ٨/٦٣، ٦٤، في أبواب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، ح ٢٨٥١. وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». وأشار إلى الرواية الأولى.

قال الحافظ في الفتح: «وقد صححه ابن حبان من الوجهين، وعجيب من الحاكم كيف لم يستدركه؟ مع أن الوجه الأول على شرطها ومن الوجه الثاني على شرط مسلم لأجل جعفر» (فتح الباري ٧/٥٠٢).

الآبيات لعمار بن ياسر^(١) في غير هذا اليوم، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين، والمشركون لم يقرؤا بالتنزيل، وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل»^(٢).

وهذا لا يلزم، إن صح الشعر عن^(٣) ابن رواحة، لأن المراد بقتالهم على التأويل هو تأويل قوله تعالى:

﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ﴾

[الفتح: ٢٧].

وكان دخولهم المسجد الحرام عام القضية آمنين هو تأويل هذه الرؤيا التي رآها/^(٤) رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأنزلها الله في كتابه، ويدل عليه أن الشعر إنما يناسب خطاب الكفار، بقي^(٥) أن يقال: فلم يكن هناك

(١) نسبة ابن هشام هذه الآبيات لعمار بن ياسر فيه نظر. فقد صح نسبة هذه الآبيات لعبدالله بن رواحة، كما في الروايات السابقة وقد عرفت ما قاله الترمذي والهيثمي والحافظ بن حجر فيها. وَقَدْ رَدَّ قَوْلَ بِنِ هِشَامِ الْإِمَامِ ابْنِ كَثِيرٍ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ٤٣١/٣، وذكر بعض الروايات التي تؤيد نسبتها لعبدالله بن رواحة. وقد ثبت نسبتها لعبدالله في كثير من المراجع كما في شرح المواهب اللدنية ٣٠٦/٢؛ وتهذيب ابن عساكر ٣٩٤/٧؛ وديوان عبدالله بن رواحة، ص ٥٢، ٥٣، جمع وتحقيق محمد حسن باجودة. أما تعليل ابن هشام لرد نسبة الآبيات لعبدالله بن رواحة فقد قرأت رد ابن القيم لهذا التعليل كما رده الحافظ ابن حجر (الفتح ٥٠١/٧)، ثم قال: «ولا مانع أن يتمثل عمار بن ياسر بهذا الرجز ويقول هذه اللفظة».

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٨٢٨/٣؛ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٣) ظ، م: (من).

(٤) ظ، م: (أراها).

(٥) ظ: (سقي)، ب: (بنفي).

قتال حتى يقول: [نحن] (١) قتلناكم فيقال: هذا تخويف (٢) وتهديد، أي: إن قاتلتمونا قاتلناكم وقتلناكم على التأويل والتنزيل، وعلى التقديرين المراد بالتأويل صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه.

ومن هذا قول الزهري (٣): «وقعت الفتنة، وأصحاب محمد متوافرون فأجمعوا أن كل مال أودم أصيب بتأويل القرآن فهو هدر، أنزلوهم منزلة أهل الجاهلية»، أي إن القبيلتين في الفتنة إنما اقتتلوا على تأويل القرآن (وهو تفسيره وما ظهر لكل طائفة منه حتى دعاهم إلى القتال، فأهل الجمل وصفيين إنما اقتتلوا (٤) على تأويل القرآن (٥) وهؤلاء يحتجون به، [وهؤلاء يحتجون به] (٦)، نعم التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله «صلى الله عليه وسلم» لعمّار: «تقتلك

(١) (نحن): إضافة من ب.

(٢) ظ، م: (تحريف).

(٣) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري من قريش، أبوبكر ولد سنة ٥٨، أول من دون الحديث، روى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن جعفر وأنس وجابر وغيرهم، مات سنة ١٢٤.

وفيات الأعيان ١٧٧/٤.

تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩، ٤٤٦.

حلية الأولياء ٣٦٠/٣.

الأعلام ٩٧/٧.

(٤) ظ: (اقتلوا).

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) (وهؤلاء يحتجون به): إضافة من ب.

الفئة الباغية»^(١) فقالوا: نحن لم نقتله، إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا. فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله لا من استنصر به. ولهذا رد عليهم من هو أولى بالحق والحقيقة منهم فقالوا: فيكون رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأصحابه هم الذين قتلوا حمزة والشهداء معه، لأنهم أتوا بهم حتى أوقعوهم تحت سيوف المشركين.

ومن هذا قول عروة بن الزبير^(٢) لما روى حديث عائشة «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر، وأقرت صلاة السفر» (فقليل له: فما بال عائشة أتمت في السفر)^(٣)، قال: «تأولت كما تأول عثمان»^(٤) وليس مراده

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١/٥٤١)، من طريق أبي سعيد، في كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد، ح ٤٤٧.

ورواه مسلم ٤/٢٢٣٥، من طريق أم سلمة، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح ٧٢، واللفظ لمسلم.

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبدالله المدني، ولد سنة ٢٣، روى عن أبيه، وأخيه عبدالله، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة، وروى عنه أولاده عبدالله وعثمان وهشام وسليمان بن يسار وأبوسلمة بن عبدالرحمن، وتوفي سنة ٩٤. تهذيب التهذيب ٧/١٨٠، ١٨٥؛ سير أعلام النبلاء ٤/٤٢١، ٤٣٧؛ الجرح والتعديل ٦/٣٩٥، ٣٩٦؛ الأعلام ٤/٢٢٦؛ شذرات الذهب ١/١٠٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ب.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٢/٥٦٩)، من طريق عائشة «رضي الله عنها»، في كتاب تقصير الصلاة، باب يقصر إذا خرج من موضعه، ح ١٠٩٠.

ورواه مسلم ١/٤٧٨، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، ح ٣.

أن عائشة وعثمان تأولا آية القصر على خلاف ظاهرها، وإنما مراده أنها تأولا دليلاً قام عندهما اقتضى جواز الإتمام، فعملاً به فكان (١) عملهما به هو تأويله، فإن العمل بدليل الأمر هو تأويله، كما كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يتأول قوله تعالى:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣].

بامثاله بقوله: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» (٢) فكان (٣) عائشة وعثمان تأولا قوله:

﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٣].

وإن إتمامها من إقامتها.

وقيل: تأولت عائشة أنها أم المؤمنين وأن أمهم حيث كانت فكانها مقيمة بينهم، وأن عثمان كان إمام المسلمين فحيث كان فهو منزله، [أو أنه كان قد عزم على الاستيطان بمجى، أو أنه كان قد تأهل بها ومن تأهل] (٤) ببلد لم يثبت له حكم المسافر، أو أن (٥) الأعراب كانوا قد كثروا في ذلك الموسم فأحب أن يعلمهم فرض الصلاة وأنه أربع، أو غير ذلك من التأويلات التي ظنَّها أدلة مقيدة لمطلق القصر،

(١) ظ، م: (وكان).

(٢) سبق تحقيقه، انظر: ١٧٧.

(٣) ظ، م: (وكان).

(٤) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٥) ب: (وأن).

أو مخصصة لعمومه. وإن كانت كلها ضعيفة، والصواب هدى رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، فإنه كان إمام المسلمين، وعائشة أم المؤمنين، في حياته، وبعد وفاته، وقد قصرت معه، ولم يكن عثمان ليقوم بمكة، وقد بلغه أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إنما رخص بها للمهاجر^(١) بعد قضاء نسكه ثلاثاً^(٢)، والمسافر إذا تزوج في طريقه لم يثبت له حكم الإقامة بمجرد التزوج ما لم يزمع^(٣)، الإقامة وقطع السفر.

وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح. والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد، ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك، التأويل الباطل وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول وما خالفه فهو المردود. فالتأويل الباطل أنواع:

أحدها: ما لم يحتمله اللفظ بوضعه كتأويل قوله «صلى أنواع التأويل
الله عليه وسلم» حتى يضع رب العزة عليها رجله^(٤) بأن الباطل

(١) ب: (للمهاجرين).

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٧/٢٦٦، ٢٦٧)، من طريق العلاء بن الحضرمي، في كتاب مناقب الأنصار، باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه، ح ٣٩٣٣. ورواه مسلم ٩٨٥/٢، في كتاب الحج، باب جواز الإقامة بمكة للمهاجر منها بعد فراغ الحج والعمرة ثلاثة أيام بلا زيادة، ح ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤.

(٣) ب: (ترفع).

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٨/٥٩٥)، من طريق أبي هريرة، في كتاب التفسير «تفسير سورة ق، باب: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾، ح ٤٨٥٠، (بنحوه)، وفي لفظ: =

الرجل جماعة من الناس فإن هذا لا يعرف في شيء من لغة العرب البتة.

الثاني: ما لم يحتمله اللفظ بينيته^(١) الخاصة من تثنية أو جمع، وإن احتمله مفرداً كتأويل^(٢)، قوله:
﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾^(٣) [ص: ٧٥]. بالقدرة.

الثالث: ما لم يحتمله سياقه وتركيبه، وإن احتمله في غير ذلك السياق. كتأويل قوله:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

= (قدمه)، ح ٤٨٤٨، ٤٨٤٩.

ورواه مسلم ٢١٨٦/٤، ٢١٨٧، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ح ٣٦ (بنحوه)، وفي لفظ: (قدمه)، ح ٣٥، ٣٧، ٣٨، ولفظه كما في البخاري: (عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «تحتاج الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله «تبارك وتعالى» للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منها ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله «عز وجل» من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله «عز وجل» ينشئ لها خلقاً».

ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٢٣٣/١

ورواه أحمد ١٣/٣، ٧٨.

ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ٩٢، ٩٣، ٩٤.

(١) ظ، ب: (بينته).

(٢) م: (مفرد التأويل).

(٣) ظ، م: (ما خلقت)، وهو خطأ.

بأن إتيان الرب إتيان بعض آياته التي هي أمره، وهذا يأباه السياق كل الإباء، فإنه يمتنع حمله على ذلك، مع التقسيم والترديد والتنويع.

وكتأويل^(١)، قوله: «إنكم ترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر صحواً ليس دونه سحاب وكما ترون الشمس (في)^(٢) الظهيرة صحواً ليس دونها سحاب»^(٣) فتأويل الرؤية في هذا السياق بما يخالف حقيقتها، وظاهرها في غاية الامتناع وهو رد وتكذيب تستر صاحبه بالتأويل.

الرابع: ما لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب، وإن أُلّف في الاصطلاح الحادث، وهذا موضع زلت فيه أقدام كثير من الناس، وضلت فيه أفهامهم، حيث تأولوا كثيراً من ألفاظ النصوص بما لم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة، وإن كان معهوداً في اصطلاح المتأخرين، وهذا مما ينبغي التنبه له فإنه حصل بسببه من الكذب على الله ورسوله ما حصل.

(١) في ظ، م: (وكتأويله).

(٢) (في): سقط من ب.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١)، من طريق أبي هريرة، ومن طريق أبي سعيد الخدري بألفاظ متقاربة، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، ح ٧٤٣٧، ٧٤٣٩.

ورواه مسلم ١/١٦٧، من طريق أبي سعيد الخدري، في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح ٣٠٢، (بنحوه).

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً.

كما تأولت طائفة قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَفَلَّ ﴾ [الأنعام: ٧٦، ٧٧].

بالحركة^(١) وقالوا^(٢): استدل بحركته على بطلان ربوبيته. ولا يعرف في اللغة التي نزل بها القرآن أن الأفول هو الحركة البتة في موضع واحد.

وكذلك تأويل الأحد: بأنه الذي لا يتميز منه شيء عن شيء البتة^(٣). ثم قالوا: لو كان فوق العرش / لم يكن أحداً. فإن تأويل الأحد بهذا المعنى لا يعرفه أحد من العرب، ولا أهل اللغة، ولا يعرف استعماله في لغة القوم في هذا المعنى في موضع واحد أصلاً، وإنما هو إصطلاح

[٧/١]

(١) فسر الأفول «بالحركة طائفة من الجهمية والمعتزلة وقد تصدى للرد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وبين:

- ١ - أن الأفول هو المغيب والاحتجاب وليس هو مجرد الحركة والانتقال.
- ٢ - أن هذا لم يقله أحد من علماء السلف من أهل التفسير ولا من أهل اللغة.
- ٣ - أن إبراهيم «عليه السلام» لم يحتج بالأفول على حدوث الكواكب ولا على إثبات الصانع، وإنما احتج بالأفول على بطلان عبادتها، لأن قومه كانوا مشركين يعبدون الكواكب ويدعونها من دون الله.

انظر: كلام شيخ الإسلام، ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ٣١٠/١ وما بعدها.

منهاج السنة ١٤١/١؛ شرح حدوث النزول، ص ١٩٤، ١٩٧.

وانظر: رد الدارمي على بشر المريسي، ص ٥٥.

(٢) ظ، م: (وقال).

(٣) انظر: ص ١٩٩ من المتن.

الجهمية، والفلاسفة^(١)، والمعتزلة، ومن وافقهم.

وكتاويل قوله:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

بأن المعنى أقبل على خلق العرش، فإن هذا لا يعرف في لغة العرب، بل ولا غيرها من الأمم^(٢)، أن من أقبل على الشيء يقال: قد استوى عليه، ولا يقال لمن أقبل على الرجل: قد استوى عليه، ولا لمن أقبل على عمل من الأعمال من قراءة، أو كتابة، أو صناعة، قد استوى عليها. ولا لمن أقبل على الأكل قد استوى على الطعام. فهذه لغة القوم، وأشعارهم وألفاظهم، موجودة ليس في شيء^(٣) منها ذلك البتة.

وهذا التأويل يبطل من وجوه كثيرة سنذكرها في موضعها^(٤) لولم يكن منها إلا تكذيب رسول الله «صلى الله

(١) كلمة فلسفة تتكون من مقطعين هما فيلو. وسوفيا ومعنى (فيلو) في اليونانية محب، وسوفيا: الحكمة، فالفيلسوف هو محب الحكمة، ومذهبهم: أن العالم قديم وعلته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار، وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى، وينكرون حشر الأجساد ومن أشهرهم أرسططاليس.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركون، ص ١٤٥، ١٤٦؛ الفصل في الملل والنحل ٩٤/١؛ الملل والنحل للشهرستاني ١٥٥/٢؛ المرشد الأمين، ص ١٤٥؛ المعجم الفلسفي، ص ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠.

(٢) قلت: مَنْ الذي أدراه؟.

(٣) ب: (بشيء).

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسله ١٢٦/٢ - ١٥٢، الناشر مكتبة الرياض الحديثة، حيث ذكر في بطلانها اثنين وأربعين وجهاً.

عليه وسلم» لصاحب هذا التأويل لكفاه، فإنه قد ثبت في الصحيح، «أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»^(١) فكان العرش موجوداً قبل خلق السموات والأرض بأكثر من خمسين ألف سنة. فكيف يقال: إنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم أقبل على خلق العرش.

والتأويل إذا تضمن تكذيب صاحبه^(٢) فحسبه ذلك بطلاناً، وأكثر تأويلات القوم من هذا الطراز^(٣)، وسيمر بك منها ما هو قررة عين لكل موحد وسُخنة^(٤) عين لكل ملحد.

الخامس: ما ألف استعماله في ذلك المعنى لكن في غير التركيب الذي ورد به النص فيحمله المتأول في هذا التركيب الذي لا يحتمله على مجيئه في تركيب آخر يحتمله وهذا من أجبح الغلط والتلبس^(٥) كتأويل اليمين في قوله تعالى:

(١) رواه مسلم ٢٠٤٤/٤، من طريق عبدالله بن عمرو بن العاص، في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ح ١٦.

ورواه الترمذي ٣٢٦/٦ (بنحوه)، في أبواب القدر، باب ما جاء في الرضاء بالقضاء، ح ٢١٥٧، وليس فيه «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) ب: (الرسول).

(٣) الطراز: النمط والشكل يقال: هذا طرز هذا أي شكله.

تاج العروس ٤٨/٤؛ لسان العرب ٣٦٨/٥، مادة طرز.

(٤) قال في اللسان: (سخنة العين نقيض قرتها. . وأسخن الله عينه أي أبكاه).

لسان العرب ٢٠٦/١٣، ٢٠٧، مادة (سخن).

وانظر: تاج العروس ٢٣٢/٩.

(٥) ب: (والبلية).

﴿ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [ص: ٧٥].

بالنعمة^(١)، ولا ريب أن العرب تقول: لفلان عندي يد، وقال عروة بن مسعود^(٢) للصدّيق: «لولا يدُ لك عندي لم أجرك بها لأجبتك»^(٣) ولكن وقوع اليد في هذا التركيب الذي أضاف سبحانه فيه الفعل إلى نفسه ثم تعدى الفعل إلى اليد بالباء التي هي نظير: كتبت بالقلم، وهي اليد، وجعل ذلك خاصة خص بها صفيه^(٤) آدم دون البشر، كما خص المسيح بأنه نفخ فيه من روحه، وخص موسى بأنه كلمه بلا واسطة، فهذا مما يحيل تأويل اليد في النص بالنعمة، وإن كانت في تركيب آخر تصلح لذلك. فلا يلزم من صلاحية اللفظ لمعنى ما في تركيب صلاحيته له في كل تركيب.

وكذلك قوله:

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(١) ب: (النعمة).

(٢) هو عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، صحابي مشهور، كان كبير قومه في الطائف، ولما أسلم استأذن النبي «صلى الله عليه وسلم» أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فقال: أخاف أن يقتلوك قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، فأذن له فرجع فدعاهم إلى الإسلام فخالقوه ورماهم أحدهم بسهم فقتله سنة ٩. الإصابة ٢/٤٧٠، ت ٥٥٢٨؛ الأعلام ٤/٢٢٧.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٣٣٠/٥)، من طريق المسورين مخزومة ومروان في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٤) ظ، م: (صفة).

يستحيل فيها تأويل النظر بانتظار^(١) الثواب، فإنه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محلّه، وعدّاه بحرف إلى التي إذا اتصل بها فعل النظر كان من نظر العين ليس إلا. ووصف الوجوه بالنضرة التي لا تحصل إلا مع حضور ما يتنعم به لا مع التنغيص بانتظاره. ويستحيل مع هذا التركيب تأويل النظر بغير الرؤية: وإن كان النظر بمعنى الانتظار قد استعمل في قوله:

﴿ أَنْظُرُوا نَفْسٍ مِنْ تُورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣].

وقوله (تعالى)^(٢):

﴿ فَنَاطِرَةٌ أَيْمٌ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ٢٥].

ومثل هذا قول الجهمي الملبس: إذا قال لك المشبه:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥].

فقل له^(٣): العرش له عندنا^(٤) [سبعة]^(٥) معانٍ، والاستواء له خمسة معانٍ، فأی ذلك المراد؟ فإن المشبه يتحير ولا يدري ما يقول ويكفيك مؤونته.

فيقال لهذا الجاهل الظالم الفاتن المفتون: ويلك

(١) في ظ، م: (انتظام).

(٢) (تعالى): سقط من ب.

(٣) في هامش ب: (أجوبة الاستواء على العرش).

(٤) في ب: (عدة)، وفي ظ: (عند).

(٥) (سبعة): إضافة من ب.

ما ذنب^(١) المُوَحَّد الذي سَمَّيْتَهُ أنت وأصحابك مشبهاً، وقد قال لك نفس ما قال الله، فوالله لو كان مشبهاً كما تزعم لكان أولى بالله ورسوله منك؛ لأنه لم يتعد^(٢) النص.

وأما قولك: للعرش سبعة معان أو نحوها، وللاستواء خمسة معان فتلبس منك، وتمويه على الجهال، وكذب ظاهر، فإنه ليس لعرش الرحمن الذي استوى عليه إلا معنى واحد، وإن كان للعرش من حيث الجملة عدة معان فاللام للعهد^(٣) وقد صار بها العرش معيناً وهو عرش الرب [جل جلاله الذي هو سرير ملكه، الذي اتفقت عليه الرسل]^(٤) وأقرت به الأمم إلا من نابذ الرسل.

وقولك: الاستواء له عدة معان، تلبس آخر، فإن الاستواء المعدى بأداة «على» ليس له إلا معنى واحد، وأما الاستواء المطلق فله عدة معان، فإن العرب تقول: استوى كذا إذا انتهى وكمل ومنه^(٥) قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤].

وتقول: استوى وكذا إذا ساواه نحو قولهم استوى الماء والخشبة. واستوى الليل والنهار. وتقول استوى إلى كذا،

(١) ظ، م: (مادت).

(٢) في ظ: (لم يبعد).

(٣) ظ، م: (قال لام للعرش).

(٤) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٥) في ظ، م: قدم لفظ (منه) على (الواو).

(٦) ظ، م: (فلما).

إذا قصد إليه علواً وارتفاعاً، نحو استوى إلى السطح
والجبل، واستوى على كذا أي إذا ارتفع عليه وعلا عليه.
لا تعرف العرب غير هذا فالاستواء في هذا التركيب نص
لا يحتمل غير معناه، كما هو نص في قوله:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾^(١) [القصص: ١٤].

لا يحتمل غير معناه، ونص في قولهم استوى الليل،
والنهار في معناه لا يحتمل غيره فدعوا التلبس فإنه لا يجدي
عليكم إلا مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا.

السادس: اللفظ الذي اطرده^(٢) استعماله في معنى
هو ظاهر فيه ولم يعهد استعماله في المعنى المؤول^(٣) أو عهد
استعماله فيه نادراً فتأويله حيث ورد وحمله على خلاف
المعهود من استعماله باطل فإنه يكون تلبساً وتدليساً يناقض
البيان، والهداية، بل إذا أرادوا استعمال مثل هذا في غير
معناه المعهود حفوا به من القرائن ما يبين للسامع مرادهم
به، لئلا يسبق فهمه إلى معناه المألوف، ومن تأمل / لغة
القوم، وكمال هذه اللغة، وحكمة واضعها تبين له صحة
ذلك.

[٨/١]

وأما إنهم يأتون إلى لفظ له معنى قد ألف استعماله فيه
فيخرجونه عن معناه ويطردون استعماله في غيره مع تأكيده

(١) في ظ: سقطت واو العطف في (واستوى).

(٢) في ظ، م: (استطرد).

(٣) في م: (الأول).

بقرائن تدل على أنهم أرادوا معناه الأصلي فهذا من أمحل
المحال مثاله قوله^(١) [تعالى:]^(٢):

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله «صلى الله عليه وسلم»: «ما منكم إلا من
سيكلمه ربه ليس بينه وبينه»^(٣) ترجمان يترجم له ولا حاجب
يحببه»^(٤)، وقوله [صلى الله عليه وسلم]^(٥) «إنكم ترون
ربكم عياناً»^(٦) وهذا شأن أكثر نصوص الصفات إذا تأملها
من شرح الله صدره لقبولها وفرح بما أنزل على الرسول منها
يراهها قد حفت^(٧) من القرائن والمؤكدات بما^(٨) ينفي عنها
تأويل المتأول.

السابع: كل تأويل يعود على أصل النص بالإبطال

-
- (١) في ظ، م: (قولهم).
(٢) (تعالى): إضافة من ب.
(٣) لفظ: (وبينه) سقط من ب.
(٤) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٤٢٣)، من طريق عدي بن حاتم، في كتاب
التوحيد، باب قوله الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، ح ٧٤٤٣.
ورواه مسلم ٧٠٣/٢، ٧٠٤، في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره
أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، ح ٦٧.
ورواه أحمد في المسند ٢٥٦/٤، ٣٧٧.
(٥) لفظ: (صلى الله) إضافة من ب، ولفظ: (عليه وسلم) ليست في جميع النسخ وبها تتم
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
(٦) سبق تخريجه، انظر: ص ١٨٩.
(٧) ب: (حفت به).
(٨) ب: (ما ينفي).

فهو باطل . كتأويل قوله صلى الله عليه وسلم «أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل»^(١) بحمله على الأمة، فإن^(٢) هذا التأويل مع شدة مخالفته» لظاهر اللفظ يرجع على أصل النص بالإبطال وهو قوله: «فإن دخل بها فلها المهر بما استحلت من فرجها» ومهر الأمة إنما هو^(٣) للسيد فقالوا نحمله على المكاتبه، وهذا يرجع على أصل النص بالإبطال من وجه آخر فإنه أتى فيه بـ «أي» الشرطية التي هي من أدوات العموم [وأكدتها بـ «ما» المقتضية تأكيد العموم]^(٤) وأتى بالنكرة في سياق الشرط وهي تقتضي العموم، وعلق بطلان النكاح بالوصف المناسب له المقتضي لوجود الحكم بوجوده وهو نكاحها نفسها ونبه على العلة المقتضية للبطلان

(١) رواه أبو داود (عون المعبود ٦/٩٨، ٩٩)، من طريق عائشة، في كتاب النكاح، باب في الولي، ح ٢٠٦٩.

ورواه الترمذي ٤/٥٤، ٥٥، في أبواب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، ح ١١٠٢.

وقال الترمذي هذا حديث حسن.

رواه ابن ماجه ١/٦٠٥، في كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، ح ١٨٧٩. ورواه أحمد (المسند ٦/٤٧).

ورواه الحاكم (المستدرک ٢/١٦٨)، في كتاب النكاح، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني، صحيح. إرواء الغليل ٦/٢٤٣.

(٢) ظ، م: (وإن).

(٣) م: (هي).

(٤) ما بين المعكوفين إضافة من ب.

وهي افتياتها^(١) على وليها، وأكد الحكم بالبطلان مرة^(٢) بعد مرة ثلاث مرات فحمله على صورة لا تقع في العالم إلا نادراً يرجع على مقصود النص بالإبطال^(٣) وأنت إذا تأملت عامة تأويلات الجهمية رأيتها من هذا الجنس بل أشنع .

الثامن : تأويل اللفظ الذي له معنى ظاهر لا يفهم منه عند إطلاقه سواء، بالمعنى الخفي الذي لا يطلع عليه إلا أفراده من أهل النظر، والكلام، كتأويل لفظ الأحد - الذي يفهمه الخاصة والعامة - بالذات المجردة عن الصفات التي لا يكون فيها معنيين بوجه ما، فإن هذا لو أمكن ثبوته في الخارج لم يعرف إلا بعد مقدمات طويلة صعبة^(٤) جداً فكيف وهو محال في الخارج، وإنما يفرضه الذهن فرضاً، ثم يستدل على وجوده الخارجي . فيستحيل^(٥) وضع اللفظ المشهور عند كل أحد لهذا المعنى الذي هو في غاية الخفاء وستمر بك نظائره إن شاء الله [تعالى]^(٦) .

التاسع : التأويل الذي يوجب تعطيل المعنى الذي هو في

(١) افتياتها: الافتيات الاختلاق والكذب يقال افتأت علي ما لم أقل . اختلقه فمعنى افتياتها اختلاقها وكذبها .

لسان العرب ٥/٣٣٣٣، مادة فأت .

(٢) ظ، م : (من) .

(٣) ب : (البطلان) .

(٤) ب : (ضعيفة) .

(٥) ب : (فيستحل) .

(٦) (تعالى) : إضافة من ب .

غاية العلو، والشرف، ويحطه^(١) إلى معنى دونه بمراتب كثيرة، وهو شبيه بعزل سلطان عن ملكه وتوليته (مرتبة)^(٢) دون الملك بكثير، مثاله: تأويل الجهمية قوله:

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وقوله:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

ونظائره بأنها فوقية الشرف، كقولهم الدرهم فوق الفلس، والدينار فوق الدرهم.

فتأمل تعطيل المتأولين حقيقة الفوقية المطلقة التي هي من خصائص الربوبية وهي المستلزمة لعظمة الرب جل جلاله وحطها إلى كون قدره فوق قدر بني آدم وأنه أشرف منهم.

وكذلك تأويلهم علوه بهذا المعنى وأنه كعلو الذهب على الفضة وكذلك تأويلهم استواءه على عرشه بقدرته عليه وأنه غالب له. فيالله العجب هل ضلت العقول وتاهت الأحلام وشكت العقلاء في كونه سبحانه غالباً لعرشه قادراً عليه حتى يجبر به سبحانه في سبعة مواضع من كتابه مطردة بلفظ واحد، ليس فيها موضع واحد يراد به المعنى الذي أبداه المتأولون، وهذا التمدح والتعظيم كله لأجل أن

(١) ظ، م: (وسيحطه).

(٢) لفظ: (مرتبة)، سقط من ب.

يعرفنا أنه قد غلب عرشه، وقدر عليه، وكان ذلك بعد خلق السموات والأرض. أفترى لم يكن سبحانه غالباً للعرش، قادراً عليه في مدة تزيد على خمسين ألف سنة ثم تجدد له ذلك بعد خلق هذا العالم.

العاشر: تأويل اللفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه إذ لو قصده لحف^(١) بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ فإن الله سبحانه أنزل كلامه بياناً، وهدى فإذا أراد به خلاف ظاهره ولم تحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد، لم يكن بياناً ولا هدى.

فهذه بعض الوجوه التي يفرق بها بين التأويل الصحيح والباطل وبالله المستعان.

الفرق بين التأويل
الصحيح والتأويل
الباطل

(١) في ظ، م: (تحف).

الفصل الثالث^(١)
في أن التأويل إخبار
عن مراد المتكلم لا إنشاء

فهذا الموضع^(٢) مما يغلط فيه كثير من الناس غلطاً قبيحاً. فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه فإذا قيل معنى اللفظ كذا وكذا. كان إخباراً بالذي عناه المتكلم، فإن لم يكن هذا الخبر مطابقاً كان كذباً على المتكلم. ويعرف مراد المتكلم بطرق متعددة.

منها: أن يصرح بإرادة ذلك المعنى.

ومنها: أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع ولا تبين بقريته تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعنى، فكيف إذا حف بكلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته، وما وضع له.

كقوله:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

(١) ظ، م: (الثاني).

(٢) ب: (هذا الوضع).

«وإنكم ترون ربكم عياناً كما ترون الشمس (في)»^(١)
الظهيرة ليس دونها سحب»^(٢). و«الله أشد فرحاً بتوبة عبده
من أحدكم أضل راحلته بأرض دَوِيَّة»^(٣) مهلكة عليها
طعامه، وشرا به، فأيس منها، فنام، ثم استيقظ فإذا راحلته
عند رأسه»^(٤)، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده، من هذا
براحلته، فهذا مما يقطع السامع فيه بمراد المتكلم فإذا أخبر
عن مراده / بما دل عليه حقيقة لفظه الذي وضع [له]^(٥) مع
القرائن المؤكدة له كان صادقاً في إخباره، وأما إذا تأول كلامه
بما لم^(٦) يدل عليه لفظه، ولا اقترن به^(٧) ما يدل عليه،
فإخباره بأن هذا مراده كذب عليه.

[٩/١]

(١) (في): سقط من ب.

(٢) سبق تخريجه. انظر: ص ١٨٩.

(٣) الدو: الصحراء التي لا نبات فيها. والدوية منسوبة إليها.

ومنه قول الشاعر:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعُضْبِيٍّ

أَرْوَعَ خَرَجٍ مِنَ الدَّوِيِّ

يعني الفلوات، جمع داوية.

النهاية في غريب الحديث والأثر ١٤٣/٢.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ١١/١٠٢) من طريق عبدالله بن مسعود - في كتاب

الدعوات - باب التوبة، ح ٦٣٠٨ (بنحوه).

ورواه مسلم (٤/٢٠٣) - في كتاب التوبة - باب في الحض على التوبة والفرح بها،

ح ٣ (بنحوه).

(٥) (له): إضافة من ب.

(٦) م: (بما لا يدل)، ب: (بما يدل).

(٧) ب: (عليه).

فقول (١) القائل يحمل (٢) اللفظ على كذا وكذا يقال له :
 ما تعني بالحمل؟ أتعني به أن اللفظ موضوع لهذا المعنى؟
 فهذا نقل مجرد موضعه كتب اللغة فلا أثر لحملك . أم تعني
 به اعتقاد أن المتكلم أراد ذلك المعنى الذي حملته عليه؟ فهذا
 قول عليه بلا علم وهو كذب مفترى إن لم تأت بدليل يدل
 على أن المتكلم أراده . أم تعني به أنك أنشأت (٣) له معنى
 فإذا سمعته اعتقدت أن ذلك معناه وهذا حقيقة قولك وإن
 لم ترده؟ فالحمل إما إخبار عن المتكلم بأنه أراد ذلك المعنى ،
 فهذا الخبر: إما صادق إن كان ذلك المعنى هو المفهوم من
 لفظ المتكلم ، وإما كاذب إن كان لفظه لم يدل عليه ، وإما
 إنشاء لاستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى وهذا إنما يكون في
 كلام (٤) تنشئه أنت لا في كلام الغير .

وحقيقة الأمر أن قول القائل نحمله على كذا أو نتأوله
 بكذا إنما هو من باب دفع دلالة اللفظ على ما وضع له فإن
 منازعه لما احتج عليه به ، ولم يمكنه دفع وروده ، دفع معناه ،
 وقال أحمله على خلاف ظاهره .

فإن قيل بل للحمل معنى آخر لم تذكروه (٥) ، وهو أن
 اللفظ لما استحال أن يراد به حقيقته وظاهره ولا يمكن تعطيله

(١) ظ ، م : (يقول) .

(٢) ظ ، م : (ويحمل) بالواو .

(٣) ب : (إن) .

(٥) م : (لم يذكره) .

(٤) ظ ، م : (كلامه) .

استدللنا بوروده وعدم إرادة ظاهره على أن مجازه هو المراد،
فحملناه عليه دلالة لا ابتداء وإنشاء.

قيل فهذا المعنى هو الإخبار عن المتكلم أنه أراد
وهو إما صدق أو كذب كما تقدم. ومن الممتنع أن يريد
خلاف حقيقته وظاهره ولا يبين للسامع المعنى الذي أراد بل
يقترن^(١) بكلامه ما يؤكد إرادة الحقيقة^(٢) ونحن لا نمنع أن
المتكلم قد يريد بكلامه خلاف ظاهره إذا قصد التعمية على
السامع، حيث يسوغ ذلك كما في المعارض التي يجب
أو يسوغ تعاطيها، ولكن المنكر غاية الإنكار أن يريد بكلامه
خلاف ظاهره وحقيقته، إذا قصد البيان والإيضاح وإفهام
مراده. فالخطاب نوعان:

أنواع الخطاب

نوع يقصد به التعمية على السامع.

الأول

ونوع يقصد به البيان والهداية والإرشاد. فإطلاق اللفظ
وإرادة خلاف حقيقته وظاهره من غير قرائن تحتف به تبين
المعنى^(٣) المراد/محلله النوع الأول^(٤) لا الثاني. والله أعلم.

الثاني

(١) ب: (يعرب).

(٢) في ظ، م: (حقيقة).

(٣) (المعنى): سقط من ب.

(٤) وهو الخطاب الذي يقصد به التعمية على السامع.

الفصل الرابع^(١) في الفرق بين تأويل الخبر وتأويل الطلب

لما كان الكلام نوعان: خبر، وطلب، وكان المقصود من الخبر تصديقه، ومن الطلب امتثاله، كان المقصود من تأويل الخبر هو تصديق مخبره، ومن تأويل الطلب هو امتثاله. وكان كل تأويل يعود على المخبر بالتعطيل وعلى الطلب بالمخالفة تأويلاً باطلاً.

والمقصود الفرق بين تأويل الأمر والنهي، وتأويل الخبر، فالأول معرفته فرض على كل مكلف، لأنه لا يمكنه الامتثال إلا بعد معرفة تأويله.

قال سفيان بن عيينة^(٢): «السنة هي تأويل الأمر

(١) ظ، م: (الثالث).

(٢) هو سفيان بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ولد سنة ١٠٧ في الكوفة، روى عن عبد الملك بن عمير وأبي إسحاق السبيعي وزبيد بن علقمة والأسود بن قيس وأبان بن تغلب، وغيرهم. وروى عنه الأعمش وابن جريج وشعبة والثوري ومسعر. مات سنة ١٩٨.

تهذيب التهذيب ١١٧/٤ - ١٢٢؛ الجرح والتعديل ٣٢/١ - ٥٤، ٢٢٥/٤ - ٢٢٧؛ الكاشف ٣٧٩/١؛ سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٨ - ٤٧٥؛ ميزان الاعتدال ١٧٠/٢؛ خلاصة تذهيب الكمال، ص ١٤٥ - ١٤٦.

والنهي»^(١) ولا خلاف بين الأمة أن الراسخين في العلم يعلمون هذا التأويل، وأرسخهم في العلم أعلمهم به. ولو كان معرفة هذا التأويل ممتنعاً على البشر لا يعلمه إلا الله، لكان العمل بنصوصه ممتنعاً، كيف والعمل بها واجب فلا بد أن يكون في الأمة من يعرف تأويلها وإلا كانت الأمة كلها مضيعة لما أمرت به.

وقد يكون معنى النص بيناً جلياً فلا تختلف الأمة في تأويله وإن وقع الخلاف في حكمه لخفائه على من لم يبلغه، أو لقيام معارض عنده، أو لنسيانه، فهذا يعذر فيه المخالف، إذا كان قصده اتباع الحق ويشبهه الله على قصده. وأما من بلغه النص وذكره ولم يقم عنده ما يعارضه فإنه لا يسعه مخالفته، ولا يعذر عند الله بتركه لقول أحد كائناً من كان.

وقد تكون دلالة اللفظ غير جلية فيشبهه^(٢) المراد به بغيره. فهنا معترك النزاع بين أهل الاجتهاد في تأويله ولأجل التشابه وقع النزاع فيفهم هذا منها^(٣) معنى فيؤولها به ويفهم منها غيره معنى آخر فيؤولها به. وقد يكون كلا الفهمين صحيحاً، والآية دلت على هذا، وهذا، ويكون الراسخ في العلم هو الذي أولها بهذا، وهذا، ومن أثبت أحد المعنيين ونفى الآخر أقل رسوخاً وقد يكون أحد المعنيين هو المراد

(١) انظر الرسالة التدمرية، لابن تيمية، ص ٦٠، طبع المكتب الإسلامي.

(٢) في ظ: (فتشبه).

(٣) في ظ: (منها هذا).

لا سيما إذا كانا متضادين، والراسخ في العلم هو الذي أصابه، فالتأويل^(١)^(٢) في هذا القسم مأمور به، مأجور عليه صاحبه، إما أجراً واحداً وإما أجرين^(٣).

وقوع الخلاف بين الصحابة في تأويل الطلب (آيات الأحكام) دون تأويل الخبر (آيات الصفات)

وقد تنازع الصحابة في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوْعَفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الرِّجَالِ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

هل هو الأب، أو الزوج.

وتنازعوا في تأويل قوله:

﴿أَوْلَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣].

هل هو الجماع أو اللمس باليد والقبلة ونحوها.

وتنازعوا في تأويل قوله:

﴿وَلَا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣].

هل هو المسافر يصلي بالتميم مع الجنابة، أو المجتاز

بمواضع الصلاة كالمساجد وهو جنب.

وتنازعوا في تأويل ذوي القربى المستحقين من الخمس

هل هم قرابة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أو قرابة

الإمام.

(١) ب: (التأويل) بدون الفاء.

(٢) في هامش ب: (التأويل المأجور عليه).

(٣) ب: (أجران).

وتنازعوا / في تأويل قوله (تعالى) (١):

﴿وَإِذْ أَقْرَبْتَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾

[الأعراف: ٢٠٤].

هل يدخل فيه قراءة الصلاة الواجبة أم لا .

وتنازعوا في تأويل قوله :

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ

أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

هل يتناول اللفظ الحامل ، أم هو للحائل (٢)(٣) فقط .

وتنازعوا في قوله :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَبْتَةٌ﴾ [المائدة: ٣].

هل يدخل فيه ما مات في (٤) البحر أم لا .

وتنازعوا في تأويل «الكلالة» .

وفي تأويل قوله (تعالى) (٥):

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١].

(١) (تعالى): سقط من ب .

(٢) ب: (للحامل).

(٣) الحائل: ضد الحامل، يقال حالت الناقة تحيل تحيلاً: لم تحمل .

لسان العرب ١٠٧٣/٢، مادة حيل .

(٤) ظ: (من).

(٥) (تعالى): سقط من ب .

وأمثال ذلك ولم يتنازعا في تأويل آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفقت كلمتهم وكلمة التابعين بعدهم على إقرارها، وإمرارها، مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا وأن العناية ببيانها أهم، لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد، فبينها الله ورسوله بيانا (شافياً) (١) لا يقع فيه لبس، ولا إشكال يوقع الراسخين في العلم في منازعة، ولا اشتباه، ومن شرح الله لها صدره، ونور لها قلبه، يعلم أن دلالتها على معانيها أظهر من دلالة كثير من آيات الأحكام على معانيها. ولهذا آيات الاحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس، وأما آيات الأسماء والصفات فيشترك في فهمها الخاص والعام، أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية. ولهذا أشكل على بعض الصحابة (٢) قوله:

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾،

حتى بين لهم بقوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(١) (شافياً): سقط من ب.

(٢) يشير بذلك إلى قصة عدي فيما رواه البخاري عنه بسنده أنه قال: «أخذ عدي عقلاً أبيض وعقلاً أسود، حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبيناً، فلما أصبح قال: يا رسول الله جعلت تحت وسادي، قال: إن وسادك إذا لعريض إن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك». رواه البخاري (فتح الباري ١٨٢/٨) - في كتاب التفسير - باب: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، إلى قوله: ﴿يَتَّقُونَ﴾، ح ٤٥٠٩.

ولم يشكل عليه ولا على غيره قوله :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ^(١)﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأمثالها من آيات الصفات [وأشكل على عمر بن الخطاب آية الكلاله ولم يشكل عليه أول الحديد وآخر الحشر وأول سورة طه ونحوها من آيات الصفات]^(٢). وأيضاً، فإن بعض آيات الأحكام مجمله عرف بيانها بالسنة كقوله تعالى :

﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فهذا مجمل في قدر الصيام والإطعام فبينته السنة^(٣) بأنه

(١) في ظ: (الداعي إذا دعاني)، ب: (الداعي).

(٢) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٧/٤٤٤، ٤٤٥) من طريق كعب بن عجرة - في كتاب المغازي - باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾، ح ٤١٥٩.

ورواه مسلم (٢/٨٥٩، ٨٦٠) - في كتاب الحج - باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى ووجوب الفدية لحلقه وبيان قدرها، ح ٨٠.

ولفظ الحديث كما في البخاري: «عن كعب بن عجرة أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» رآه وقمله يسقط على وجهه فقال: أيؤذيك هوامك؟ قال: نعم، فأمره رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن يخلق وهو بالحديبية، لم يبين لهم أنهم يخلون بها وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن يطعم فرقاً بين ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام».

آيات الأحكام
بعضها مجمل يحتاج
إلى بيان بخلاف
آيات الصفات

صيام ثلاثة^(١) أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة^(٢) وكذلك قوله: ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ مجمل في مقدار الطواف فبيته السنة بأنه سبع^(٣) ونظائره كثيرة كآية السرقة وآية الزكاة وآية الحج. وليس في آيات الصفات وأحاديثها مجمل يحتاج إلى بيان من خارج، بل بيانها فيها وإن جاءت السنة بزيادة في البيان والتفصيل فلم تكن آيات الصفات مجملة (محملة)^(٤) لا يفهم^(٥) المراد منها إلا بالسنة بخلاف آيات الأحكام.

فإن قيل هذا يرد ما قد عرف أن آيات الأمر والنهي والحلال والحرام محكمة وآيات الصفات متشابهة فكيف يكون المتشابه أوضح من المحكم.

قيل: التشابه والإحكام نوعان: تشابه وإحكام يعم الكتاب كله، وتشابه وإحكام يخص بعضه دون بعض. فالأول كقوله تعالى:

التشابه والإحكام

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

وقوله:

﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١].

(١) ظ: (سته) وهو خطأ.

(٢) لفظ ب: (فبيته السنة بنسك شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام).

(٣) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٤) (محملة): سقط من ب.

(٥) ظ: (لا يعلم).

وقوله:

﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢].

والثاني كقوله:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأُخْرَى^(١) مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

فإن أردتم بتشابه آيات الصفات النوع الأول فنعم هي متشابهة غير متناقضة يشبه بعضها بعضاً، وكذلك آيات الأحكام، وإن أردتم أنه^(٢) يشبه المراد بها بغير المراد فهذا وإن كان يعرض لبعض الناس فهو أمر نسبي، إضافي، فيكون متشابهاً بالنسبة إليه دون غيره. ولا فرق في هذا بين آيات الأحكام وآيات الصفات فإن المراد قد يشبه فيهما بغيره على بعض الناس دون بعض.

وقد تنازع الناس^(٣) في المحكم والمتشابه تنازعاً كثيراً، ولم يعرف عن أحد من الصحابة قط أن المتشابهات آيات الصفات، بل المنقول عنهم يدل على خلاف ذلك فكيف تكون آيات الصفات متشابهة^(٤) عندهم وهم لا يتنازعون في شيء منها، وآيات الأحكام هي المحكمة، وقد وقع بينهم

(١) ظ: (وأخرى).

(٢) ظ: (أن).

(٣) في هامش ب: (المحكم والمتشابه).

(٤) في ظ: (متشابه).

النزاع في بعضها. وإنما هذا قول بعض المتأخرين. وسيأتي
إشباع الكلام في هذا في الفصل المعقود له^(١) إن شاء الله
[تعالى]^(٢).

(١) أحال ابن القيم على هذا الفصل في هذا الموضوع، وفي ص ٥٢١، وقال هناك بعد أن
تحدث عن المحكم والمتشابه، وسنفرد الكلام على هذا بفصل مستقل بعد كسر
الطواغيت الأربعة التي نصبوها لهدم معادل الدين ونبيين معنى المحكم والمتشابه ونبيين
أن آيات الصفات محكمة فإنها من أبين الكتاب أحكاماً. . . إلخ، ولم أجد هذا الفصل
في نهاية الجزء الثاني من المختصر فلعله في الجزء الثاني المفقود من هذا الكتاب.
(٢) (تعالى): إضافة من ب.

الفصل الخامس^(١)

في الفرق بين تأويل التحريف وتأويل
التفسير وأن الأول ممتنع وقوعه في
الخبر والطلب، والثاني يقع فيهما

ذكر الله سبحانه التحريف وذمه حيث ذكره. وذكر
التفسير وذكر التأويل، فالتفسير^(٢): هو إبانة المعنى وإيضاحه.
قال (الله)^(٣) تعالى:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾

[الفرقان: ٣٣].

وهذا غاية الكمال أن يكون المعنى في نفسه حقاً
والتعبير عنه أفصح تعبير وأحسنه وهذا شأن القرآن، وكلام
الرسول، صلوات الله وسلامه عليه.

والتحريف: العدول بالكلام عن وجهه، وصوابه إلى
غيره، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه. والنوعان
مأخوذان من الأصل عن اليهود فهم الراسخون فيهما^(٤) وهم

(١) ظ. م: (الرابع).

(٢) في هامش ب: (تأويل التحريف وتأويل التفسير).

(٣) لفظ الجلالة سقط من ب، م.

(٤) ظ، م: (فيها).

شيوخ المحرفين وسلفهم فإنهم حرفوا كثيراً من ألفاظ التوراة وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن، دون غيرهم من الأمم. ودرج على آثارهم الرافضة^(١)، فهم أشبه بهم من القذة بالقذة، والجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص (الواردة)^(٢) في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود ولما لم يتمكنوا من تحريف نصوص القرآن حرفوا معانيه وسطوا عليها وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد الدين فإنه جاء فوجد باباً مفتوحاً وطريقاً مسلوكة، ولم يمكنهم أن يخرجوه من باب أو يردوه من طريق قد شاركوه فيها وإن كان الملحد قد وسع باباً بهم فتحوه وطريقاً / هم اشتقوه^(٣) فهما بمنزلة رجلين اثمنا^(٤) على مال فتأول أحدهما وأكل منه ديناراً فتأول الآخر وأكل منه عشرة. فإذا^(٥) أنكر عليه صاحبه قال إن حل^(٦)

[١١/١]

(١) سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي حينما توجه لقتال هشام بن عبد الملك فقال أصحابه: تبرأ من الشيخين حتى نكون معك. فقال: لا بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما. فقالوا: إذا نرفضك. فسميت الرافضة. وهم يثبتون الإمامة عقلاً وأن إمامة علي وتقديمه ثابت نصاً وأن الأئمة معصومون وقالوا بتفضيل علي على سائر الصحابة وتبرأوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة ويقولون برجعة الأموات وأن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي رضي الله عنه.

انظر تفاصيل مذهبهم في: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص ٣٦؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٧٧، ٧٨؛ رسالة في الرد على الرافضة، ص ٦٥، ٦٧.

(٢) (الواردة): سقط من ب.

(٣) م: (استبقوه).

(٤) م: (او منا).

(٥) ظ، م: (وإذا).

(٦) ظ، م: (لكل).

أكل الدينار بالتأويل حَلَّ (١) أكل العشرة به ولا سيما إذا زعم
أكل الدينار أن الذي ائتمنه إنما أراد منه التأويل، وأن المتأويل
أعلم بمراده من المالك (٢) فيقول له صاحبه أنا أسعد منك
وأولى بأكل هذا المال.

والمقصود أن التأويل يتجاذبه أصلان: التفسير،
والتحريف. فتأويل التفسير هو الحق، وتأويل التحريف
هو الباطل. فتأويل التحريف من جنس الإلحاد فإنه هو الميل
بالنصوص عن ما هي عليه، إما بالطنع فيها، أو بإخراجها
عن حقائقها مع الإقرار بلفظها. وكذلك الإلحاد في أسماء الله
تارة يكون بجحد معانيها. وحقائقها، وتارة يكون بإنكار
المسمى بها، وتارة يكون بالتشريك بينه وبين غيره فيها،
فالتأويل الباطل هو الإلحاد وتحريف وإن سماه أصحابه تحقيقاً
وعرفاناً وتأويلاً.

أمثلة لتأويل
التحريف

فمن تأويل التحريف والإلحاد تأويل الجهمية قوله
تعالى:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

أي جرح قلبه بالحكم والمعارف تجريحاً. ومن تحريف
اللفظ تحريف إعراب قوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ﴾ في الرفع إلى
النصب. وقال ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ﴾ أي موسى كلم الله، ولم يكلمه

(١) ظ، م: (أكل).

(٢) ظ، م، ب: (المسك)، ولعل الصواب ما أثبتته.

الله . وهذا^(١) من جنس تحريف اليهود بل أقبح منه واليهود في هذا الموضوع أولى بالحق منهم . ولما حرفها بعض الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد فكيف تصنع بقوله :

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]

فبهت المحرف .

ومن هذا أن بعض الفرعونية سأل بعض أئمة العربية هل يمكن أن يقرأ العرش بالرفع في قوله :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] .

وقصد الفرعوني بهذا التحريف أن يكون الاستواء صفة للمخلوق لا للخالق . ولوتيسر لهذا الفرعوني هذا التحريف في هذا الموضوع لم يتيسر له في سائر الآيات .

ومن تأويل التحريف تأويل قوله صلى الله عليه وسلم : «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات كجر السلسلة على الصفوان فيصعقون فيكون أول من يفيق جبريل»^(٢) .

المثال الثاني

المثال الثالث

(١) ب : كرر لفظ : هذا .

(٢) رواه أبو داود (عون المعبود ١٣/٦٦ ، ٦٧) من طريق مسروق، عن عبدالله، في كتاب السنة، باب في الرد على الجهمية، ح ٤٧١٢ . ورواه البخاري معلقاً موقوفاً على ابن مسعود (فتح الباري ١٣/٤٥٢) في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ .

قال الحافظ : ووصله البيهقي في الأسماء والصفات، من طريق أبي معاوية عن الأعمش (الفتح ١٣/٤٥٦) . وانظر : الأسماء والصفات، للبيهقي، ص ٢٦٢، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ .

قالوا تأويله إذا تكلم ملك الله بالوحي، لا أن الله يتكلم، فجعلوا صعق الملائكة وخروورهم سجداً لكلام جبريل، الذي قد صعق معهم، من كلام نفسه.

ومن تأويل التحريف: تأويل القدرية^(١) المجوسية المثال الرابع
نصوص القدر بما أخرجها عن حقائقها، ومعانيها. وتأويل
الجهمية نصوص الصفات بما أخرجها عن حقائقها، وأوجب
تعطيل الرب جل جلاله عن صفات كماله كما عطلته
القدرية عن كمال قدرته ومشئته فنحن لا ننكر التأويل بل
حقيقة العلم هو التأويل، والراسخون في العلم هم أهل
التأويل، ولكن أي التأويلين فنحن أسعد بتأويل التفسير من
غيرنا، وغيرنا أشقى بتأويل التحريف منا. والله الموفق
للصواب.

= وأخرجه البخاري (فتح الباري ٥٣٧/٨، ٥٣٨) من طريق أبي هريرة، في تفسير
سورة سبأ، بلفظ: «إذ قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها». .
الحديث»، ح ٤٨٠٠؛ وفي خلق أفعال العباد، ص ٢٠ و ص ١٥١. وانظر بقية
التخريج في: فتح الباري ٤٥٦/١٣.

(١) سماوا بذلك لقولهم في القدر، وهم يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالاً
فأثبتوا خالقاً مع الله ولذا سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة «لأن
المجوس قالوا بإثبات خالقين: النور والظلمة». وهم يزعمون أن الله لا يقدر على
مقدورات غيره وهذا هو مذهب المعتزلة في القدر.

الملل والنحل: للشهرستاني، ٥٤/١؛ البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص ٢٦،
٢٧؛ عون المعبود ٤٥٢/١٢، ٤٥٣.

الفصل السادس^(١)

في تعجيز المتأولين^(٢) عن تحقيق^(٣) الفرق بين
ما يسوغ تأويله من آيات^(٤) الصفات وأحاديثها
وما لا يسوغ

لا ريب^(٥) أن الله سبحانه وصف نفسه بصفات وسمى
نفسه بأسماء وأخبر عن نفسه بأفعال، فسمى نفسه^(٦)
بالرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن،
المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، إلى سائر ما ذكر من
أسمائه الحسنى، ووصف نفسه بما ذكره من الصفات،
كسورة الإخلاص، وأول الحديد، وأول طه وغير ذلك،
ووصف نفسه بأنه يحب، ويكره، ويمقت، ويرضى،
ويغضب، ويأسف، ويسخط، ويحيي، ويأتي، وينزل إلى
سواء الدنيا، وأنه استوى على عرشه، وأن له علماً، وحياة،
وقدرة، وإرادة، وسمعاً، وبصراً، ووجهاً، وأن له يدين،

(١) في ظ، م: (الخامس).

(٢) في ظ: (التأولين).

(٣) ظ، م: (حقيقة).

(٤) ظ، م: (إثبات).

(٥) ظ: (لا رب).

(٦) (بأفعال، فسمى نفسه): مكرر في ظ، م.

وأنه فوق عباده، وأن الملائكة تعرج إليه، وتنزل بالأمر من عنده، وأنه قريب، وأنه مع المحسنين، ومع الصابرين، ومع المتقين، وأن السموات مطويات بيمينه.

ووصفه رسوله بأنه يفرح، ويضحك، وأن قلوب العباد بين أصابعه، وغير ذلك مما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فيقال للمتأول: هل تتأول هذا كله على خلاف ظاهره، وتمنع حمله على حقيقته^(١) أم تقر^(٢) الجميع على ظاهره، وحقيقته؟ أم تفرق بين بعض ذلك، وبعضه؟

الرد على نفاة
الصفات

فإن تأولت الجميع وحملته على خلاف حقيقته، كان ذلك عناداً ظاهراً وكفراً صراحاً، وجحداً للربوبية^(٣)، وحينئذ فلا تستقر لك قدم على إثبات ذات الرب تعالى، ولا صفة من صفاته، ولا فعل من أفعاله، فإن أعطيت هذا من نفسك ولم تستهجنه التحقت^(٤) بإخوانك الدهرية الملاحدة الذين لا يشبتون للعالم خالقاً^(٥) ولا رباً.

فإن قلت: بل أثبت أن للعالم صانعاً وخالقاً ولكن لا أصفه بصفة تقع على خلقه وحيث وصف بما يقع على المخلوق أتأوله.

(١) في ظ، م: (حقيقة).

(٢) ظ، م: (تفسر).

(٣) في ظ، م: (لربوبيته).

(٤) في ظ، م: (الحقت).

(٥) في ظ، م: (خالقاً).

قيل لك فهذه^(١) الأسماء الحسنى والصفات التي وصف
بها نفسه (هل)^(٢) تدل على معان ثابتة هي حق في نفسها
أم لا تدل؟

فإن نفيت دلالتها على معنى ثابت كان ذلك غاية
التعطيل. وإن أثبت دلالتها / على معان هي حق ثابت
[قيل]^(٣) لك فما الذي سوغ لك تأويل بعضها دون بعض
وما الفرق بين ما أثبتته، ونفيتها، وسكت عن إثباته، ونفيه،
من جهة السمع، أو العقل^(٤).

[١٢/١]

ودلالة النصوص^(٥) على أنه له سمعاً، وبصراً، وعلماً،
وقدرة، وإرادة، وحياة، وكلاماً، كدلالتها على أن له رحمة،
ومحبة، وغضباً، ورضى، وفرحاً، وضحكاً، ووجهاً،
ويدين، فدلالة النصوص على ذلك سواء، فلم نفيت حقيقة
رحمته، ومحبته، ورضاه، وغضبه، وفرحه، وضحكه،
وأولتها بنفس الإرادة. فإن قلت: لأن^(٦) إثبات الإرادة،
والمشيئة لا يستلزم تشبيهاً وتجسيماً وإثبات حقائق هذه
الصفات يستلزم التشبيه، والتجسيم، فإنها لا تعقل إلا في
الأجسام، فإن الرحمة^(٧) رقة تعتري طبيعة الحيوان، والمحبة ميل

(١) م: (هذه).

(٢) (هل): سقط من م.

(٣) إضافة من ب.

(٤) في ب: (السمع والعقل).

(٥) ظ، م: (النص).

(٦) ظ، م: (ان).

(٧) في هامش ب: (تعريف الرحمة والمحبة).

النفس لجلب ما ينفعها، والغضب غليان دم القلب طلباً للانتقام، والفرح انبساط دم القلب لورود ما يسره عليه. قيل لك^(١) وكذلك الإرادة هي ميل النفس إلى جلب ما ينفعها، ودفع ما يضرها، وكذلك جميع ما أثبتته من الصفات إنما هي أعراض قائمة بالأجسام في الشاهد، فإن العلم انطباع صورة المعلوم^(٢) في نفس العالم، أو صفة عرضية قائمة به، وكذلك السمع، والبصر، والحياة، أعراض قائمة بالموصوف فكيف لزم التشبيه والتجسيم من إثبات تلك الصفات ولم يلزم من إثبات هذه. فإن قلت: لأنني^(٣) أثبتتها على وجه لا يماثل صفاتنا ولا يشابهها [قيل لك فهلا أثبت الجميع على وجه لا يماثل صفات المخلوقين ولا يشابهها]^(٤) ولم فهمت من إطلاق هذا التشبيه والتجسيم وفهمت من إطلاق ذلك التنزيه والتوحيد وهلا قلت أثبت له وجهاً^(٥) ومحبة وغضباً ورضى وضحكاً ليس من جنس صفات المخلوقين. فإن قلت هذا لا يعقل قيل لك فكيف عقلت سمعاً وبصراً وحياة وإرادة ومشية ليست من جنس صفات المخلوقين. فإن قلت: أنا أفرق بين ما يتأول وبين^(٦) ما لا يتأول بأن ما دل

(١) ظ: (قبل ذلك).

(٢) ب: (العلوم).

(٣) في ظ، م: (أنا).

(٤) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٥) في ظ: (وجه)، وفي ب: (رحمة).

(٦) (بين): سقط من ب.

العقل على ثبوته ممتنع^(١) تأويله كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر وما لا يدل عليه العقل يجب أو يسوغ تأويله كالوجه واليد والضحك والفرح والغضب والرضى. فإن الفعل^(٢) المحكم دل على قدرة الفاعل، وإحكامه دل على علمه. والتخصيص دل على الإرادة، فيمتنع مخالفة ما دل عليه صريح العقل.

قيل لك أولاً، وكذلك الإنعام والإحسان وكشف الضر وتفريج الكربات دل على الرحمة كدلالة التخصيص على الإرادة سواء. والتخصيص بالكرامة، والاصطفاء، والاجتباء دال على المحبة كدلالة ما ذكرت على الإرادة. والإهانة، والطرْد، والإبعاد، والحرمان دال على المقت، والبغض كدلالة ضده على الحب، والرضى.

والعقوبة، والبطش، والانتقام^(٣) دال على الغضب كدلالة ضده على الرضى.

ويقال ثانياً: هب أن العقل لا يدل على إثبات هذه الصفات التي نفيتها، فإنه لا ينفىها. والسمع دليل^(٤) مستقل بنفسه، بل الطمأنينة إليه في هذا الباب أعظم من الطمأنينة إلى مجرد العقل، فما الذي يسوغ لك نفي مدلوله.

ويقال لك ثالثاً: إن كان ظاهر النصوص يقتضي تشبيهاً

(١) ب: (يمتنع).

(٢) ب: (العقل).

(٣) ظ: (والاسقام).

(٤) في ظ: (دليل).

أو تجسماً فهو يقتضيه في الجميع، فأول الجميع، وإن كان لا يقتضي ذلك لم يجز تأويل شيء منه، وإن زعمت (أن) (١) بعضها يقتضيه وبعضها لا يقتضيه طولبت بالفرق بين الأمرين وعادت المطالبة جذعاً.

ولما تفتن بعضهم لتعذر (٢) الفرق قال: ما دل عليه الإجماع كالصفات السبع (٣) لا يتأول وما لم يدل عليه إجماع فإنه يتأول. وهذا كما تراه من أفسد الفروق، فإن مضمونه أن الإجماع أثبت ما يدل على التجسيم والتشبيه، ولولا ذلك لتأولناه فقد اعترفوا بانعقاد الإجماع على التشبيه، والتجسيم (٤).

وهذا قدح في الإجماع، فإنه لا ينعقد على باطل.

ثم يقال إن كان الإجماع قد انعقد على إثبات هذه الصفات، وظاهرها يقتضي التجسيم، والتشبيه، بطل نفيكم لذلك وإن لم ينعقد عليها بطل التفريق (٥) به.

ثم يقال: خصوصكم من المعتزلة لم يجمعوا (٦) معكم على إثبات هذه الصفات فإن قلتم: انعقد الإجماع قبلهم. قيل: صدقتم والله. والذين أجمعوا قبلهم على هذه الصفات،

(١) (ان): سقط من ب.

(٢) ظ، م: (لتعدد).

(٣) ظ، م، ب: (السبعة).

(٤) ب: (على التجسيم والتشبيه).

(٥) في ظ: (الفريق)، وفي م: (الفرق).

(٦) في النسخ الثلاث: (لم يجمع) ولعل الصواب ما أثبتته.

أجمعوا على إثبات سائر الصفات، ولم يخصوها بسبع، بل
تخصيصة بسبع خلاف قول السلف، وقول الجهمية
والمعتزلة، فالناس كانوا طائفتين سلفية وجهمية فحدثت
الطائفة السبعية^(١) ^(٢) واشتقت قولاً بين القولين فلا للسلف
اتبعوا ولا مع الجهمية بقوا^(٣).

وقالت طائفة أخرى: ما لم يكن ظاهره جوارح،
وأبعض، كالعلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والكلام،
لا يتأول. وما كان ظاهره جوارح، وأبعض، كالوجه،
واليد، والقدم، والساق، والإصبع، فإنه يتعين تأويله
لاستلزام إثباته التركيب، والتجسيم.

قال المثبتون: جوابنا لكم بعين [الجواب]^(٤) الذي
تجيئون [به]^(٥) خصومكم من الجهمية، والمعتزلة، نفاة^(٦)
الصفات، فإنهم قالوا لكم: لوقام به سبحانه صفة
وجودية / كالسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والحياة،
لكان محلاً للأعراض ولزم التركيب، والتجسيم،
والانقسام، كما قلت لو كان له وجه، ويد، وإصبع، لزم

[١٣/١]

(١) في هامش ب: (السبعية).

(٢) هم الأشاعرة الذين يثبتون سبع صفات هي: العلم، والإرادة، والقدرة، والكلام،
والسمع، والبصر، والحياة.

(٣) في ظ: (بقرا).

(٤) (الجواب): إضافة من ب.

(٥) (به): إضافة من ب.

(٦) ظ: (تبات).

التركيب، والانقسام، فحينئذ فما هو جوابكم لهؤلاء نجيبكم به .

فإن قلتم نحن نثبت هذه الصفات على وجه لا تكون أعضاءً، ولا نسميها أعضاءً فلا يستلزم تركيباً ولا تجسيماً .

قيل لكم ونحن نثبت الصفات التي أثبتها الله لنفسه إذ(١) نفيتموها أنتم عنه على وجه لا يستلزم الأبعاض والجوارح ولا يسمى المتصف بها مركباً ولا جسماً ولا منقسماً .

فإن قلتم هذه لا يعقل منها إلا الأجزاء والأبعاض . قلنا لكم : وتلك لا يعقل منها إلا الأعضاض .

فإن قلتم : العرض لا يبقى زمانين وصفات الرب باقية قديمة أبدية فليست أعضاضاً .

قلنا وكذلك الأبعاض هي ما جاز مفارقتها، وانفصالها، وانفكاكها، وذلك في حق الرب تعالى محال، فليست أبعاضاً، ولا جوارح، فمفارقة الصفات الإلهية للموصوف بها مستحيل مطلقاً في النوعين والمخلوق يجوز أن تفارقه أعضاضه، وأبعاضه .

فإن قلتم إن كان الوجه عين اليد وعين الساق والإصبع فهو محال وإن كان غيره لزم التمييز(٢) ويلزم التركيب .

قلنا لكم وإن كان السمع هو عين البصر وهما نفس العلم وهي نفس الحياة والقدرة فهو محال، وإن تميزت لزم التركيب

(١) ظ، م : (و) بدل (إذ) .

(٢) ب : (التمييز) .

فما هو جوابكم^(١) فالجواب مشترك^(٢). فإن قلت: نحن نعقل صفات ليست أعراضاً تقوم بغير جسم [متحيز]^(٣) وإن لم يكن له^(٤) نظير في الشاهد^(٥).

قلنا [لكم فاعقلوا صفات ليست بأبعاض تقوم بغير جسم وإن لم يكن له في الشاهد نظير]^(٦) ونحن لا ننكر الفرق بين النوعين في الجملة ولكن فرق غير نافع لكم في التفريق بين النوعين وأن أحدهما يستلزم التجسيم والتركيب والآخر لا يستلزمه. ولما أخذ هذا الإلزام بحلوق^(٧) الجهمية قالوا الباب كله عندنا واحد ونحن ننفي الجميع.

فتبين^(٨) أنه لا بد لكم من واحد من أمور ثلاثة^(٩) إما هذا^(١٠) النفي العام والتعطيل المحض. وإما أن تصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، ولا تتجاوزوا القرآن، والحديث، وتتبعوا في ذلك سبيل السلف الماضين^(١١)

الأول
الثاني

-
- (١) في جميع النسخ: (جواب لكم) وما أثبتته من مختصر الصواعق ٢٦/١.
(٢) ظ، م: (مسترلي).
(٣) إضافة من ب.
(٤) م: (لها).
(٥) ظ، م: (في الشاهد نظير).
(٦) إضافة من ب.
(٧) ظ: (بحراق)، م: (بحذاق).
(٨) ظ، م: (فيين).
(٩) الأمور الثلاثة هي: المذهب الحق. أو التعطيل المحض. أو التناقض.
(١٠) ظ، م: (هكذا).
(١١) ظ، م: (الماضي).

الذين هم أعلم الأمة بهذا الشأن نفيًا، وإثباتًا وأشد تعظيمًا لله، وتنزيهاً له، عما لا يليق بجلاله، فإن المعاني المفهومة من الكتاب، والسنة، لا ترد بالشبهات فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يترك تدبرها، ومعرفتها، فيكون ذلك مشابهة للذين إذا ذكروا بآيات^(١) ربهم خروا عليها صمًا وعمياناً. ولا^(٢) يقال هي ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يعرف المراد منها فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، بل هي آيات بينات دالة على أشرف المعاني، وأجلها. قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم، والإيمان، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك، فكان الباب عندهم باباً واحداً قد اطمأنت به قلوبهم وسكنت إليه نفوسهم فأنسوا من صفات كماله، ونعوت جلاله، بما استوحش منه الجاهلون، المعطلون، وسكنت قلوبهم إلى ما نفر منه الجاحدون، وعلموا^(٣) أن الصفات حكمها حكم الذات. فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات فصافته لا تشبه الصفات فما جاءهم من الصفات عن المعصوم تلقوه بالقبول وقابلوه بالمعرفة، والإيمان، والإقرار^(٤)، لعلمهم بأنه صفة من لا يشبهه^(٥) لذاته ولا لصفاته.

(١) ظ، م: (آيات).

(٢) في هامش ب: (البحث على كلمات القرآن العظيم).

(٣) في هامش ب: (بحث صفاته تعالى).

(٤) ظ: (والاقران).

(٥) ظ: (يشبه).

قال الإمام أحمد: «إنما التشبيه أن يقول يد كيد، أو وجه كوجه. فأما إثبات يد ليست كالأيدي ووجه ليس كالوجوه، فهو كإثبات ذات ليست كالذوات. وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ليس كالأسماع والأبصار وليس إلا هذا المسلك أو مسلك التعطيل المحض أو التناقض الذي لا يثبت لصاحبه قدم في النفي ولا في الإثبات وبالله التوفيق».

الثالث

وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلته^(١) ومذهبها، فالعيار^(٢)(٣) على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت^(٤) إليه والقواعد التي أصلتها^(٥) فما وافقها أقره ولم يتأولوه وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه^(٦). ولهذا لما أصلت^(٧) الرافضة^(٨) عداوة الصحابة ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تأولوه. ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلم ولا يكلم أحداً ولا يرى

بيان أن ضابط التأويل عند كل فرقة المذهب الذي ذهبت إليه

(١) ظ، م: (نحلها).

(٢) م: (والمعيار).

(٣) قال في اللسان: (والمعيار من المكايل: ما عُرِّ. قال الليث: العيار: ما عايرت به المكايل، فالعيار صحيح تام واف. تقول: عايرت به، أي سويته، وهو العيار والمعيار).

لسان العرب ٤/٣١٨٧، مادة (عير)، دار المعارف.

(٤) ظ، م: (ذهب).

(٥) ظ، م: (أصلها).

(٦) ظ: (ولا تأولوه).

(٧) في هامش ب: (تأصيل الفرق).

(٨) انظر: ص ٢١٦.

بالأبصار ولا هو فوق عرشه مبائن لخلقه ولا له صفة تقوم به أولوا كل ما خالف ما أصلوه .

ولما أصلت القدرية^(١) أن الله سبحانه لم يخلق أفعال عباده ولم يقدرها عليهم أولوا كل ما خالف أصولهم [ولما أصلت المعتزلة القول بنفوذ الوعيد وأن من دخل النار لم يخرج منها أبداً أولوا كل ما خالف أصولهم]^(٢) .

ولما أصلت المرجئة^(٣) أن الإيمان هو المعرفة وأنها لا تزيد ولا تنقص أولوا ما خالف أصولهم .

ولما أصلت الكلابية^(٤) أن الله سبحانه لا يقوم به

(١) انظر: ص ٢١٩ .

(٢) ما بين المعكوفتين إضافة من ب .

(٣) سماوا بذلك لقولهم بالإرجاء وأصل الإرجاء التأخير وذلك لأنهم أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان .

وقيل من إعطاء الرجاء حيث قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل النار أو من أهل الجنة فعلى هذا، المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان . وقيل الإرجاء تأخير على من الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة فعلى هذا المرجئة والشيعية طائفتان متقابلتان . والمرجئة أربعة أصناف، مرجئة الخوارج، مرجئة القدرية، مرجئة الجبرية، المرجئة الخالصة .

انظر: تفاصيل مذهبهم في الملل والنحل ١/١٨٦؛ الفصل في الملل والنحل ٢/١١٣؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٠٧، ١٠٨ .

(٤) هم أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب وهم يزعمون أن صفاته تعالى لا هي هو ولا غيره ويقولون بأن الصفات لا تتغير وأن العلم لا هو القدرة ولا غيرها وكذلك سائر الصفات . كما يقولون أن أسماء الله هي صفاته ولم يفرقوا بين صفات الذات وصفات الأفعال .

ما يتعلق بقدرته ومشيئته وسموا ذلك حلول الحوادث أولوا كل ما خالف هذا الأصل .

ولما أصلت الجبرية^(١) أن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل بوجه من الوجوه وأن حركات / العباد بمنزلة هبوب الرياح وحركات الأشجار أولوا كل ما جاء بخلاف ذلك .

[١٤/١]

فهذا^(٢) في الحقيقة هو عيار التأويل عند الفرق كلها حتى المقلدين في الفروع أتباع الأئمة الذين اعتقدوا المذهب ثم طلبوا الدليل عليه ضابط ما يتأول عندهم وما لا يتأول ما خالف المذهب أو وافقه . ومن تأمل مقالات الفرق، ومذاهبها، رأى ذلك عياناً وباللغة التوفيق .

وكل من هؤلاء يتأول دليلاً سمعياً ويقر على ظاهره نظيره أو ما هو أشد^(٣) قبولاً للتأويل منه، لأنه ليس عندهم في نفس الأمر ضابط كلي^(٤) مطرد منعكس يفرق ما يتأول

= انظر: تفاصيل مذهبهم في مقالات الإسلاميين ١/٢٥٠، ٢٥٣، ٢٢٥/٢، ٢٢٧؛ نهاية الإقدام، ص ١٨١؛ أصول الدين، ص ٩٠ .

(١) سمو بذلك نسبة إلى الجبر فهم يقولون إن العبد مجبور على فعله فهو كالريشة في مهب الريح وكحركات المرتعش ليس له إرادة ولا قدرة على الفعل، ومن قال بهذا الجهم بن صفوان وهم أصناف الجبرية الخالصة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً .

الجبرية المتوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة .

انظر: تفاصيل مذهبهم في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٠٣؛ الملل والنحل، للشهرستاني ١/١٠٨؛ رسالة في الرد على الرافضة، ص ١٦٩، ١٧٠ .

(٢) ب: (فهذا هو في) .

(٣) ب: (شواهد) .

(٤) ظ، م: (جلى) .

وما لا يتأول إن هو إلا المذهب وقواعده وما قاله الشيوخ .
وهؤلاء لا يمكن أحد^(١) منهم أن يحتج على مبطل بحجة
سمعية لأنه يسلك في تأويلها نظير ما سلكه هو في تأويل
ما خالف مذهبه . - كما سيأتي بيانه^(٢) في موضعه إن شاء
الله .

(١) م ، ب : (أحدا) .
(٢) انظر: الفصل العشرين ، ص ٤٥٢ في بيان أن أهل التأويل لا يمكنهم إقامة الدليل
السمعي على مبطل أبداً .

الفصل السابع^(١)
في إلزامهم في المعنى الذي
جعلوه تأويلاً نظير ما فروا منه^(٢)

هذا فصل بديع لمن تأمله، يعلم به أن المتأولين لم يستفيدوا بتأويلهم إلا تعطيل حقائق النصوص والتلاعب بها وانتهاك^(٣) حرمتها وأنهم لم يتخلصوا مما ظنوه محذوراً بل هو لازم لهم فيما فروا إليه كلزومه فيما فروا منه بل قد يقعون^(٤) فيما هو أعظم محذوراً كحال الذين تأولوا^(٥) نصوص العلو والفوقية، والاستواء، فراراً من التحيز، والحصر، ثم قالوا هو في كل مكان بذاته، فنزهوه عن استوائه على عرشه، ومباينته لخلقه، وجعلوه في أجواف البيوت، والآبار، والأواني، والأمكنة التي^(٦) يرغب عن ذكرها، فهؤلاء قدماء الجهمية فلما علم متأخروهم فساد

(١) ظ، م: (السادس).

(٢) في هامش ب: (إلزام ما جعلوه تأويلاً نظير ما فروا منه).

(٣) في هامش ب: (انتار).

(٤) ظ، م: (ينفون).

(٥) ظ: (وقالوا)، م: (قالوا).

(٦) ظ، م: (الذي).

ذلك، قالوا ليس وراء العالم، ولا فوق العرش، إلا العدم المحض، وليس هناك رب يعبد، ولا إله يصلى له (١) ويسجد، ولا هو أيضاً في العالم، فجعلوا نسبته إلى العرش كنسبته إلى أحسن مكان تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وكذلك فعل الذين نفوا القدر السابق تنزيهاً لله عن مشيئة القبائح، وخلقها، ونسبوه إلى أن يكون في ملكه ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون ولا يقدر على أن يهدي ضالاً ولا يضل مهتدياً ولا يقلب قلب العاصي إلى الطاعة ولا المطيع إلى المعصية.

وكذلك الذين زهوه عن أفعاله وقيامها به وجعلوه كالجماذ الذي لا يقوم به فعل. وكذلك الذين زهوه عن الكلام القائم به بقدرته ومشيئته وجعلوه كالأبكم الذي لا يقدر أن يتكلم وكذلك الذين زهوه عن صفات كماله وشبهوه بالناقص الفاقد لها. أو بالمعدوم. وهذه حال كل مبطل معطل لما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله.

والمقصود أن المتأول يفر (٢) من أمر (٣) فيقع في نظيره.

مثاله: إذا تأول المحبة، والرحمة، والرضى، والغضب، والمقت، بالإرادة، قيل له يلزمك في الإرادة ما يلزمك في هذه الصفات كما تقدم تقريره.

(١) ظ، م: (إليه).

(٢) في ظ، م: (يقس)، وفي هامش م: (لعله): يفر.

(٣) ب: (الأمر).

وإذا تأول الوجه بالذات، قيل له فيلزمك في الذات
مالزمك في الوجه فإن لفظ الذات يقع على القديم،
والمحدث [كما يقع لفظ الوجه على القديم والمحدث] ^(١) وإذا
تأول لفظ اليد بالقدرة فالقدرة يوصف بها الخالق والمخلوق
فإن فررت من اليد لأنها تكون للمخلوق ففر من القدرة لأنه
يوصف بها. وإذا تأول السمع والبصر بالعلم فراراً من
التشبيه لزمه ما فر منه في العلم وإذا تأول الفوقية بفوقية القهر
لزمه فيها ما فر منه من فوقية الذات فإن القاهر من اتصف
بالقوة والغلبة ولا يعقل [هذا] ^(٢) إلا جسماً فإن أثبتة العقل
غير جسم لم يعجز عن إثبات فوقية الذات لغير جسم.

وكذلك من تأول الإصبع بالقدرة، فإن القدرة أيضاً
صفة قائمة بالموصوف وعرض من أعراضه. ففر من صفة
إلى صفة، وكذلك من تأول الضحك بالرضى، والرضى
بالإرادة، إنما فر من صفة إلى صفة فهلا أقر النصوص على
ما هي عليه ولم ينتهك حرمتها إذا ^(٣) كان التأويل لا يخرج
عما فر منه فإن المتأول إما أن يذكر معنى ثبوتياً ^(٤) أو يتأول
اللفظ بما هو عدم محض فإن تأوله بمعنى ثبوتى كائناً ما كان
لزمه فيه نظير ما فر منه. فإن قال أنا أثبت ذلك المعنى على
وجه لا يستلزم تشبيهاً.

(١) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٢) (هذا): إضافة من ب.

(٣) ظ، م: (أو).

(٤) ظ، م: (ثبوتاً).

قيل له فهلا أثبت المعنى الذي تأولته على وجه لا يستلزم تشبيهاً.

فإن قال: ذلك أمر^(١) لا يعقل.

قيل له فكيف عقلته في المعنى الذي أثبته وأنت وسائر أهل الأرض إنما تفهم المعاني الغائبة بما تفهمها به في الشاهد^(٢). ولولا ذلك لما عقلت أنت ولا أحد شيئاً غائباً البتة فما أبديته في التأويل إن كان له نظير في الشاهد لزمك التشبيه وإن لم يكن له نظير لم يمكنك تعقله البتة وإن أولت النص بالعدم عطلته فأنت في تأويلك بين التعطيل والتشبيه مع جنايتك على النص وانتهاكك حرمة فهلا عظمت قدره وحفظت حرمة وأقررت وأمررت^(٣) مع نفي التشبيه والتخلص (من التعطيل. وبالله التوفيق)^(٤).

(١) ب: (أمر).

(٢) ظ، م: (المشاهدة).

(٣) ظ، م: (وامرته).

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

الفصل الثامن^(١)

في بيان خطئهم في فهمهم من النصوص
المعاني الباطلة، التي تأولوها لأجلها
فجمعوا بين التشبيه والتعطيل^(٢)

هذا الفصل من عجيب / أمر المتأولين فإنهم فهموا من
النصوص الباطل، الذي لا يجوز إرادته ثم أخرجوها عن
معناها الحق، المراد منها، فأساءوا الظن بها، وبالمتكلم بها،
وعطلوها عن حقائقها التي هي عين كمال الموصوف بها.
ونقتصر من ذلك على مثال ذكره بعض الجهمية ونذكر
ما عليه فيه.

[١٥/١]

قال الجهمي: ورد في القرآن ذكر الوجه، وذكر العين،
وذكر العين الواحدة^(٣)، وذكر الجنب الواحد، وذكر الساق
الواحد، وذكر الأيدي، (وذكر اليدين، وذكر اليد

من شبه الجهمية أن
ظاهر القرآن
يقتضي التشبيه

(١) ظ، م: (السابع).

(٢) في هامش ب: (خطأ المتأولة في فهم المعاني من النصوص وجمعهم بين التشبيه والتعطيل).

(٣) ب: (الواحد).

الواحدة^(١) فلو أخذنا بالظاهر لزمنا إثبات شخص له وجه وعلى^(٢) ذلك الوجه أعين كثيرة، وله جنب واحد عليه أيد كثيرة، وله ساق واحد، ولا يرى في الدنيا شخص^(٣)، أقبح صورة من هذه الصورة المتخيلة ولا يظن أن عاقلاً يرى أن يصف ربه بهذه الصفة.

مقدمة في الرد على
هذه الشبهة

قال [السنّي]^(٤) المعظم^(٥) لحرّمات كلام الله: قد أديعت أيها الجهمي أن ظاهر القرآن، الذي هو حجة الله على عباده، والذي هو خير الكلام، وأصدقّه، وأحسنه، وأفصحّه، وهو الذي هدى الله به عباده، وجعله شفاء لما في الصدور، وهدى، ورحمة للمؤمنين، ولم ينزل كتاب من السماء أهدى منه، ولا أحسن ولا أكمل، فانتهدت حرّمته وعضهته^(٦)^(٧)، ونسبته إلى أقبح النقص، والعيب، فأديعت أن ظاهره، ومدلوله، إثبات شخص له وجه وفيه أعين كثيرة، وله جنب واحد، وعليه أيد كثيرة، وله ساق واحد. فاديعت أن ظاهر ما وصف الله به نفسه في كتابه يدل على

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) ب: (على) بدون واو عطف.

(٣) ظ: (شخطا)، ب: (شخصاً).

(٤) (السنّي): إضافة من ب.

(٥) في هامش ب: (رد السنّي على الجهمي فيما ادعاه من فهم القرآن).

(٦) ظ: (عظمته).

(٧) العضه: قال الأصمعي: هي القالة القبيحة.

لسان العرب ٤/٢٩٩١، مادة عضه، دار المعارف.

هذه الصفة الشنيعة المستقبحة فيكون سبحانه قد وصف نفسه بأشنع الصفات في ظاهر كلامه فأبي طعن في القرآن أعظم من طعن من يجعل هذا ظاهره، ومدلوله وهل هذا إلا من جنس قول الذين جعلوا القرآن عظيمين^(١) فعضهوه^(٢) بالباطل وقالوا هو سحر أو شعر، أو كذب مفترى، بل هذا أقبح من قولهم من وجه: فإن أولئك أقروا بعظمة^(٣) الكلام، وشرف قدره، وعلوه، وجلالته حتى قال فيه رأس الكفر^(٤) «والله إن لكلامه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أسفله^(٥) لمغدق، وإن أعلاه لجنى، وإنه ليعلو، وما يعلى، وما يشبه كلام البشر».

ولم يدع أعداء الرسول، الذين جاهره بالمحاربة، والعداوة، أن ظاهر كلامه أبطل الباطل، وأبين المحال [هو]^(٦) وصف الخالق سبحانه بأقبح الهيئات، والصور،

(١) ب: (عظيم).

(٢) ظ، م: (فعظموه)، ب: (فعظهوه)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (بعظمته).

(٤) هو الوليد بن المغيرة، وهذا القول ذكره ابن جرير الطبري بروايات متعددة في التفسير، في سورة المدثر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، تفسير ابن جرير ٩٨/٢٩، ٩٩؛ رواه الحاكم في المستدرک ٥٠٧/٢، في التفسير وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٦٧/٣.

(٥) ظ: (استفله لعدق).

(٦) (وهو): إضافة من ب.

ولو كان ذلك ظاهر القرآن، لكان ذلك من أقرب الطرق لهم إلى الطعن فيه^(١)، وقالوا كيف يدعوننا إلى عبادة رب له وجه عليه عيون كثيرة، وجنب واحد، وساق واحد، وأيد^(٢) كثيرة فكيف كانوا يسكتون له على ذلك، وهم يوردون عليه ما هو أقل من هذا بكثير، كما أوردوا عليه المسيح لما قال^(٣):

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾^(٤) [الأنبياء: ٩٨].

فتعلقوا^(٥) بظاهر ما لم يدل على ما أوردوه، وهو دخول المسيح فيما عبد من دون الله إما بعموم^(٦) لفظ «ما» وإما بعموم المعنى، فأوردوا على هذا الظاهر هذا الإيراد^(٧).

(١) ظ: (وفيه).

(٢) ظ: (واي).

(٣) ظ، م: (قالوا).

(٤) يشير بذلك إلى ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾، فقال المشركون: الملائكة، وعيسى، وعزير يعبدون من دون الله. فقال: لو كان هؤلاء الذين يعبدون آلهة ما وردوها. قال: فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ عَلَيْهَا يُعْبَدُونَ﴾ عيسى وعزير والملائكة رواه الحاكم في المستدرک ٣٨٥/٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: صحيح.

(٥) ب: (فتعلقوا).

(٦) ب: (لعموم).

(٧) ظ: (هذا لا يراد).

وأورد^(١) أهل الكتاب على قوله :

﴿يَتَأَخْتَهُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٢٨].

إن بين هارون وعيسى ما بينها^(٢)، وليس ظاهر القرآن أنه هارون بن عمران بوجه، وكانوا يتفننون^(٣) فيما^(٤) يوردونه (على القرآن هذا ودونه)^(٥) فكيف تجدون [ما]^(٦) ظاهره إثبات رب شأنه وهيئته ما ذكره هذا الجهمي، ولا يصيحون به على رؤوس الأشهاد، ويشنعون عليه بإثباته في كل حاضر، ويباد فالقوم على شركهم وشدة عداوتهم لله ورسوله كانوا أصح أفهاماً^(٧) من الجهمية الذين نسبوا ظاهر القرآن إلى هذه الصفة القبيحة ولكن الأذهان الغلف والقلوب العمي والبصائر الخفاشية لا يكثر عليها أن تفهم هذا من ظاهر القرآن.

(١) ظ: (أوردوا).

(٢) وذلك فيما رواه مسلم عن المغيرة بن شعبة، قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: «إنكم تقرأون» يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»، (صحيح مسلم ٣/١٦٨٥)، كتاب الأدب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء. ح ٢١٣٥؛ ورواه الترمذي ٣٠٤/٨، ٣٠٥، أبواب التفسير، تفسير سورة مريم.

(٣) ظ: (ينفتو)، م: (ينفتو).

(٤) ظ، م: (ما).

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) (ما): إضافة من ب.

(٧) ظ، م: (أذهانا).

قال أنصار^(١) الله: ونحن نبين أن هذه الصورة الشنيعة
ليست (تفهم)^(٢) [من]^(٣) ظاهر القرآن من وجوه:
الرد على هذه الشبهة
من وجوه

أحدها: أن الله سبحانه إنما قال:

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وقال:

﴿أَوْلَتْرِوْأَنَاخَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيْنَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١].

فدعوى الجهمي أن ظاهر هذا إثبات أعين كثيرة وأيد
كثيرة، فرية^(٤) ظاهرة فإنه إن دل ظاهره على (إثبات)^(٥)
أعين كثيرة وأيد كثيرة دل على خالقين كثيرين فإن لفظ
الأيدي مضاف إلى ضمير الجمع فأدع أيها الجهمي أن
ظاهره^(٦) إثبات أيد كثيرة لآلهة متعددة وإلا فدعواك أن
ظاهره أيد كثيرة لذات واحدة خلاف الظاهر وكذلك قوله:

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

إنما ظاهره^(٦) بزعمك أعين كثيرة، على ذوات متعددة،
لا على ذات واحدة.

(١) في هامش ظ، م: (مطلب).

(٢) (تفهم): سقط من ب.

(٣) (من): إضافة من م.

(٤) ظ: (مدية).

(٥) (إثبات): سقط من ب.

(٦) ظ، م: (ظاهر).

الثاني: أن يقال لك دعواك: أن ظاهر القرآن إثبات أيد كثيرة في جنب واحد كذب آخر فأين في ظاهر القرآن أن الأيدي في الجنب وكأنك إنما أخذت هذا من القياس على بني آدم فشبهت أولاً وعطلت ثانياً. وكذلك جعلك الأعين الكثيرة في الوجه الواحد ليس (في) (١) ظاهر القرآن ما يدل على هذا، وإنما أخذته من التشبيه بالأدمي والحيوان، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن كل معطل مشبه، ولا يستقيم له التعطيل إلا بعد التشبيه.

الثالث: أن يقال أين (٢) في ظاهر القرآن إثبات ساق واحد لله وجنب واحد فإنه سبحانه قال:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

[١٦/١]

وقال:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِئْسَ الرَّبُّ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾

[الزمر: ٥٦].

فعلى تقدير أن يكون الساق والجنب من الصفات فليس من ظاهر القرآن ما يوجب أنه لا يكون له إلا ساق واحد وجنب واحد فلو (٣) دل على ما ذكرت لم يدل على نفي ما زاد على ذلك لا بمنطوقه ولا بمفهومه، حتى إن القائلين بمفهوم

(١) (في): سقط من ب.

(٢) م: (أن).

(٣) ظ، م: (ولو).

اللقب^(١)(٢) لا يدل ذلك عندهم على^(٣) نفي ما عدا المذكور لأنه متى كان للتخصيص بالذكر سبب^(٤) [غير]^(٥) الاختصاص^(٦) بالحكم لم يكن المفهوم مراداً بالاتفاق، وليس المراد بالآيتين إثبات الصفة، حتى يكون تخصيص أحد الأمرين بالذكر مراداً بل المقصود حكم آخر وهو بيان تفريط العبد في حق الله، وبيان سجود الخلائق إذا كشف عن ساق وهذا حكم قد يختص بالمذكور دون غيره، فلا يكون له مفهوم.

الرابع: هب أنه سبحانه أخبر أنه يكشف عن ساق واحدة هي صفة، فمن أين في ظاهر [الآية]^(٧) (أنه)^(٨) ليس له إلا تلك الصفة الواحدة؟ وأنت لو سمعت قائلاً يقول كشفت عن عيني وأبديت عن ركبتني وعن ساقني أو قدمي أويدي هل يفهم منه أنه ليس له^(٩) إلا ذلك الواحد فقط

(١) ب: (القلب).

(٢) هو أحد أقسام مفهوم المخالفة. ويعرف بأنه: (تخصيص اسم بحكم)، وذلك كتخصيص الأشياء الستة في الذكر بتحريم الربا؛ شرح الكوكب المنير ٣/٥٠٩، طبع جامعة أم القرى؛ الإحكام للآمدي ٢/٢١٣؛ المحصول في علم الأصول ٢٢٥/٢/١.

(٣) م: (هل).

(٤) ظ، م: (سبباً).

(٥) (غير): إضافة من ب.

(٦) ظ، م: (لاختصاص) بدون همزة في أوله.

(٧) إضافة من ب بلفظ: (آية)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٨) (أنه): سقط من ب.

(٩) ظ، م، ب: (لك)، والصواب ما أثبتته.

فكم هذا التلبيس والتدليس! فلو قال واحد من الناس هذا لم يكن ظاهر كلامه ذلك فكيف يكون ظاهر أفصح الكلام^(١) وأبينه ذلك.

الخامس: أن المفرد المضاف يراد به ما هو أكثر من واحد كقوله:

﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

وقوله:

﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتَابِهِ﴾^(٢) [التحریم: ١٢].

وقوله:

﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾

[البقرة: ١٨٧].

فلو كان الجنب والساق صفة لكان بمنزلة قوله:

﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

(١) في ظ، م بعد لفظ الكلام زاد عبارة: (هذا لم يكن)، ولا محل لها.

(٢) قرأ حفص وأبو عمرو البصري من السبعة ويعقوب الحضرمي من الثلاثة المكملين العشرة (وكتبه) بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع، وقرأ الباقر (وكتبه) بكسر الكاف وفتح التاء وألف بعدها على التوحيد ولا يتحقق الشاهد إلا على هذه القراءة ولذا أثبتها. وهي في النسخ الثلاث كذلك.

النشر في القراءات العشر ٢/٣٨٩؛ التبصرة في القراءات السبع، ص ٥٣٣.

و: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾^(١) [آل عمران: ٢٦].

و: ﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

السادس: أن يقال: من أين في ظاهر القرآن إثبات جنب واحد، هو صفة الله؟ ومن المعلوم أن هذا لا يثبت أحد من بني آدم، وأعظم الناس إثباتاً للصفات هم أهل السنة والحديث الذين يثبتون لله الصفات الخيرية، ولا يقولون: إن لله جنباً واحداً، ولا ساقاً^(٢) واحدة، قال^(٣) عثمان بن سعيد الدارمي^(٤) في نقضه على المريسي: وادعى المعارض^(٥) زوراً على قوم أنهم يقولون في تفسير قول الله:

﴿بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

إنهم^(٦) يعنون [بذلك]^(٧) الجنب الذي هو العضو، وليس ذلك على ما يتوهمونه^(٨).

(١) ب: (بيدك الخير) و(بيده الملك). (٢) ب: (وساقا).

(٣) في هامش ب: (نقض عثمان الدارمي على المريسي).

(٤) هو عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني ولد سنة ٢٠٠، وكان تلميذاً لأحمد بن حنبل، من كتبه رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، توفي في هرة سنة ٢٨٠.

الأعلام ٤/٢٠٥، ٢٠٦؛ سير أعلام النبلاء ١٣/٣١٩؛ تاريخ التراث العربي ٣١/٤/١.

(٥) رد الدارمي على بشر المريسي: زاد (أيضاً) بعد كلمة المعارض.

(٦) رد الدارمي على بشر المريسي: (قال) بدل (إنهم).

(٧) (بذلك): إضافة من ب.

(٨) انظر: رد الدارمي على بشر المريسي العنيد، ص ١٨٤، الطبعة الأولى، سنة ١٣٥٨، مطبعة أنصار السنة المحمدية.

قال الدارمي: فيقال لهذا المعارض: ما أرخص الكذب عندك وأخفه على لسانك، فإن كنت صادقاً في دعواك فأشربها إلى أحد من بني آدم قاله، وإلا فلم تشنع بالكذب على قوم هم أعلم بهذا التفسير منك وأبصر بتأويل كتاب الله منك، ومن إمامك؟ إنما تفسيرها عندهم تحسر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعو إلى ذات الله^(١)، واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله، فسماهم الساخرين، فهذا تفسير الجنب عندهم، فمن أنباك أنهم قالوا جنب من الجنوب فإنه لا يجهل^(٢) هذا المعنى كثير من عوام المسلمين فضلاً عن علمائهم.

وقد قال أبو بكر الصديق [رضي الله عنه]^(٣) الكذب مجانب للإيمان^(٤). وقال ابن مسعود: لا يجوز من الكذب

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي: (الله تعالى).

(٢) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي: (يجهل)، وهو خطأ.

(٣) (رضي الله): إضافة من ب، و (عنه): ليس في جميع النسخ وبه يتم الدعاء.

(٤) رواه أحمد في المسند ٥/١ من طريق قيس موقوفاً على أبي بكر، ولفظه: «قال وسمعت أبا بكر رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان». قال أحمد شاكر (١/١٦٣): إسناده صحيح. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨/٥٩٢ من طريق قيس في كتاب الأدب، باب ما جاء في الكذب، رقم ٥٦٥٤، موقوفاً على أبي بكر.

وذكره الدارقطني في العلل ١/٢٥٨، وقال: رواه عن قيس إسماعيل بن أبي خالد، وبيان بن بشر، وأبو إسحاق السبيعي، ومجالد بن سعيد، وكلهم وقفه.

ورواه ابن أبي شيبة في الإيمان، ص ٨٥.

جد ولا هزل^(١). وقال الشعبي^(٢): «من كان كذاباً فهو منافق»^(٣) اه^(٤). وتوجيه ذلك أن الله قال:

﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي كُنتَ مِن الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦ - ٥٩].

= قال الشيخ محمد ناصرالدين الألباني في الحاشية: أخرجه أحمد في مسنده موقوفاً عليه بسند صحيح.

(١) رواه الحاكم في المستدرک ١٢٧/١ من طريق عبدالله بن مسعود، في كتاب العلم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وإنما تواترت الروايات بتوقيف أكثر هذه الكلمات فإن صح سنده فهو على شرطها.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٩١/٨ موقوفاً على ابن مسعود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الكذب، رقم ٥٦٥٣. ورواه البخاري في الأدب المفرد، ص ١١٧ موقوفاً على عبدالله بن مسعود.

(٢) هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي الحميري، أبو عمرو. ولد سنة ٢٠. روى عن علي وسعد بن أبي وقاص وزيد بن ثابت. وروى عنه بيان بن بشر وأشعث بن سوار وحصين بن عبدالرحمن.

قال ابن معين وأبو زرعة الشعبي: ثقة، وتوفي سنة ١٠٧. تهذيب التهذيب ٦٥/٥ - ٦٨؛ سير أعلام النبلاء ٢٩٤/٤ - ٣١٩؛ الجرح والتعديل ٣٢٢/٦، ٣٢٣؛ شذرات الذهب ١٢٦/١.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٩٢/٨ في كتاب الأدب، باب ما جاء في الكذب، رقم ٥٦٥٧.

(٤) انظر رد الإمام الدارمي على بشر المريسي، ص ١٨٤.

فهذا إخبار عما تقوله هذه النفس الموصوفة بما^(١) وصفت به وعامة هذه النفوس لا تعلم أن الله جنباً ولا تقر بذلك، كما هو الموجود منها في الدنيا. فكيف يكون ظاهر القرآن أن الله أخبر عنهم بذلك وقد قال عنهم:

﴿بَحَسَّرْنَا عَلَى مَا فَرَطْتُمْ فِي جُنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

والتفريط فعل أو ترك فعل وهذا لا يكون قائماً بذات الله لا في جنب ولا في غيره، بل يكون منفصلاً عن^(٢) الله وهذا معلوم بالحس، والمشاهدة، وظاهر القرآن يدل على أن قول القائل: ﴿بَحَسَّرْنَا عَلَى مَا فَرَطْتُمْ فِي جُنْبِ اللَّهِ﴾ ليس أنه جعل فعله أو تركه في جنب يكون من صفات الله، وإبعاضه، فأين في ظاهر القرآن ما يدل على أنه ليس لله إلا جنب واحد، يعني به الشق.

السابع: أن يقال هب أن القرآن دل ظاهره على إثبات جنب هو صفة فمن أين يدل ظاهره أو باطنه على أنه جنب واحد وشق واحد [ومعلوم أن إطلاق مثل هذا لا يدل على أنه شق واحد]^(٣) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن

(١) ظ، م: (ما).

(٢) ب: (من الله).

(٣) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

لم تستطع فعلى جنب»^(١). وهذا لا يدل على أنه ليس لعمران (بن حصين)^(٢) إلا جنب واحد. فإن قيل: المراد على جنب من جنبيك، قلنا: فقد علم أن ذكر الجنب مفرداً لا ينفي^(٣) أن يكون معه غيره ولا يدل ظاهر اللفظ على ذلك بوجه.

ونظير هذا اللفظ القدم إذا ذكر مفرداً لم يدل على أنه ليس لمن نسب إليه إلا قدم^(٤) واحد كما في الحديث الصحيح: «حتى يضع عليها رب العزة قدمه»^(٥). وفي الحديث: «أنا العاقب الذي يحشر الناس على قدمي»^(٦).

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٥٨٧/٢) من طريق عمران بن حصين، في كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب، ح ١١١٧. ورواه الترمذي ٧٦/٢، في أبواب الصلاة، باب ما جاء أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، ح ٣٧٢. ورواه أحمد ٤٢٦/٤.

(٢) (بن حصين): سقط من ب.

(٣) ظ، م: (لا ينهى).

(٤) ظ: (الاقدام)؛ م: (إلا الاقدام).

(٥) سبق تخريجه. انظر: ص ١٨٧.

(٦) رواه البخاري (فتح الباري ٦٤٠/٨، ٦٤١) من طريق جبير بن مطعم عن أبيه، في كتاب التفسير، تفسير سورة الصف، باب يأتي من بعدي اسمه أحمد، ح ٤٨٩٦، بلفظ: «وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب».

ورواه مسلم ١٨٢٨/٤، في كتاب الفضائل، باب في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، ح ١٢٥، بلفظ البخاري.

وهو بهذا اللفظ في الترمذي (تحفة الأحوذى ١٢٩/٨، ١٣٠)، في كتاب الأدب، باب ما جاء في أسماء النبي، ح ٢٩٩٦؛ وفي سنن الدارمي ٢٢٥/٢؛ وفي المسند ٨٠/٤.

الثامن: / أن نقول من أين في ظاهر القرآن أن الله ساقاً؟
وليس معك إلا قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

والصحابة متنازعون في تفسير الآية، هل المراد الكشف عن الشدة، أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه، ولا يحفظ عن الصحابة، والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن^(١) ذلك صفة الله لأنه سبحانه لم يصف الساق إليه، وإنما ذكره مجرداً عن الإضافة منكرًا، والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته، وهو حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجداً»^(٢). ومن حمل الآية على ذلك قال قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢].

(١) ظ، م: (أن بعد ذلك)، والصواب حذف (بعد).

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٤٢٠، ٤٢١) بنحوه، من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجِوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، ح ٧٤٣٩.

ورواه مسلم ١/١٦٧، ١٦٨ بنحوه، في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح ٣٠٢.

مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم: «فيكشف عن ساقه فيخرون (له) (١) سجداً» (٢)، وتنكيره (٣) للتعظيم والتفخيم كأنه قال يكشف عن ساق عظمة، جلت عظمتها، وتعالى شأنها، أن يكون لها نظير أو مثيل، أو شبيه قالوا: وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه، فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال كشفت الشدة عن القوم (٤) لا كشف (٥) عنها كما قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠].

وقال:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ [المؤمنون: ٧٥].

فالعذاب والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه وأيضاً فهناك تحدث الشدة وتشتد و(٧) لا تزال (٨) إلا بدخول الجنة وهناك لا يدعون إلى السجود وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة.

(١) (له): سقط من م.

(٢) في ظ: (سجد):

(٣) في ظ: (وتنكير).

(٤) ظ، م: (عن القدم)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) ظ، م: (كشفت).

(٦) م: (ولولا).

(٧) الواو في قوله: ولا تزال، ليست في جميع النسخ، ولعل الصواب إثباتها.

(٨) ب: (لا تزال وإنما تزال بدخول).

التاسع: أن دعوى الجهمي أن ظاهر القرآن يدل على أن لله سبحانه أيدياً^(١) كثيرة على جنب واحد، وأعيناً كثيرة على وجه واحد، عضه^(٢)(٣) للقرآن، وتنقص له، وذم، ولا يدل ظاهر القرآن، ولا باطنه على ذلك بوجه ما، ولا فهمه من له عقل ولو كان ذلك ظاهر القرآن لكان المخبر به منفراً^(٤) للمدعوين عن الإيمان بالله، ورسوله، ومطرقاً^(٥) لهم (إلى)^(٦) الطعن عليه، والله سبحانه قال:

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وقال:

﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وقال:

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وقال:

﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾

[يس: ٧١].

(١) في م: (ايد).

(٢) في ب: (غضبة).

(٣) انظر ص ٢٣٩.

(٤) ظ، م: (منفسرا).

(٥) ي جعل لهم طريقاً. ويقال: طرق طريقاً إذا سهله حتى طرقه الناس بسيرهم.

تاج العروس ٤٢٣/٦، دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٦) (إلى): سقط من ب.

(٧) ظ، م: (وآية لهم)، وهو خطأ.

وقال في قصة موسى :

﴿وَلِئَصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه : ٣٩].

فذكر العين المفردة مضافة إلى الضمير المفرد، والأعين مجموعة، مضافة إلى ضمير الجمع، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة ليس إلا. كما يقول القائل أفعل هذا على عيني، وأجيئك على عيني، وأحمله على عيني، ولا يريد به أن له (١) عيناً واحدة فلو فهم أحد (٢) هذا (من) (٣) ظاهر كلام المخلوق لعد أخرق. وأما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهراً، أو مضمراً، فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ كقوله :

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر : ١٤].

وقوله :

﴿وَأَصْنَعُ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود : ٣٧].

وهذا نظير المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد كقوله :

﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك : ١].

و: ﴿بِيَدِكَ (٤) الْحَيْرُ﴾ [آل عمران : ٢٦].

(١) ظ، م : (الله).

(٢) ظ : (أحداً).

(٣) (من) : سقط من ب.

(٤) ب : (بيده)، وهو خطأ.

وإن أضيفت^(١) إلى ضمير جمع، جمعت كقوله:

﴿أَوْلَمْ تَرَؤُا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾

[يس: ٧١].

وكذلك إضافة اليد، والعين، الى اسم الجمع الظاهر

كقوله:

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

وقوله:

﴿قَالُوا فَاتُوبْ إِلَيْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١].

وقد نطق القرآن والسنة بذكر اليد مضافة إليه سبحانه

مفردة، ومثناة، ومجموعة.

وبلفظ العين مضافة إليه، مفردة، ومجموعة، ونطقت

السنة بإضافتها إليه مثناة كما قال عطاء^(٢) عن أبي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا قام في الصلاة

قام بين عيني^(٣) الرحمن فإذا التفت قال له ربه: إلى من

تلتفت؟ إلى خير لك مني^(٤). وقول النبي صلى الله عليه

(١) ب: (فإن أضيفت).

(٢) ظ، م: (عطى).

(٣) في ظ، م: (يدى على).

(٤) هذا الحديث رواه العقيلي في الضعفاء الكبير ٧٠/١، ٧١. قال في ترجمة إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي: ومن حديثه ما حدثنا محمد بن إسماعيل بن سالم، قال: حدثنا =

= إسحاق بن سليمان الرازي، قال: حدثنا إبراهيم بن يزيد الخوزي عن عطاء قال: سمعت أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا قام في الصلاة فإنه بين عيني الرحمن، فإذا التفت قال له الرب: «يا بن آدم إلى من تلتفت إلى من خير لك مني. ابن آدم أقبل على صلاتك فأنا خير لك ممن تلتفت إليه».

سنده:

١ - محمد بن إسماعيل بن سالم، أبو جعفر الصائب الكبير البغدادي، نزيل مكة. روى عن أبيه وروح بن عباد وشبابه بن سوار وغيرهم.
وروى عنه أبو داود وأبو جعفر العقيلي وأسلم بن سهل الواسطي. توفي سنة ٢٧٦.
قال ابن أبي حاتم: سمعت منه بمكة وهو صدوق وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: نزيل مكة، صدوق، وقال ابن خراش محمد بن إسماعيل الصائغ من أهل الفهم والأمانة.
تهذيب التهذيب ٥٨/٩؛ تقريب التهذيب ١٤٥/٢؛ الجرح والتعديل ١٩٠/٧؛ تاريخ بغداد ٣٨/٢.

٢ - إسحاق بن سليمان: الرازي، أبو يحيى، العبدي، كوفي نزل الري. روى عن مالك وابن أبي ذيب ومغيرة بن مسلم السراج وأحمد بن حنبل وغيرهم. توفي سنة ٢٠٠هـ.
وروى عنه محمد بن بشر العبدي. وقال أبو حاتم: صدوق لا بأس به. وقال النسائي: ثقة. وقال ابن حجر: «ثقة فاضل من التاسعة». قال الذهبي: روى له أصحاب الكتب الستة. قال إسحاق بن سليمان الرازي: ممن اتفق الشيخان على إخراج حديثه.
تهذيب التهذيب ٢٣٤/١، ٢٣٥؛ تقريب التهذيب ٥٨/١؛ الكاشف ١١٠/١.

٣ - إبراهيم بن يزيد الخوزي: الأموي، أبو إسماعيل المكي، مولى عمر بن عبدالعزيز. روى عن طاوس وعطاء وأبي الزبير وغيرهم.
وعنه عبدالرزاق ووكيع ومعتز بن سليمان وغيرهم. توفي سنة ١٥١.
قال أحمد: متروك الحديث. وقال ابن معين: ليس بثقة وليس بشيء. قال أبو زرعة وأبو حاتم: منكر الحديث ضعيف الحديث. وقال البخاري: سكتوا عنه. قال الدولابي: يعني تركوه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: روى =

وسلم: «إن ربكم ليس بأعور»^(١) صريح في أنه ليس المراد

= المناكير الكثيرة حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد لها. وقال ابن حجر: (متروك الحديث من السابعة). أخرج له الترمذي والنسائي وابن ماجه. تهذيب التهذيب ١/١٧٩، ١٨٠؛ ميزان الاعتدال ١/٧٥؛ المجروحين ١/١٠٠؛ تقريب التهذيب ١/٤٦؛ الضعفاء للعقيلي ١/٧٠؛ الكاشف ١/٩٧؛ التاريخ الصغير للبخاري ٢/١١٠؛ التاريخ الكبير للبخاري ١/٣٣٦.

٤ - عطاء بن أبي رباح: هو عطاء بن أبي رباح، واسمه أسلم القرشي، مولاهم أبو محمد المكي. ولد سنة ٢٧. روى عن أبي هريرة وعائشة وأم سلمة وابن عباس وغيرهم.

وعنه ابنه يعقوب ومجاهد والزهري وأيوب السختياني، وغيرهم. وكان من سادات التابعين فقهاً وعلمياً وورعاً وفضلاً. توفي سنة ١١٤.

قال أحمد: ليس في المرسل أضعف من مرسل الحسن وعطاء كانا يأخذان عن كل أحد. قال الذهبي: عطاء ثبت رضي.

تهذيب التهذيب ٧/١٩٩ - ٢٠٣؛ ميزان الاعتدال ٣/٧٠؛ الكاشف ٢/٢٦٥. وقد ورد بدون ذكر العينين بطريق آخر في الضعفاء وليس فيه إبراهيم بن يزيد الخوزي. وقال العقيلي بعد ذكر الحديث: هذا أولى من حديث إبراهيم. الضعفاء الكبير: للعقيلي ١/٧١.

كما رواه البزار - بدون ذكر العينين - بطريقين: أحدهما مرفوع وفيه إبراهيم بن يزيد. والآخر موقوف وليس فيه ذكر إبراهيم (كشف الأستار عن زوائد البزار ١/٢٦٨). وقال الهيثمي: (رواه البزار وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٢/٨٠).

وذكر النووي في المجموع حديثاً في المواقيت وفي سنده إبراهيم بن يزيد الخوزي، فقال: لكن الخوزي ضعيف لا يحتج بحديثه. (المجموع شرح المهذب ٧/١٧٣). وبهذا يتبين أن إسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن يزيد الخوزي.

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٣٨٩) من طريق أنس بن مالك، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ تغذى. وقوله جل ذكره: ﴿تجرى بأعيننا﴾، ح ٧٤٠٨. ورواه مسلم (٤/٢٢٤٨) في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ح ٢٩٣٣.

إثبات عين واحدة ليس إلا . فإن ذلك عور ظاهر تعالى الله
عن ذلك علواً كبيراً . وهل يفهم من قول الداعي : «اللهم
احرسنا بعينك التي لا تنام» أنها عين واحدة ليس إلا ،
[إلا] (١) ذهن أقلق ، وقلب أغلف .

قال خلف ابن تميم (٢)(٣) حدثنا عبد الجبار بن كثير (٤)
قال : قيل لإبراهيم بن أدهم (٥) هذا السبع فنأدى يا قسورة
إن كنت أمرت فينا بشيء وإلا يعني فاذهب فضرب بذنبه
وولى مدبراً فنظر إبراهيم إلى أصحابه وقال : قولوا اللهم

(١) (إلا) : إضافة من ب .

(٢) ظ ، م : (م٣) .

(٣) هو خلف بن تميم ابن أبي عتاب مالك التميمي مولاهم - صحب إبراهيم بن أدهم ،
قال عثمان الدارمي سألت ابن معين عنه ، فقال هو المسكين صدوق .
وقال أبو حاتم ثقة صالح الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات . مات بالمصيصة
سنة ٢١٣ ، وقيل سنة ٢١٦ .

تهذيب التهذيب ٣/١٣٨ ، ١٤٩ ؛ سير أعلام النبلاء ١٠/٢١٢ ، ٢١٣ ؛ الجرح
والتعديل ٣/٣٧٠ ؛ الكاشف ، للذهبي ١/٢٨١ .

(٤) هو عبد الجبار بن كثير بن سنان الحنظلي الرقي ، روى عن أبيه وعن محمد بن بشر
حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث أمر أن يعرض نفسه على قبائل العرب . قال
أبو حاتم الرازي روى عنه أبي . وقال سئل عنه أبي فقال شيخ .
الجرح والتعديل ٦/٣٣ ، لأبي حاتم الرازي .

(٥) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي وقيل التميمي ، أبو إسحاق .
قال النسائي : ثقة مأمون ، أحد الزهاد .

وقال الدارقطني إذ روى عنه : ثقة ، فهو صحيح الحديث .

وقال ابن معين : عابد ثقة ، مات في بلاد الروم سنة ١٦١ ، وقيل ١٦٢ .

تهذيب التهذيب ١/١٠٢ ، ١٠٣ ؛ حلية الأولياء من ٧/٣٦٧ إلى ٨/٥٨ ؛ سير أعلام
النبلاء ٧/٣٨٧ - ٣٩٧ ؛ الجرح والتعديل ٢/٧٨ ؛ شذرات الذهب ١/٢٥٥ .

أحرصنا بعينك التي لا تنام وأكفنا بكنفك الذي لا يرام
وارحمنا بقدرتك علينا و[لا] (١) نهلك وأنت الرجاء» (٢).

قال عثمان الدارمي: الأعرور ضد البصير بالعينين وقد
قال النبي «صلى الله عليه وسلم» في الدجال إنه أعرور وإن
ربكم ليس بأعرور (٣) (٤)، وقد احتج السلف على إثبات
العينين له سبحانه بقوله:

﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

ومن صرح بذلك إثباتاً واستدلالاً أبو الحسن
الأشعري (٥) في كتبه كلها فقال في المقالات والموجز (٦)
والإبانة وهذا لفظه فيها «وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته

(١) (لا): إضافة من ب.

(٢) حلية الأولياء ٤/٨.

(٣) انظر رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي، ص ٤٨، ولفظه فيه:
«ففي تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليس بأعرور» بيان أنه بصير
ذو عينين خلاف الأعرور». اهـ.

(٤) سبق تخريجه. انظر: ص ٢٥٨.

(٥) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل أبي موسى الأشعري، ولد
سنة ٢٦٠ وإليه ينسب مذهب الأشاعرة. كان معتزلياً ثم أشعرياً، ثم رجع إلى مذهب
أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات كما هو واضح في مؤلفاته، ومنها:
«الإبانة عن أصول الديانة» و«مقالات الإسلاميين»، و«إمامة الصديق». توفي
سنة ٣٢٤ ببغداد.

تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، ص ١٢٨ - ١٤٦؛ البداية والنهاية ١١/٢١٠؛
الاعلام ٤/٢٦٣؛ طبقات الشافعية ٣/٣٤٧.

(٦) في هامش ظ، م: (مطلب كتب الأشعري).

وكتبه ورسله»^(١) إلى أن قال: «وإن الله مستوي على عرشه
كما قال:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) [طه: ٥].

وأن له وجهاً^(٣) كما قال:

﴿وَيَبِّغِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وأنه له يدين^(٤) كما قال:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

و[قال]^(٥):

﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾^(٦) [ص: ٧٥].

وأن له^(٧) عينين بلا كيف كما قال^(٨):

(١) الإبانة عن أصول الديانة، ص ٢١، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود، دار الأنصار.

(٢) الإبانة: (وأن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله).

(٣) الإبانة: (وأنه له سبحانه وجهاً بلا كيف).

(٤) الإبانة: (وأنه له يدين بلا كيف).

(٥) (قال): إضافة من ب.

(٦) الإبانة: (قدم هذه الآية على التي قبلها).

(٧) الإبانة: (وأن له سبحانه).

(٨) الإبانة: (كما قال سبحانه).

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (١) القمر: ١٤].

[١٨/١]

فهذا الأشعري والناس قبله وبعده / ومعه لم يفهموا من الأعين أعيناً كثيرة على وجه . ولم يفهموا من الأيدي أيدياً كثيرة على شق واحد حتى جاء هذا الجهمي فعضه (٢) القرآن وادعى أن هذا ظاهره . وإنما قصد هذا وأمثاله التشنيع على من بدّعه وضلّله من أهل السنة والحديث وهذا شأن الجهمية في القديم والحديث وهم بهذا الصنيع على الله (٣) ورسوله وكتابه يشنعون :

﴿وَقُلْ (٤) أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَكَمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
[التوبة: ١٠٥].

فما ذنب أهل السنة والحديث إذا نطقوا بما نطقت به النصوص وأمسكوا عما أمسكت عنه ووصفوا الله بما وصف به نفسه ، ووصفه رسوله (٥) وردوا تأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، الذين عقدوا ألوية الفتنة ، وأطلقوا أعنة المحنة ، وقالوا على الله ، وفي الله ، بغير علم ، فردوا باطلهم ، وبينوا زيفهم ، وكشفوا إفكهم ، وناقحوا عن الله ، ورسوله ،

(١) الإبانة عن أصول الديانة، ص ٢٢ .

(٢) انظر: ص ٢٣٩ .

(٣) م : (ا ح) بدل لفظ الجلالة .

(٤) ب : (وقال) وهو خطأ .

(٥) ظ : (رسول) .

فلم يقدروا على أخذ الثأر منهم، إلا بأن سموهم مشبهة
 ممثلة، مجسمة، حشوية، ولو كان لهؤلاء عقول لعلموا أن
 التلقيب بهذه الألقاب ليس لهم، وإنما هولمن جاء بهذه
 النصوص، وتكلم^(١) بها، ودعى الأمة إلى الإيمان بها،
 ومعرفتها^(٢) ونهاهم عن تحريفها، وتبديلها، فدعوا التشنيع
 بما تعلمون أنتم وكل عاقل منصف أنه كذب ظاهر، وإفك
 مفترى، لا يعلم به قائل، يناظر عن مقالته فهل تدفعون عن
 أنفسكم التعطيل، ونفي حقائق صفات الكمال عن رب
 العالمين، وأنها مجاز لا حقيقة لها وأن ظاهرها كفر، وتشبيه
 وإلحاد، فلو كان خصومكم كما زعمتم - وحاشاهم -
 مشبهة ممثلة^(٣) مجسمة، لكانوا أقل تنقصاً لرب العالمين،
 وكتابه، وأسمائه، وصفاته، منكم بكثير كثير، لو كان قولهم
 يقتضي التنقص، فكيف وهو لا يقتضيه ولو صرحوا به فإنهم
 يقولون نحن أثبتنا لله غاية الكمال، ونعوت الجلال،
 ووصفناه بكل صفة كمال فإن لزم من هذا تجسيم،
 أو تشبيه^(٤) لم يكن هذا نقصاً، ولا عيباً، ولا ذمماً، بوجه من
 الوجوه، فإن لازم الحق حق، وما لزم من إثبات كمال
 الرب ليس بنقص، وأما أنتم فنفتيم عنه صفات الكمال،
 ولا ريب أن لازم هذا النفي وصفه بأضدادها من العيوب،
 والنقائص، فما سوى الله ولا رسوله ولا عقلاء عباده بين من

(١) ب: (وتكلموا).

(٢) ظ، م: (ويعرفتها).

(٣) ظ: (مثله).

(٤) ب: (تجسيماً أو تشبيهاً).

نفى كماله المقدس حذراً من التجسيم، وبين من أثبت كماله الأعظم وصفاته العلى بلوازم ذلك كائنة ما كانت.

فلو فرضنا في الأمة من يقول له سمع كسمع المخلوق، وبصر كبصره، لكان أدنى إلى الحق ممن يقول لا سمع له، ولا بصر.

ولو فرضنا في الأمة من يقول إنه متحيز على عرشه تحييط^(١) به الحدود والجهات لكان أقرب إلى الصواب (من قول)^(٢) من يقول ليس فوق العرش إله يعبد، ولا رب يصلى (له)^(٣) ويسجد، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا ينزل من عنده شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا هو فوق خلقه، ولا محايثهم ولا مباينهم.

ولو فرضنا في الأمة من يقول إنه يتكلم كما يتكلم الآدمي، وأن^(٤) كلامه بآلات وأدوات تشبه آلات الآدميين وأدواتهم، لكان خيراً ممن يقول إنه ما تكلم، ولا يتكلم، ولا قال، ولا يقول، ولا يقوم به كلام البتة، فإن هذا القائل يشبهه بالأحجار، والجمادات، التي لا تعقل وذلك المشبه وصفه بصفات الأحياء الناطقين.

وكذلك لو فرضنا في الأمة من يقول له يدان كأيدينا، لكان خيراً ممن يقول ليس له يدان فإن هذا معطل مكذب لله

(١) ظ، م: (محيط).

(٢) (من قول): سقط من ب.

(٤) ظ، م: (وأن كان).

(٣) (له): سقط من ب.

راد على الله ورسوله . وذلك المشبه غالط مخطيء في فهمه فالمشبه على زعمكم (١) الكاذب لم يشبهه تنقيصاً (٢) له وجرحاً لكماله بل ظناً أن إثبات الكمال لا يمكن إلا بذلك ، فقابلتموه بتعطيل كماله وذلك غاية التنقص (٣) .

العاشر: أنك [أيها الجهمي] في فهمك عن الله أن ظاهر (٤) كلامه إثبات أيد متعددة على جنب واحد وعيون متعددة في وجه واحد قد ضاهيت النصارى الذين احتجوا على تثليثهم وإثبات آلهة متعددة بظاهر قوله :

﴿ إِنَّا نَحْنُ مُحَمَّدٌ وَنُؤْمِنُ بِاللَّيِّنَا (٥) ﴾ [ق: ٤٣] .

وأمثاله .

وفي هؤلاء أنزل الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

تَأْوِيلِهِ ۗ ﴾ [آل عمران: ٧] .

وفي الصحيح عن عائشة أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: يا عائشة إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه

(١) ظ، م: (زعمهم) .

(٢) في ظ: (تلقيصاً) .

(٣) ب: (النقص) .

(٤) في ظ: (ظاهره) .

(٥) (الينا): سقط من ب . وبقية الآية: ﴿وَاللَّيِّنَا الْمَصِيرُ﴾ .

فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم»^(١) وهذا الفهم الفاسد إنما أتى من قبل عجم القلوب، والألسن، فهم الذين أفسدوا الدين وشوشوا [على]^(٢) الناس، وإلا فلغة العرب متنوعة، في أفراد المضاف، وتثنيته، وجمعه، بحسب أحوال المضاف إليه، فإن أضافوا الواحد المتصل^(٣) إلى مفرد^(٤) أفردوه، وإن أضافوه إلى اسم جمع^(٥) ظاهر أو مضمّر جمعه وإن^(٦) أضافوه إلى اسم مثنى فالأفصح من لغتهم جمعه لقوله تعالى:

﴿فَقَدَّصَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤].

وإنما هما^(٧) قلبان لا غير، وقوله:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

وتقول العرب: «إضرب أعناقهما، واقطع ألسنتهما»، وهذا أفصح استعمالهم^(٨). وتارة يفردون المضاف فيقولون

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٢٠٩/٨) من طريق عائشة رضي الله عنها - في كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران - باب منه آيات محكمات وأخر متشابهات، ح ٤٥٤٧. رواه أبو داود (عون المعبود ٣٤٢/١٢، ٣٤٥) - في كتاب السنة - باب النهي عن الجدل واتباع المتشابه من القرآن، ح ٤٥٧٤.

(٢) (على): إضافة من ب.

(٣) م: (المتصلة).

(٤) في ظ: (مورد).

(٥) ب: (جامع).

(٦) م: (وإذا).

(٧) ظ، م: (وأنهما).

(٨) في م كرر: (وهذا أفصح استعماله).

لسانها وقلبها وظهرهما، وتارة يشنونه كقوله: «ظهرهما مثل ظهور الترسين»^(١) والقرآن إنما نزل بلغة العرب لا بلغة العجم / والطماطم^(٢) والأنباط^(٣) الذين أفسدوا الدين، وتلاعبوا بالنصوص، وانتهكوا حرمتها، وجعلوها عرضة لتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وإذا كان من لغتهم وضع الجمع موضع الثنية لثلا يجمعوا في لفظ واحد بين

[١٩/١]

(١) هذا شطر بيت أوله:

ومهمهين قذفين مرتين ظهرهما مثل ظهور الترسين

وهو لخطام المجاشعي شاعر إسلامي كما في الكتاب، لسيويه ٢٤١/١، ط. بولاق؛ وفي شرح المفصل، لابن يعيش ١٥٦/٤؛ وفي خزنة الأدب، للبغدادى ٣٧٤/٣؛ وفي لسان العرب - مادة مرت؛ والمخصص، لابن سيده ٧/٩. وقد نسبه سيويه في موضع آخر من كتابه (٢٠٢/٢)، ط. بولاق، لهميان بن قحافة. وقال البغدادي في الخزنة ٣٧٥/٣: «والصحيح أن هذين البيتين من رجز لخطام المجاشعي وهو شاعر إسلامي لا لهميان بن قحافة...».

المُهْمَة: القُفْر المخوف.

«والقَذْف»، بفتح القاف والذال المعجمة بعدها فاء: البعيد من الأرض، ويروى «فدفدين». والدفد: الأرض المستوية.

«والمُرْت»، بفتح الميم وسكون الراء المهمله بعدها مثناة فوقية: الأرض التي لا ماء فيها ولا نبات.

والظهر: ما ارتفع من الأرض. شبهه بظهر ترس في ارتفاعه وتعريه من النبات.

خزنة الأدب ٣٧٥/٣؛ شرح المفصل ١٥٦/٤، ١٥٧.

(٢) الطمطم: العجمة. والطمطم والطمطمى والطماطم والطمطمانى: هو الأعجم الذي لا يفصح، لسان العرب ٢٧٠٦/٤ - مادة طمم.

(٣) هي قبائل بدوية كانت تعيش في الصحراء في شرق ما يسمى اليوم بشرق الأردن، وكانوا قوماً يعيشون في الخيام ويتكلمون العربية ولا يهتمون بالزراعة، ثم تحولوا إلى مجتمع منظم وقامت لهم دولة وكان ذلك سنة ١٦٩ ق. م.

الموسوعة العربية الميسرة، ص ٢٣١، ٢٣٢.

تثنيتين ولا لبس هناك فلأن يوضع الجمع موضع التثنية فيما إذا كان المضاف إليه مجموعاً أولى بالجواز، يدل عليه أنك لا تكاد تجد في كلامهم عينينا ويدينا ونحو ذلك ولا يلبس على السامع قول المتكلم نراك بأعيننا، وتأخذك بأيدينا، ونحو ذلك، ولا يفهم منه بشر على وجه الأرض عيوناً كثيرة على وجه واحد، وأيدياً متعددة على بدن واحد، فهل قدر القرآن حق قدره من زعم أن هذا ظاهره؟! .

الوجه الحادي عشر: لفظ اليد جاء في القرآن (١) على ثلاثة أنواع: مفرداً، ومثنى، ومجموعاً، فالمفرد كقوله (٢):

﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

والمثنى كقوله:

﴿خَلَقْتُ يَدَيَّْ﴾ [ص: ٧٥].

والمجموع كقوله:

﴿عَمِلْتَ أَيِّدِينَ﴾ [يس: ٧١].

فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدى (٣) (الفعل) (٤) بالباء إليهما فقال:

﴿خَلَقْتُ يَدَيَّْ﴾ [ص: ٧٥].

(١) ب: (إن القرآن جاء في اليد على... إلخ).

(٢) ط: (لقوله).

(٣) ط: (عد).

(٤) (الفعل): سقط من ب.

وحيث ذكرها مجموعة أضاف^(١) العمل إليها^(٢) ولم يعد الفعل بالباء^(٣) فهذه ثلاثة^(٤) فروق فلا يحتمل^(٥):

﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

من المجاز ما يحتمله عملت أيدينا فإن كل أحد يفهم من قوله: «عملت أيدينا» ما يفهمه من قوله: «عملنا وخلقنا» كما يفهم ذلك من قوله:

﴿فِيمَا^(٦) كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وأما قوله:

﴿خَلَقْتُ^(٧) يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى، فكيف وقد دخلت عليها الباء فكيف إذا تبيت.

وسر الفرق أن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد^(٨) والمراد الإضافة إليه كقوله:

(١) ظ: (صاف).

(٢) م: (إليها).

(٣) ظ، م: (ثالثاً).

(٤) ظ، م، ب: (ثلاث) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٥) ب: (فلا يحتمل).

(٦) ظ، م، ب: (بما كسبت).

(٧) ب: (خلقته) وهو خطأ.

(٨) ظ: (يدري اليد)، م: (يدي الله).

﴿بِمَاقَدَمَتَّ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]،

﴿فِيمَا كَسَبَتْ^(١) أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عدي بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو ما باشرته يده ولهذا قال عبدالله بن عمرو: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده [وذكر الثالثة]»^(٢)^(٣) فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لأدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة، وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وسلم» أن أهل الموقف يأتونه يوم القيامة فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك»^(٤) فذكروا أربعة أشياء كلها خصائص وكذلك قال

(١) ظ، م، ب: (بما كسبت).

(٢) الأثر: لم أجده بهذا اللفظ عن عبدالله بن عمرو. وقد ورد من طرق أخرى عن حكيم بن جابر قال: «أخبرت أن ربكم عز وجل لم يمس بيده إلا ثلاثة أشياء: غرس الجنة بيده، وخلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده».

وهذا الأثر أخرجه الأجرى في الشريعة، ص ٣٠٣. قال الألباني: وإسناده صحيح. وأخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ٦٨ بنحوه. وصححه الذهبي كما قاله الألباني في تخریج مختصر العلو.

انظر مختصر العلو بتحقيق الألباني، ص ١٣٠.

(٣) (وذكر الثالثة): إضافة من ب.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٣٧١/٦) من طريق أبي هريرة - في كتاب الأنبياء - باب قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾، ح ٣٣٤٠.

وفي كتاب التوحيد (فتح الباري ٣٩٢/١٣) من طريق أنس بن مالك - باب قول الله =

آدم لموسى في حاجته له: «اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده»، وفي لفظ آخر: «كتب لك التوراة بيده»^(١) وهو من أصح الأحاديث وكذلك الحديث الآخر المشهور أن الملائكة قالوا: يا رب خلقت بني آدم يأكلون، ويشربون، وينكحون ويركبون، فاجعل لهم الدنيا، ولنا الآخرة، فقال الله تعالى: «لا أجعل صالح ذرية من خلقت»^(٢) بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان»^(٣) وهذا التخصيص إنما فهم من قوله:

﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

فلو كانت مثل قوله: ﴿مَمَاعَمِلَتَ﴾^(٤) أَيْدِينَا ﴿﴾ لكان هو والأنعام في ذلك سواء، فلما فهم المسلمون أن قوله: ﴿مَمَاعَمِلَتَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ موجباً^(٥) له تخصيصاً

-
- = تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ح ٧٤١٠.
- ورواه مسلم (١٨٠/١) في كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص ٣٢٢.
- ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٣٧٧/٢.
- وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، ص ١٦٢.
- (١) رواه البخاري (فتح الباري ٥٠٥/١١) من طريق أبي هريرة - في كتاب القدر - باب تحاج آدم وموسى عند الله (بنحوه)، ح ٦٦١٤.
- رواه مسلم (٢٠٤٢/٤، ٢٠٤٣) - في كتاب القدر - باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ح ١٣.
- (٢) ب: (خلقته).
- (٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣١٧، من طريق عروة بن رويم عن الأنصاري.
- (٤) ظ، م: (ما عملت).
- (٥) ظ، م: (فوجب).

وتفضيلاً (بكونه مخلوقاً) ^(١) باليدين على من أمر أن يسجد له
 وفهم ^(٢) ذلك أهل الموقف حين ^(٣) جعلوه من خصائصه
 كانت ^(٤) التسوية بينه وبين قوله:

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾

[يس: ٧١].

خطأ محضاً ^(٥).

وكذلك قول النبي «صلى الله عليه وسلم» في الحديث
 الصحيح: «يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد
 الأخرى» ^(٦)، وقوله: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء

(١) (بكونه مخلوقاً): سقط من ب.

(٢) م: (وهم).

(٣) ب: (حتى).

(٤) ظ، م، ب: (كان) والصواب ما أثبتته.

(٥) ظ، م، ب: (محض) والصواب ما أثبتته.

(٦) رواه البخاري (فتح الباري ٣٩٣/١٣) من طريق عبد الله بن عمر - في كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتَ بِيَدِي﴾، ح ٧٤١٢، وليس فيه ذكر اليد الأخرى.

ورواه مسلم (٢١٤٨/٤) من طريق أبي هريرة - في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح ٢٤، بلفظ: «ثم يطوي الأرضين بشماله».

ورواه أبو داود (عون المعبود ٥٧/١٣، ٥٨) - في كتاب السنة - باب الرد على الجهمية، ح ٤٧٠٦، بلفظ: «ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى».

قال البيهقي (في الأسماء والصفات، ص ٤١٠)، تعليقاً على لفظ مسلم: «بشماله».

«تفرد بذكر الشمال فيه عمر بن حمزة وقد رواه عن ابن عمر أيضاً نافع وعبيد الله بن =

الليل والنهار، أرايتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يعض ما في يمينه ويده الأخرى القسط يخفض ويرفع»^(١). وقال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنَا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه في أعلى أهل الجنة منزلة: «أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي، وختمت

= مقسم بدونها. ورواه أبوهريرة وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، وثبت عند مسلم من حديث عبدالله بن عمرو ومنه: «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»، وكذا في حديث أبي هريرة قال آدم: «اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين»، وفي حديث ابن عباس رفعه: «أول ما خلق الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين». اهـ.

قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٥٣/٢: عمر بن حمزة ضعيف من السادسة.

وأخرجه ابن ماجه (٦٨/١، ٦٩) في المقدمة - باب فيما أنكرت الجهمية، ح ١٩٢.

والدارمي (٢٣٣/٢) في الرقاق - باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى، ح ٢٨٠٢.

ورواه أحمد في المسند ٣٧٤/٢.

والبيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣٠٩، ٤١٠، ط. دار الكتب العلمية ١٤٠٥.

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٤٠٣/١٣) من طريق أبي هريرة - في كتاب التوحيد -

باب وكان عرشه على الماء وهورب العرش العظيم، ح ٧٤١٩.

ورواه مسلم (٦٩١/٢) - في كتاب الزكاة - باب الحث على النفقة وتبشير المنفق

بالخلف، ح ٣٧.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٤٠٩/٨، ٤١٠) في أبواب التفسير، تفسير سورة المائدة

بنحوه، وقال هذا حديث حسن صحيح.

ورواه ابن ماجه (٧١/١) في المقدمة - باب فيما أنكرت الجهمية، ح ١٩٧ بنحوه.

ورواه أحمد في المسند ٣١٣/٢؛ وابن أبي عاصم في السنة ٣٦٢/٢.

عليها»^(١). وقال أنس بن مالك: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده فقال لها تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون»^(٢). وقال عبدالله بن الحارث^(٣): قال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «إن الله خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي لا يسكنها مدمن خمر ولا ديوث»^(٤). وفي الصحيح عنه «صلى الله عليه وسلم»: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة

(١) رواه مسلم (١٧٦/١) عن المغيرة بن شعبة - في كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح ٣١٢.

ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ٦٩، ٧٠.

وروى الترمذي أوله «دون موضع الشاهد» كما في (تحفة الأحوزي ٥٧/٩، ٥٨)، في أبواب التفسير، سورة السجدة، ح ٣٢٥٠.

(٢) رواه الحاكم (٣٩٢/٢) عن أنس - في كتاب التفسير، تفسير سورة المؤمنون وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي وقال: «بل ضعيف».

ورواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣١٨.

وقال الألباني: «ضعيف»، ضعيف الجامع الصغير وزياداته ١٢٤/٣.

(٣) هو عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمي، أبو محمد المدني وأمه هند بنت أبي سفيان، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه النبي صلى الله عليه وسلم. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا وعن عمر وعثمان وعلي وعن أبيه. وعنه أنبأه عبيدالله وإسحاق وعبدالله وعبدالمملك بن عمير وسليمان بن يسار. قال ابن معين، وأبوزرعة، والنسائي: ثقة، توفي سنة ٨٤.

سير أعلام النبلاء ٥٢٩/٣ - ٥٣١؛ الجرح والتعديل ٣٠/٥، ٣١؛ تهذيب التهذيب ١٨٠/٥، ١٨١.

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣١٨ من طريق عبدالله بن الحارث عن أبيه. وقال: هذا مرسل.

واحدة يتكفؤها^(١) الجبار بيده كما يكفؤ^(٢) أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة^(٣). وكان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقول في استفتاح الصلاة: «ليك وسعديك والخير كله في يديك»^(٤). وفي الصحيح أيضاً عنه «صلى الله عليه وسلم»: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار و (يبسط^(٥) يده) بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٦).

وقال عبدالله بن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأيدي ثلاثة فيد الله العليا ويد المعطى التي تليها،

-
- (١) ظ، م، ب: (يتكفؤها)، وفي مسلم: (يكفؤها) وما أثبتته من صحيح البخاري.
- (٢) ظ، م: (يكفأ)، ب: (يتكفى) وما أثبتته من الحديث كما في البخاري ومسلم.
- (٣) رواه البخاري (٣٧٢/١١) عن أبي سعيد الخدري - في كتاب الرقاق - باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ح ٦٥٢٠.
- ورواه مسلم (٢١٥١/٤) - في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب نزل أهل الجنة، ح ٢٧٩٢.
- ومعنى قوله يتكفؤها: أي يميلها من كفأت الإناء إذا قلبته. ومعنى الحديث: «إن الله تعالى يجعل الأرض يوم القيامة كالرغيف العظيم نزلاً لأهل الجنة».
- حاشية مسلم ٢١٥١/٤؛ فتح الباري ٣٧٣/١١.
- (٤) رواه مسلم (٥٣٥/١) من طريق علي بن أبي طالب - في كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ح ٢٠١.
- ورواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣٢١.
- (٥) (يبسط يده): سقط من ب، ظ: (يداه).
- (٦) رواه مسلم (٢١١٣/٤) من طريق أبي موسى الأشعري - في كتاب التوبة - باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، ح ٣١.
- ورواه أحمد في المسند ٣٩٥/٤.

[٢٠/١] (وسلم)^(٢): «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر / من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه (يمين)^(٣) الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم^(٤) وما ولوا»^(٥). وفي المسند^(٦) وغيره من

(١) رواه أبو داود (عون المعبود ٥/٦٦، ٦٧) من طريق عبدالله بن مسعود - في كتاب الزكاة - باب في الاستعفاف، ح ٣٣.

ورواه الحاكم في المستدرک ١/٤٠٨ - في كتاب الزكاة وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣٢٢.

ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ٦٥، ٦٦.

ورواه أحمد في المسند ٦/٤٢٦١، ح ٤٢٦١، دار المعارف، وقال أحمد شاكر: إسناده ضعيف لضعف الهجري.

ورواه البغوي في شرح السنة ٦/١١٤ - في كتاب الزكاة - باب في التعفف عن السؤال، ح ١٦١٨.

(٢) (وسلم): سقط من ب.

(٣) (يمين): سقط من ب.

(٤) ب: (وأهاليهم).

(٥) رواه مسلم (٣/١٤٥٨) من طريق عبدالله بن عمرو - كتاب الإفادة - باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح ١٨.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/١٦٠.

(٦) المسند ٢/٣١٥، وليس فيه ذكر اليد.

ورواه الترمذي (٩/٨٨، ٨٩) من طريق أبي هريرة - في أبواب التفسير - باب الأمر بالكتابة والشهود، ح ٣٣٦٥، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه^(١) الروح عطس، فقال الحمد لله، فحمد الله بإذن الله، فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم، وقال له: إذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم فذهب فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم رجع إلى ربه، فقال هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، فقال الله تعالى ويداه مقبوضتان: إخرت أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته...» وذكر الحديث.

وقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله يقول: «خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون»^(٢).

= ورواه الحاكم في المستدرک ١/٦٤، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١/٩١. وقال الألباني: «إسناده حسن». وانظر المشكاة ٣/١٣٢١، ١٣٢٢.

(١) ظ، م: (مِنَ الرُّوحِ)، وليس في الحديث لفظ «مِنَ». (٢) رواه الترمذي (٢٣٣/٨، ٢٣٤) من طريق عمر بن الخطاب - في أبواب التفسير، تفسير سورة الأعراف، ح ٣٠٧٧، وقال: «هذا حديث حسن». ومسلم بن بشار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد رجلاً مجهولاً. ورواه أبو داود (عون المعبود ١٢/٤٧٠، ٤٧١) - في كتاب السنة - باب القدر، ح ٤٦٧٨.

= ورواه أحمد في المسند ١/٤٤، ٤٥.

وقال هشام بن حكيم^(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار»^(٢).

= ورواه الإمام مالك في الموطأ ٢/٨٩٨، ٨٩٩ - في كتاب القدر - باب النبي عن القول في القدر، ح ٢.

ورواه الحاكم (٢/٥٤٤، ٥٤٥) في كتاب التاريخ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الألباني: إسناده ضعيف لانقطاعه بين مسلم بن يسار وعمر وبينهما رجل يدعى نعيم بن ربيعة الأودي وهو مجهول. السنة، لابن أبي عاصم ١/٨٧، ح ١٩٦. وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند ١/٢٨٩، ح ٣١١: «أسانيده صحاح وإن كان ظاهره الانقطاع».

قال ابن كثير في تفسيره ٢/٢٦٣: «قال الحافظ الدارقطني، وقد تابع عمر بن جعثم بن زيد بن سنان، أبو فروة الرهاوي وقولها أولى بالصواب من قول مالك والله أعلم. وقال ابن كثير: «الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حال نعيم ولم يعرفه فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ولذا يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات ويقطع كثيراً من الموصولات».

وقال أحمد شاكر في المسند ١/٢٩٠: «نعيم بن ربيعة ذكره ابن حبان في الثقات، وترجم له البخاري في التاريخ الكبير ٤/٢، ص ٩٦، ٩٧، ولم يذكر فيه جرحاً».

(١) هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي، كان هو وأبوه من مسلمة الفتح، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه جبير بن نفير وعروة بن الزبير وقتادة السلماني. وهو الذي ورد ذكره في حديث عمر وهو في الصحيحين حيث قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن سعد توفي في أول خلافة معاوية.

سير أعلام النبلاء ٣/٥١، ٥٢؛ تهذيب التهذيب ١١/٣٧؛ الجرح والتعديل ٩/٥٣.

(٢) رواه أحمد ٤/٨٦، عن عبدالرحمن بن قتادة السلماني.

ورواه الحاكم ١/٣١، في كتاب الإيمان.

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخره إلى =

وقال عبدالله بن عمرو^(١): ولما خلق الله آدم نفضه نفض المزود، فخرج منه مثل الذر، فقبض قبضتين فقال^(٢) لما في اليمين في الجنة ولما في الأخرى في النار^(٣).

وقال أبو موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم: خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض (فجاء بنو آدم على قدر الأرض)^(٤) فمنهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والطيب والخبيث^(٥).

= الصحابة. وعبدالرحمن بن قتادة من بني مسلمة من الصحابة، وقال الذهبي على شرطهما إلى الصحابي.

وقال الألباني صحيح (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٧٧)، ح ٤٨.

(١) ب: (عمر).

(٢) ب: (فخر منه).

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣٢٦، وقال هذا موقوف.

وقد روى الإمام أحمد في المسند ٥/٢٣٩، حديثاً مرفوعاً من طريق معاذ بن جبل «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فقبض بيديه قبضتين فقال هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي». وقال الساعاتي في الفتح الرباني ١/١٢٥، تخريجه لم أقف عليه، وقال صاحب التنقيح حديث قبضة في النار وقبضة في الجنة عند أحمد عن معاذ إسناده حسن.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) ورواه الترمذي ٨/١٥٤، عن أبي موسى الأشعري، في أبواب التفسير، تفسير سورة البقرة، ح ٢٩٥٨، وقال الترمذي في هذا حديث حسن صحيح.

رواه أبو داود (عون المعبود ١٢/٤٥٥، ٤٥٧)، في كتاب السنة، باب في القدر، ح ٤٦٦٨.

ورواه أحمد في المسند ٤/٤٠٠، ٤٠٦؛ وفي المشكاة ١/٣٦.

وقال الألباني في حاشية المشكاة «وكذا صححه أبو الفرج الثقفى في الفوائد (ق ١/٩٧) وسنده صحيح».

وقال سلمان الفارسي: إن الله تعالى خمر طينة آدم أربعين ليلة أو أربعين يوماً ثم ضرب بيده فيها فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بيده الأخرى ثم خلط بينهما^(١).

وقال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب^(٢) – إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت ثمرة فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل» متفق على صحته^(٣).

وقال أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣٢٧، ٣٢٨، من طريق سلمان أو ابن مسعود، كما ورد في سنده، وقال: «هذا موقوف».

ورواه غيرهما عن سليمان التيمي: فقال عن سلمان من غير شك. ومعلوم أن سلمان كان قد أخذ أمثال هذا من أهل الكتاب حتى أسلم بعد.

وروي ذلك من وجه آخر ضعيف عن التيمي مرفوعاً وليس بشيء اه.

(٢) ظ، م: (طيب).

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٤١٥/١٣)، من طريق أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تخرج الملائكة والروح إليه﴾، ح ٧٤٣٠.

ورواه مسلم ٧٠٢/٢ عن أبي هريرة، في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح ٦٣.

ورواه الترمذي ٢٢/٣، في كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، ح ٦٦١، وقال: حديث حسن صحيح.

ورواه ابن ماجه ٥٩٠/١، في كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة، ح ١٨٤٢.

ورواه الدارمي ٣٣٣/١، في كتاب الزكاة، باب في فضل الصدقة، ح ١٦٨٢.

ورواه النسائي ٥٦/٥، ٥٨، في الزكاة، باب الصدقة من غلول.

الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة (ألف) (١) ،
 فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله، قال: وهكذا وجمع يديه .
 قال: زدنا يا رسول الله، قال: وهكذا، قال: زدنا يا رسول
 الله، قال عمر حسبك . فقال أبو بكر دعني يا عمر وما عليك
 أن يدخلنا الله الجنة كلنا، قال عمر إن شاء الله أدخل خلقه
 الجنة بكف واحدة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
 صدق عمر» (٢) .

وقال نافع بن عمر (٣): سألت ابن أبي مليكة (٤) عن يد

(١) لفظ: (ألف) سقط من م .

(٢) رواه أحمد في المسند ٣/١٦٥، من طريق أنس .

ورواه أحمد أيضاً في المسند ٣/١٩٣، بنحوه من طريق أنس .

ورواه البغوي في شرح السنة ١٥/١٦٣، ١٦٤، في كتاب الفتن، باب شفاعة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح ٤٣٣٥ .

ورواه ابن أبي عاصم، في كتاب السنة ١/٢٦٢، قال الألباني: إسناده صحيح على
 شرط مسلم .

(٣) هو نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل بن عامر الجمحي المكي روى عن ابن أبي مليكة

وسعيد بن حسان . وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ووكيع ويحيى القطان .

قال عبد الرحمن بن مهدي: كان من أثبت الناس .

وقال أبو طالب عن أحمد: ثبت ثبت صحيح الكتاب .

وقال: ابن معين والنسائي ثقة . مات بمكة وقيل بفتح سنة ١٦٩ هـ .

تهذيب التهذيب ١٠/٤٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٧/٤٣٣، ٤٣٤؛ الجرح والتعديل:

٨/٤٥٦؛ ميزان الاعتدال ٤/٢٤١ .

(٤) هو عبد الله بن عبد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي المكي، روى

عن العبادلة الأربعة وأسماء وعائشة . وروى عنه عطاء بن أبي رباح وحيد الطويل

وجريز بن حازم . . وغيرهم قال العجلي مكي تابعي ثقة، وقال ابن حبان في الثقات =

الله أوأحدة أم اثنتان فقال: لا. بل اثنتان»^(١).

وقال ابن عباس: «ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيها في^(٢) يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم»^(٣).

وقال ابن عمر وابن عباس: «أول شيء خلقه الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين فكتب^(٤) الدنيا وما فيها من عمل معمول في بر وبحر ورطب ويابس فأحصاه عنده»^(٥).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ يقبض الله عليها فيرى^(٦) طرفاها في يده^(٧).

= رأى ثمانين من الصحابة. وفي البخاري: قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من الصحابة، مات سنة ١١٧.

تهذيب التهذيب ٣٠٦/٥، ٣٠٧؛ تذهيب التهذيب ٣١٢/١٢؛ تقريب التهذيب ٤٣١/١؛ فتح الباري ١٠٩/١؛ سير أعلام النبلاء، ص ٨٨، ٩٠.

(١) رواه الدارمي في رده على بشر المريسي، ص ٣٨.

(٢) ظ، م: (من).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٧/٢٤، الطبعة الأولى، بنحوه.

(٤) ظ، م: (فكانت).

(٥) رواه الأجرى في الشريعة، ص ١٧٥.

وهو في تفسير الطبري ١٠/٢٩، بنحوه.

وفي الدر المنثور ٦/٢٥٠.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٥٠/١.

وقال الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم «إسناده حسن رجاله ثقات، وفي ابن مصفى كلام لا ينزل حديثه عن مرتبة الحسن وهو وبقية مدلسان وقد صرحا بالتحديث...».

فصح الحديث والحمد لله اه.

(٦) ظ، ب: (فما يرى).

(٧) بحث عنه فلم أجده.

وقال ابن عمر: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً على المنبر، فقال: إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة جمع السموات والأرض في قبضته، ثم قال هكذا ومد يده وبسطها، ثم يقول أنا الله أنا الرحمن وذكر الحديث^(١).
وقال ابن وهب^(٢) عن أسامة^(٣) عن نافع^(٤) عن

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

وقال في الدر المنثور ٥/٣٣٥؛ وأخرجه أبو الشيخ في العظمة وابن مردويه.

وسأتي له شاهد في صحيح مسلم (انظر ٢٨٤، ٢٨٥).

(٢) هو عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي. مولا هم أبو محمد المصري الفقيه، ولد سنة ١٢٥.

وروى عن مالك وعمرو بن الحارث والليث بن سعد وغيرهم.

وروى عنه عبدالرحمن بن مهدي وعلي بن المديني وأحمد بن صالح المصري وغيرهم.

وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين ثقة، قال ابن يونس جمع ابن وهب بين الفقه والحديث والعبادة. توفي بمصر سنة ١٩٧.

تهذيب التهذيب ٦/٧١، ٧٤؛ تذكرة الحفاظ ١/٣٠٤، ٣٠٦.

(٣) هو أسامة بن زيد بن أسلم العدوي مولى عمر روى عن أبيه عن جده وسالم ونافع مولى بن عمر.

وروى عنه ابن المبارك وابن وهب وغيرهما.

قال صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه منكر الحديث ضعيف.

وقال يحيى بن معين أسامة وعبدالله وعبدالرحمن أولاد زيد بن أسلم إخوة وليس حديثهم بشيء، وقال مرة ضعيف.

وقال النسائي ليس بالقوي له حديث واحد عند ابن ماجه في المناسك وهو حديث أعمال يوم النحر وفيه «فما سئل يومئذ عن شيء قدم قبل شيء إلا قال لا حرج».

توفي سنة ١٥٣.

تهذيب التهذيب ١/٢٠٧؛ سير أعلام النبلاء ٦/٣٤٢؛ الجرح والتعديل ٢/٢٨٤؛

شذرات الذهب ١/٢٣٤؛ ميزان الاعتدال ١/١٧٤، ١٧٥.

(٤) هو أبو عبدالله نافع مولى بن عمر الفقيه المدني أصابه ابن عمر في بعض مغازيه.

روى عن ابن عمر وأبي هريرة وأبي لبابة وأبي سعيد الخدري وغيرهم.

ابن عمر: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ عَلَى الْمَنْبَرِ:
﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة^(١).

وقال عبيدالله بن مقسم نظرت إلى عبدالله بن عمر
كيف صنع حيث يحكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «يأخذ الله سماواته وأرضه^(٢) بيده فيقول أنا الله
ويقبض أصابعه ويسطها ويقول أنا الرحمن (الرحيم)^(٣) أنا
الملك^(٤) حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء^(٥) منه

= وروى عنه أولاده أبو عمر وعمر وعبدالله وعبدالله بن دينار وصالح بن كيسان وعبد ربه
ويحيى ابنا سعيد الأنصاري . . وغيرهم .

قال ابن معين كان ثقة كثير الحديث وقال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع
عن ابن عمر.

وقال عبدالله بن عمر: «لقد منَّ الله علينا بنافع».

قال النسائي: ثقة.

مات سنة ١٩٠، وقيل ١٢٠، وقيل ١٢٧.

شذرات الذهب ١/١٥٤؛ تهذيب التهذيب ١٠/٤١٢، ٤١٤؛ سير أعلام النبلاء
٥/٩٥؛ الجرح والتعديل ٨/٤٥١، ٤٥٢.

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ١٧/٢٤، عن ابن عمر (بنحوه).

وانظر: فتح الباري ١٣/٣٩٦.

(٢) ب: (وأرضيه).

(٣) (الرحيم): سقط من ب.

(٤) م: (أنا الله).

(٥) ظ، م: (من أسفل منه).

حتى إني أقول أساقط هو برسول^(١) الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

وقال زيد بن أسلم^(٣) لما كتب^(٤) الله التوراة بيده قال: «بسم الله هذا كتاب من الله بيده لعبده موسى يسبحني ويقدسني ولا يحلف بإسمي آثماً فإني لا أزكي من حلف باسمي آثماً»^(٥).

(١) ظ، م: (يارسول الله).

(٢) رواه مسلم ٤/٢١٤٨، ٢١٤٩، من طريق عبدالله بن مقسم، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح ٢٥. ورواه أحمد في المسند ٧٢/٢، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ٧/٥٤١٥، ح ٥٤/٤.

ورواه أبو داود (عون المعبود) في السنة، في الرد على الجهمية، ح.

ورواه ابن ماجه ١/٧١، في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، ح ١٩٨.

وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٤٠، ٢٤١.

وابن خزيمة في التوحيد، ص ٧٢.

ورواه ابن جرير الطبري في التفسير ٢٤/١٨.

والبيهقي في الأسماء والصفات، ص ٤٢٧، ط. دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ.

(٣) هوزيد بن أسلم العدوي أبو أسامة ويقال أبو عبدالله المدني الفقيه مولى عمر.

روى عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وروى عنه أولاده الثلاثة أسامة

وعبدالله وعبدالرحمن ومالك وابن عجلان وغيرهم.

قال أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم ومحمد بن سعد والنسائي وابن خراش: ثقة. مات

سنة ١٣٦.

تهذيب التهذيب ٣/٣٩٥، ٣٩٦؛ سير أعلام النبلاء ٥/٣١٦، ٣١٧؛ الجرح

والتعديل ٣/٥٥٤؛ شذرات الذهب ١/١٩٤.

(٤) ظ: (تكتب).

(٥) رواه عبدالله بن أحمد في كتاب السنة، ص ٦٨.

وإنما^(١) ذكرنا هذه النصوص التي هي غيضة من فيض
 ليعلم الواقف عليها أنه^(٢) لا يفهم أحد^(٣) من عقلاء بني
 آدم (منها)^(٤) شخصاً له شق واحد وعليه أيد كثيرة، وله
 ساق واحد، وله وجه واحد، وفيه عيون كثيرة، فهذه
 نصوص القرآن والسنة كما ترى هل يفهم منها [مسلم]^(٥)
 ما ذكره هذا الجهمي أو أحد ممن له أدنى فهم، ومن هذا قدر
 النصوص عنده فهو حقيق بأن لا يقبل منها شيئاً^(٦) ولا ينال
 منها هدى ولا يظفر منها بعلم* وهي في حقه كما قال الله
 تعالى:

﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ
 الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنَهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا
 فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي
 قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾

[٢١/١]

[التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

(١) م: (وإذا).

(٢) في ظ، م: (لأنها)، ب: (أنها)، والصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (أحدًا).

(٤) (منها): سقط من ب.

(٥) (مسلم): ليس في جميع النسخ ولعل الصواب إثباته.

(٦) في ب: (شيء).

وقوله:

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءُوهُو عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾
[فصلت: ٤٤].

وقوله:

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ
إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦]* (١).

والله يعلم أن هذا من أعظم العضة (٢) لها والتنقص (٣)
[بها] (٤) والظعن (٥) على من تكلم بها وجاء بها (٦) أو يقال له
هذا ظاهر كلامك وحقيقته فانظر إلى أقبح التشبيه والتمثيل
الذي ادعوا أنه ظاهر النصوص، وإلى التعطيل الذي سطوا
به عليها وسموه تأويلاً فصح أنهم جمعوا بين فهم التشبيه منها
واعتماد التعطيل ونسبة قائلها إلى قصد ما يضاد البيان
والإرشاد والله المستعان.

(١) ما بين النجمتين (* — *): سقط من ب.

(٢) سبق انظر: ص ٢٣٩.

(٣) في ظ، م: (التنقيص).

(٤) (بها): إضافة من ب.

(٥) في ب: (ولن) بدل (الظعن على).

(٦) في ظ، م: (وأجابه).

الفصل التاسع^(١)

في الوظائف الواجبة على المتأول
الذي لا يقبل منه تأويله إلا بها^(٢)^(٣)

لما كان الأصل في الكلام هو الحقيقة والظاهر كان
العدول به عن حقيقته^(٤) وظاهره مخرجاً له عن الأصل
فاحتاج مدعي ذلك إلى دليل يسوغ له إخراجه عن أصله
فعلية أربعة أمور لا تتم له دعواه إلا بها.

(١) ظ، م: (الثامن).

(٢) في هامش ب: (وظائف المتأول).

(٣) ذكر ابن القيم هذه الوظائف الأربع في قصيدته النونية فقال:

وعليكم في ذا وظائف أربع والله ليس لكم بهن يدان
منها دليل صارف للفظ عن موضوعه الأصلي بالبرهان
إذ يدعي نفس الحقيقة مُدَّعٍ للأصل لم يحتج إلى برهان
فإذا استقام لكم دليل الصرف يا هيهات طولبتم بأمر ثان
وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قلتم هو المقصود بالبيان
فإذا أتيتم ذلك طولبتم بأمر ثالث من بعد ذلك الثاني
إن قلتم إن المراد كذا فما ذا دلكم تخرص الكهان
هب أنه لم يقصد الموضوع لكن (م) قد يكون القصد معنى ثاني
وكذا نطالبكم بأمر رابع والله ليس لكم بذا إمكان
وهو الجواب عن المعارض إذ به الدعوى تتم سليمة الأركان
القصيدة النونية، ص ٨٧، ٩٠.

(٤) ظ: (حقيقة).

الأمر الأول: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي تأوله في ذلك التركيب الذي وقع فيه وإلا كان كاذباً على اللغة منشئاً وضعاً من عنده فإن اللفظ قد لا يحتمل ذلك المعنى لغة .

وإن احتمله فقد لا يحتمله في ذلك التركيب الخاص وكثير من المتأولين لا يبالي إذا تهيأ [له] ^(١) حمل اللفظ على ذلك ^(٢) المعنى بأي طريق أمكنه أن يدعي حمله عليه إذ مقصوده ^(٣) دفع الصائل فبأي طريق اندفع عنه دفعه، والنصوص قد صالت على قواعده الباطلة فبأي طريق تهيأ له دَفْعُهَا [دَفَعَهَا] ^(٤) ليس مقصوده أخذ الهدى، والعلم، والإرشاد منها؛ فإنه قد أصْل أنها أدلة لفظية لا يستفاد منها [يقين] ^(٥) ولا علم، ولا معرفة بالحق، وإنما المعول على آراء الرجال وما تقتضيه عقولها وأنت إذا تأملت تأويلاتهم رأيت كثيراً منها لا يحتمله اللفظ في اللغة التي وقع بها التخاطب وإن احتمله لم يحتمله في ذلك التركيب الذي تأوله وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسوله على كل ما ساغ في اللغة أو الاصطلاح لبعض الشعراء، أو الخطباء، أو الكتاب أو العامة، إلا إذا كان [ذلك غير مخالف لما علم من وصف الرب تعالى وشأنه وما تضافرت به صفاته لنفسه وصفات

(١) (له): إضافة من ب.

(٢) م: (ذكر).

(٣) ظ، م: (مقصود).

(٤) (دفعها): إضافة من ب.

(٥) (يقين): إضافة من ب.

رسوله له وكانت إرادة ذلك^(١) [المعنى بذلك اللفظ مما يجوز ويصلح نسبتها إلى الله ورسوله لا سيما والمتأول يخبر عن مراد الله ورسوله فإن تأويل كلام^(٢) المتكلم بما يوافق ظاهره أو يخالفه^(٣) *^(٤) إنما هو بيان لمراده فإذا علم أن المتكلم لم يرد هذا المعنى وأنه يمتنع أن يريده وأن في صفات كماله ونعوت جلاله ما يمنع من إرادته وأنه يستحيل عليه من وجوه كثيرة أن يريده استحالة الحكم عليه بإرادته فهذا أصل عظيم يجب معرفته ومن^(٥) أحاط (به)^(٦) معرفة (تبين له)^(٧) أن كثيراً مما^(٨) يدعيه المحرفون من التأويلات مما يعلم قطعاً أن المتكلم لا يصح^(٩) أن يريده بذلك الكلام وإن كان ذلك مما يسوغ لبعض الشعراء وكتاب الإنشاء واللغة من القاصدين التعمية لغرض من الأغراض فلا بد أن يكون المعنى الذي تأوله المتأول مما يسوغ استعمال اللفظ فيه في تلك اللغة التي وقع بها التخاطب.

وأن يكون ذلك المعنى مما^(١٠) تجوز نسبتها إلى الله وأن

(١) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٢) ظ، م: (كلام الله المتكلم).

(٣) م: (أو مخالفه).

(٤) ما بين النجمتين (* — *) من ص ٢٩٠ إلى ص ٣١٨، سقط من ب.

(٥) في ظ، م: (ممن).

(٦) (به): سقط من م.

(٧) ما بين القوسين سقط من م.

(٨) ظ، م: (ما يدعيه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٩) م: (لا يصلح).

(١٠) ظ، م: (ما)، ولعل الصواب ما أثبتته.

لا يعود على شيء من صفات كماله بالإبطال والتعطيل وأن يكون معه قرائن تحتمل به تبيين^(١) أنه مراد باللفظ وإلا كانت دعوى إرادته كذب على المتكلم. ونحن نذكر لذلك أمثلة: من أمثلة الأمر الأول

المثال الأول: تأويل قوله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾

[الأعراف: ٥٤].

بأنه أقبل على خلقه فهذا إنشاء منهم لوضع لفظ «استوى» على «أقبل على خلقه» وهذا لم يقله أحد من أهل اللغة فإنهم ذكروا معاني استوى ولم يذكر أحد منهم أصلاً في معانيه الإقبال على الخلق فهذه كتب اللغة طبق^(٢) الأرض هل تجدون أحداً منهم يحكي ذلك على اللغة وأيضاً فإن استواء الشيء والاستواء إليه وعليه يستلزم وجوده ووجود ما نسبت^(٣) إليه الاستواء بإلى^(٤) أو بعلى فلا يقال استوى إلى أمر معدوم ولا استوى^(٥) عليه فهذا التأويل إنشاء محض لا إخبار صادق عن استعمال أهل اللغة.

(١) في ظ، م: (بين)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) طبق الأرض: يقال: غيث طبق: أي عام يطبق الأرض ومنه الحديث: «واللهم اسقنا غيثاً مغيثاً طبقاً» أي مائلاً للأرض مغطياً لها.

والمعنى أن كتب اللغة كثيرة جداً.

اللسان ٢٦٣٧/٤، دار المعارف.

(٣) م: (نسب).

(٤) ظ، م: (بالتى).

(٥) م: (والاستواء عليه).

وكذلك تأويلهم الاستواء بالاستيلاء فإن هذا لا تعرفه العرب من لغاتها ولم يقله أحد من أئمة اللغة. وقد صرح أئمة اللغة كابن الأعرابي^(١) وغيره بأنه لا يعرف في اللغة ولو احتمل ذلك لم يحتمله هذا التركيب فإن استيلاءه سبحانه وغلبته للعرش لم يتأخر عن خلق السموات والأرض والعرش مخلوق قبل خلقها بأكثر من خمسين ألف سنة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق فيما صح عنه^(٢). وبطلان هذا التأويل من أربعين وجهاً سندكرها في موضعها في هذا الكتاب إن شاء الله^(٣).

والمقصود ذكر الوظائف التي على المتأول. فعليه أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي ذكره أولاً.

ويبين تعيين ذلك المعنى ثانياً فإنه إذا أخرج عن حقيقته قد يكون له معان فتعيين ذلك المعنى يحتاج إلى دليل.

الأمر الثالث: إقامة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره / فإن دليل المدعي للحقيقة والظاهر قائم فلا يجوز العدول عنه إلا بدليل صارف يكون أقوى منه.

(١) هو محمد بن زياد أبو عبدالله المعروف بابن الأعرابي، ولد سنة ١٥٠، من علماء اللغة وأهل الرواية، من أهل الكوفة، من كتبه «أسماء الخيل وفرسانها» و«تفسير الأمثال» و«معاني الشعراء»، توفي سنة ٢٣١.

الأعلام ١٣١/٦؛ الوافي بالوفيات ٧٩/٣.

(٢) انظر: ص ١٩٢.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسله ١٢٦/٢، ١٥٢، وذكر هناك اثنين وأربعين وجهاً فلعل العدد هنا للتقريب لا للتحديد.

الرابع: الجواب عن المعارض فإن مدعي الحقيقة قد الأمر الرابع أقام الدليل العقلي والسمعي على إرادة الحقيقة .
أما السمعى فلا يمكنك المكابرة أنه معه .

وأما العقلي فمن وجهين عام وخاص ، فالعام الدليل الدال على كمال علم المتكلم ، وكمال بيانه ، وكمال نصحه ، والدليل العقلي على ذلك أقوى من الشبه الخيالية التي يستدل بها النفاة بكثير فإن جاز مخالفة هذا الدليل القاطع فمخالفة تلك الشبه الخيالية أولى بالجواز وإن لم تجز مخالفة تلك الشبه فامتناع مخالفة الدليل القاطع أولى .

وأما الخاص : فإن كل صفة وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله فهي صفة كمال قطعاً فلا يجوز تعطيل صفات كماله وتأويلها بما يبطل حقائقها فالدليل العقلي الذي دل على ثبوت الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، دل نظيره على ثبوت الحكمة ، والرحمة ، والرضا ، والغضب ، والفرح ، والضحك ، والذي دل على أنه فاعل بمشيئته واختياره ، دل على قيام أفعاله به وذلك عين الكمال المقدس . وكل صفة دل عليها القرآن والسنة فهي صفة كمال ، والعقل جازم بإثبات صفات الكمال للرب سبحانه ويمتنع أن يصف نفسه أو يصفه رسوله بصفة توهم نقصاً وهذا الدليل أيضاً أقوى من كل شبهة للنفاة يوضحه أن أدلة مباينة [الرب لخلقه وعلوه على جميع مخلوقاته أدلة عقلية] (١)

(١) ما بين المعكوفتين سقط من ظ ، م ، وما أثبتته من (مختصر الصواعق ١/٤٧) . نشر مكتبة الرياض الحديثة .

فطرية توجب العلم الضروري بمدلولها وأما السمعية فتقارب ألف دليل فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله وهيئات له بجواب صحيح عن بعض ذلك فنحن نطالبه بجواب صحيح عن دليل واحد وهو أن الرب تعالى إما أن يكون له وجود خارجي عن الذهن ثابت في الأعيان أو لا . فإن لم يكن له وجود خارجي كان خيالياً قائماً بالذهن لا حقيقة له وهذا حقيقة قول المعطلة وإن تستروا بزخرف من القول . وإن كان وجوده خارج الذهن فهو مبين له إذ هو منفصل عنه إذ لو كان قائماً به لكان عرضاً من أعراضه وحينئذ فيما أن يكون هو هذا العالم أو غيره فإن كان هذا العالم فهو تصريح بقول أصحاب وحدة الوجود وأنه ليس بهذا العالم رب مبين له، منفصل عنه، وهذا أكفر أقوال أهل الأرض .

وإن كان غيره فيما أن يكون قائماً بنفسه أو قائماً بالعالم فإن كان قائماً بالعالم فهو جزء من أجزائه أو صفة من صفاته وليس هذا بقيوم السموات والأرض وإن كان قائماً بنفسه وقد علم أن العالم قائم بنفسه فذاتان قائمتان بأنفسهما ليست إحداهما داخلية في الأخرى ولا خارجة عنها ولا متصلة بها ولا منفصلة عنها ولا محايثة ولا مباينة ولا فوقها ولا تحتها ولا خلفها ولا أمامها ولا عن يمينها ولا عن شمالها كلام له خبيء لا يخفى على عاقل منصف (و) (١) البديهة الضرورية حاكمة بامتناع هذا واستحالة تصويره فضلاً عن التصديق به قالوا فنحن نطالبكم بجواب صحيح عن هذا الدليل الواحد

(١) سقطت (الواو) من ظ، م، وأثبتها من مختصر الصواعق ٤٧/١ .

من جملة ألف دليل ونعلم قبل المطالبة أنه لو اجتمع كل جهمي على وجه الأرض لما أجابوا عنه بغير المكابرة والتشنيع على أهل الإثبات بالتجسيم والتنفير والسب^(١) وهذه وظيفة كل مبطل قامت عليه حجة الله فدعوا^(٢) الشناعة بالفرية والكذب والاختلاق هل يمكنكم الخروج من دائرة المعطلين الذين قالوا لو كان للعالم صانعاً قائماً بنفسه لكان إما داخلياً فيه أو خارجاً عنه وإما متصلاً أو منفصلاً عنه، وإما محايثاً له أو مبايناً له وإما فوقه أو تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو خلفه أو أمامه فحيث لم يثبت له شيء من ذلك استحال أن يكون مغايراً للعالم قائماً بنفسه قالوا وهذه العقول والفطر حاضرة إذا عرض عليها ذلك وجدته من باب الجمع بين النقيضين^(٣) فدعونا من إخراج نصوص الوحي عن^(٤) حقائقها ودعوى أنها مجازات لا حقائق لها لا تفيد يقيناً ولا استفاد منها علم بما يجب لله ويمتنع عليه البتة إذ هي أدلة لفظية وظواهر غير مفيدة لليقين^(٥) وأجيبوا^(٦) هؤلاء المعطلة وأولئك المجسمة بزعمكم وإلا فليستحي من مراجعة^(٧) الناس بالأحجار من سقف بيته من الزجاج.

(١) في ظ: (والتفسير والسب)، في م: (التفثير)، ولعل الصواب ما أثبتته

(٢) في ظ: (قدعوا).

(٣) النقيضان: هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود والضدان هما اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض.

التعريفات للجرجاني، ص ٩٢؛ دستور العلماء ١/٣٥٩؛ دستور العلماء ٢/٢٦١، ٢٦٢.

(٤) ظ، م: (من)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٥) ظ: (للتعين). (٦) ظ، م: (احيسو) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٧) ظ، م: (مراجعة)، والصواب ما أثبتته.

الفصل العاشر^(١)

في أن التأويل شر من التعطيل فإنه
يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب
بالنصوص وإساءة الظن بها

[فإن]^(٢) المعطل والمؤول قد اشتركا في نفي حقائق

الأسماء والصفات.

وامتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص وانتهاكه لحرمتها

بيان أن المؤولة جمعوا بين أربعة محاذير
وإساءة الظن بها ونسبة قائلها إلى التكلم^(٣) بما ظاهره
الضلال والإضلال فجمعوا بين أربعة محاذير:

المحذور الأول اعتقادهم أن^(٤) ظاهر كلام الله ورسوله المحال الباطل
ففهموا^(٥) التشبيه أولاً ثم انتقلوا عنه إلى:

المحذور الثاني: وهو التعطيل فعطلوا حقائقها بناء منهم
على ذلك الفهم الذي يليق بهم ولا يليق بالرب جل جلاله.

المحذور الثالث: نسبة المتكلم الكامل العلم الكامل
البيان التام النصح إلى ضد البيان والهدى والإرشاد / وإن [٢٣/١]

(١) ظ، م: (التاسع).

(٢) لفظ (فإن): سقط من ظ، م وما أثبتته من المختصر ٤٨/١.

(٣) ظ، م: (المتكلم) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) في ظ، م: (إلى)، وما أثبتته من المختصر ٤٨/١.

(٥) في ظ: (نفهو)، وفي م: (ففهو).

المتحيرين^(١) المتهوكين أجادوا العبارة في هذا الباب وعبروا
بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك
النصوص ولا ريب عند كل عاقل أن ذلك يتضمن أنهم
كانوا أعلم منه، أو أفصح، أو أنصح للناس.

المحذور الرابع: تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرمتها
فلورأيناهم وهم يلوكونها بأفواهم وقد حلت بها المثلات
وتلاعبت^(٢) بها أمواج^(٣) التأويلات وتقاذفت^(٤) بها رياح
الآراء واحتوشتها رماح الأهواء، ونادى عليها أهل التأويل
في سوق مَنْ يزيد، فبذل كل واحد في ثمنها من التأويلات
ما يريد، فلوشاهدتها بينهم وقد تحطفتها^(٥) أيدي
الاحتمالات، ثم قيدت بعدما كانت مطلقة بأنواع
الإشكالات، وعزلت عن سلطنة اليقين، وجعلت تحت
حكم تأويل الجاهلين، هذا وطالما نصبت لها حبائل
الإلحاد^(٦) وبقيت عرضة للمطاعن^(٧) والإفساد وقعد النفاة
على صراطها المستقيم بالدفع في صدورهما والأعجاز، وقالوا
لا طريق لك علينا وإن كان لا بد فعلى سبيل المجاز، فنحن

(١) في ظ: (المبحرين).

(٢) في ظ، م: (تلاعب)، وما أثبتته من المختصر ٤٩/١.

(٣) في ظ: (الأمواج).

(٤) في ظ، (ويعاد فيه). ولعلها «وتقاذفتها».

(٥) في ظ: (وقد يخطفها)، وفي م: (نحطفتها).

(٦) في ظ، م: (الاتحاد)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٧) في ظ، م: (وعرضه لمطاعن)، وقال في هامش م: (كذا) في الأصل ولعل ذلك وبقيت
عرضة للمطاعن والإفساد.

أهل المعقولات وأصحاب البراهين وأنت أدلة لفظية وظواهر سمعية لا تفيد العلم ولا اليقين فسندك^(١) آحاد وهو عرضة للطعن في الناقلين وإن صح وتواتر ففهم^(٢) مراد المتكلم منه موقوف على انتفاء عشرة (أشياء)^(٣)(^٤) لا سبيل إلى العلم بانتفائها عند الناظرين والباحثين. فلا إله إلا الله والله أكبر كم هدمت بهذه المعاول من معاقل الإيمان وثلمت بها حصون حقائق السنة والقرآن وكم أطلقت في نصوص الوحي من لسان كل جاهل أخرق ومنافق أرعن وطرقت^(٥) لأعداء الدين الطريق وفتحت الباب لكل^(٦) مبتدع وزنديق. ومن نظر في التأويلات المخالفة لحقائق النصوص رأى من ذلك ما يضحك عجباً ويبكي حزناً ويثير حمية للنصوص وغضباً

(١) في ظ: (فستدكر).

(٢) في ظ، م: (فهم).

(٣) لفظ (أشياء): سقط من ظ، م، وما أثبتته من المختصر ٤٩/١، الناشر مكتبة الرياض الحديثة.

(٤) وهذه الأشياء العشرة ذكرها الرازي فقال: «مسألة: الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند يقن أمور عشرة:

عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ، وإعرابها، وتصريفها، وعدم الاشتراك، والمجاز، والنقل، والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار، والتأخير والتقديم، والنسخ وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل لافتقاره إليه وإذا كان المنتج ظنياً فما ظنك بالنتيجة».

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص ٥١؛ وسيأتي الرد عليها، انظر: ص ٦٣٣ وما بعدها.

(٥) انظر: ص ٢٥٤.

(٦) في ظ: (فكل).

قد أعاد عذب النصوص ملحاً أجاجاً، وخرجت الناس من الهدى والعلم أفواجاً، فتحيزت كل طائفة إلى طاغوتها وتصادمت تصادم النصارى في شأن ناسوتها ولاهوتها ثم تملاً الكل^(١) على غزو جند الرحمن ومعاداة حزب السنة والقرآن فتداعوا إلى حربهم تداعي الأكلة إلى قصعتها وقالوا نحن وإن كنا مختلفين^(٢) فإننا على محاربة هذا الجند متفقون فميلوا بنا عليهم ميلاً واحدة حتى تعود دعوتهم باطلة وكلمتهم خامدة وغر^(٣) المخدوعين كثرتهم التي ما زادتهم عند الله ورسوله وحزبه إلا قلة، وقواعدهم التي ما زادتهم إلا ضللاً وبعداً عن الملة^(٤) وظنوا أنهم بجمعهم المعلولة يملأون قلوب أهل السنة إرهاباً منهم وتعظيماً.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾

[الأحزاب: ٢٢].

وَأنت إذا تأملت تأويلات القرامطة^(٥)

(١) في ظ: (الأكل).

(٢) في ظ: (مخلفين).

(٣) م: (وعن).

(٤) في ظ، م زيادة لفظ: (فر) قبل (وظن).

(٥) هم أتباع حمدان القرمطي. وكان رجلاً متوارياً صار إليه أحد دعاة الباطنية، ودعوه إلى معتقدهم فقبل الدعوة، ثم صار يدعو الناس إليها وضل بسببه خلق كثير. وكان ظهورهم في عام ٢٨١ في خلافة المعتضد ودخلوا مكة سنة ٣١٧، واقتلعوا الحجر الأسود وقتلوا المسلمين في الحرم، وقد أعيد الحجر الأسود إلى مكة سنة ٣٣٩، على يد =

والملاحدة^(١) والفلاسفة^(٢) والرافضة^(٣) والقدرية^(٤) والجهمية،
ومن سلك سبيل هؤلاء من المقلدين لهم في الحكم والدليل، ترى
الإخبار بمضمونها عن الله ورسوله لا يقصر عن الإخبار عنه
بالأحاديث الموضوعة المصنوعة، التي هي مما عملته أيدي
الوضاعين وصاغته ألسنة الكذابين، فهؤلاء اختلقوا عليه
ألفاظاً^(٥) وضعوها، وهؤلاء اختلقوا في كلامه معاني
ابتدعوها، فيا^(٦) محنة الكتاب والسنة بين الفريقين،
وما نازلة نزلت بالإسلام [إلا]^(٧) من الطائفتين فهما عدوان
للإسلام كائدان، وعن الصراط المستقيم ناكبان وعن قصد
السبيل جائران، فلورأيت ما يصرف إليه المحرفون أحسن
الكلام وأبينه وأفصحه وأحقه بكل هدى وبيان وعلم من
المعاني الباطلة، والتأويلات الفاسدة، لكدت تقضي من
ذلك عجباً، وتتخذ في بطن الأرض سرباً، فتارة تعجب،

= أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي النيسابوري رحمه الله .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٢٢ .

(١) الملاحدة: جمع ملحد. والإلحاد في اللغة الميل والعدول، والإلحاد مذهب من ينكر
وجود الله وقد يطلق على المشكك الذي يتظاهر بالاعتناق دون عقيدة.
المعجم الفلسفي، ص ٢٠، ١٧٤، ١٩٢؛ لسان العرب ٤٠٠٥/٥ .

(٢) انظر: ص ١٩١ .

(٣) انظر: ص ٢١٦ .

(٤) انظر: ص ٢١٩ .

(٥) ظ: (ألفاظ).

(٦) م: (فناحة).

(٧) (إلا): ليست في جميع النسخ ولعل الصواب إثباتها.

وتارة تغضب، وتارة تبكي، وتارة تضحك، وتارة تتوجع،
لما نزل بالإسلام وحل بساحة الوحي، ممن هم أضل من
الأنعام.

فكشفت عورات هؤلاء، وبيان فضائحهم، وفساد
قواعدهم، من أفضل الجهاد في^(١) سبيل الله وقد قال النبي
«صلى الله عليه وسلم» لحسان بن ثابت: «إن روح القدس
معك ما دمت تنافح عن رسوله»^(٢)، وقال: «أهجمهم
أو^(٣) هاجهم، وجبريل معك»^(٤)، وقال: «اللهم أيده بروح
القدس ما دام ينافح عن رسولك»^(٥)، وقال عن هجائه

(١) ظ: (وفي) ولعل الواو زائدة.

(٢) رواه مسلم ١٩٣٦/٤، من طريق عائشة رضي الله عنها، في كتاب فضائل الصحابة،
باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ح ١٥٧. ولفظه: قالت عائشة فسمعت
رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك،
ما نافحت عن الله ورسوله».

(٣) ظ، م: (وهاجم) وما أثبتته من الحديث كما في الصحيحين.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٣٠٤/٦)، من طريق البراء بن عازب رضي الله عنه، في
كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح ٣٢١٣.

ورواه مسلم ١٩٣٣/٤، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي
الله عنه، ح ١٥٣.

(٥) رواه البخاري (فتح الباري ٣٠٤/٦)، من طريق أبي هريرة، في كتاب بدء الخلق،
باب ذكر الملائكة، ح ٣٢١٢، دون قوله: «ما دام ينافح عن رسولك».

ورواه مسلم ١٩٣٢/٤، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت
رضي الله عنه، ح ١٥١، دون قوله: «ما دام ينافح عن رسولك».

أما قوله: «ما دام ينافح عن رسولك» فقد وردت في مسلم ١٩٣٦/٤، بلفظ: «إن
روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله».

وفي البخاري (فتح الباري ٥٤٦/١٠)، في كتاب الأدب، باب هجاء المشركين عن =

لهم: «والذي نفسي بيده هو أشد فيهم من النبل»^(١)، وكيف لا يكون بيان ذلك من الجهاد في سبيل الله؟، وأكثر هذه التأويلات المخالفة للسلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وأهل الحديث قاطبة وأئمة الإسلام الذين لهم في الأمة لسان صدق يتضمن من عبث المتكلم بالنصوص وسوء الظن بها^(٢)، من جنس ما تضمنه طعن الذين يلمزون الرسول ودينه وأهل النفاق والإلحاد، لما فيه من دعوى أن ظاهر كلامه إفك، ومحال، وكفر، وضلال، وتشبيه، وتمثيل أو تحييل، ثم صرفها إلى معان يعلم أن إرادتها بتلك الألفاظ من نوع / الأحاجي والألغاز، لا يصدر ممن قصده نصح، وبيان، فالمدافعة عن كلام الله، ورسوله، والذب عنه من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأنفعها للعبد ومن رزقه الله بصيرة نافذة علم سخافة عقول هؤلاء المحرفين، وأنهم من أهل الضلال الميين، وأنهم إخوان الذين ذمهم الله بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، الذين لا يفقهون ولا يتدبرون القول، وشبههم بالحمز^(٣) المستنفرة تارة، وبالحمار الذي يحمل أسفاراً [تارة]^(٤)، ومن قبل التأويلات المقتراة على الله

[٢٤/١]

= هشام بن عروة عن أبيه، قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه، فإنه

كان ينافح عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ح ٦١٥٠.

(١) رواه مسلم ٤/١٩٣٦، من طريق عائشة رضي الله عنها (بنحوه) في كتاب فضائل

الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ح ١٥٧.

(٢) ظ، م: (به)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (الحمز).

(٤) (تارة): ليس في جميع النسخ وبها يستقيم الأسلوب.

ورسوله التي^(١) هي تحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه، فهو من جنس الذين قبلوا قرآن مسيلمة المخلوق المفتري وقد زعم أنه شريك لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» — [وكان]^(٢) رئيساً كبيراً مطاعاً — يجعله شريكاً له في التصديق والطاعة والقبول، إن لم يقدمه عليه، لا سيما الغالية من الجهمية والباطنية^(٣) والرافضة^(٤) والاتحادية^(٥)، فإن عندهم

(١) ظ: (الذي).

(٢) (كان): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة إلى حد ما.

(٣) الباطنية سموا بذلك، لأنهم يقولون: إن للنصوص ظاهراً وباطناً ولكل تنزيل تأويلاً وهم ألقاب كثيرة منها القرامطة والخرمية والإسماعيلية، والمزدكية، والتعليمية والبابكية والسبعية والملحدة. ومنهم النصيرية والدروز، وهم يعتقدون أن الإله لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو معلوم ولا مجهول. ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة، ويقولون: إنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق، يرجع إليه في تأويل الظواهر واتفقوا على إنكار القيامة، والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات وإنكار الشرائع وهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم. الملل والنحل، للشهرستاني ٢/٢٩، ٣٢؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١١٩؛ مذاهب الإسلاميين ٦/٩؛ فضائح الباطنية، ص ١١، ٤٠، ٤٦.

(٤) سبق ص ٢١٦.

(٥) الاتحادية: هم القائلون باتحاد الخالق بالمخلوق كقول النصارى في عيسى: «اتحد اللاهوت بالناسوت» وكقول الصوفية في بعض أقطابهم ويسمى الاتحاد الجزئي، ومنهم من يقول باتحاد الخالق بجميع المخلوقات وهذا ما يسمى بالاتحاد الكلي وهو قرين وحدة الوجود، والفرق بينه وبين وحدة الوجود أن الاتحاد يكون بين شيئين، أما الوحدة فهي قوهم: إن الوجود كله هو الإله المعبود فليس هناك إلا شيء واحد فلا خالق ولا مخلوق فيما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه تجلى بصورها وأسمائها وماتم إلا أسماءه وصفاته كما قال شاعرهم:

ها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت =

من كلام ساداتهم وكبرائهم، ما يضاهون به كلام الله، ورسوله، وكثيراً ما يقدمونه عليه علماً وعملاً ويدعون فيه من التحقيق والتدقيق والعلم والعرفان، ما لا يثبتون مثله للسنة والقرآن، ومن تلبس منهم^(١) بالإسلام يقول: كلامنا يوصل إلى الله، والقرآن وكلام الرسول يوصل إلى الجنة، وكلامنا للخواص، والقرآن للعوام، وكثير منهم يقول: كلامنا برهان، وطريق القرآن خطابة. ومنهم من يقول: القرآن والسنة طريق السلامة، وكلامنا طريق العلم والتحقيق وكثير منهم يقول: لم يكن الصحابة معنيين بهذا الشأن، بل كانوا قوماً أميين^(٢)، فتحوا البلاد وأقاموا الدين بالسيف، وسلموا إلينا النصوص نتصرف فيها، ونستنبط منها، فلهم علينا مزية الجهاد والزهد والورع، ولنا عليهم^(٣) مزية العلم بالحقائق والتأويل، وإن لم يعلموا هذا من قلوبهم، والله يشهد به عليهم ويعلمه كامناً في صدورهم يدعو على فلتات لسان من لم يصرح به منهم، ومن محققي هؤلاء من يدعي أن الرسل يستفيدون العلم بالله من طريقهم، ويتلقونه من مشكاتهم، ولكن يخاطبون الناس على قدر عقولهم، فلم يصرحوا لهم بالحق، ولم ينصحوا لهم به، وكل من هؤلاء قد نصب دون الله ورسوله طاغوتاً يعول عليه، ويدعو عند

= المعجم الفلسفي، ص ٢، ٢٠٩؛ الموسوعة الميسرة، ص ٤٥؛ ديوان ابن الفارض، ص ٢٨، ٢٩؛ جواهر المعاني ١/٢٥٩.

(١) م: (٣٣).

(٢) ظ: (با اميين).

(٣) ظ، م: (لهم)، والصواب ما أثبتته.

التحاكم إليه، فكلامه عنده محكم لا يسوغ تأويله، ولا يخالفه ظاهره، وكلام الله ورسوله إذا لم يوافقه فهو مجمل متشابه يجب تأويله أو يسوغ، فضابط التأويل عندهم ما خالف تلك الطواغيت، ومن تدبر هذا الموضوع انتفع به غاية النفع وتخلص به من إشراك الضلال، فإن الذين يقرون برسالة النبي «صلى الله عليه وسلم» وفيهم نوع إيمان به، منهم من يجعل له شريكاً في الطاعة، كما كان المنافقون يطيعون عبدالله بن أبي رأس المنافقين وكبيرهم^(١) وكان كثير ممن في قلبه نوع مرض وإن لم يكن منافقاً خالصاً يطيعه في كثير من الأمور ويقبل منه كما قال تعالى:

﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

والمعنى على أصح القولين: وفيكم مستجبيون لهم قابلون منهم^(٢)، كما قال الله تعالى:

﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤٢].

أي قابلون له، ومن حمل^(٣) الآية على العيون والجواسيس^(٤) فقلوه ضعيف؛ لوجوه كثيرة، ليس هذا

(١) ظ، م: (كيدهم)، ولعل الصواب ما أثبتته. وفي حاشية م: (لعله وسيدهم).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٥٨/٢؛ تفسر الشوكاني ٤١/٢؛ تفسير السعدي ٢٨٩/٢.

(٣) ظ: (حلى).

(٤) ممن حمل الآية على العيون والجواسيس مجاهد وابن زيد.

انظر: تفسير مجاهد ٢٨١/١؛ تفسير الفخر الرازي ٨٢/١٦.

موضعها وكما كان أصحاب مسيلمة يقولون: إنه شريكه^(١) في الطاعة، وإنه يقبل منه كما يقبل عن النبي «صلى الله عليه وسلم» وكان عبدالله بن أبي يقدم سياسته ورأيه على ما جاء به أحياناً، ويغضب إذا لم يسمع منه، ويغضب له قومه، وكذلك رئيس الخوارج^(٢)^(٣) السجاد العباد الذي بين عينيه أثر السجود قدم عقله ورأيه^(٤) على ما جاء به في قسمة المال، وزعم أنه لم يعدل فيها، وكذلك غلاة الرافضة^(٥)، قدموا عقولهم وآرائهم على ما جاء به، وزعموا أنه لم يعدل حيث أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، وابن عمه حاضر، ولم يعدل

(١) م: (شريك).

(٢) هو ذو الخويصرة التميمي، واسمه حرقوص بن زهير، وقيل: نافع التميمي (المستفاد، ص ٨٢).

وقد روى قصته البخاري (فتح الباري ٦/٣٧٦)، من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، ح ٣٣٤٤.

ورواه مسلم ٢/٧٤٤، في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح ١٤٨. ورواه أحمد في (المسند ٥/٤٢)، من طريق أبي بكر.

(٣) الخوارج: سمو بهذا الاسم، لخروجهم على الإمام علي رضي الله عنه. ونزلوا بأرض يقال لها حروراء فسموا بالحرورية. وهم الذين يكفرون أصحاب الكبراء ويقولون بأنهم مخلدون في النار، كما يقولون بالخروج على أئمة الجور وأن الإمامة جائزة في غير قریش. وهم يكفرون عثمان وعلياً رضي الله عنهما وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ويعظمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/١١٣؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/١١٣؛ الملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٤؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٥٠؛ البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص ٩.

(٤) ظ: (وزايد).

(٥) انظر: ص ٢١٦.

حيث أثني على أبي بكر وعمر وعظمها فأوجب^(١) أن الأمة بعده ولو هما دون ابن عمه، وكذلك الجهمية قدموا عقولهم وآراءهم على ما جاء به، وزعموا أنه لم يعدل في العبارة، حيث عدل عن العبارة التي عبروا هم بها عن الله سبحانه، وعبر بما أوقع الأمة في اعتقاد التشبيه والتجسيم وحملهم كلفة التأويل وجشمهم مشقته، وأوقع الخلاف بين الأمة بتلك العبارات التي عباراتهم بزعمهم أعظم تنزيهاً لله، وأقل إيهاماً للمحال منها، فهؤلاء وأمثالهم هم السلف لكل خلف يدعي أن لغير الله ورسوله معه حكماً في مضمون الرسالة إما في العلميات، وإما في العمليات، وإما في الإرادات والأحوال، وإما في السياسات وأحكام الأموال، فيطاع هذا الغير كما يطاع الرسول، بل الله يعلم أن كثيراً منهم أو أكثرهم قد قدموا طاعته على طاعة الرسول وكل^(٢) هؤلاء فيهم شبه^(٣) من اتباع مسيلمة^(٤) وابن أبي وذي الخويصرة^(٥) فلكل

(١) ظ، م: (أوجب)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (فكل).

(٣) م: (شبهة).

(٤) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة المتنبئ الكذاب ولد ونشأ باليمامة في قرية «الجيليلة» بوادي حنيفة في نجد، وحينما قدم وفد بني حنيفة إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» وأسلموا كان مسيلمة معهم، إلا أنه تخلف في الرحال، ولما رجع ادعى النبوة وكان ذلك في أواخر سنة ١٠، واستمرت فتنته في حياة النبي «صلى الله عليه وسلم» ولما توفي بعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد على رأس جيش لقتال مسيلمة فهزمهم خالد وقتل مسيلمة وكان ذلك سنة ١٢، وبذلك انتهت فتنته.

ابن هشام ٧٤/٣، ٢٧٢/٤؛ شذرات الذهب ٢٣/١؛ الأعلام ٢٢٦/٧.

(٥) انظر: ص ٢٠٦.

خلف سلف، ولكل تابع متبوع، ولكل مرؤوس رئيس، فمن قرن بالرسالة رئاسة مطاعة أو سياسة حاكمة بحيث يجعل طاعتها كطاعة الرسالة ففيهم شبه من اتباع عبدالله بن أبي، ومن اعترض على الكتاب والسنة بنوع تأويل من قياس أو ذوق أو عقل أو حال ففيه شبه من الخوارج^(١) وأتباع ذي الخويصرة، ومن نصب طاغوتاً دون الله ورسوله / يدعو ويحاكم إليه، ففيه شبه من أتباع مسيلمة، وقد يكون في هؤلاء من^(٢) هو شر من أولئك، كما كان فيهم من هو خير منهم، أو مثلهم، وهؤلاء كلهم قد أعقبهم هذا الصنيع نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقون ربهم، وإنما تبين لهم حقيقته إذا بليت^(٣) السرائر ومدت الضمائر^(٤)، وبعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، ولا يستقر للعبد قدم في الإسلام، حتى يعقد قلبه، وسره، على أن الدين كله لله [لا رب سواه]^(٥)، ولا متبوع غيره،

[٢٥/١]

(١) انظر: ص ٢٠٦ .

(٢) ظ: (بن).

(٣) ظ: (بليت).

(٤) بليت: الابتلاء هو الاختبار والامتحان وفي القرآن: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، وقال الشاعر:

بليت وفقدان الحبيب بلية وكم من كريم يتلى ثم يصبر
مدت: قال ابن فارس الميم والبدال أصل واحد يدل على جر الشيء في طول واتصال
شيء بشيء في استطالة تقول: مدت الشيء أمده مداً والمعنى أن الضمائر تختبر وتظهر
وتمد وتعرف وذلك يوم عرض الأعمال ونشر الصحف .

معجم مقاييس اللغة ١/٢٩٢، ٢٩٣، ٥/٢٦٩؛ تفسير ابن كثير ٤/٤٩٨، ٥/٢٦٩؛
تفسير الشوكاني ٥/٤٢٠ .

(٥) ظ: (سواه)، م: (لا لسواه)، والصواب ما أثبتته .

وأن كلام غيره يعرض على كلامه فإن وافقه قبلناه لا لأنه قاله، بل لأنه أخبر به عن الله ورسوله وإن خالفه رددناه واطرحناه، ولا يعرض كلامه «صلوات الله وسلامه عليه» على آراء القياسيين ولا عقول الفلاسفة والمتكلمين ولا على سياسة الولاة الحاكمين والسلطين ولا أذواق المتزهدين والمتعبدين، بل تعرض هذه كلها على ما جاء به عرض الدراهم المجهول حاملها على أخير الناقدين، فما حكم بصحته منها فهو المقبول، وما حكم برده فهو المردود. والله الموفق للصواب.

الفصل الحادي عشر^(١)

في أن قصد المتكلم من المخاطب حمل
كلامه على خلاف ظاهره وحقيقته ينافي
قصد البيان، والإرشاد، والهدى، وأن
القصدين متنافيان^(٢)، وأن تركه بدون
ذلك الخطاب خير له وأقرب إلى الهدى

لما كان المقصود بالخطاب دلالة السامع، وإفهامه مراد
المتكلم بكلامه، وتثبيته ما في نفسه من المعاني، ودلالته عليها
بأقرب الطرق كان ذلك موقوفاً^(٣) على أمرين:
بيان المتكلم.
وتمكن^(٤) السامع من الفهم.

بيان أن مراد المتكلم
يحصل بأمرين

الأول

الثاني

فإن لم يحصل البيان من المتكلم، أو حصل له،
ولم يتمكن السامع من الفهم لم يحصل مراد المتكلم، فإذا بين
المتكلم مراده، بالألفاظ الدالة على مراده، ولم يعلم السامع
معنى تلك الألفاظ، لم يحصل له البيان، فلا بد من تمكن
السامع من الفهم، وحصول الإفهام من المتكلم، فحينئذ
لو أراد الله ورسوله من كلامه خلاف حقيقته وظاهره الذي

(١) ظ، م: (العاشر).

(٢) ظ، م: (ينافيان).

(٣) ظ، م: (مرفوعاً) وما أثبتته من حاشية م.

(٤) ظ: (وتملن).

يفهمه المخاطب، لكان قد كلفه أن يفهم مراده بما لا يدل عليه، بل بما يدل على نقيض مراده، وأراد منه فهم النفي بما يدل على غاية الإثبات وفهم الشيء بما يدل على ضده، وأراد منه أن يفهم أنه ليس فوق العرش إله يعبد، ولا إله يصلى له^(١) ويسجد، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته ولا خلفه ولا أمامه، بقوله:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]،

وقوله:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وأراد النبي «صلى الله عليه وسلم» إفهام أمته هذا المعنى بقوله: «لا تفضلوني على يونس بن متى»^(٢) وأراد إفهام كونه خلق آدم بقدرته ومشيتته بقوله:

﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥].

(١) ظ، م: (إليه) والصواب ما أثبت.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٤٥٠/٦) من طريق عبدالله بن عباس في كتاب الأنبياء -

باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ح ٣٤١٣.

بلفظ: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى».

ورواه مسلم (٤/١٨٤٦) - في كتاب الفضائل - باب في ذكر يونس عليه السلام وقول

النبي «صلى الله عليه وسلم»: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»،

ح ١٦٧، بلفظ البخاري.

قال شارح الطحاوية، ص ١٧٢: «الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب

التي يعتمد عليها» ثم ذكر اللفظ كما ورد في الصحيح.

قال الألباني: «لا أعرف له أصلاً بهذا اللفظ» (شرح الطحاوية، ص ١٧٢).

وأراد إفهام تخريب السموات والأرض وإعادتها إلى
العدم بقوله: «يَقْبِضُ اللهُ سَمَاوَاتِهِ بِيَدِهِ الِيَمْنَى، وَالْأَرْضَ
بِالْيَدِ الْآخَرَى ثُمَّ يَهْزِنُ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ»^(١)، وأراد إفهام
معنى مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَنْ تَعْبُدُ؟ بقوله: أين الله؟^(٢) وأشار بإصبعه
إلى السماء مستشهداً بربه، وليس هناك رب ولا إله وإنما أراد
إفهام السامعين أن الله قد سمع قوله وقولهم، وأراد^(٣)

(١) انظر: ص ٢٨٥.

(٢) رواه مسلم (٣٨١/١، ٣٨٢) من طريق معاوية بن الحكم السلمي - في كتاب
المساجد ومواضع الصلاة - باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته،
ح ٣٣.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٣/١٩٨ - ٢٠٣) - في كتاب الصلاة - باب تسميت
العاطس في الصلاة، ح ٩١٨.

ورواه النسائي (٣/١٤ - ١٨) - في كتاب السهو - باب الكلام في الصلاة.

ورواه أحمد في المسند ٢/٢٩١.

ورواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٢. وحديث الجارية كما في قصة
معاوية بن الحكم السلمي وفيه: «... قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد
والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم
أسف كما يأسفون. لكنني صككتها صكة، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وسلم»
فعضم ذلك علي، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: اتتني بها، فأتيت بها، فقال
لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال:
أعتقها؛ فإنها مؤمنة» وهذا لفظ مسلم.

الجوانية: موضع قرب أحد شمال المدينة.

ورواه أيضاً البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٥٣٢، ط. دار الكتب العلمية ١٤٠٥؛
وابن أبي عاصم في السنة ١/٢١٥؛ والإمام مالك في الموطأ ٢/٧٧٦، ٧٧٧ - في
كتاب العتق - باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة، ح ٨.

(٣) ظ: (فأراد).

بالإشارة بإصبعه بيان كونه قد سمع قولهم ، وأمثال ذلك من التأويلات الباطلة .

كقول بعضهم في معنى قوله «عامل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أهل خيبر على شطر ما يخرج منها من ثمر وزرع»^(١) : إن معناه ضرب عليهم الجزية ، وهذا كذب على اللفظ ، وكذب على الرسول ؛ فإنه ليس ذلك معنى اللفظ ، وأهل خيبر لم يضرب عليهم الجزية ؛ لأنه صالحهم وفتحها قبل نزول فرض الجزية .

وكتأويل بعضهم قوله «صلى الله عليه وسلم» : «لا تحرم المصة والمصتان»^(٢) : أن المراد به التقام الثدي من غير ارتضاع اللبن ، ودخوله إلى جوفه إلى أضعاف أضعاف ذلك من التأويلات الباطلة ، التي يعلم السامع قطعاً أنها لم ترد

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٤/٤٦٢) من طريق عبد الله بن عمر - في كتاب الإجارة - باب إذا استأجر أرضاً فمات أحدهما ، ح ٢٢٨٥ .

ورواه مسلم (٣/١١٨٦) - في كتاب المساقاة - باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع ، ح ١٥٥١ ، واللفظ له .

(٢) رواه مسلم (٢/١٠٧٤) من طريق عائشة - في كتاب الرضاع - باب في المصة والمصتان ، ح ١٧ .

ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٤/٣٠٦) في أبواب الرضاع - باب ما جاء لا تحرم المصة ولا المصتان ، ح ١١٦٠ .

ورواه أبو داود (عون المعبود ٦/٦٩) في كتاب النكاح - باب هل يحرم ما دون خمس رضعات ، ح ٢٠٤٩ .

ورواه النسائي (٦/١٠١) في النكاح - باب القدر الذي يحرم من الرضاعة .

بالخطاب بقصد المتكلم لها بتلك الألفاظ الدالة على نقيضها من كل وجه، فلا^(١) يجامع قصد البيان والدلالة^(٢).

قال شيخ الإسلام: «إن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاة^(٣) الذين لا يوجد ما يقولونه في الكتاب والسنة وكلام القرون الثلاثة المعظمة على سائر القرون، ولا في كلام أحد من أئمة الإسلام المقتدى بهم، بل ما في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة يوجد دالاً^(٤) على خلاف الحق عندهم إما نصاً وإما ظاهراً، بل دالاً عندهم على الكفر والضلال، لزم^(٥) من ذلك لوازم باطلة منها:

كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ما يلزم من لوازم باطلة لو كان ما يقوله النفاة هو الحق منها:

أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره ويوقعهم في التشبيه والتمثيل.

الأول

ومنها أن يكون قد نزل بيان الحق والصواب لهم ولم يفصح به، بل رمز إليه رمزاً وألغزه إلغازاً لا يفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهد.

الثاني

ومنها أن يكون قد كلف عباده^(٦) أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها، وكلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه ولم يجعل معها قرينة تفهم ذلك.

الثالث

(١) ظ، م: (لا يجامع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) م، ظ: (والدالة) والصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (تلقاه) والصواب ما أثبت.

(٤) ظ: (وإلا)، م، ب: (والله) والصواب ما أثبت.

(٥) قوله (لزم من ذلك): جواب (إن كان الحق).

(٦) م: (عبارة).

ومنها أن يكون دائماً متكلماً في هذا الباب بما ظاهره الرابع
 خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب، تارة بأنه استوى
 على عرشه، وتارة بأنه فوق عباده، وتارة بأنه العلي الأعلى،
 وتارة بأن الملائكة تعرج إليه، وتارة بأن الأعمال الصالحة
 ترفع إليه، وتارة بأن الملائكة في نزولها من العلو إلى أسفل
 تنزل من عنده، وتارة بأنه رفيع الدرجات، وتارة بأنه في
 السماء، وتارة بأنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وتارة بأنه
 فوق / سمواته على عرشه، وتارة بأن الكتاب نزل من
 عنده، وتارة بأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وتارة بأنه
 يرى بالأبصار عياناً، يراه المؤمنون فوق رؤوسهم إلى غير
 ذلك من تنوع الدلالات على ذلك، ولا يتكلم فيه بكلمة
 واحدة يوافق ما يقوله النفاة، ولا يقول في مقام واحد
 فقط ما هو الصواب فيه لا نصاً ولا ظاهراً ولا بينوه.

[٢٦/١]

ومنها أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا من الخامس
 أولهم إلى آخرهم عن قول الحق في هذا الشأن^(١) العظيم،
 الذي هو من أهم أصول الإيمان، وذلك إما جهل ينافي
 العلم، وإما كتمان^(٢) ينافي البيان. ولقد أساء الظن
 بخيار^(٣) الأمة من نسبهم إلى ذلك، ومعلوم أنه إذا ازدوج
 التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق، تولد من بينهما
 جهل الحق وإضلال الخلق، ولهذا لما اعتقد النفاة التعطيل

(١) ظ: (الثنا).

(٢) م: (أو كتمان).

(٣) ظ: (بخيا).

صاروا يأتون من العبارات بما يدل على التعطيل والنفي نصاً وظاهراً، ولا يتكلمون بما يدل على حقيقة الإثبات لا نصاً ولا ظاهراً، وإذا ورد عليهم من النصوص ما هو صريح أو ظاهر في الإثبات حرفوه أنواع التحريفات وطلبوا له مستكره التأويلات.

السادس

ومنها أنهم التزموا لذلك تجهيل السلف وأنهم كانوا أميين مقبلين على الزهد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل ولم تكن الحقائق من شأنهم.

السابع

ومنها: أن ترك الناس من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب، فإنهم ما استفادوا بنزولها غير التعرض للضلال ولم يستفيدوا منها يقيناً ولا علماً بما يجب لله ويمتنع عليه إذ ذاك، وإنما استفاد من عقول الرجال وآرائها.

فإن قيل: استفدنا منها الثواب على تلاوتها وانعقاد الصلاة بها. قيل: هذا تابع للمقصود بها بالقصد الأول، وهو الهدى والإرشاد والدلالة على إثبات حقائقها ومعانيها والإيمان بها، فإن القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة وانعقاد الصلاة عليه، بل أنزل ليتدبر، ويعقل، ويهدي به، علماً وعملاً، ويصير من العمى، ويرشد من الغي، ويعلم من الجهل، ويشفي من الغي، ويهدي إلى صراط مستقيم. وهذا القصد ينافي قصد تحريفه وتأويله بالتأويلات الباطلة المستكرهه، التي هي من جنس الألغاز والأحاجي، فلا يجتمع قصد الهدى والبيان وقصد ما يضاده أبداً وبالله التوفيق^(١).

(١) لعل هذا هو نهاية كلام شيخ الإسلام.

ومما^(١) يبين ذلك: أن الله تعالى وصف كتابه بأوضح
البيان وأحسن التفسير، فقال تعالى:
بيان أن القرآن
موصوف بأوضح
البيان

﴿وَنَزَّلْنَا^(٢) عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾

[النحل: ٨٩]،

وقال:

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

فأين بيان المختلف فيه والهدى والرحمة في ألفاظ ظاهرها
باطل والمراد منها يطلب بأنواع^(٣) التأويلات المستنكرة
المستكرهة لها، التي^(٤) يفهم منها ضدها؟ وقال تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا^(٥) نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

[النحل: ٤٤].

فأين يبين الرسول ما يقوله النفاة والمتأولون، وقد قال
تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]؟

(١) ظ: (وما).

(٢) ظ، م: (وأنزلنا).

(٣) ظ، م: (أنواع) والصواب إثبات الباء.

(٤) ظ، م: (الذي لا يفهم)، والصواب ما أثبت.

(٥) ظ، م: (ما ان أنزل) وهو خطأ.

فأخبر أنه يقول الحق، ويهدي السبيل بقوله، وعند
النفاة إذاً^(١) حصلت الهداية بأبكار أفكارهم ونتائج آرائهم
وعقولهم^(٢). وقال تعالى:

﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وقال:

﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجنائية: ٦].

وعند النفاة المخرجين لنصوص الوحي عن إفادة
اليقين، إنما حصل له الإيمان بالحديث الذي أسسه
الفلاسفة^(٣)، والجهمية، والمعتزلة، ونحوهم، فبه آمنوا،
وبه اهتموا، وبه عرفوا الحق من الباطل، وبه صحت
عقولهم ومعارفهم، وقال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وأنت لا تجد الاختلاف في شيء أكثر منه في آراء

(١) لعلها: إنما.

(٢) م: (عقولهم وآرائهم).

(٣) انظر: ص ١٩١.

(٤) ما بين النجمتين (* — *) من ص ٢٩٠ إلى ص ٣١٨ سقط من ب.

المتأولين وسوانح^(١) أفكارهم وزبالة^(٢) أذهانهم^(٣) التي يسمونها قواطع عقلية وبراهين يقينية، وهي عند^(٤) التحقيق خيالات وهمية، وقوادح فكرية، نذوا بها القرآن والسنة وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما:

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِصَّغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرَّضُوهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ * أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ^(٥) مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُحَرِّينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَتُ^(٦) رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ^(٨) يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[الأنعام: ١١٢ - ١١٧].

(١) م: (سوانح).

(٢) ظ: (ردبالة)، م: (وذبالة).

(٣) ظ، م: (أوهامهم).

(٤) ب: (عين).

(٥) ظ، م: (نزل) وهو غلط.

(٦) ظ، م، ب: (كلمات) وما أثبتته قراءة حفص.

(٧) قرأ الكوفيون «كلمة ربك» بالتوحيد وقرأ الباقون بالجمع.

التبصرة في القراءات السبع، ص ٣٣١؛ النشر في القراءات العشر ٢/٢٦٢.

(٨) ظ: (من ضل)، م، ب: (بمن ضل).

الفصل الثاني عشر^(١)

في بيان أنه مع كمال علم المتكلم
وفصاحته وبيانه ونصحه^(٢)، يمتنع عليه
أن يريد بكلامه خلاف ظاهره^(٣)
وحقيقته وعدم البيان في أهم الأمور
وما تشتد^(٤) الحاجة إلى بيانه

مناظرة الشيخ
عبدالله بن تيمية
لبعض الجهمية
نكتفي^(٥) من هذا الفصل بذكر مناظرة جرت بين
جهمي معطل وسني مثبت، حدثني بضمونها شيخنا
عبدالله^(٦) بن تيمية رحمه الله أنه جمعه وبعض الجهمية
مجلس^(٧)، فقال^(٨) الشيخ: قد تطابقت نصوص الكتاب

(١) ظ، م: (الحادي).

(٢) ظ: (نصحته)، م: (نصيحته).

(٣) في هامش ب: (يمنتع الفصيح أن يريد خلاف الظاهر).

(٤) ظ: (يسند).

(٥) ظ: (يلتفي).

(٦) هو عبدالله بن عبدالحليم عبدالسلام بن تيمية الحراني الدمشقي أخو شيخ الإسلام،

ولد سنة ٦٦٦ بحران، وسمع المسند والصحيحين وكتب السنن وتفقه في المذهب

الحنبلي، فبرع وأفتى وكان زاهداً ورعاً. توفي رحمه الله سنة ٧٢٧ بدمشق.

طبقات الحنابلة ٢/٣٨٢. وانظر الحديث عن شيوخ ابن القيم، ص ٥٧.

(٧) ظ، م، ب: (مجلساً)، والصواب ما أثبتته.

(٨) في هامش ب: (مناظرة ابن تيمية عبدالله والجهمي).

[٢٧/١]

والسنة والآثار على إثبات / الصفات لله، وتنوعت دلالتها عليها أنواعاً توجب العلم الضروري بثبوتها، وإرادة المتكلم اعتقاد ما دلت^(١) عليه، والقرآن مملوء^(٢) من ذكر الصفات، والسنة ناطقة بمثل^(٣) ما نطق به القرآن مقررة له، مصدقة له، مشتملة على زيادة في الإثبات، فتارة يذكر الاسم المشتمل على الصفة، كالسميع، البصير، العليم، القدير، العزيز، الحكيم، وتارة بذكر المصدر، وهو الوصف الذي اشتقت منه تلك الصفة كقوله:

﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء: ١٦٦].

وقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقوله:

﴿ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي ﴾

[الأعراف: ١٤٤].

وقوله:

﴿ قَالَ فَبِعَرَّتِكَ لَأُعَوِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢].

(١) ظ: (مادات).

(٢) ظ: (مملوا).

(٣) ظ، م: (على).

وقوله «صلى الله عليه وسلم» في الحديث الصحيح :
 «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه
 بصره من خلقه»^(١)، وقوله في دعاء الاستخارة: «اللهم إني
 أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك»^(٢)، وقوله: «أسألك
 بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق»^(٣)، وقول عائشة:

(١) رواه مسلم ٦١/١، من طريق أبي موسى، في كتاب الإيمان، باب في قوله «عليه السلام» إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ح ٢٩٣.

ورواه ابن ماجه ٧٠/١، في المقدمة، باب فيما أنكرته الجهمية، ح ١٩٥، ١٩٦.
 ورواه أحمد في المسند ٤٠١/٤، ٤٠٥.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٤٨/٣)، من طريق جابر بن عبدالله رضي الله عنه، في كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، ح ١١٦٢.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٥٩١/٢)، في أبواب الوتر، باب ما جاء في صلاة الاستخارة، ح ٤٧٨.

ورواه ابن ماجه ٢٥١/١، ٢٥٢، في أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الاستخارة، ح ١٣٧٩ ط. مصطفى الأعظمي.

ورواه أحمد في المسند ٣٤٤/٣.

(٣) رواه النسائي ٥٤/٣، من طريق عمار بن ياسر، في كتاب الذكر والدعاء، باب الدعاء بعد الذكر، بهذا اللفظ.

ورواه أحمد في المسند ٢٦٤/٤.

وأصل الحديث دون ذكر هذه العبارة رواه البخاري (فتح الباري ١٢٧/١٠)، من طريق أنس، في كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت، ح ٥٦٧١.

وكذا رواه مسلم ٢٠٦٤/٤، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمنى الموت لضر نزل به، ح ١٠.

وكذا الترمذي (تحفة الأحوذى ٤٦/٤)، في أبواب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن تمنى الموت، ح ٩٧٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وكذا رواه أبو داود (عون المعبود ٣٧٣/٨)، في كتاب الجنائز، باب كراهة تمنى الموت، ح ٣٠٩٢. وقال الألباني: «صحيح» شرح الطحاوية، ص ١٠١.

«الحمد لله (الذي)»^(١) وسع سمعه الأصوات»^(٢)، ونحوه،
وتارة [يكون بذكر]^(٣) حكم تلك الصفة، كقوله:

﴿قَدِّسَمَعُ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

و:

﴿إِنِّي مَعَكُمْ مَأْسَمِعٌ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]،

[وقوله]:

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

وقوله:

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾

[البقرة: ١٨٧].

ونظائر ذلك.

(١) (الذي): سقط من ب.

(٢) رواه ابن ماجه ١/٦٧، من طريق عائشة رضي الله عنها، في المقدمة، باب فيما أنكرت
الجهمية، ح ١٨٨.

ورواه النسائي ٦/١٦٨، من طريق عائشة رضي الله عنها، في كتاب الطلاق، باب
الظهار.

ورواه البخاري معلقاً (فتح الباري ١٣/٣٧٢)، في كتاب التوحيد، باب «وكان الله
سميعاً بصيراً».

ورواه ابن جرير ٥/٢٨، ٦.

ورواه الحاكم ٢/٤٨١، بنحوه في كتاب التفسير، تفسير سورة المجادلة، وقال هذا
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح.

(٣) (يكون بذكر): إضافة من ب.

وتصرح في الفوقية بلفظها الخاص، وبلفظ العلو والاستواء، وأنه في السماء، وأنه ذو المعارج، وأنه رفيع الدرجات، وأنه تعرج إليه الملائكة وتنزل من عنده، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأن المؤمنين يرونه بأبصارهم عياناً من فوقهم، إلى أضعاف (أضعاف)^(١) ذلك مما لوجعت النصوص والآثار فيه لم تنقص عن نصوص الأحكام وآثارها.

ومن أبين المحال، وأوضح الضلال حمل ذلك كله على خلاف حقيقته وظاهره، ودعوى المجاز فيه والاستعارة، وأن الحق في أقوال النفاة المعطلين وأن تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص، إذ يلزم [من]^(٢) ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بد منها أو من بعضها وهي:

القدح في علم المتكلم بها.
أو في بيانه.
أو في نصحه.

وتقرير ذلك أن^(٣) يقال: إما أن يكون المتكلم بهذه النصوص عالماً أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين أو لا يعلم ذلك.

فإن لم يعلم ذلك، والحق فيها^(٤) كان ذلك قدحاً^(٥) في

(١) (أضعاف): سقط من ب.

(٢) لفظ (من): ليس في جميع النسخ وبه تستقيم العبارة.

(٣) ظ، م، ب: (أنه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) ب: (فيهما).

(٥) ظ: (قد جاء).

علمه، وإن كان عالماً أن الحق فيها فلا يخلو إما أن يكون قادراً على التعبير بعباراتهم التي هي تنزيه^(١) لله بزعمهم عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، وأنه لا يعرف الله من لم ينزهه بها أو^(٢) لا يكون قادراً على تلك العبارات، فإن لم يكن قادراً على التعبير بذلك، لزم القدح في فصاحته، وكان ورثة^(٣) الصابئة^(٤) وأفراخ الفلاسفة^(٥) وأوقاح المعتزلة والجهمية وتلامذة الملاحدة^(٦)، أفصح منه، وأحسن بياناً وتعبيراً عن الحق وهذا مما يَعْلَمُ بطلانه بالضرورة أولياؤه وأعداؤه، موافقوه ومخالفوه، فإن مخالفه لم يشكوا في أنه أفصح الخلق، وأقدرهم على حسن التعبير بما يطابق المعنى ويخلصه من اللبس والإشكال.

وإن كان قادراً على ذلك، ولم يتكلم به، وتكلم دائماً بخلافه وما يناقضه، كان ذلك قدحاً في نصحه. وقد وصف الله رسله بكمال النصح والبيان، فقال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾

[إبراهيم: ٤].

(١) ظ، م: (تنزيهه).

(٢) ظ: (إذ).

(٣) ظ: (روية).

(٤) انظر: ص ١٦٢.

(٥) انظر: ص ١٩١.

(٦) انظر: ص ٣٠٠.

وأخبر عن رسله بأنهم أنصح الناس لأهمهم، فمع
النصح والبيان والمعرفة التامة، كيف يكون مذهب النفاة
المعطلة أصحاب التحريف هو الصواب وقول أهل الإثبات
أتباع القرآن والسنة باطلاً؟ هذا مضمون المناظرة فقال له
الجهمي: انزل بنا إلى الوطاة^(١).

قلت له: ما أراد بذلك؟ قال: أراد أنك خاطبتني من
فوق، وتجوّهت^(٢) عليّ بجاه لا يمكنني مقاومته، فأنزل بنا إلى
مباحث الفضلاء، وقواعد النظر أو نحو هذا من الكلام.
فليتدبر الناصح لنفسه الموقن بأن الله^(٣) لا بد سائله
عما أجاب به رسوله [في]^(٤) هذا المقام، وليتحيز بعد إلى^(٥)
أين شاء؟ فلم يكن الله ليجمع بين النفاة المعطلين المحرفين،
وبين أنصاره وأنصار رسوله وكتابه^(٦) إلا جمع امتحان وابتلاء
كما جمع بين الرسل وأعدائهم في هذه الدار.

(١) الوطاء، والوطاء، ما انخفض من الأرض بين النشاز والإشراف والمعنى ناظرني بأسلوب
أسهل من هذا.

لسان العرب ٦/٤٨٦٤، دار المعارف.

(٢) الجاه: المنزلة والقدر عند السلطان.

والمعنى: أنك خاطبتني من فوق وبلغت جاهاً لا يمكنني مقاومته.

لسان العرب ١٣/٤٨٧، دار صادر، مادة جوه.

(٣) ظ، م: (بالله).

(٤) (في): ليست في جميع النسخ وبها تستقيم العبارة.

(٥) ظ: (اجدال)، م: (اجدلي).

(٦) ظ، م: (وكانه).

مناظرة ابن القيم
لبعض علماء
النصارى

قلت^(١): وقريب من هذه المناظرة ما جرى لي مع بعض علماء أهل الكتاب فإنه جمعني^(٢) وإياه مجلس خلوة، أفضى بيننا الكلام إلى أن جرى ذكر مسبة النصارى لرب العالمين مسبة، ما سبه إياها أحد من البشر، فقلت له: وأنتم^(٣) بإنكاركم نبوة محمد «صلى الله عليه وسلم» قد سببتم^(٤) الرب تعالى أعظم مسبة، قال: وكيف ذلك؟ قلت: لأنكم تزعمون أن محمداً ملك ظالم ليس برسول صادق، وأنه خرج يستعرض الناس بسيفه فيستبيح أموالهم ونساءهم وذريابهم، ولا يقتصر على ذلك حتى يكذب على الله، ويقول: الله أمرني بهذا، وأباحه لي، ولم يأمره الله، ولا أباح له ذلك، ويقول: أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء، وينسخ شرائع الأنبياء من عنده، ويبطل منها ما يشاء^(٥)، ويبقى منها ما يشاء^(٥)، وينسب ذلك كله إلى الله، ويقتل أوليائه، وأتباع رسله، ويسترق نساءهم وذريابهم^(٦)، فإما أن يكون الله سبحانه راثياً لذلك كله عالماً به مطلعاً عليه أو لا.

[٢٨/١]

فإن قلت: إن ذلك بغير علمه واطلاعه / نسبتموه إلى الجهل والغباوة، وذلك من أقبح السب، وإن كان عالماً به

(١) في هامش ب: (مناظرة ابن القيم مع الكتابي).

(٢) ظ: (بمعني).

(٣) ظ، م: (فأنتم).

(٤) ظ: (سببتم).

(٥) ظ، م: (ما شاء).

(٦) ظ، م: (وذريتهم).

رائياً له مشاهداً لما يفعله، فإما أن يقدر على الأخذ على يديه
ومنعه من ذلك أو لا.

فإن قلت: إنه غير قادر على منعه^(١) [والأخذ على
يده]^(٢)، نسبتموه إلى العجز والضعف، وإن قلت: بل
هو قادر على منعه ولم يفعل نسبتموه إلى السفه، والظلم،
والجور. هذا وهو من حين ظهر إلى أن توفاه ربه يجب
دعواته، ويقضي حاجاته، ولا يسأله حاجة، إلا قضاها له،
ولا يدعوه بدعوة إلا أجابها له، ولا يقوم له عدو إلا ظفر به،
ولا تقوم له راية إلا نصرها، ولا لواء إلا رفعه، ولا من
يناوئه ويعاديه إلا بتره ووضعته، فكان أمره من حين ظهر إلى
أن توفي يزداد على الأيام والليالي ظهوراً وعلواً ورفعة، وأمر
مخالفه لا يزداد إلا سفولاً^(٣) واضمحلالاً.

ومحبته في قلوب الخلق تزيد على ممر الأوقات، وربّه
تعالى يؤيده بأنواع التأييد، ويرفع ذكره غاية الرفع، هذا
وهو عندكم من أعظم أعدائه، وأشدّهم ضرراً على الناس،
فأي^(٤) قدح في رب العالمين، وأي مسبة له وأي طعن فيه
أعظم من ذلك؟.

فأخذ الكلام منه مأخذاً ظهر عليه، وقال: حاش لله،

(١) ظ، م زاد لفظ: (ولم يفعل)، بعد قوله: (غير قادر على منعه)، ولا محل لها.

(٢) (والأخذ على يده): إضافة من ب.

(٣) ظ: (سفرلاً)، قال في حاشية م: (كذا في الأصل ولعله استفلا واضمحلالاً).

(٤) ظ، م: (وأي).

أن^(١) نقول فيه هذه المقالة بل هو^(٢) نبي صادق، كل من اتبعه فهو سعيد وكل منصف منا يقر بذلك ويقول أتباعه سعداء في الدارين. قلت له: فما يمنعك من الظفر بهذه (السعادة)^(٣) فقال: وأتباع كل نبي من الأنبياء، كذلك فأتباع موسى أيضاً سعداء.

قلت له: فإذا أقررت أنه نبي صادق فقد^(٤) كفر من لم يتبعه واستباح دمه، وماله، وحكم له بالنار، فإن صدقته في هذا وجب عليك اتباعه، وإن كذبت فيه، لم يكن نبياً فكيف يكون أتباعه سعداء فلم يجر جواباً، وقال: حدثنا^(٥) في غير هذا. فانظر هذه الموازنة والمشابهة بين ما لزم الجهمية النفاة من القدح والطعن في المتكلم^(٦) بنصوص الصفات، وما لزم منكري نبوة محمد «صلى الله عليه وسلم» من الطعن والقدح في الرب تعالى.

تشابه الجهمية
والنصارى

إذا ضمنت هذا إلى ما يلزمهم من الطعن في كلامه وأمره واشتماله على ما ظاهره كفر وضلال وباطل ومحال، علمت حقيقة الحال وتبين لك الهدى من الضلال والله المستعان.

(١) م: (إنا نقول).

(٢) ظ: (هي).

(٣) (السعادة): سقط من ب.

(٤) م: (وقد)، ب: (فهو).

(٥) ب: (خذ بنا).

(٦) ظ، م: (التكلم).

الفصل الثالث^(١) عشر

في بيان أن تيسير القرآن للذكر ينافي

حملة على التأويل المخالف لحقيقته^(٢) وظاهره^(٣)

أنزل الله سبحانه الكتاب شفاء لما في الصدور، وهدى،
ورحمة للمؤمنين، ولذلك كانت معانيه أشرف المعاني،
وألفاظه أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها، مطابقة لمعانيها
المرادة منها، كما وصف سبحانه به كتابه في قوله:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(٤)

معنى التفسير
الأحسن

[الفرقان: ٣٣]

فالحق: هو المعنى والمدلول الذي تضمنه الكتاب،
والتفسير الأحسن: هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق فهي
تفسيره وبيانه.

والتفسير أصله في^(٥) الظهور والبيان، وباقيه^(٦) في

(١) ظ، م: (الثاني).

(٢) ظ: (بحقيقه).

(٣) في هامش ب: (كون القرآن ميسراً للذكر ينافي التأويل).

(٤) ظ: (تفسير).

(٥) ب: (من).

(٦) ب: (وتلاقيه). ولعلها يلاقيه.

الاشتقاق الأكبر^(١): الإسفار ومنه أسفر الفجر إذا أضاء ووضح، ومنه السفر لبروز المسافر من البيوت وظهوره، ومنه [السفر]^(٢) الذي يتضمن إظهار ما فيه من العلم وبيانه، فلا بد [من]^(٣) أن يكون التفسير مطابقاً للمفسر مفهوماً له، وكلما كان فهم المعنى منه أوضح وأبين كان التفسير أكمل وأحسن^(٤)، ولهذا لا تجد كلاماً^(٥) أحسن تفسيراً، ولا أتم بياناً، من كلام الله سبحانه، ولهذا سماه سبحانه بياناً، وأخبر أنه يسره للذكر، وتيسيره للذكر يتضمن أنواعاً من التيسير:

- إحداها^(٦): تيسير ألفاظه للحفظ.
 الثاني: تيسير معانيه للفهم.
 الثالث: تيسير أوامره ونواهيه للإمتثال^(٧).

(١) الاشتقاق: هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيباً ومغايرتها في الصيغة وهو ثلاثة أنواع:

١ - الاشتقاق الصغير: وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف نحو ضرب من الضرب.

٢ - الاشتقاق الكبير: وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب مثل جذب من الجذب.

٣ - الاشتقاق الأكبر: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نعق من نهق وكتفسير وإسفار.

التعريفات للجرجاني، ص ١٧؛ دستور العلماء ١/١١٩.

(٢) (السفر): إضافة من ب.

(٣) (من): إضافة من ب.

(٤) ب: (أحسن وأكمل).

(٥) ظ: (كلامنا).

(٦) ظ، م: (إحداهما).

(٧) ظ: (للأمثال).

ومعلوم أنه لو كان بالفاظ لا يفهمها المخاطب، لم يكن ميسراً له، بل كان معسراً عليه، فهكذا إذا أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني، أو يدل على خلافه فهذا من أشد التعسير^(١)، وهو مناف للتيسير؛ فإنه لا شيء أعسر على الأمة من أن يراد منهم أن يفهموا كونه سبحانه لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا متصلاً به، ولا منفصلاً عنه، ولا مبيئاً له، ولا محايثاً، ولا يرى بالأبصار عياناً، ولا له وجه، ولا يد، من قوله:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ومن قول رسوله: «لا تفضلوني على يونس بن متى»^(٢) ومن قوله:

﴿الَّذِينَ يَمْلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧].

وأن يجهدوا أنفسهم، ويكابدوا أعظم المشقة في طلب^(٣) أنواع الاستعارات، وضروب المجازات، ووحشي اللغات ليحملوا عليه آيات الصفات وأخبارها، فيصرفوا قلوبهم وأفهامهم عما تدل عليه، ويفهموا منها ما لا تدل عليه، بل تدل على خلافه ويقول: اعلموا يا عبادي أنني

(١) ظ، م: (التفسير).

(٢) انظر: ص ٣١١.

(٣) ب: (تطلب).

أردت منكم أن تعلموا أني لست فوق العالم، ولا تحته،
ولا فوق عرشي، ولا ترفع الأيدي إليّ ولا يعرج إليّ شيء،
ولا ينزل من عندي شيء من قولي:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

ومن قولي:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

ومن قولي:

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

(ومن قولي:

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(١) [النساء: ١٥٨].

ومن قولي:

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

ومن قولي:

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن قولي:

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

ومن قولي :

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

ومن قولي :

﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴿١٦﴾﴾ [الملك: ١٦].

ومن قولي :

﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

ومن قولي :

﴿قُلْ (١) نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾

[النحل: ١٠٢].

وأن يفهموا انه ليس لي يدان .

من قولي :

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥].

ومن قولي :

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

ولا عين من قولي :

﴿وَلْيُصْنَعْ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩].

[٢٩/١] فإنكم إذا فهمتم من هذه / الألفاظ حقائقها وظواهرها فهمتم خلاف مرادي منها، بل مرادي منكم أن تفهموا منها

(١) ظ، م: (قل هو نزله) وهو خطأ.

ما يدل على خلاف حقائقها وظواهرها فأبي تيسير يكون هناك وأي تعقيد وتعسير لم يحصل بذلك، ومعلوم أن خطاب الرجل بما لا يفهمه إلا بترجمة أيسر عليه من خطابه بما كلف أن يفهم منه خلاف موضوعه^(١) وحقيقته بكثير. فإن تيسير^(٢) القرآن مناف لطريقة النفاة المحرفين أعظم منافاة، ولهذا لما عسر عليهم أن يفهموا منه النفي وعز^(٣) عليهم ذلك عولوا فيه على الشبه الخيالية^(٤) التي سموها قواطع عقلية وقواعد يقينية^(٥) وإذا تأملها من نور الله قلبه وكحل عين بصيرته بمُرود^(٦) الإيمان رآها «لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل»^{(٧)(٨)} وهي من

(١) ظ، م: (موضعه).

(٢) ظ: (تفسير)، ب: (فتيسير).

(٣) ظ، م: (عسر).

(٤) ظ، م: (الخيالية).

(٥) ظ: (قواطع تفنيد)، م: (قواطع).

(٦) المُرود: الميل الذي يكتحل به. وفي حديث ماعز «كما يدخل المرود في المكحلة».

لسان العرب ٣/١٧٤٤ مادة رود، دار المعارف.

(٧) ظ، م: (فينقل) وفي رواية للحديث (فينتقى) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم

٢١٣/١٥، دار الفكر، ١٤٠١ هـ.

(٨) هذا جزء من حديث أم زرع الذي رواه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها

قالت: «جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن

شيئاً قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين

فينتقل... الحديث.

انظر: بقية الحديث في صحيح مسلم ٤/١٨٩٦، في كتاب فضائل الصحابة، باب

ذكر حديث أم زرع، ح ٩٢.

وقد شرح الحديث القاضي عياض في مصنف مستقل.

جنس خيالات الممرورين^(١) وأصحاب الهوس، وقد سودوا بها القلوب والأوراق، فطريقتهم ضد طريقة القرآن من كل وجه، إذ طريقة القرآن حق بأحسن تفسير، وأبين عبارة، وطريقتهم معان باطلة بأعقد عبارة وأطولها وأبعدها من الفهم، فيجهد الرجل الظمان^(٢) نفسه وراءهم، حتى تنفذ قواه، فإذا هو قد اطلع على سراب بقيعة.

طريقة المتكلمين
ضد طريقة القرآن
فهي تدل على معان
باطلة بأعقد عبارة
وأطولها

﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابًا بِرُؤُوسِ السَّمَكِ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِيرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾
[النور: ٣٩ - ٤٠].

والله^(٤) يعلم أنا لم نقل ذلك تقليداً لغيرنا^(٥)، بل إخباراً عما شاهدناه ورأيناه وإذا أحببت أن تعلم ذلك حقيقة فتأمل عامة مطالبهم وأدلتهم عليها، وكيف تجدها؟ مطالب بعد التعب الشديد والجهد الجهد، لا تحصل منها على مطلب صحيح، فإنهم بعد الكد والجهد لم يثبتوا للعالم رباً مابيناً عنه منفصلاً منه، بل بعد الجهد الشديد - في إثبات

(١) الممرور الذي غلبت عليه المرّة، وقال ابن سيده: والمرّة مزاج من امزجة البدن. لسان العرب ٤١٧٦/٦.

(٢) ظ: (الظمان)، ب: (المضمار).

(٣) (من فوقه موج) سقط من: ظ، م.

(٥) ب: (كغيرنا).

(٤) ظ: (فالله).

موجود لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه – هم شاكون في وجوده، هل هونفس ذاته^(١) أو زائد عليها فمن ذاهب إلى أنه زائد، ومن ذاهب إلى أنه ليس بزائد، ومن متوقف في وجوده شك فيه، هل هونفس ذاته أو زائد عليها؟ ثم هم شاكون في أن صفاته (هل)^(٢) هي وجودية أو عدمية؟ أو لا وجودية ولا عدمية؟ وهل هي زائدة على الموصوف أو ليست زائدة؟ فكيف تثبت له على وجه لا يوجب تكثراً في الذات ولا مغايرة بينها؟ فبعضهم يجعلها أموراً عدمية وبعضهم أحوالاً نسبية^(٣) وبعضهم يتوقف فيها، ومنهم من يجعل علمه نفس ذاته فيجعل ذاته علماً، ومنهم من يجعل علمه نفس معلومه، ومنهم من يجعل علمه واحداً لا يتعدد^(٤)، ولا ينقسم فيجعل علمه بوجود الشيء، هو [عين]^(٥) علمه بعدمه، وعلمه بكونه يطاع هونفس علمه بكونه يعصى، هذا إذا أثبت علمه بالمعينات^(٦) [والجزئيات، ومن لم يثبت منهم قال: لا يعلم من الموجودات المعينة]^(٧) شيئاً البتة.

وكذلك اضطربوا في كلامه، فمنهم من لم يثبت له كلاماً

(١) ظ، م: (ماهيته).

(٢) (هل): سقط من ب.

(٣) ظ، م: (سنيه).

(٤) ظ: (لا يتعدى).

(٥) (عين): إضافة من ب.

(٦) ظ، م: (ثبت عليه بالمعيات).

(٧) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

البتة فلا قال عنده، ولا يقول، ولا أمر ولا نهى ولا كلم
ولا يتكلم، ومن يقرب منهم إلى الإسلام، قال: كل ذلك
مخلوق، خلقه في الهواء، أو في اللوح المحفوظ ومنهم من
قال: كلامه معنى واحد، فالمعنى^(١) ليس له بعض ولا كل
وليس بحروف ولا أصوات، وذلك المعنى الواحد الذي
لا ينقسم هو معاني كتبه كلها، فالقرآن هونفس التوراة،
وهما نفس الإنجيل والزبور اختلفت^(٢) أسماؤها باختلاف
التعبير عن ذلك المعنى الواحد، ثم ذلك المعنى ليس من
جنس العلوم^(٣) ولا الإرادات بل^(٤) حقيقته مغايرة
لحقيقتها^(٥) ثم ذلك المعنى المشار إليه يجوز تعلق الحواس
الخمس به فيسمع، ويرى، ويلمس، ويشم، ويذاق،
وكذلك سائر الأعراض يجوز تعلق الإدراكات كلها بها
فيجوز أن تشم الأصوات، وترى، وتذاق، وتلمس، ويجوز
أن تسمع الروائح وتلمس، قالوا: وهذا حكم^(٦) سائر
الصفات فجعلوا الإرادة واحدة بالعين^(٧). وإرادة إيجاد
الشيء هي عين إرادة إعدامه، وإرادة تحريكه هي عين إرادة
تسكينه، وإرادة إبقائه^(٨) هي عين إرادة إفنائه^(٩)،

(١) ب: (بالعين).

(٢) م: (واختلفت).

(٣) ظ، م: (المعلوم).

(٤) ظ، م: (بل هي).

(٥) ظ، م: (لحقيقتها).

(٦) ظ، م: (وهكذا هم في).

(٨) ظ، م: (انعامه).

(٩) ظ، م: (إثباته).

(٧) ظ: (بالمعنى)، م: (في المعنى).

وإنما المختلف تعلقاتها فقط وكذلك قالوا في القدرة، وأما إذا حضروا^(١) على مطلب الجوهر الفرد^(٢) ومطلب العرض هل يبقى زمانين أم لا؟ ومطلب الأجسام هل هي متماثلة أو متباينة؟ ومطلب الأحوال^(٣) هل هي ثابتة أم لا؟ وهل هي وجودية أو عدمية أو لا ذا ولا ذاء، ومطلب الزمان والمكان ما حقيقتها؟ وهل هما وجوديان أو عدميان؟ ومطلب / الكسب^(٤) هل له حقيقة أم لا وما حقيقته

[٣٠/١]

(١) ب: (حروا)، ومعنى حضروا: قال في اللسان: الحاضرة والحاضر الحي العظيم أو القوم وقال ابن سيده: الحي إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم.

والمعنى إذا اجتمعوا على مطلب الجوهر الفرد.

لسان العرب ٢/٩٠٧، مادة حضر.

(٢) الجوهر الفرد: الذي لا يحس ولا يرى ولا يتميز منه جانب عن جانب، انظر: ص ٨١٤.

(٣) الأحوال جمع حال وهو الوساطة بين الموجود والمعدوم، وبه يقول أبو هاشم من المعتزلة والأشعرية فقالوا: إن ها هنا أحوالاً ليست حقاً ولا باطلاً ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة، ولا موجودة، ولا معدومة ولا هي معلومة ولا مجهولة ولا هي أشياء، ولا هي لا أشياء وقالوا من ذلك نية الناوي وعلم العالم بأن له علماً وبقاء الباقي وفناء الفاني وظهور الظاهر، وذلك لأنه يلزم منه وجود أشياء لا نهاية لها فيكون للباقي بقاء ولبقاء الباقي بقاء وهكذا إلى ما لا نهاية.

انظر: تفصيل هذا القول والرد عليه في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/٤٩ وما بعدها؛ الموافق، ص ٥٧ وما بعدها؛ نهاية الإقدام، ص ١٣١، ١٣٢؛ الإرشاد، ص ٨٠.

(٤) الكسب هورأي الأشاعرة في أفعال العباد حيث أرادوا أن يوفقوا بين رأي الجبرية والقدرية فقالوا بالكسب وحقيقة الكسب هو وقوع الفعل من المكتسب مع تعذر انفراده به، أما الخلق فهو وقوع الفعل بقدرته مع صحة انفراده به وعرفه الرازي بقوله: «إن الإنسان مجبور في صورة مختار» ووضح البغدادي هذا القول حينما شبه اقتران قدرة العبد بقدرة الله مع نسبة الكسب إلى العبد بالحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل =

ومطلب الفعل هل هو قائم بالفاعل أم لا فإن قام به فهل هو مقارن له أم لا؟ فإن تأخر عنه فما الموجب (١) لتأخره، وإن قارنه (فهل) (٢) كان قديماً بقدمه، وإن (لم) (٣) يقيم به فكيف يكون فاعلاً بلا (٤) فعل يقوم به كما لا يكون سميماً بصيراً مريداً قادراً بلا سمع ولا بصر ولا إرادة تقوم به؟ إلى غاية (٥) مطالبتهم التي (٦) إذا انتهى جمعهم (٧) وصلوا إلى ما يحيله (٨) العقل والسمع فترى أحدهم يبني حتى إذا ظن أنه قد ارتفع بناؤه جاء الآخر بمعاول من التشبيه (٩) والتشكيك (١٠) فهدم عليه جميع ما بناه، وبني مكانه بناء آخر،

= ويقدر آخر على حمله منفرداً فإذا اجتمعا على حمله كان حصول الحمل بأقواهما ولا خرج أضعفها بذلك عن كونه حاملاً وهذه النظرية تأول إلى قول الجبرية، وفي هذه المصطلحات يقول الشاعر:

ما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنو إلى الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي وطفرة النظام
نهاية الإقدام، ص ٧٧؛ الإنصاف؛ المواقف، ص ٣١١.

- (١) ب: (فا الموجب).
- (٢) (فهل): سقط من ب.
- (٣) (لم): سقط من ب.
- (٤) ظ، م: (بل).
- (٥) ب: (عامه).
- (٦) ظ، م: (الذي).
- (٧) ب: (حفرهم)، ظ، م: (جمعهم هم)، ولعل (هم) زائدة.
- (٨) ب: (تخيله).
- (٩) ظ، م: (الشبه).
- (١٠) ظ، م: (التشكل).

حتى إذا ظن أن بناءه قد كمل عاد الباني (١) الأول بنظير (٢)
تلك المعاول فهدم بناءه فلا يزالون كذلك كما قال شاعرهم :

ونظيري في العلم مثلي أعمى
فترانا في حُندس (٣) نتصادم

فهذه القواعد الفاسدة هي التي حملتهم على تلك
التأويلات الباطلة؛ لأنهم رأوها لا تلائم (٤) نصوص الوحي
بل بينها وبينها الحرب العوان فأجهدوا أنفسهم وكدوا
خواطيرهم في الصلح وزعموا أن ذلك إحسان وتوفيق، وكان
الله سبحانه أنزل هذه الآيات في شأنهم :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ
يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدِمَتْ
أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا *
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ
وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٣].

(١) ظ، م : (الثاني).

(٢) ظ، م : (ينظر).

(٣) انظر: ص ١٥٠.

(٤) ظ : (لا تكاثم).

الفصل الرابع (١) عشر
في أن (٢) التأويل يعود على المقصود
من (٣) وضع اللغات بالإبطال (٤)

لما جعل الله سبحانه نوع الإنسان يحتاج بعضه إلى (٥)
بعض فلا يمكن لإنسان (٦) أن يعيش وحده، بل لا بد له من
مشارك ومعاون من بني جنسه كما قيل: «الإنسان مدني
بالطبع»، وكان لا يعرف كل منهم ما يريد صاحبه من
الأفعال والتروك إلا بعلامة تدل على ذلك، وتلك العلامة إما
تحريك جسم من الأجسام المنفصلة عنه، أو تحريك بعض
أعضائه، فيجعل لكل معنى حركة خاصة، ومعلوم أن في
الأول من العسر والمشقة وعدم الإحاطة بالتعريف ما يمنع
وضعه، فكان تحريك الأعضاء أسهل وأدل وأعم، وكانت
حركة الأعضاء نوعين، نوع للبصر ونوع للأذن، والذي

(١) ظ، م: (الثالث).

(٢) ظ، م: (إن في) بتقديم (إن).

(٣) ظ، م: (في) بدل (من).

(٤) في هامش ب: (التأويل يبطل اللغة).

(٥) ظ: (إلى بعضه بعض).

(٦) ظ، م: (الإنسان) وقد سقط من ب، ولعل الصواب ما أثبتته.

للأذن أعم والإنسان إليه أحوج^(١) وكان أولى هذه الأعضاء بأن يجعل حركاتها دالة معرفة هو اللسان^(٢)؛ لأن حركته أخف وأسهل وتنوعها أعظم وأكثر من تنوع حركة غيره، وترجمته عما^(٣) في القلب أظهر من ترجمة غيره. ويتمكن المعرف بحركاته^(٤) من حركات مفردة ومؤلفة، يحصل^(٥) بها من الفرق والتمييز ما لا يحصل بغيره^(٦)؛ كان^(٧) أقرب الطرق إلى هذا المقصد^(٨) هو الكلام الذي جعله الله سبحانه في اللسان، وجعله دليلاً على ما في الجنان، وجعل ذلك من دلائل ربوبيته ووحدانيته وكمال علمه وحكمته.

قال^(٩) (الله)^(١٠) تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

وقال تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [البلد: ٨ - ١٠].

(١) م: (أحوج إليه).

(٢) ظ، م: (وهو الإنسان).

(٣) ظ، م: (كما).

(٤) ظ، م: (ويمكن المعروف لحركاته).

(٥) ظ: (يحسن).

(٦) ظ، م: (لغيره).

(٧) جواب لقوله: «لما جعل الله سبحانه نوع الإنسان» أول الفصل.

(٨) ظ، م: (القصد).

(٩) ب: (فقال).

(١٠) لفظ الجلالة ليس في ب.

وقال الشاعر^(١):

إن البيان^(٢) من الفؤاد وإنما

جعل اللسان على الفؤاد دليلاً^(٣)

(١) في هامش ب: (البيان في الفؤاد).

(٢) قال في هامش م: (قول القائل: إن الكلام: محرف فليتنبر).

(٣) هذا البيت ينسب لشاعر نصراني، اسمه غيات بن غوث بن الصلت من بني تغلب وهو المشهور «بالأخطل» وقبله قوله:

لا يعجبناك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلاً
وقد ورد بلفظ - إن الكلام - فيما أطلعت عليه من مراجع إلا أن بعضهم نسبته
للأخطل وبعضهم لم ينسبه فممن نسبه للأخطل.

ابن هشام في شرح شذور الذهب، ص ٣٧.

أبو الطيب محمد بن إسحاق الوشاء في كتابه «الموشى، ص ١٦».

الفخر الرازي في تفسيره ٢٠/١.

وفي المحصول في علم الأصول ١/ق/٢/٣٨.

وممن ذكره دون نسبة:

الجاحظ في البيان والتبيين ١/٢١٨.

أحمد بن محمد المقرئ في المصباح المنير ٢/٦٥٣، دار الكتب العلمية.

إبراهيم بن المدير في الرسالة العذراء، ص ٤١.

ابن يعيش في شرح المفصل ١/٢١.

النيسابوري في التفسير ١/٣٠.

والبيتان ليسا في ديوان الأخطل المطبوع قاله:

محمد محيي الدين عبد الحميد، انظر حاشية شرح شذور الذهب، ص ٣٧.

وعبد السلام محمد هارون انظر حاشية البيان والتبيين ١/٢١٨. قلت: وقد بحث في

الديوان المطبوع فلم أجدهما.

أما قول أبي البيان: «أنا رأيته في ديوانه كذلك» أي بلفظ: «إن البيان فلعله رآه في

نسخة أخرى مخطوطة غير التي طبع عليها الديوان» والله أعلم، وهذا البيت برواية

- إن الكلام - يستدل به من ينكر أن يكون الله تكلم بحرف وصوت ويقول بإثبات =

هكذا قال الشاعر هذا البيت، وهكذا [هو] (١) في ديوانه .

قال أبو البيان (٢): أنا رأيت في ديوانه كذلك، فحرفه عليه بعض النفاة وقالوا:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الكلام دليلاً

والمقصود أن العبد لا يعلم ما في ضمير (٣) صاحبه إلا بالألفاظ الدالة على ذلك، فإذا حمل السامع كلام المتكلم على خلاف ما وضع له، وخلاف ما يفهم منه عند التخاطب (٤)، عاد على مقصود اللغات بالإبطال ولم يحصل مقصود المتكلم ولا مصلحة (٥) المخاطب، وكان ذلك أقبح من تعطيل (٦) اللسان عن كلامه .

= الكلام النفسي ويقول كما أن الكلام والقول اسم لهذه الألفاظ والكلمات فإن المعنى النفسي يسمى بالكلام والقول. تفسير الرازي ١٩/١ .
وقد استشهد به ابن القيم هنا ليبين أن الكلام الذي جعله الله سبحانه في اللسان هو الذي يفصح عما في القلب من معان .

(١) (هو): إضافة من ب .

(٢) هو نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي المعروف بابن الحوراني الشيخ أبو البيان .

قال ابن قاضي شهبه: كان عالماً عاملاً إماماً في اللغة شافعي المذهب سلفي العقيدة له تأليف ومجاميع وشعر كثير. قال ابن كثير: وكان من نشأته إلى أن توفي على طريقة صالحة. توفي سنة ٥٥١هـ .

البداية والنهاية ١٢/٢٥١؛ الاعلام ٦/٨ .

(٣) ظ، م: (ضميره) .

(٤) ظ، م: (المخاطب) .

(٦) ظ، م: (تعليل) .

(٥) ظ، م: (مصالحة) .

فإن غاية ذلك أن تفوت مصلحة البيان، وإذا حمل على ضد مقصوده فوّت مصلحة البيان، وأوقع في ضد^(١) المقصود، ولهذا قال بعض العقلاء: «اللسان الكذوب، شر من لسان الأخرس»؛ لأن لسان الأخرس قد تعطلت منفعته ولم يحدث منه فساد، ولسان الكذوب قد تعطلت منفعته وزاد بمفسدة الكذب، فالتكلم بما ظاهره وحقيقته ووضع باطل وضلال، وهو يريد به أن يفهم منه خلاف وضعه، وحقيقته، أضر على المخاطب، ولسان الأخرس أقل مفسدة منه. فترك وضع اللغات أنفع للناس^(٢) من تعريضها للتأويل المخالف لمفهومها وحقائقها، وهكذا كل عضو خلق لمنفعة، إذا لم يحصل منه إلا ضد تلك المنفعة كان عدمه خيراً من وجوده.

يوضح^(٣) ذلك أن المتكلم بكلام له حقيقة وظاهر / لا يفهم منه غيره يريد بكلامه [خلاف]^(٤) حقيقته وما يدل عليه ويفهم^(٥) منه، فإذا ادعى أي أردت بكلامي خلاف ظاهره، وما يفهم منه كان كاذباً، إما في دعوى إرادة ذلك، أو في دعوى إرادة^(٦) البيان والإفهام، فحمل كلامه على التأويل الباطل تكذيب له في أحد الأمرين ولا بد.

[٣١/١]

(١) م: (هذا).

(٢) ظ، م: «للإنسان».

(٣) ظ: (أوضح).

(٤) (خلاف): ليست في ظ، م، ب، ولعل الصواب إثباتها.

(٥) ظ، م: (ما يفهم).

(٦) ظ، م: (إرادته).

ولهذا^(١) كان التأويل الباطل فتحاً لباب الزندقة والإلحاد،
وتطريقاً^(٢) لأعداء الدين على نقضه. وبيانه بذكر:

(١) ظ، م: (لهذا).

(٢) ظ، م: (التفريق).

وانظر في معنى التطريق، ص ٢٥٤.

الفصل الخامس^(١) عشر
في جنایات التأویل علی أديان الرسل،
وأن خراب العالم وفساد الدنيا والدين
بسبب^(٢) فتح باب التأویل

مقدمة

إذا تأمل المتأمل فساد العالم، وما وقع فيه من التفرق^(٣)
والاختلاف، وما دفع إليه أهل الإسلام، وجده ناشئاً^(٤) من
جهة التأويلات المختلفة المستعملة في آيات القرآن، وأخبار
الرسول «صلوات الله وسلامه عليه» التي تعلق بها المختلفون
على اختلاف أصنافهم في أصول الدين وفروعه، فإنها
أوجبت ما أوجبت^(٥) من التباين والتحارب وتفرق الكلمة،
وتشتت^(٦) الأهواء، وتصدع الشمل، وانقطع الجبل،
وفساد ذات البين، حتى صار يكفر ويلعن بعضهم بعضاً،
وترى طوائف منهم تسفك دماء الآخرين، وتستحل منهم^(٧)
أنفسهم، وحرمتهم، وأموالهم ما هو أعظم مما يرصدهم به

(١) ظ، م: (الرابع).

(٢) ظ: (تسبب)، م: (تسبب من).

(٣) ظ، م: (التفريق).

(٤) ظ: (باشياً)، م: (ناشب).

(٥) ظ، م: (أوجب ما وجب).

(٦) ظ: (وتشتيت).

(٧) ظ، م، زاد: (في)، بعد قوله: (منهم).

أهل دار الحرب من المنابذين لهم، فالآفات التي جنتها
ويجنيها كل وقت أصحابها على الملة والأمة من التأويلات
الفاسدة أكثر من أن تحصى أو يبلغها وصف واصف،
أو يحيط بها ذكر ذاك، ولكنها في جملة القول أصل كل فساد
وفتنة، وأساس كل ضلال^(١) وبدعة، والمولدة لكل اختلاف
وفرقة والناجمة أسباب كل تباين وعداوة وبغضة، ومن عظيم
آفاتنا ومصيبة الأمة بها أن الأهواء المضلة والآراء المهلكة التي
تتولد من قبلها لا تزال تنمو وتتزايد على ممر الأيام وتعاقب
الأزمنة^(٢)، وليست الحال في الضلالات التي حدثت من قبل
أصول الأديان الفاسدة كذلك^(٣)، فإن فساد تلك معلوم عند
الأمة وأصحابها لا يطمعون في إدخالها في دين الإسلام،
فلا تطمع أهل الملة اليهودية، ولا النصرانية،
ولا المجوسية^(٤)، ولا الثانوية^(٥)، ونحوهم أن يدخلوا

(١) م: (ضلالة).

(٢) ظ: (الأزمة).

(٣) ظ، م: (لذلك).

(٤) هم الذين يعبدون النار؛ لأنهم يعتقدون أنها أعظم شيء في الدنيا ويسجدون للشمس
إذا طلعت وينكرون نبوة آدم ونوح عليهما السلام، وقالوا: لم يرسل الله عز وجل إلا
رسولاً واحداً، لا ندري من هو ويقولون بإثبات أصليين النور والظلمة.
وفي باب الشريعة يستحلون نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر المحرمات
ويتطهرون بأبوال البقر تديناً ولذا قيل: إن أصل الكلمة النجوس وقد نشأت المجوسية
في بلاد الفرس.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٣٤؛ المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق
المسلمين والمشركين، ص ١٣٤؛ البرهان في عقائد أهل الأديان، ص ٥٧؛ الملل
والنحل، ص ٧٣.

(٥) سموا بذلك؛ لأنهم قالوا بإثبات اثنين أزليين هما النور إله الخير، والظلمة إله الشر. =

أصول مللهم^(١) في الإسلام، ولا يدعوا مسلماً إليه، ولا يدخلوه إليهم من بابه أبداً بخلاف فرقة التأويل، فإنهم يدعون المسلم من باب القرآن والسنة وتعظيمهما وأن لنصوصهما تأويلاً لا يوجد إلا عند خواص أهل العلم، والتحقيق، وأن العامة في عمى عنه فضرر هذه الفرقة على الإسلام وأهله أعظم من ضرر أعدائه المنابذين له، ومثلهم ومثل أولئك كمثّل قوم في حصن، حاربهم عدو لهم، فلم يطمع^(٢) في فتح حصنهم، والدخول عليهم، فعمد جماعة من أهل الحصن ففتحوه له، وسلطوه^(٣) على الدخول إليه، فكان مصاب أهل الحصن من قبلهم، وبالجملة فالأهواء المتولدة من قبل التأويلات الباطلة غير^(٤) محصورة ولا متناهية، بل هي متزايدة نامية^(٥) بحسب سوانح المتأولين وخواطرهم وما تخرجه^(٦) إليه ظنونهم وأوهامهم، ولذلك لا يزال المستقصي، عناء نفسه^(٧) في البحث عن المقالات

= والفرق بينهم وبين المجوس أن المجوس يقولون: إن النور قديم أزلي والظلمة مخلوق حادث، أما الثانوية فيقولون بأزلية النور والظلمة وهم أربع فرق: المانوية أتباع ماني، والديسانية أتباع ديسان، والمرقونية أتباع مرقيون، والمزدكية أتباع مزدك. الملل والنحل ٢/٨٠، ٨١؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٣٨، ١٤٢.

- (١) ظ، م: (ملتهم).
- (٢) ظ، م: (يطيعوا)، ب: (يطمعوا)، ولعل الصواب ما أثبتته.
- (٣) ب: (وسلطوهم).
- (٤) ظ، ب: (فغير).
- (٥) ظ: (فامنه)، م: (فإنه).
- (٦) ظ، م: (تخرجهم).
- (٧) ظ، م، ب: (عند نفسه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

وتتبعها يهجم على أقوال من مذاهب أهل التأويل لم تكن تخطر له على بال، ولا تدور له في خيال، ويرى أمواجاً من زبد الصدور تتلاطم، ليس لها ضابط إلا سوانح وخواطر، وهوس^(١) تقذف به النفوس التي لم يؤيدها الله بروح الحق، و[لا]^(٢) أشرفت عليها شمس الهداية، ولا باشرت حقيقة الإيمان، فخواطرها وهوسها لا غاية له يقف عندها، فإن أردت الإشراف على ذلك فتأمل كتب المقالات والآراء والديانات تجد كل ما يخطر ببالك قد ذهب إليه ذاهبون وصار إليه صائرون، ووراء ذلك ما لم يخطر لك على بال^(٣)، وكل هذه الفرق تتأول نصوص الوحي على قولها وتحمله على تأويلها، ومع ذلك فتجد أولى العقول الضعيفة إلى الاستجابة لهم مسارعين، وفي القبول منهم^(٤)، راغبين، فهم يبادرون^(٥) إلى أخذ ما يوردونه عليهم، وقبولهم إياه عنهم، وعلى الدعوة إليه هم أشد حرصاً^(٦) منهم على الدعوة^(٧) إلى الحق الذي جاءت به الرسل. ولم يوجد الأمر في قبول دعوة الرسل كذلك، بل قد علم ما لقي المرسلون في الدعوة إلى الله من الجهد والمشقة والمكابدة، ولقوا أشد

(١) ظ: (هوسي)..

(٢) (لا): إضافة من م، ب.

(٣) ظ: (باب).

(٤) ظ، م: (عنهم).

(٥) ظ، ب: (مبادرون).

(٦) ظ: (حرجا).

(٧) ظ، م: (الدعوى).

العناء والمكروه، وقاسوا أبلغ الأذى حتى استجاب لهم من استجاب إلى الحق الذي هو موجب الفطر، وشقيق الأرواح، وحياة القلوب، وقرة العيون، ونجاة النفوس، حتى إذا أطلع شيطان التأويل رأسه وأبدى لهم عن ناجذيه ورفع لهم علماً / من التأويل طاروا إليه زرافات^(١) ووحداناً^(٢) فهم إخوان السفلة الطغام، أشباه الأنعام، بل أضل من الأنعام، طبل يجمعهم، وعصا تفرقهم، فانظر ما لقيه نوح، وإبراهيم، وصالح، وهود، وشعيب، وموسى، وعيسى، ومحمد «صلوات الله وسلامه عليهم» في الدعوة إلى الله من الرد عليهم، والتكذيب لهم، وقصدهم بأنواع الأذى، حتى ظهرت دعوة من ظهرت دعوته منهم^(٣) وأقاموا دين الله.

[٣٢/١]

وانظر سرعة المستجيبين لدعاة الرافضة^(٤) والقرامطة^(٥) الباطنية^(٦) والجهمية، والمعتزلة، وإكرامهم لدعاتهم وبذل أموالهم وطاعتهم لهم من غير برهان أتوهم^(٧) به أو آية

(١) ظ: (ورامات).

(٢) هذه العبارة شطر من بيت لقريط بن أنيف وأوله قوله:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحداناً
انظر: التعريف بالقائل وقصة الأبيات، ص ٥٠٦.

(٣) م: (فيهم).

(٤) انظر: ص ٢١٦.

(٥) انظر: ص ٢٩٩.

(٦) انظر: ص ٣٠٣.

(٧) ظ: (إبرهم).

أروهم إياها، غير أنهم دعوهم إلى تأويل تستغربه النفوس، وتستطرفه^(١) العقول، وأوهموهم أنه من وظيفة الخاصة الذين ارتفعوا به عن طبقة العامة، فالصائر إليه معدود في الخواص، مفارق للعوام، فلم تر شيئاً من المذاهب الباطلة، والآراء الفاسدة، المستخرجة بالتأويل قوبل الداعي^(٢)، إليه الآتي به، أولاً بالتكذيب له، والرد عليه، بل ترى المخدوعين المغرورين يجفلون إليه إجحفاً ويأتون إليه أرسالاً، تؤزهم^(٣) إليه شياطينهم ونفوسهم^(٤) أزاً، وتزعجهم إليه إزعاجاً فيدخلون فيه أفواجاً، يتهافتون فيه تهافت الفراش في النار، ويثوبون إليه مثابة الطير إلى الأوكار، ثم من عظيم آفاته، سهولة الأمر على المتأولين في نقل^(٥) المدعويين عن مذاهبهم، وقبيح اعتقادهم إليهم^(٦)، ونسخ الهدى من صدورهم، فإنهم ربما اختاروا للدعوة^(٧) إليه رجلاً^(٨) مشهوراً بالديانة والصيانة، معروفاً بالأمانة،

(١) ظ: (لطرفه).

(٢) ظ، م: (فويل للداعي).

(٣) تؤزهم: قال ابن فارس الهمزة والزاء يدل على التحرك والتحريك والإزعاج. وفي القرآن: ﴿الْمُرْتَدَّاتُ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تُوْزُهُمْ أَرْأًا﴾، قال أهل التفسير: تزعجهم إزعاجاً.

معجم مقاييس اللغة ١٣/١.

(٤) ظ، م: (تغويهم إليه).

(٥) ظ، م: (فعل)، وقال في حاشية م: (لعله في نقل).

(٦) ظ، م: (إليه)، ب: (عليهم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٧) ب: (الدعوة).

(٨) ظ: (وجلا).

حسن الأخلاق، جميل الهيئة، فصيح اللسان، صبوراً^(١) على التقشف، والتزهد، مرتاضاً لمخاطبة الناس على اختلاف طبقاتهم، ويتهاى لهم مع ذلك من عيب أهل الحق والطعن عليهم والإزاء بهم ما يظفر به المفتش عن العيوب، فيقولون للمغرور المخدوع: وازن بين هؤلاء وهؤلاء، وحكم عقلك، وانظر إلى نتيجة الحق والباطل، فيتهاى لهم [بهذا الخداع ما لا يتهاى بالجيش وما لا يطمع في الوصول إليه^(٢) بدون تلك]^(٣) الجهة.

ثم من أعظم جنائيات التأويل على الدين وأهله، وأبلغها نكايه فيه، أن المتأول يجد باباً مفتوحاً لما يقصده من تشتيت كلمة أهل الدين وتبديد نظامهم، وسبيلاً سهلة^(٤) إلى ذلك، فإنه يحتجز^(٥) من المسلمين بإقراره معهم بأصل التنزيل ويدخل نفسه في زمرة أهل التأويل ثم بعد ذلك يقول^(٦) ما شاء، ويدعي ما أحب، ولا يُقدّر على منعه من

(١) ظ، م: (صبور).

(٢) ب: (بل بدون)، ولعل الصواب حذف (بل).

(٣) ما بين المعقوفتين إضافة من ب.

(٤) ظ، م: (سبب لاستهله).

(٥) حُجِّز الرجل: أصله ومنبته قال الشاعر:

فأمسح كريم المنتمى والحُجِّز

وتحاجز القوم أخذ بعضهم بحجز بعض.

والمعنى هنا: أي يحسب من المسلمين بإقراره معهم بأصل التنزيل.

اللسان ٣٣٢/٥، مادة حجز، دار صادر.

(٦) ب: (ثم يقول بعد ذلك ما شاء).

ذلك، لادعائه أن أصل التنزيل مشترك بينك وبينه، وأن عامة^(١) الطوائف المقررة^(٢) به قد تأولت كل طائفة لنفسها تأويلاً ذهبت^(٣) إليه، فهو يبدي نظير تأويلاتهم^(٤) ويقول: ليس لك أن تبدي في التأويل مذهباً إلا ومثله سائغ لي، فما الذي أباحه لك وحظره علي، وأنا وأنت قد أقررنا بأصل التنزيل، واتفقنا على تسويغ^(٥) التأويل، فلم كان تأويلك^(٦) مع مخالفته لظاهر التنزيل سائغاً وتأويلي أنا محرماً؟، فتعلقه بهذا أبلغ مكيدة يستعملها، وأنكى سلاح يحارب به، فهذه الآفات وأضعافها إنما لقيها أهل الأديان من التأويل^(٧) فالتأويل^(٨) هو الذي فرق اليهود إحدى وسبعين فرقة، والنصارى ثنتين^(٩) وسبعين (فرقة)^(١٠)، وهذه الأمة ثلاثاً وسبعين (فرقة)^(١١).

فأما اليهود، فإنهم بسبب^(١٢) التأويلات التي

(١) م: (علية).

(٢) ظ، م: (المعروفة).

(٣) نظ: (وادعت)، م: (ودعت).

(٤) ظ، م: (نظر تأويلهم).

(٥) ظ، م: (تنويع).

(٦) ظ: (يا ويلك).

(٧) ب: (التأويلين).

(٨) ظ، م: (وإلا فالتأويل)، ولفظ: (وإلا) زائد ولعل الصواب حذفه.

(٩) ظ، م: (اثنين).

(١٠) (فرقة): سقط من ب.

(١١) (فرقة): سقط من ب.

(١٢) ظ، م: (سبب).

استخرجوها بأرائهم من كتبهم صاروا فرقاً مختلفة بعد اتفاقهم على أصل الدين والإيمان بما في التوراة والزبور وكتب أنبيائهم التي يدرسونها ويؤمنون بها، وبسبب التأويلات الباطلة مسخوا قرده وخنازير، وجرى عليهم من الفتن والمحن ما قصه الله، وبالتأويل الباطل عبدوا العجل حتى آل أمرهم إلى ما آل، وبالتأويل الباطل فارقوا حكم التوراة^(١) واستحلوا المحارم، وارتكبوا المآثم، فهم^(٢) أئمة التأويل والتحريف والتبديل [والناس لهم فيه تبع، فلا تبلغ فرقة مبلغهم فيه]^(٣)، وبالتأويل استحلوا محارم الله بأقل^(٤) الحيل، وبالتأويل^(٥) قتلوا الأنبياء، فإنهم قتلوهم وهم مصدقون^(٦) بالتوراة وبموسى، وبالتأويل والتحريف حلت بهم المثلاث^(٧) وتتابع عليهم العقوبات، وقطعوا في الأرض أمماً، وضربت^(٨) عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا

(١) ب: (التورية).

(٢) ظ، م: (وهم).

(٣) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٤) ب: (بأذن).

(٥) ظ: (سقط حرف العطف).

(٦) ظ، م: (مصدقهم).

(٧) قال الجوهري: المثلة بفتح الميم وضم الثاء العقوبة والجمع المثلاث.

وفي القرآن: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ

الْمَثَلَتُ ۗ ﴾

لسان العرب ٦/٤١٣٥، مادة (مثل)، دار المعارف.

(٨) ب: (فضربت).

بغضب من الله، وبالتأويل دفعوا نبوة عيسى ومحمد «صلوات الله وسلامه عليهما»، وقد استهلكت^(١) التوراة وكتب الأنبياء بالبشارة بهما وظهورهما، ولا سيما البشارات بمحمد «صلى الله عليه وسلم»، فإنها متظاهرة في كتبهم بصفة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ومخرجه، ومبعثه، ودعوته، وكتابه، وصفة أمته^(٢) - وسيرتهم، وأحوالهم، بحيث^(٣) كان علماءهم لما رأوه^(٤) وشاهدوه، عرفوه معرفتهم أبناءهم^(٥) ومع هذا فجدوا أمره «صلى الله عليه وسلم» / ودفعوه على قومه، وظهوره^(٦) بالتأويلات التي استخرجوها من تلك الألفاظ التي تضمنتها^(٧) البشارات حتى التبس الأمر بذلك على أتباعهم، ومن لا يعلم الكتاب إلا أماني، وخيل إليهم بتلك التأويلات التي هي من جنس تأويلات الجهمية والرافضة^(٨) والقرامطة^(٩) أنه ليس هو. فسطوا^(١٠) على تلك البشارات بكتمان ما وجدوا^(١١) السبيل

[٣٣/١]

-
- (١) ب: (اشتملت).
(٢) ظ، م: (أمتهم).
(٣) ظ: (يجب).
(٤) ظ: (رواه).
(٥) ظ: (إياهم)، م: (آباءهم)، ب: (أنبياءهم)، ولعل الصواب ما أثبتته.
(٦) أي وجدوا ظهوره.
(٧) ظ، م: (تضمنها).
(٨) انظر: ص ٢١٦.
(٩) انظر: ص ٢٩٩.
(١٠) ظ: (سلطوا)، م: (مسلطوا).
(١١) ظ: (ما وصدوا).

إلى كتمانته، وما غلبوا عن كتمانته حرفوا لفظه عن^(١) ما هو عليه، وما عجزوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه بالتأويل، وورثهم أشباههم من المنتسبين إلى الملة في^(٢) هذه الأمور الثلاثة، وكان عصابة الوارثين لهم في ذلك ثلاث طوائف: الرافضة^(٣)، والجهمية، والقرامطة^(٤)، فإنهم اعتمدوا في النصوص المخالفة لضلالهم هذه الأمور الثلاثة، والله سبحانه ذمهم على التحريف والكتمان. والتحريف نوعان: تحريف اللفظ، وهو تبديله وتحريف المعنى، وهو صرف اللفظ عنه إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ.

التأويل سبب ضلال
النصارى

وأما فساد دين النصارى من جهة التأويل، فأول ذلك ما عرض في التوحيد الذي هو عمود الدين، فإن سلف المثلثة قالوا في الربوبية بالتثليث، وحديث الأقانيم، والأب والابن وروح القدس، ثم اختلف من بعدهم في تأويل كلامهم اختلافاً تباينوا^(٥) به غاية التباين وإنما عرض لهم هذا الاختلاف من جهة التأويلات الباطلة، وكانت حالهم فيما جنت عليهم التأويلات الباطلة أفسد حالاً من اليهود، فإنهم لم يصلوا بتأويلهم إلى ما وصل إليه عباد الصليب من نسبة^(٦) الرب تعالى إلى ما لا يليق به، ثم دفعوا

(١) ظ، م: (على).

(٢) ب: (وهذه).

(٣) انظر: ص ٢١٦.

(٤) انظر: ص ٢٩٩.

(٥) ظ، م: (باينوا).

(٦) م: (نسبت).

بالتأويلات^(١) إلى إبطال شرائع التوراة^(٢)، فأبطلوا الختان، واستحلوا السبت، واستباحوا الخنزير، وعطلوا الغسل من الجنابة، وكان الذي فتح عليهم أبواب هذه التأويلات بولس^(٣)، فاستخف^(٤) جماعة من ضعفاء العقول فقبلوا منه تلك التأويلات، ثم أورث^(٥) الخلاف بينهم حتى آل أمرهم إلى ما آل إليه من انسلاخهم عن شريعة المسيح في التوحيد والعمليات ثم تأولت^(٦) اليعقوبية^(٧)؛ أتباع يعقوب

(١) ب: (بالتأويل).

(٢) ظ، م، ب: (التورات)، والصواب ما أثبتته.

(٣) بولس: من كبار رجال التاريخ المسيحي ولد في طرسوس بآسيا الصغرى حوالي السنة العاشرة من التاريخ الميلادي. وكان أبوه من يهود رومانياً من فرقة تسمى الفريسيين واسمه الأصلي شاول درس في القدس ونشأ نشأة يهودية ثم انتقل إلى المسيحية وقال في قصة الحضارة: «... بدأ بمهاجمة المسيحية دفاعاً عن اليهودية وانتهى بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيح».

قصة الحضارة ١١/٢٤٩ - ٢٥١؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص ٤٤٠.

(٤) ظ: (فاستخذ).

(٥) ظ، م: (أورث)، ومعنى أورثت، يقال: أورثته الشيء أعقبه إياه وأورثه المرض ضعفاً والحزن همماً.

والمعنى أن هذه التأويلات ولدت وأعقبت الخلاف بينهم.

لسان العرب ٦/٤٨٠٩، مادة ورث.

(٦) م: (تولت).

(٧) اليعقوبية: ينسبون إلى يعقوب البرادعي، وكان راهباً في القسطنطينية ويقولون: إن المسيح هو الله تعالى نفسه. وإن الله - تعالى عن عظيم كفرهم - قُتِلَ وَصُلبَ، وإن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأنه - تعالى - هو كان في بطن مريم محمولاً به. ومنهم من قال: ظهر اللاهوت في الناسوت فصار ناسوت المسيح، فظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل =

البراذعي تأويلاً، فتأولت النسطورية^(١) أتباع نسطور بن
عبرة^(٢)، فتأولت الملكية^(٣) وهم الذين على دين الملك
عبرة^(٤) فاضمحل الدين، وخرجوا منه خروج الشعرة من

= اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو وهذا كما يقال: ظهر الملك
بصورة الإنسان.

الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤٩/١؛ الملل والنحل للشهرستاني ٦٦/٢؛ اعتقادات
فرق المسلمين والمشركين، ص ١٣٢؛ البرهان في عقائد أهل الأديان، ص ٥٨؛
الموسوعة العربية الميسرة ١٩٨٢، ١٩٨٣.

(١) النسطورية العباد: وهم أتباع «نسطور الحكيم» الذي ظهر في زمن المأمون، وتصرف
في الأنجيل بحكم رأيه، فقال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم،
والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو واتحدت الكلمة بجسد
عيسى عليه السلام، كإشراق الشمس في كوة، أو على بلور، أو كظهور النقش في
الخاتم. كما قالوا: إن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان وإن الله تعالى لم يلد
الإنسان، وإنما ولد الإله تعالى الله عن كفرهم، كما يقولون: إن اتحاد الله بعيسى
لم يكن باقياً حال صلبه.

الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤٩/١؛ الملل والنحل للشهرستاني ٦٤/٢؛ اعتقادات
فرق المسلمين والمشركين، ص ١٣٢؛ الموسوعة العربية الميسرة ١٨٣٢، ١٨٣٣.

(٢) ظ: (نسطور بن عبرة)، م: (النسطورية أتباع نسطور بن عبرة).

(٣) الملكية: هم أصحاب ملكا، الذي ظهر في بلاد الروم وقيل: نسبة إلى ملك الروم،
وهم يقولون: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة
أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة وقال بعضهم: إن الكلمة مزجت
جسد المسيح، كما يمازج الخمر الماء، وقالوا بأن الجوهر غير الأقانيم وذلك كالموصوف
والصفة وصرحوا بإثبات التثليث، وقد أخبر عنهم القرآن ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

الملل والنحل للشهرستاني ٦٢/٢؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥٣/١، ٥٥،
٦٢؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٣١؛ المرشد الأمين، ص ١٣١.

(٤) ظ: (غيره)، م: (غيره).

العجين. فلو تأملت تأويلاتهم لرأيتها والله من جنس
تأويلات الجهمية والرافضة^(١) والمعتزلة، ورأيت الجميع^(٢)
من مشكاة واحدة، ولولا خوف التطويل لذكرنا لك تلك
التأويلات؛ ليعلم أنها وتأويلات المحرفين من هذه الأمة:

رضيعاً^(٣) لبان ثدي أم تقاسما
بأسحم داج عوض لا نتفرق^(٤)

ولو رأيت تأويلاتهم لنصوص التوراة في الإخبار والأمر
والنهي لقلت: إن أهل التأويل الباطل من هذه الأمة إنما
تلقوا تأويلاتهم عنهم، وعجبت من تشابه قلوبهم، وقوع
الحافر على الحافر، والخاطر على الخاطر، ولم يزل أمر
بني إسرائيل مستقيماً، حتى فشا فيهم المولدون أبناء سبايا

(١) انظر ص ٢١٦.

(٢) ظ، م: (الجمع).

(٣) ظ: (رضيعاً).

(٤) هذا البيت للأعشى ميمون بن قيس من قصيدة طويلة يمدح فيها المحلق بن حنتم بن
شداد بن ربيعة وفيها:

تشب لمقرورين يصطليانها ويات على النار الندى والمحلق

رضيعاً لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرق

يداك يدا صدق فكف مفيدة وأخرى إذا ما ضن بالزاد تنفق

ومعنى البيت أنها أخوان قد رضعا ثدي أم واحدة وتحالفا بحرمة الثدي الذي رضعاه
لا يتفرقان أبد الدهر.

ومعنى أسحم داج: هو الليل أو حلمة الثدي الذي رضعا منه. عَوْضُ: أبد الدهر مبني

على الضم مثل قط، وقبل وبعد.

انظر ديوان الأعشى، ص ٢٦١ وشرحه.

[الأمم] (١) فاشتقوا (٢) لهم الرأي وسلطوا التأويل على نصوص التوراة، فضلوا، وأضلوا، وهؤلاء النصارى لم يزل أمرهم بعد المسيح على منهاج الاستقامة حتى ظهر (٣) فيهم المتأولون، فأخذت (٤) عرى دينهم تنتقض (٥)، والمتأولون (٦) يجتمعون مجعاً بعد مجمع، وفي كل مجمع يخرج لهم تأويلات تناقض الدين الصحيح فيلقاهم (٧) أصحاب المجمع الآخر ولا يوافقوا لهم عليها حتى جمعهم (٨) الملك

(١) (الأمم): إضافة من ب، وهذا جزء من حديث عن النبي «صلى الله عليه وسلم» رواه ابن ماجه ٢١/١ من طريق عبدالله بن عمرو بن العاص، في المقدمة، باب اجتناب الرأي والقياس، ح ٥٦. قال في الزوائد: إسناده ضعيف.

ولفظه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقول: لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم فقالوا بالرأي «فضلوا وأضلوا».

ورواه الدارمي ٥٠/١، في المقدمة، باب إتباع السنة، من طريق عروة بن الزبير. وانظر ابن بطة في الشرح والإبانة، ص ١١١.

وانظر إيقاظ هم ذوي الأبصار، ص ١٤.

وذكره السيوطي في الجامع الصغير وزيادته وقال الألباني: (ضعيف) الجامع الصغير ٣١/٥.

(٢) ظ، م: (فاسقوا).

(٣) ظ: (ضر).

(٤) ظ، م: (فأخذوا).

(٥) ظ: (تنقص)، م: (تنقصوا).

(٦) في هامش ب: (اجتماعات النصارى).

(٧) ظ، م: (فتلقاهم)، ب: (فتلقاهم) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٨) وذلك في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حيث دعا الملك قسطنطين إلى عقد هذا المجمع لتقريب آراء النصارى في الإله وقد اجتمع عدد كبير من البطاركة والأساقفة بلغ =

قسطنطين^(١) من أقطار الأرض فبلغوا ثلاثمائة وثمانية عشر
بتركا وأسقفاً^(٢)

= عددهم كما جاء في تاريخ الكنيسة القديم ثلاثمائة أسقفاً (انظر J. C. Wahd. *) (H.E.C.P.151) ويقول ابن بطريق: إن عددهم ثمانية وأربعون وألفان (٢٠٤٨) من الأساقفة والبطاركة. ثم ذكر شيئاً من اختلافهم فقال: «فمنهم من يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله... ومنهم من يقول: إنهم ثلاثة آلهة. لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما... ومنهم من يقول بألوهية المسيح وهي مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً» قلت: وهذا العدد هو الذي ذكره ابن القيم هنا. ويعتبر هذا المجمع تقنياً لانحرافات العقيدة النصرانية.

انظر محاضرات في النصرانية، ص ١٤٩، ١٥٠، محمد أبو زهرة.

(*) عن المجمع النصرانية وأثرها في اعتقاد النصارى، ص ١٠٢، للجليلي محمد يوسف الكباشي. رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة في جامعة الإمام عام ١٤٠١ - ١٤٠٢.

(١) الملك قسطنطين: هو قسطنطين (الكبير) بن قسطنش الأول، وأمه «القديسة» هيلانة، ولد سنة ٢٨٨م وهو امبراطور الروم، مال إلى المسيحية فأصدر في سنة ٣١٣م منشور «ميلان» الذي أقر التسامح مع المسيحية، نقل عاصمته إلى بيزنطة سنة ٣٠٣م وسماها القسطنطينية. دعا سنة ٣٢٥م إلى مجمع نيقية ولم يكن قد تنصر بعد، وهذا أوجد فكرة المجمع الدينية، وقبل وفاته قسم الإمبراطورية بين أبنائه الأربعة وتوفي سنة ٣٣٧م. الموسوعة العربية الميسرة ١٣٧٩ - ١٣٨٠، محاضرات في النصرانية، ص ١٤٩، محمد أبو زهرة.

(٢) تدرج الألقاب الكهنوتية في المسيحية على النحو التالي:

- ١ - شماس.
- ٢ - قسيس.
- ٣ - أسقف.
- ٤ - مطران.
- ٥ - بطريك.
- ٦ - بابا.

وكلمة أسقف تعني مشرف وكانت تستخدم لدى الجماعات الوثنية كمرادف لكلمة =

فتأولوا^(١) لهم هذه الأمانة التي بأيديهم اليوم وأبطلوا من دين المسيح ما شاءوا، وزادوا^(٢) فيه ونقصوا، ووضعوا من الشرائع ما شاءوا، كل^(٣) ذلك بالتأويل، وقد ذكروا الظواهر التي تأولوها، وبالتأويل جعلوا الله ثالث ثلاثة، وجعلوا المسيح ابنه، وجعلوه هو الله فقالوا هذا وهذا [وهذا]^(٤)، تعالى الله عن قولهم، وبالتأويل تركوا الختان وأباحوا الخنزير، [وهم]^(٥) يعلمون أن المسيح اختتن، وحرّم الخنزير، وبالتأويل نقلوا الصوم من محله إلى الفصل الربيعي، وزادوه^(٦) حتى صار خمسين يوماً، وبالتأويل عبدوا الصليب، والصور، وبالتأويل فارقوا حكم التوراة والإنجيل.

= مندوب أو وكيل أو مدير مع تضمينها دائماً لفكرة الإشراف ثم أصبح الأسقف رئيساً للعبادات الدينية الجماعية .
المسيحية نشأتها وتطورها، ص ١٣٦، تأليف شارل جينبر، بين الإسلام والمسيحية، ص ٩١ (الحاشية).

(١) ظ، م: (فلوا).

(٢) ظ: (وازدادوا).

(٣) ظ، م: (وكل).

(٤) وهذا إضافة من ب.

(٥) وهم إضافة من ب.

(٦) ب: (زاده).

فصل (١)

ومن أعظم آفات التأويل وجنباياته أنه إذا سلط على أصول الإيمان والإسلام اجتثها وقلعها، فإن أصول الإيمان خمسة^(٢)، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأصول الإسلام خمسة^(٣)، وهي كلمة الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، فعمد أرباب التأويل إلى أصول الإيمان والإسلام، فهدموها بالتأويل، وذلك أن معقد^(٤) هذه الأصول العشرة تصديق الرسول فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، فعمدوا إلى أجل الإخبار وهو ما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، فأخرجوه عن / حقيقته، وما وضع له، وهذا القسم من الأخبار أشرف أنواع الخبر، والإيمان به أصل الإيمان بما عداه، واشتمال القرآن بل والكتب الإلهية عليه أكثر من اشتمالها على ما عداه وتنوع الدلالة بها على ثبوت مخبره^(٥) أعظم من تنوعها في غيره، وذلك لشرف متعلقه، وعظمته، وشدة الحاجة إلى معرفته، و (كانت)^(٥) الطرق إلى تحصيل معرفته أكثر وأسهل وأبين من غيره، وهذا من كمال^(٦) حكمة الرب تبارك وتعالى وتتمام نعمته وإحسانه

[٣٤/١]

(١) في هامش ب: (جنبايات التأويل وأنه يقلع أصول الإيمان).

(٢) ظ، م، ب: (خمس)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ب: (متعد).

(٤) ظ، ب: (منخيره).

(٥) ظ: (كالطرق)، م: سقط لفظ (كانت).

(٦) م: (حال).

أنه كل ما كانت حاجة العباد إلى الشيء أقوى وأتم، كان بذله لهم أكثر، وطرق وصولهم إليه أكثر وأسهل، وهذا في الخلق والأمر، فإن حاجتهم لما كانت إلى الهواء أكثر من الماء والقوت، كان موجوداً معهم في كل مكان وزمان، وهو أكثر من غيره، وكذلك^(١) لما كانت حاجتهم بعده إلى الماء شديدة إذ هو مادة أقاتهم ولباسهم وفواكههم وشرابهم، كان مبدولاً لهم أكثر من غيره وكذلك حاجتهم إلى القوت لما كانت أشد من حاجتهم إلى الإيواء^(٢) كان وجود القوت أكثر، وهكذا الأمر في مراتب الحاجات، ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاضلهم ومعبودهم [جل جلاله]^(٣) فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنه^(٤) لا سعادة لهم، ولا فلاح، ولا صلاح، ولا نعيم، إلا بأن يعرفوه، ويعبدوه^(٥)، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، ونهاية مرادهم، وذكره والتقرب إليه، قرّة عيونهم، وحياة قلوبهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالاً من الأنعام بكثير، وكانت^(٦) الأنعام أطيب عيشاً منهم في العاجل، وأسلم عاقبة في الآجل وإذا علم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه ومحبه وعبادته والتقرب إليه فوق كل ضرورة، كانت الطرق المعرفة لهم ذلك أيسر طرق العلم على^(٧)

(١) ظ: (ولذلك).

(٢) ظ: (الإبراء) ب: (الإيزار).

(٣) جل جلاله: إضافة من ب.

(٤) ظ، م، ب: (فيهم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٥) ظ، م: (ويعتقدوه).

(٦) ب: (فكانت). (٧) ظ: (عن).

الإطلاق، وأسهلها^(١)، وأهداها، وأقربها، وبيان الرب تعالى لها فوق كل بيان. فإذا^(٢) سلط التأويل على النصوص المشتملة عليها، فتسليطه^(٣) على النصوص التي ذكرت فيها الملائكة^(٤) أقرب بكثير، يوضحه: أن الرب تعالى لم يذكر للعباد من صفات ملائكته^(٥) وشأنهم وأفعالهم، وأسمائهم عشر معشار ما ذكر لهم من نعوت جلاله، وصفات كماله، وأسمائه، وأفعاله، فإذا كانت هذه قابلة للتأويل^(٦) فالآيات التي ذكرت فيها الملائكة^(٧) أولى بقبوله^(٨)، ولذلك تأولها^(٩) الملاحدة^(١٠)، كما تأولوا نصوص المعاد واليوم الآخر، وأبدوا له تأويلات ليست بدون تأويلات الجهمية لنصوص الصفات، وأولت هذه الطائفة عامة نصوص الأخبار الماضية والآتية، وقالوا للمتأولين من الجهمية: بيننا وبينكم حاكم العقل، فإن القرآن، بل الكتب المنزلة مملوءة بذكر الفوقية، وعلو^(١١) الله على عرشه، وأنه تكلم ويتكلم وأنه موصوف

(١) ظ: (وأسهلها)، م: (وأسلمها).

(٢) ظ، م: (وإذا).

(٣) ب: (فتسلطه).

(٤) ظ، م: (التي دارت فيها الملكية).

(٥) ظ: (ملكيته).

(٦) ظ، م: (التأويل).

(٧) ظ: (الملائكة).

(٨) ب: (بقوله).

(٩) ب: (تأولتها).

(١٠) انظر ص ٣٠٠.

(١١) سقطت واو العطف من ب.

بالصفات، وأن له أفعالاً تقوم (به) ^(١) هو بها فاعل، وأنه يرى بالأبصار، إلى غير ذلك من نصوص الصفات، التي إذا قيس إليها نصوص حشر هذه الأجساد، وخراب هذا العالم وإعدامه وإنشاء عالم آخر وجدت نصوص الصفات أضعاف أضعافها فهذه الآيات والأخبار الدالة على علو الرب تعالى على خلقه، وفوقيته، واستوائه على عرشه، قد قيل: إنها تقارب الألف، وقد أجمعت عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم، فما الذي سوغ لكم تأويلها، وحرم علينا [تأويل] ^(٢) نصوص حشر الأجساد وخراب العالم.

فإن قلت ^(٣): الرسل أجمعوا على المجيء به فلا يمكن تأويله.

قيل: وقد أجمعوا على أن الله فوق عرشه، وأنه متكلم مكلم فاعل حقيقة، موصوف بالصفات، فإن منع إجماعهم هناك من التأويل وجب أن يمنع ها هنا.

فإن قلت: العقل أوجب تأويل نصوص الصفات، ولم يوجب ^(٤) تأويل نصوص المعاد.

قلنا: هاتوا أدلة العقول التي تأولتم بها الصفات

(١) (به): سقط من ب.

(٢) (تأويل): إضافة من ب.

(٣) م بعد قوله: (فإن قلت) زاد العقل أوجب تأويل.

(٤) ظ، م: (ولم يجب).

ونحضر نحن أدلة العقول التي تأولنا بها المعاد وحشر
الأجساد ونوازن بينها ليتين أيها^(١) أقوى.

فإن قلت: إنكار المعاد تكذيب لما علم من دين الرسل
بالضرورة.

قلنا: وإنكار صفات الرب وأنه متكلم، أمر، [ناه]^(٢)
فوق سمواته، وأن الأمر ينزل من عنده، ويصعد إليه،
تكذيب لما علم أنهم جاءوا به ضرورة.

فإن قلت: تأويلنا للنصوص التي جاءوا بها لا يستلزم
تكذيبهم ورد أخبارهم.

قلنا: فمن أين صار تأويلنا^(٣) للنصوص التي جاءوا بها
في المعاد^(٤) يستلزم تكذيبهم ورد أخبارهم دون تأويلكم
(إلا)^(٥) لمجرد^(٦) التحكم والتشهي / ؟

[٣٥/١]

فصاحت القرامطة^(٧)، والملاحدة^(٨)، والباطنية^(٩)،
وقالت: ما الذي سوغ لكم تأويل الأخبار، وحرم علينا

(١) ظ: (لتيين أنها).

(٢) (ناه): إضافة من ب.

(٣) م: (تأويلها).

(٤) ب: (العناد).

(٥) (إلا): سقط من ب.

(٦) ب: (بمجرد).

(٧) انظر: ص ٢٩٩.

(٨) انظر: ص ٣٠٠.

(٩) انظر: ص ٣٠٣.

تأويل (١) الأمر والنهي والتحريم والإيجاب ومورد الجميع من مشكاة واحدة، فنحن سلطنا في تأويل الشرائع العملية نظير ما سلكتكم في تأويل النصوص الخبرية.

قالوا: وأين تقع (٢) نصوص الأمر والنهي من (٣) نصوص الخبر؟.

قالوا: (وكثير) (٤) منكم قد فتحوا لنا باب التأويل في الأمر فأولوا أوامر ونواهي كثيرة صريحة الدلالة، أو ظاهرة الدلالة في معناها بما يخرجها عن حقائقها وظواهرها، فهل (٥) نضعها في كفة، ونضع تأويلاتنا في كفة، ونوازن بينهما (٦)، ونحن لا ننكر أنا أكثر تأويلاً منهم وأوسع، لكننا وجدنا باباً مفتوحاً فدخلناه، وطريقاً مسلوفاً فسلكناه، فإن كان التأويل حقاً فنحن أسعد الناس به وإن كان باطلاً فنحن وأنتم مشتركون فيه ومستقل ومستكثر.

فهذا من شؤم جناية التأويل على أصول الإيمان والإسلام.

التأويل سبب لطرده إبليس ولعنه
وقد قيل: إن طرد إبليس ولعنه، إنما كان بسبب التأويل، فإنه عارض النص بالقياس وقدمه عليه وتأول

(١) ظ: (تأويلي).

(٢) ب: (يرتفع)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ب: (ونصوص).

(٤) (وكثير): سقط من ب.

(٥) ظ، م: (فلهم).

(٦) ب: (بينها).

لنفسه أن هذا القياس العقلي مقدم على نص^(١) الأمر بالسجود فإنه^(٢) قال:

﴿أَتَأَخِّرُ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

وهذا دليل قد حذف إحدى مقدمتيه، وهي أن الفاضل لا يخضع للمفضول وطوى ذكر هذه المقدمة [كأنها مقررة]^(٣) لكونها معلومة، وقرر^(٤)، المقدمة الأولى بقوله:

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

فكان نتيجة^(٥) المقدمتين امتناعه من^(٦) السجود، وظن أن هذه الشبهة العقلية تنفعه في تأويله، فجرى عليه ما جرى، وصار إماماً لكل من عارض نصوص الوحي بتأويله الباطل إلى يوم القيامة، ولا إله إلا الله، كم لهذا الإمام اللعين من أتباع من العالمين، وأنت إذا تأملت عامة شبه المتأولين التي تأولوا لأجلها النصوص وعطلوها رأيتها من جنس شبهته، والقائل: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل، من ها هنا اشتق^(٧) هذه القاعدة وجعلها أصلاً لرد

(١) ظ، م: (نصوص).

(٢) ظ، م: (لأنه).

(٣) ما بين المعكوفتين ليس في ظ، ولا م، وقد كتبت مكانها فيها: (منها صورة).

(٤) ظ، م: (وقدر).

(٥) ظ: (نتحه).

(٦) م: (عن).

(٧) ظ: (استبق).

نصوص الوحي التي يزعم أن العقل يخالفها، كما زعم إمامه أن دليل العقل يخالف نص الأمر بالسجود حين^(١) قدمه عليه، وعرضت لعدو الله هذه الشبهة من ناحية كبره، الذي منعه من الانقياد المحض لنص الوحي، وهكذا تجد كل مجادل في نصوص الوحي بالباطل، إنما يحمل على ذلك كبر في صدره ما هو ببالغته، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْقِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

وكذلك خروج آدم من الجنة، إنما كان بسبب التأويل، وإلا فهو «صلى الله عليه وسلم» لم يقصد بالأكل معصية الرب والتجرؤ على مخالفة نهيهِ، وأن يكون ظالماً مستحقاً للشقاء بخروجه من الجنة، هذا لم يقصده أبو البشر قطعاً، ثم اختلف الناس في وجه تأويله. فقالت طائفة: تأول بحمله النهي المطلق على الشجرة المعينة، وغره عدو الله بأن جنس تلك الشجرة هي شجرة الخلد، وأطعمه^(٣) في أنه إن أكل منها لم يخرج من الجنة، وفي هذا الذي قالوه نظر ظاهر، فإن الله سبحانه أخبر أن إبليس قال له:

التأويل سبب
لخروج آدم من الجنة

(١) ظ، م: (حتى).

(٢) ظ، م: (فأستعيذوا).

(٣) ظ: (أطعمه)، ب: (طمعه).

﴿ مَا هَنَكَمَا رَبُّكُمَْاعَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَا ^(١) مَلَكَئِنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠].

فذكر لهما عدو الله الشجرة التي نهيها عنها، إما بعينها أو بجنسها وصرح لهما بأنها هي المنهي عنها ولو كان عند آدم أن المنهي عنه تلك الشجرة المعينة دون سائر النوع لم يكن عاصياً بأكله من غيرها، ولا أخرجه الله من الجنة ونزع عنه لباسه.

وقالت فرقة أخرى: تأول آدم أن النهي نهي تنزيه، لا نهي تحريم ^(٢)، فأقدم على الأكل لذلك، وهذا باطل قطعاً من وجوه كثيرة، يكفي منها قوله تعالى:

﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

وأيضاً فحيث نهي الله عن فعل الشيء بقربانه لم يكن إلا للتحريم كقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَنْ حَتَّى يَطْهَرَنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ ﴾ [الإسراء: ٣٢].

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

(١) ب: (تكون).

(٢) في هامش ب: (أكل آدم من الشجرة).

وأيضاً لو كان للتنزيه لما أخرجه الله من الجنة وأخبر أنه
عصى ربه .

وقالت طائفة: بل كان تأويله أن النهي إنما كان عن
قربانها وأكلها معاً، لا عن أكل كل منها على انفراده؛ لأن
قوله:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ [البقرة: ٣٥].

نهى لهما على الجمع، ولا يلزم من حصول النهي حال
الاجتماع حصوله حال الانفراد، وهذا التأويل ذكره
ابن الخطيب في تفسيره^(١) وهو كما ترى في البطلان والفساد.
ونحن نقطع أن هذا التأويل لم يخطر بقلب آدم وحواء البتة،
وهما كانا أعلم بالله من ذلك وأصح إفهاماً أفترى فهم أحد
عن الله من قوله:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾ [الإسراء: ٣٢].

[٣٦/١] ونظائره أي: إنما نهيتكم عن اجتماعكم / على ذلك
دون انفراد كل واحد منكم به؟ فيا للعجب من أوراق
وقلوب تسود^(٢) على هذه الهديانات وتجدها^(٣) حاملاً وقابلاً
يستحسنها ويصغي بقلبه وسمعه إليها.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٥/٣.

(٢) ظ: (تسوت)، م: (تسودت).

(٣) ظ، م: (ومحلها).

والصواب في ذلك أن يقال: إن آدم «صلوات (الله)»^(١) وسلامه عليه» لما قاسمه عدو الله أنه ناصح وأخرج الكلام على أنواع متعددة من التأكيد.

أحدها: القسم.

الثاني: الإتيان بالجملة، اسمية لا فعلية.

الثالث: تصديرها بأداة^(٢) التأكيد.

الرابع: الإتيان بلام التأكيد في الخبر.

الخامس: الإتيان به اسم فاعل، لا فعلاً دالاً على الحدث^(٣).

السادس: تقديم المعمول على العامل (فيه)^(٤).

ولم يكن آدم يظن أن أحداً يقسم بالله كاذباً يمين غموس، يتجرأ فيها على الله هذه الجرأة، فغره عدو الله بهذا التأكيد والمبالغة فظن آدم صدقه وأنه إن أكل منها لم يخرج من الجنة، ورأى أن الأكل وإن كان فيه مفسدة فمصلحة الخلود أرجح، ولعله يتأتى له استدراك مفسدة النهي أثناء ذلك، إما باعتذار، وإما بتوبة، وإما بغير^(٥) ذلك كما تجدد هذا التأويل قائماً في نفس كل من يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً لا شك فيه إذا أقدم على المعصية. فَوَازَنَ بين هذا التأويل، وبين تأويلات المحرفين يظهر لك الصواب من الخطأ والله الموفق للصواب.

(١) لفظ الجلالة ليس في ب.

(٢) ظ: (بإرادة).

(٣) ظ، م: (الحديث). (٤) (فيه): سقط من ب. (٥) ظ، م: (معنى).

فصل

التأويل سبب لكثير من الحوادث التي وقعت بعد موت الرسول «صلى الله عليه وسلم» إلى يومنا هذا

ومن جنيات التأويل ما وقع في الإسلام من الحوادث بعد موت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وإلى يومنا هذا بل في حياته «صلوات الله وسلامه عليه» بأن^(١) خالد بن الوليد قتل بني جذيمة بالتأويل ولهذا تبرأ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» من صنعه، وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»^(٢)، ومنع الزكاة^(٣) [من]^(٤) منعها من العرب بعد موت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بالتأويل، وقالوا: إنما قال الله لرسوله:

- (١) ب: (فإن).
- (٢) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/١٨١)، من طريق عبدالله بن عمر، في كتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد، ح ٧١٨٩. رواه النسائي ٢٣٧/٨، في كتاب آداب القضاة، باب الرد على الحاكم إذا قضى بغير الحق. ورواه أحمد في المسند ١٥١/٢.
- وأول الحديث كما ورد في البخاري، عن سالم، عن أبيه قال: بعث النبي «صلى الله عليه وسلم» خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: «صبأنا، صبأنا» فجعل خالد يقتل ويأسر، وودع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره فذكرنا ذلك للنبي «صلى الله عليه وسلم»، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد: مرتين» اهـ.
- وجذيمة هو: ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة. وانظر: تفاصيل القصة في السيرة النبوية لابن هشام ٥٣/٤.
- (٣) ظ: (الرعاة).

(٤) (من): إضافة من م، ب.

﴿ حَذْمٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّى عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وهذا لا يكون لغيره فجرى بسبب هذا التأويل الباطل على الإسلام وأهله ما جرى، ثم جرت الفتنة التي جرت قتل عثمان بالتأويل، ولم يزل التأويل يأخذ مأخذه^(٢) حتى قتل به عثمان فأخذ في الزيادة^(٣)، والتولد، حتى قتل به بين علي ومعاوية بصفين سبعين ألفاً أو أكثر من المسلمين، وقتل أهل الحرة بالتأويل، وقتل يوم^(٤) الجمل بالتأويل من قتل، ثم كان قتل (ابن)^(٥) الزبير، ونصب المنجنيق^(٦) على البيت^(٧) بالتأويل، ثم كانت فتنة ابن الأشعث^(٨)، وقتل من

(١) ب: (صلى).

(٢) ب: (ما بأخذه).

(٣) م: (بالزيادة).

(٤) ظ، ب، م: (نوبة)، والصواب ما أثبت.

(٥) (ابن): سقط من ب.

(٦) ظ، ب: (المنجنيق).

(٧) انظر: تفاصيل القصة في البداية والنهاية ٣٥٣/٨.

(٨) هو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي بعثه الحجاج على سجستان فثار

هناك وأقبل في جمع كبير فيهم العلماء والصلحاء، أثاره جور الحجاج وجبروته.

وحدث بينه وبين الحجاج عدة مصافات كان منها «وقعة دير الجماجم» سنة ٨٢، التي

انتصر فيها الحجاج بن يوسف ففر ابن الأشعث إلى الملك «رتبيل» فأكرم وفادته وتابعت

كتب الحجاج إلى الملك «رتبيل» بطلبه فبعث به إليه فلما قرب من العراق ألقى نفسه من

قصر خراب فهلك وكان ذلك سنة ٤٨.

البداية والنهاية ٤٥/٩، ٥٣؛ الأعلام ٣٢٣/٣.

قتل (من المسلمين)^(١) بدير الجماجم^(٢) بالتأويل، (ثم كانت فتنة الخوارج^(٣) [و]^(٤) ما لقي المسلمون من حروبهم وأذاهم بالتأويل)^(٥) ثم خروج أبي مسلم^(٦) وقتله بني أمية، وتلك الحروب العظام بالتأويل. ثم خروج العلويين^(٧)، وقتلهم، وحبسهم، ونفيهم بالتأويل. إلى

(١) (من المسلمين): سقط من ب.

(٢) دير الجماجم: موضع بظاهر الكوفة على الطريق المؤدي إلى البصرة وقيل: إنه سمي بذلك، لأنه كان تعمل فيه الجماجم والجمجمة القدح من الخشب، كما قال أبو عبيدة، وقيل غير ذلك. وقد وقعت فيه المعركة المشهورة بين عبدالرحمن بن الأشعث والحجاج بن يوسف الثقفي وعرفت باسم «وقعة دير الجماجم» كما سبق آنفاً. معجم البلدان ٤/١٣١، ١٣٢، الطبعة الأولى.

(٣) انظر: ص ٢٠٦.

(٤) ظ، م ليس فيها حرف العطف ولعل الصواب إثباته.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) هو عبدالرحمن بن مسلم الخراساني ولد سنة ١٠٠، من كبار القادة كان له دور كبير في قيام الدولة العباسية، قال الحافظ ابن حجر: «هو شر من الحجاج وأسفك للدماء»، وإليه تنسب فرقة «الأبومسلمية»، وقد افترت هذه الفرقة في أمر أبي مسلم إلى فرقتين «الرزامية» أتباع رجل يقال له: «رزام» قالوا بأن أبا مسلم قتل وقالت: «الأبومسلمية»: إن أبا مسلم حي لم يمت وادعوا حلول روح الإله فيه، وقالوا بتناسخ الأرواح وقيل: إن أبا مسلم الخراساني، كان على هذا المذهب ولذا دعا إليه إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس. وقال بإمامته. قتل بامر المنصور سنة ١٣٧.

ميزان الاعتدال ٢/٥٨٩، ٥٩٠؛ لسان الميزان ٣/٤٣٦، ٤٣٧؛ تاريخ بغداد ١٠/٢٠٧، ٢١١؛ سير أعلام النبلاء ٦/٤٨، ٧٣؛ الأعلام ٣/٣٣٧؛ الملل والنحل، ص ٢٩٨، ٢٩٩، تحقيق محمد بن فتح الله بدران، مقالات الإسلاميين ١/٩٦؛ البداية والنهاية ١٠/٧٨.

(٧) العلويون: هم الذين ينتسبون إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد تعرضوا للأذى والاضطهاد والقتل من قبل أعدائهم حتى ألف في ذلك كتب مستقلة فألف =

أضعاف أضعاف ما ذكرنا من حوادث الإسلام التي جرّها
التأويل، وما ضرب مالك بالسياط وطيف به إلا بالتأويل،
ولا ضرب الإمام أحمد بالسياط، وطلب قتله إلا بالتأويل،
ولا قتل أحمد بن نصر الخزاعي^(١) إلا بالتأويل ولا جرى على
نعيم بن حماد الخزاعي^(٢) ما جرى، وتوجع أهل الإسلام

= أبو مخنف المتوفى سنة ١٠٧ «مقتل علي» و«مقتل الحسين» وألف نصر بن مزاحم المتوفى
سنة ٢٠٧ «أخبار الحسن ووفاته» وألف الأشنائي «مقتل زيد بن علي» وألف المدائني
المتوفى سنة ٢٢٥ كتاب «أسماء من قتل من الطالبين» وألف أبو الفرج الأصفهاني المتوفى
سنة ٣٥٦ «مقاتل الطالبين» وغيرها.

انظر: مقاتل الطالبين. المقدمة بقلم الأستاذ أحمد صقر؛ الفهرست لابن النديم،
ص ١٣٦، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٨، ١٦٦.

(١) هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي الشهيد، أبو عبدالله. روى عن مالك
وابن عيينه وحماد بن زيد وغيرهم، وروى عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي وابنه عبدالله
ومسلمة بن شبيب وغيرهم.

قتله الوثائق بيده سنة ٢٣١، لامتناعه عن القول بخلق القرآن وقيل: لخوفه من خروجه
عليه.

قال ابن حجر: ثقة من العاشرة.

تهذيب التهذيب ٨٧/١؛ تقريب التهذيب ٢٧/١؛ سير أعلام النبلاء ١١/١٦٦،
١٦٩؛ الجرح والتعديل ٧٩/٢؛ البداية والنهاية ١٠/٣٤٣؛ شذرات الذهب ٢/٦٩.

(٢) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي. روى عن إبراهيم بن طهمان
وابن عيينة وابن المبارك.

وروى عنه البخاري مقروناً وروى له الباقر سوي النسائي.

قال عبدالله بن أحمد، عن أبيه: كان نعيم كاتباً لأبي عصمة، وهو شديد الرد على
الجهمية، وأهل الأهواء، ومنه تعلم نعيم بن حماد. قال الحافظ ابن حجر: صدوق
يخطيء كثيراً، من العاشرة، مات سنة ٢٨٨هـ. وقد تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه وقال باقي
حديثه مستقيم، قال أبو سعيد بن يونس: حمل من مصر إلى العراق في المحنة فأبى أن
يحببهم فسجن فمات في السجن ببغداد سنة ٢٢٨.

لمصابة إلا بالتأويل، ولا جرى على محمد بن إسماعيل البخاري ما جرى ونفى وأخرج من بلده^(١) إلا بالتأويل، ولا قتل من خلفاء الإسلام وملوكه إلا بالتأويل، ولا جرى على شيخ الإسلام عبدالله أبي^(٢) إسماعيل الأنصاري^(٣) ما جرى وطلب قتله بضعة وعشرين مرة إلا بالتأويل، ولا جرى على أئمة السنة والحديث ما جرى حين^(٤) حسبوا

= تهذيب التهذيب ٤٥٨/١٠، ٤٦٣؛ تقريب التهذيب ٢٠٥/٢؛ سير أعلام النبلاء ٥٩٥/١٠، ٦١٢؛ ميزان الاعتدال ٢٦٧/٤، ٢٧٠؛ الكاشف ٢٠٧/٣؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٤٠٣.

(١) هو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح، ولد سنة ١٩٤، وبلغ السلطان خالد بن أحمد الهذلي أن البخاري يقول لفظه بالقرآن مخلوق فأراد أن يمنع الناس عن السماع منه فلم يقبلوا فأمر بنفيه من بلده فخرج منها ودعا على خالد بن أحمد فلم يمضي شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن أحمد على أتان وزال ملكه، وسجن في بغداد حتى مات. وتوفي البخاري سنة ٢٥٦.

الجرح والتعديل ١٩١/٧، ١٩٤؛ تهذيب التهذيب ٤٧/٩، ٥٥؛ سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٢، ٤٧١؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٣٢٧؛ البداية والنهاية ٣١/١١، ٣٢؛ مقدمة فتح الباري؛ شذرات الذهب ١٣٤/٢، ١٣٦.

(٢) ظ، م، ب: (ابن)، ولعل الصواب: (أبي).

(٣) هو عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل ولد سنة ٣٩٦، من كبار الحنابلة، كان مظهراً للسنة داعياً إليها سُمِعَ يقول: «عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي: ارجع عن مذهبك لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك فأقول: لا أسكت» من كتبه «ذم الكلام وأهله» «الفاروق في الصفات» وكتاب «الأربعين» في التوحيد و«منازل السائرين» وغيرها، توفي سنة ٤٨١.

الذي على طبقات الحنابلة ٥٠/١، ٦٨؛ دار المعرفة؛ سير أعلام النبلاء ٥٠٣/١٨، ٥١٨؛ شذرات الذهب ٣٦٥/٣، ٣٦٦؛ الأعلام ١٢٢/٤.

(٤) ظ، م: (حتى).

وشردوا وأخرجوا من ديارهم إلا بالتأويل، ولا جرى على
شيخ الإسلام ابن تيمية ما جرى من خصومه بالسجن^(١)^(٢)
وطلب قتله أكثر من عشرين مرة إلا بالتأويل.

فقاتل الله التأويل [الباطل]^(٣) وأهله، وأخذ حق دينه
وكتابه ورسوله وأنصاره منهم، فماذا هدموا من معاقل^(٤)
الإسلام وهدوا من أركانه وقلعوا من قواعده؟ ولقد تركوه
أرق من الثوب الخلق البالي الذي تناولت عليه السنون
وتوالت عليه الأهوية^(٥) والرياح ولو بسطنا هذا الفصل
وحده وما جناه التأويل على الأديان والشرائع وخراب العالم
لقام منه عدة أسفار، وإنما نبهنا تنبيهاً يعلم به العاقل
ما وراءه وبالله التوفيق.

(١) م: (الشبهة)، ظ: (السحر).

(٢) ظ، م زاد لفظه: (الباطلة)، بعد (السجن).

(٣) الباطل إضافة من ب.

(٤) ظ، م: (معاقل).

(٥) الأهوية: جمع هواء، (اللسان ٤٧٢٦/٦).

الفصل (السادس) (١) عشر
في بيان ما يقبل التأويل
من الكلام وما لا يقبله (٢)

لما (٣) كان وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم، وكان مراده لا يعلم إلا بكلامه انقسم كلامه ثلاثة أقسام:

أقسام كلام المتكلم أحدها: ما هو نص في مراده لا يحتمل غيره.

الثاني: ما هو ظاهر في مراده وإن احتمل أن يريد غيره.

الثالث: ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد، بل هو مجمل يحتاج إلى البيان.

فصل القسم الأول فالأول: يستحيل (٤) دخول التأويل فيه، وتحمله (٥)

التأويل كذب ظاهر على المتكلم، وهذا شأن عامة نصوص القرآن (٦) الصريحة في معناها، كنصوص آيات الصفات

(١) ظ، م: (الخامس).

(٢) في هامش ب: (ما يقبل التأويل وما لا يقبله).

(٣) ب: (ولما).

(٤) ظ، م: (يجعل).

(٥) ظ: (ويحمله)، م (ويحتمله).

(٦) ب: (القرائن).

والتوحيد وأن الله سبحانه / مكلم متكلم آمر، ناه، قائل، مخبر، موحي، حاكم، واعد، موعد، منبىء، هاد، داع إلى دارالسلام^(١)، فوق عباده، [علي^(٢)] على كل شيء، مستوٍ على عرشه، يَنْزِلُ الأمر من عنده ويعرج إليه، وأنه فعال حقيقة، وأنه كل يوم في شأن، فعال لما يريد، وأنه ليس للخلق من دونه ولي ولا شفيع ولا ظهير، وأنه المنفرد بالربوبية والإلهية والتدبير والقيومية، وأنه يعلم السر وأخفى، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، وأنه يسمع الكلام الخفي كما يسمع الجهر ويرى ما في السموات والأرض، ولا يخفى عليه منها ذرة واحدة، وأنه على كل شيء قدير، فلا يخرج مقدور واحد عن^(٣) قدرته البتة، كما لا يخرج عن علمه وتكوينه، وأن له ملائكة مدبرات بأمره للعالم، تصعد وتنزل وتحرك وتنتقل من مكان إلى مكان، وأنه يذهب بالدنيا ويخرب هذا العالم ويأتي بالآخرة ويبعث من في القبور، [جل جلاله]^(٤)، إلى مثال ذلك من النصوص التي هي في الدلالة على مرادها كدلالة لفظ العشرة والثلاثة على مدلوله وكدلالة لفظ الشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والحيل والبغال والإبل والبقر (والغنم)^(٥) والذكر والأنثى على مدلولها لا فرق بين ذلك البتة.

(١) ب: (الإسلام).

(٢) (على): إضافة من ب.

(٣) ظ، م: (من).

(٤) (جل جلاله): إضافة من ب.

(٥) (والغنم): سقط من ب.

ولهذا لما سلطت الجهمية التأويل على نصوص الصفات سلطت الباطنية^(١) التأويل على هذه الأمور وجعلوها أمثالاً مضروبة أريد بها خلاف حقائقها وظواهرها، وجعلوا القرآن والشرع كله مؤولاً^(٢) ولهم في التأويل كتب مستقلة^(٣) نظير كتب الجهمية في تأويل آيات الصفات وأحاديثها.

فهذا القسم إن سلط التأويل عليه، عاد الشرع كله متأولاً^(٤)، لأنه أظهر أقسام القرآن ثبوتاً وأكثرها وروداً، ودلالة القرآن عليه متنوعة غاية التنوع، فقبول^(٥) ما سواه للتأويل أقرب من قبوله^(٦) بكثير.

فصل : القسم الثاني

ما هو ظاهر في مراد المتكلم، ولكنه يقبل التأويل

فهذا ينظر في وروده، فإن أطرده استعماله على وجه واحد، استحال تأويله بما يخالف ظاهره، لأن التأويل إنما يكون لموضع^(٧) جاء نادراً خارجاً عن نظائره منفرداً

(١) انظر: ص ٣٠٣.

(٢) ظ، م: (أمثالاً كله).

(٣) ذكر عبدالرحمن بدوي في كتابه «مذاهب الإسلاميين»، في الجزء الثاني والذي خصصه للحديث عن فرق الباطنية مجموعة كبيرة من كتب الباطنية منها المخطوط ومنها المطبوع فليراجع.

(٤) ب: (مأولاً).

(٥) ظ: (فقبوا).

(٦) ظ: (قوله).

(٧) ب: (لوضع).

عنها، فيؤول حتى^(١) يرد إلى^(٢) نظائره، وتأويل هذا غير ممتنع؛ لأنه إذا عرف من عادة المتكلم بإطراد كلامه في توارده^(٣) استعماله معنى ألفه^(٤) المخاطب^(٥)، فإذا جاء موضع يخالفه رده السامع بما عهد من عرف المخاطب إلى عادته المطردة، هذا هو المعقول في الأذهان والفطر وعند كافة^(٦) العقلاء، وقد صرح أئمة العربية بأن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع الذي ادعى فيه حذفه قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه فلا بد أن يكون موضع ادعاء الحذف [عندهم صالحاً للثبوت ويكون الثبوت مع ذلك أكثر من الحذف]^(٧) (حتى)^(٨) إذا جاء ذلك محذوفاً في موضع علم بكثرة ذكره في نظائره أنه قد أزيل من هذا الموضع فحمل عليه فهذا شأن من يقصد البيان والدلالة وأما من يقصد التلبس والتعمية فله شأن آخر.

والقصد أن الظاهر في معناه إذا أطرده استعماله في موارده^(٩)، مستوياً امتنع تأويله وإن جاز تأويل ظاهر

(١) ب، ظ: (حين).

(٢) ظ: (فول حين توالي)، وفي هامش م: (لعله فأول حتى تأول).

(٣) ب: (موارد).

(٤) ظ، م زاد: (أي)، بعد قوله: (ألفه).

(٥) ب: (المخاطبون).

(٦) ظ: (الكافة).

(٧) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٨) (حتى): سقط من ب.

(٩) ب: (مراده).

ما لم يطرد في موارد استعماله، ومثال ذلك إطراد قوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

في جميع موارد من أولها إلى آخرها على هذا اللفظ فتأويله باستولى باطل، وإنما كان يصح أن لو كان أكثر مجيئه بلفظ «استولى» ثم يخرج موضع عن نظائره ويرد بلفظ «استوى» فهذا كان يصح تأويله باستولى فتفطن لهذا^(١) الموضع، واجعله قاعدة فيما يمتنع^(٢) تأويله من كلام المتكلم وما يجوز تأويله.

ونظير هذا إطراد النصوص بالنظر إلى الله: «هكذا ترون ربكم»^(٣)، «تنظرون إلى ربكم»^(٤):

﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

ولم يجيء في موضع واحد «ترون ثواب ربكم» فيحمل عليه ما خرج عن نظائره.

(١) ب: (بهذا).

(٢) ظ، م: (تمنع).

(٣) انظر: ص ١٨٩.

(٤) انظر: صحيح مسلم ١/١٧٧، ١٧٨، من طريق جابر، في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة منها، ح ٣١٦، فيه: «... ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولن: ننظر ربنا فيقول: أنا ربكم. فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك...»، وقد ورد بلفظ النظر في مسند أحمد ٤/١٣، في حديث أبي رزين العقيلي وفيه «... فيخرجون من الأصواء ومن مصارعهم فتتنظرون إليه وينظر إليكم...».

وانظر: تخريج حديث الرؤية ص ١٨٩.

ونظير ذلك إطراد قوله :

﴿ وَنَدَيْتَهُ ﴾ [مريم : ٥٢].

﴿ وَيَوْمَ ﴾^(١) يَنَادِيهِمْ ﴾ [القصص : ٦٢].

﴿ وَنَادَاهُمَا رُحْمًا ﴾ [الأعراف : ٢٢].

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتَنَا ﴾ [القصص : ٤٦].

و :

﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّوَادِ الْمَقْدِسِ ﴾^(٢) [النازعات : ١٦].

ونظائرهما ولم يجيء في موضع واحد أمرنا من يناديه
ولا ناداه ملكنا فتأويله^(٣) بذلك عين المحال والباطل .

ونظير ذلك إطراد قوله : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء
الدنيا فيقول^(٤) . . . » في نحو ثلاثين حديثاً، كلها مصرحة

(١) (ويوم) : إضافة من ب .

(٢) ما بين المعكوفتين إضافة من ب .

(٣) ظ ، م : (فمتأوله) .

(٤) (٢٩/٣) ، من طريق أبي هريرة ، في كتاب التهجد ، باب
الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ح ١١٤٥ .

ورواه مسلم ٥٢١/١ ، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في
الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ، ح ١٦٨ .

ورواه أبو داود (عون المعبود ٨٥/١٣ ، ٥٩) ، في كتاب السنة ، باب في الرد على
الجهمية ، ح ٤٧٠٧ .

ورواه أحمد في المسند ٢/٢٦٤ ، ٢٦٥ .

بإضافة النزول إلى الرب ولم يجيء موضع واحد بقوله: «ينزل ملك ربنا» حتى يحمل ما خرج عن نظائره عليه.

وإذا تأملت نصوص الصفات التي لا تسمح الجهمية بأن يسموها نصوصاً فإذا^(١) احترموها قالوا: ظواهر سمعية وقد عارضتها^(٢) القواطع العقلية وجدها كلها من هذا الباب.

ومما يقضى منه العجب أن كلام شيوخهم ومصنفهم^(٣) عندهم نص في مراده لا يحتمل التأويل وكلام الموافقين^(٤) عندهم نص لا يجوز تأويله حتى إذا جاءوا إلى كلام الله ورسوله، وقفوه على التأويل ووقفوا التأويل عليه فقل^(٥) ماشئت وحرف ماشئت. أفترى بيان هؤلاء لمرادهم^(٦) أتم^(٧) من بيان الله ورسوله؟ أم^(٨) كانوا مستولين على بيان الحقائق التي / سكت الله ورسوله عن بيانها؟ [بل]^(٩) أولئك هم الجاهلون المتهوكون^(١٠).

[٣٨/١]

- (١) ب: (وإذا).
- (٢) في النسخ الثلاث: (عارضها)، ولعل الصواب ما أثبتته.
- (٣) ظ، م: (تصنيفهم).
- (٤) ب: (الواقفين).
- (٥) ظ، م: (قل).
- (٦) ب: (لرأدهم).
- (٧) ظ، م: (اهم).
- (٨) ظ، م: (لهم).
- (٩) (بل): إضافة من ب.
- (١٠) ظ: (المتهوكون).

فصل : القسم الثالث

الخطاب المجمل^(١) الذي أحيل بيانه على^(٢) خطاب آخر فهذا^(٣) أيضاً لا يجوز تأويله إلا بالخطاب الذي بينه، وقد يكون بيانه معه، وقد يكون منفصلاً عنه .

والمقصود أن الكلام الذي هو عرضة التأويل، قد يكون له عدة معان وليس معه ما يبين مراد المتكلم، فهذا للتأويل فيه مجال واسع، وليس في كلام الله ورسوله من هذا النوع شيء من الجمل المركبة، وإن وقع في الحروف المفتوح بها السور، بل إذا تأمل من بصره الله طريقة القرآن والسنة وجدها متضمنة لرفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهره، وهذا موضع لطيف جداً في فهم القرآن نشير إلى بعضه، فمن ذلك قوله تعالى :

ذكر بعض الأمثلة
على ذلك من القرآن

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

رفع سبحانه توهم المجاز في تكليمه^(٤) لكليمه بالمصدر المثال الأول المؤكد الذي لا يشك عربي القلب واللسان أن المراد به إثبات تلك الحقيقة، كما تقول العرب: مات موتاً ونزل نزولاً. ونظيره التأكيد بالنفس، والعين، وكل، وأجمع، والتأكيد بقوله «حقاً»، ونظائره.

(١) ظ، م : (بالمجمل).

(٢) ظ، م : (عن)، وقال النساخ في م : لعله (على).

(٣) م : (هذا).

(٤) ظ : (تكلمه)، م : (وكلمه).

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِعَ نَحْوَهُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١].

فلا يشك صحيح الفهم البتة في هذا الخطاب أنه نص صريح ، لا يحتمل التأويل بوجه في إثبات صفة السمع للرب تعالى حقيقة وأنه بنفسه سمع .

ومن ذلك قوله :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمُ أَكْبَرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٢].

فرفع توهم السامع أن المكلفين عملوا^(١) جميع الصالحات المقدورة والمعجوز عنها كما يجوز أصحاب تكليف ما لا يطاق، رفع هذا التوهم بجمله اعترض^(٢) بها بين المبتدأ وخبره يزيل الإشكال . ونظيره قوله تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا بِالْكِيلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ فَفَنِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُلْفُ إِلَّا لِنَفْسِكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ٨٤].

(١) ظ، م: (المكلف به عمل).

(٢) ب: (اعتراض).

فلما أمره بالقتال أخبره أنه لا يكلف بغيره^(١)، بل إنما كلف^(٢) نفسه، ثم تبع ذلك بقوله: ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لئلا يتوهم سامع أنه، وإن لم يكلف بهم، فإنه^(٣) يهملهم^(٤) ويتركهم. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ^(٥) ذُرِّيَّتُهُمْ^(٦) يَأْمِنُ الْخَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(٧) وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١].

فتأمل كم في هذا الكلام من رفع إيهام^(٨) وإزالة ما (عسى)^(٩) ^(١٠) [أن]^(١١) يعرض للمخاطب من لبس فمناها

(١) م: (لغيره).

(٢) ب: (تكلف).

(٣) ظ، م: (فإنهم).

(٤) ظ، م: (يهملهم).

(٥) ظ، م، ب: (وأتبعناهم)، وبها قرأ أبو عمرو وقرأ الباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء وفتح العين، وتاء ساكنة بعدها.

(٦) ظ، م، ب: (ذرياتهم)، وبها قرأ البصريان وابن عامر وقرأ الباقون بغير ألف على التوحيد. وكسر التاء أبو عمرو وحده وضمها الباقون (التبصرة في القراءات السبع، ص ٥١٤، النشر في القراءات العشر ٢/٣٧٧).

(٧) قرأ الكوفيون وابن كثير بالتوحيد وفتح التاء وقرأ الباقون بالجمع وكسر التاء: (ذرياتهم) كما في ظ، م، ب.

النشر في القراءات العشر ٢/٢٧٣؛ التبصرة في القراءات السبع، ص ٥١٤.

(٨) م: (الإيهام).

(٩) ظ: (ما عا).

(١٠) سقط م.

(١١) (إن): إضافة من ب.

قوله: ﴿وَاتَّبَعْنَهُمْ^(١) ذُرِّيَّتَهُمْ^(٢) بِإِيمَانٍ﴾ لكثلا يتوهم أن
الاتباع في نسب^(٣)، أو تربية، أو حرية أورق، وغير ذلك.
ومنها قوله:

المثال الرابع

﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ﴾ [الطور: ٢١].

رفعاً لوهم متوهم^(٤) أنه يحط^(٥) الآباء إلى درجة الأبناء
ليحصل الإلحاق، والتبعية، فأزال^(٦) هذا الوهم بقوله:
﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ (مِّنْ عَمَلِهِمْ)^(٧)﴾ أي ما نقصنا الآباء بهذا
الاتباع شيئاً من عملهم، بل رفعنا الذرية إليهم قرة
لعيونهم، وإن لم يكن لهم أعمال يستحقون بها تلك
الدرجة.

ومنها قوله:

المثال الخامس

﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

فلا يتوهم أن هذا الاتباع حاصل في أهل الجنة وأهل
النار بل^(٨) هو للمؤمنين دون الكفار، فإن الله سبحانه

(١) انظر: الصفحة السابقة حاشية رقم (٥).

(٢) انظر: الصفحة السابقة حاشية رقم (٦).

(٣) ب: (كسب).

(٤) ظ: (لرفع الزهم)، م: (لرفع الوهم لتوهم).

(٥) ظ، م: (ينحط).

(٦) ظ: (فما زال).

(٧) (من عملهم): سقط من ب.

(٨) ظ: (التأويل).

لا يعذب أحداً إلا بكسبه وقد يثيبه من غير كسب منه .

المثال السادس

ومنها قوله تعالى :

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ
بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[الأحزاب: ٣٢].

فلما أمرهن بالتقوى التي (١) [من] (٢) شأنها التواضع
ولين الكلام نها [هن] (٣) عن الخضوع بالقول لئلا يطمع
فيهن ذو المرض ثم أمرهن بعد ذلك بالقول المعروف رفعا
لتوهم الإذن في الكلام المنكر لما نهين عن الخضوع بالقول .

المثال السابع

ومن ذلك قوله :

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ
مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فرفع توهم فهم (٤) الخيطين من الخيوط بقوله : ﴿من
الفجر﴾ .

المثال الثامن

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨].

(١) ظ : (الذي) .

(٢) (من) : إضافة من ب .

(٣) (هن) : إضافة من ب .

(٤) ب : (وهم) .

فأثبت^(١) لهم مشيئة فلعل^(٢) متوهماً يتوهم استقلاله^(٣) بها وأنه إن شاء أتى بها^(٤) وإن شاء لم يأت فأزال سبحانه ذلك بقوله:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

[التكوير: ٢٩] [الإنسان: ٣٠] (٥).

ثم لعل متوهماً يتوهم أنه يشاء^(٦) الشيء بلا حكمة ولا علم^(٧) بمواقع مشيئته. وحيث تصلح فأزال ذلك بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

ونظير ذلك [قوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ أَنْتُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٨) تَذَكَّرُوا * فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرُوهُ^(٩) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْفَرَةِ﴾ [المدثر: ٥٤ - ٥٦].

(١) ظ: (في ثبت).

(٢) ظ، م: (فعل).

(٣) ظ، م: (استقلالاً).

(٤) ظ، م: (به).

(٥) الآية الأولى وهي قوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ في التكوير وهذه الآية جزء من

آية في سورة التكوير وجزء من آية في سورة الإنسان تتمتها في سورة الإنسان ﴿إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ والسياق يدل على أنها آيات متتابعة من سورة واحدة فليلاحظ.

(٦) ب: (شاء).

(٧) ظ، م: (والعلم).

(٨) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٩) ب: (إنها).

﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾

[التوبة: ١١١].

فلعل (١) متوهماً يتوهم أن الله سبحانه يجوز عليه ترك الوفاء بما وعد به فأزال ذلك بقوله :

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾

[التوبة: ١١١].

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾

[الأنعام: ١٥٨].

فلما ذكر إتيانه سبحانه ربما توهم متوهم أن المراد إتيان بعض آياته أزال هذا الوهم ورفع الإشكال بقوله : ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ فصار الكلام مع هذا التقسيم والتنويع نصاً صريحاً في معناه لا يحتمل غيره .

ذكر بعض الأمثلة
على ذلك من السنة

[٣٩/١]

وإذا تأملت أحاديث الصفات رأيت هذا لائحاً / على صفحاتها بادياً على ألفاظها كقوله صلى الله عليه وسلم «إنكم ترون ربكم عياناً كما ترى (٢) الشمس (في) (٣) الظهيرة

المثال الأول

(١) ظ، م : (فعل).

(٢) م : (ترون).

(٣) (في) : سقط من ب.

صحواً ليس دونها سحب. وكما يرى^(١) القمر ليلة البدر
ليس دونه سحب»^(٢).

المثال الثاني

وقوله: «ما منكم إلا من سيكلمه (ربه)^(٣) ليس بينه
وبينه ترجمان يترجم له ولا حاجب يحجبه»^(٤) فلما كان
تكليم^(٥) الملوك قد يقع بواسطة الترجمان ومن وراء الحجاب
أزال هذا الوهم من الأفهام. وكذلك الحديث الآخر أنه

المثال الثالث

صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. وضع
إبهامه^(٦) على أذنه^(٧) [والتي تليها على]^(٨) (عينه)^(٩) (١٠) رفعاً

(١) م: (ترون). (٢) انظر: ص ١٨٩. (٣) (ربه): سقط من ب.

(٤) انظر: ص ١٩٧. (٥) ظ، م: (تكلم).

(٦) ظ، م، ب: (إبهاميه)، وما أثبتته لفظ الحديث في سنن أبي داود.

(٧) ب: (أذنيه).

(٨) إضافة من لفظ الحديث وليست في جميع النسخ.

(٩) ظ، م: (وعينيه)، وهو ساقط من ب وما أثبتته لفظ الحديث في سنن أبي داود.

(١٠) رواه أبو داود (عون المعبود ٣٧/١٣)، من طريق سليم بن جبير مولى أبي هريرة، في
كتاب السنة، باب في الجهمية، ح ٤٧٠٢.

ولفظه: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على
عينه».

وسكت عنه المنذري (عون المعبود ٣٩/١٣).

وقال ابن حجر في الفتح: «أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم من رواية
أبي يونس عن أبي هريرة (فتح الباري ٣٧٣/١٣).

ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤١٠/٣، وقال: «وهو إسناد
صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه».

ورواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ١٧٩.

وقال البيهقي: والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع
والبصر فأشار إلى محل السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى... =

لتوهم متوهم أن المراد بالسمع والبصر غير الصفتين^(١)
المعلوماتين وأمثال هذا كثير في القرآن والسنة. كما في الحديث
المثال الرابع الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يقبض الله سمواته
بيده والأرض باليد الأخرى ثم جعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبض يده ويبسطها^(٢) تحقيقاً لإثبات اليد
وإثبات صفة القبض. ومن هذا إشارته بأصبعه إلى السماء
المثال الخامس حين استشهد ربه تبارك وتعالى على الصحابة أنه قد
بلغهم^(٣) تحقيقاً لإثبات صفة^(٤) العلو، وأن الربّ الذي
استشده فوق العالم مستوعب على عرشه، فهذه أمثلة يسيرة
ذكرناها^(٥) ليعرف^(٦) الفهم المنصف القاصد للهدى
والنجاة، منها ما يقبل التأويل وما لا يقبله ولا عبرة^(٧)
[بغيره]^(٨) والله المستعان.

= ولو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب لأنه محل العلوم منا».

ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ٤٣، تعليق محمد خليل هراس.

وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة، ص ١٨٤، من حديث عقبة بن عامر.

قال ابن حجر في الفتح ٣٧٣/١٣: وسنده حسن.

والدارمي في الرد على المريسي، ص ٤٧.

(١) ظ، م: (العينين).

(٢) انظر: ص ٢٨٣.

(٣) انظر: ص ١٨١، وقد ذكر فيها جزءاً من الحديث ليس فيه موضع الشاهد.

(٤) ب: (صفات).

(٥) ب: (ذكرها).

(٦) ظ، م: (يعرف)، ب: (لعرف)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٧) ظ: (ولا غيره)، م قال: (ولعله ولا إله غيره).

(٨) (بغيره): إضافة من ب.

الفصل السابع^(١) عشر
في أن التأويل يفسد العلوم كلها إن
سلط^(٢) عليها ويرفع الثقة بالكلام ولا يمكن
أمة من الأمم [أن] ^(٣) تعيش ^(٤) عليه ^(٥) ^(٦)

معلوم أن العلوم إنما قصد بها مصنفوها بيانها وإيضاحها للمتعلمين وتفهمهم إياها بأقرب ما^(٧) يقدرون عليه من الطرق، فإن سلط التأويل على ألفاظهم وحملها على غير ظواهرها؛ لم ينتفع بها وفسدت وعاد ذلك إلى موضوعها ومقصودها بالإبطال، فإذا حمل كلام الأطباء على غير عرفهم المعروف من خطابهم وتأول المخاطب كلامهم على غير ظاهره، لم يصل إلى فهم مرادهم ألبتة، بل أفسد عليهم علمهم وصناعتهم، وهكذا أصحاب علم الحساب والنحو وجميع أرباب العلوم إذا سلط التأويل على كلامهم، لم يوصل إلى شيء من تلك العلوم، مع أنه يجوز (عليهم)^(٨) الخطأ والتناقض والتلبيس في بعض المواضع والتعمية، ومع

(١) ظ، م: (السادس).

(٢) ظ: (يسلط)؛ م: (تسلط).

(٣) انظر الفصل السابع عشر في المقدمة في مجمل مباحث الكتاب ص ١٧٢.

(٤) م: (يقيس)، وقال الناسخ: لعله تعيش. وانظر ص ١٧٢.

(٥) في هامش ب: (التأويل يفسد العلوم كلها).

(٨) (عليهم) سقط من م.

(٦) م: (عليها). (٧) ظ: (من).

قصورهم في البيان ووجوه^(١) التعبير ومع^(٢) نقصان إدراكهم للحقائق، وعلومهم، ومعارفهم. فكيف يسلط التأويل على كلام من لا يجوز عليه الخطأ والغلط والتناقض وضد البيان والإرشاد، هذامع كمال علمه وكمال قدرته على أعلى أنواع البيان، وكمال نصحه وهده وإحسانه وقصده الإفهام والبيان، لا التعمية والإلغاز.

ولهذا لما سلط المحرفون التأويلات الباطلة على نصوص الشرع فسد الدين فساداً لولا أن الله سبحانه تكفل بحفظه وأقام له حرساً وکَلَّهُمْ^(٣) بحمايته (من تأويل الجاهلين وأنتحال المبطلين)^(٤) لجرى^(٥) عليه ما جرى على الأديان السالفة ولكن الله برحمته وعنيتته بهذه الأمة يبعث لها عند دروس السنة وظهور البدعة من يجدد لها دينها ولا يزال يفرس في دينه غرساً يستعملهم فيه علماً وعملاً.

وكما أن التأويل إن سلط على علوم الخلائق أفسدها، فكذلك إذا استعمل في مخاطباتهم أفسد الأفهام والفهم، ولم يمكن لأمة^(٦) أن تعيش عليه أبداً فإنه ضد البيان الذي علمه الله الإنسان لقيام مصالحه في معاشه ومعاده وقد تقدم^(٧) تقرير ذلك بما فيه الكفاية وبالله التوفيق.

(١) ظ: (رجوه)؛ ب: (جوده). (٢) ظ: (دفع).

(٣) ب: (وَكَلَّهُمْ به وبحمايته). (٤) ما بين القوسين سقط من ب. (٥) ظ: (يجري).

(٦) ظ: (ولم يكن أمة)؛ ب: (ولم يكن أمة)؛ وقال ناسخ م: كذا في الأصل ولعله «ولم يمكن لأمة».

(٧) انظر الفصل الرابع عشر، ص ٣٤٢.

فصل (١)

في بيان أنه إن سلّط على آيات التوحيد القولي العلمي وأخباره لزم تسليطه على آيات التوحيد العملي وأخباره وفسد التوحيد معرفة وقصداً^(٢).

هذا فصل عظيم النفع جليل القدر إنما ينتفع به من عرف نوعي التوحيد القولي، العلمي، الخبري، والتوحيد القصدي، الإرادي، العملي، كما دل على الأول سورة:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

وعلى الثاني سورة:

﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

وكذلك دل على الأول قوله تعالى:

﴿قُولُوا^(٣) آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦].

وعلى الثاني قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّهَلَّأُ الْكُتُبَ تَعَالَوُا إِلَى

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ .. الآية [آل عمران/ ٦٤].

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهاتين

(١) ظ، م: (السابع عشر)؛ ب: (الثامن عشر). والصواب أن هذا الفصل تابع للفصل

السابع عشر وليس فصلاً مستقلاً لأمر:

(أ) أنه امتداد له في المعنى فهو في بيان تسلّط التأويل على العلوم كلها ومنها آيات التوحيد.

(ب) أنه لم يشر في المقدمة أثناء ذكره للفصول فصلاً بهذا العنوان.

(ج) أن جميع النسخ: ظ، م، ب قد اتفقت على أن الفصل الذي يليه هو الفصل الثامن عشر، والله الموفق.

(٢) في هامش ب: (كون التأويل يفسد التوحيد). (٣) م: (مألاً).

السورتين في سنة الفجر (١) وسنة المغرب (٢) ويقرأ
 بهما (٣) في ركعتي الطواف (٤) ويقرأ بالآيتين في سنة الفجر (٥) ؛
 لتضمنهما التوحيد العلمي والعملي (٦) . والتوحيد العلمي أساسه
 إثبات صفات الكمال للربِّ تعالى ومبايئته لخلقه وتنزيهه عن

(١) رواه مسلم ٥٠٢/١، من طريق أبي هريرة، في كتاب صلاة المسافرين، باب
 استحباب ركعتي سنة الفجر، ح ٩٨.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٤/١٣٥)، في كتاب الصلاة، باب في تخفيفها، ح ١٢٤٣.
 ورواه النسائي ١١٥/٢، ١٥٦، في الافتتاح، باب القراءة في ركعتي الفجر:

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ﴾ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٢/٥٠٦، ٥٠٧)، من طريق عبدالله بن مسعود، في
 أبواب الصلاة، باب ما جاء في الركعتين بعد المغرب والقراءة منها، ح ٤٢٩.
 وقال حديث ابن مسعود حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبدالملك بن معدان
 عن عاصم.

قال صاحب التحفة: وهو حديث ضعيف، لضعف عبدالملك بن معدان، لكن له
 شواهد تعضده.

ورواه أحمد في المسند ٦/٣٤٢ - ٣٤٣، دار المعارف، بلفظ: «عن ابن عمر أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا
 وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ
 أَحَدٌ﴾. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، ح ٤٧٦٣. (٣) ب: (ويقرأهما).

(٤) سبق في تحقيق حديث جابر في حجة الوداع، ص ١٨١ وفيه: «... ثم نفذ إلى مقام
 إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، فجعل المقام بينه
 وبين البيت فكان أبي يقول: (ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم) كان
 يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ﴾.

(٥) رواه مسلم ٥٠٢/١، من طريق عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، في صلاة
 المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر، ح ١٠٠.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٤/١٣٧، ١٣٨) في كتاب الصلاة، باب في تخفيفها،
 ح ١٢٤٦. ورواه النسائي (١٥٥/٢) في الافتتاح، باب القراءة في ركعتي الفجر.

(٦) في هامش ب: (التوحيد العلمي والعملي).

العيوب والنقائص والتمثيل، والتوحيد العملي أساسه تجريد
 القصد بالحب والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والاستعانة
 والاستغاثة والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده،
 فمدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين
 التوحيدين وأقرب الخلق إلى الله أقومهم بهما^(١) علماً وعملاً
 ولهذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم / أقرب
 الخلق إلى الله، وأقربهم إليه وسيلة أولو العزم وأقربهم
 الخليلان وخاتمهم سيد ولد آدم وأكرمهم على الله لكمال^(٢)
 توحيده وعبوديته لله، فهذان الأصلان هما قطب رحي القرآن
 وعليهما مداره وبيانهما من أهم الأمور والله سبحانه بينها غاية
 البيان بالطرق الفطرية والعقلية والنظرية والأمثال المضروبة،
 ونوع سبحانه الطرق في إثباتها أكمل التنوع، بحيث
 صارت معرفة القلوب الصحيحة، والفطر السليمة، لها
 بمنزلة رؤية الأعين المبصرة التي لا آفة بها^(٣) للشمس والقمر
 والنجوم والأرض والسماء فذاك للبصيرة^(٤) بمنزلة هذا
 للبصر. فإن سلط التأويل على التوحيد الخبري العلمي كان
 تسليطه على التوحيد العملي القصدي أسهل وانمحت رسوم
 التوحيد وقامت معالم التعطيل والشرك؛ ولهذا كان الشرك
 والتعطيل متلازمين لا ينفك أحدهما عن صاحبه، وإمام
 المعطلين المشركين فرعون فهو إمام كل معطل ومشرك إلى يوم
 القيامة كما أن إمام الموحدين إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه
 عليهما إلى يوم القيامة. قال الله تعالى لإمام^(٥) المعطلين وأتباعه:

[٤٠/١]

في بيان التلازم بين
 الشرك والتعطيل

(١) ظ، م: (لهما). (٢) ظ: (فكمال)؛ ب: (بكمال). (٣) ظ، م: (لهما).

(٤) ظ: (البصيرة). (٥) ظ: (لامم).

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ﴾

[القصص: ٤١].

وقام لإمام الحنفاء:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقال لأتباعه:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا^(١) لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا

بِأَيِّدِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فلا^(٢) يأتي المعطل للتوحيد الخبري بتأويل إلا أمكن
المشرك المعطل للتوحيد^(٣) العملي أن يأتي بتأويل من جنسه
وقد اعترف بذلك حذاق الفلاسفة^(٤) وفضلاؤهم، فقال
أبو الوليد بن رشد^(٥) في كتاب «الكشف عن مناهج
الأدلة»^(٦): القول في الجهة: وأما هذه الصفة^(٧) فلم يزل

(١) م: (لامرنا).

(٢) ظ، م: (ولا).

(٣) ظ: (لتوحيد).

(٤) انظر ص ١٩١.

(٥) هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد، الفيلسوف، ولد سنة ٥٢٠ من أهل قرطبة. عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وله مؤلفات منها: «مناهج الأدلة في عقائد الملة»، و«المسائل في الحكمة»، و«تهافت التهافت» في الرد على الغزالي، و«بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه». ويلقب بابن رشد الحفيد. توفي سنة ٥٩٥.

شذرات الذهب ٤/٣٢٠؛ الأعلام ٥/٣١٨.

(٦) مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص ١٧٦، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية.

(٧) في هامش ب: (إثبات الجهة).

أهل الشريعة^(١) يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها^(٢) المعتزلة ثم إقرار الفلاسفة بأن تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية^(٣) كأبي المعالي^(٤) ومن اقتدى بقوله، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات^(٥) الجهة الشرع كله مؤولاً (مثل قوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

(١) مناهج الأدلة: زاد من (أول الأمر) بعد كلمة (الشريعة).

(٢) م: (نفاها).

(٣) وينسبون إلى أبي الحسن الأشعري ويقولون بإثبات سبع صفات فقط لأن العقل دل على إثباتها وهي: السمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والإرادة والحياة. وقالوا بأن كلام الله هو المعنى القائم، وهو قائم بالذات يستحيل أن يفارقه والعبارات والحروف دلالات على الكلام الأزلي وعندهم: أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والعمل والإقرار من فروع الإيمان لا من أصله، وقد رجع أبو الحسن الأشعري عن قوله في الأسماء والصفات كما سبق في ترجمته.

الملل والنحل ١/١١٩؛ رسالة في الرد على الرافضة، ص ٦٦.

والفرق بين الأشاعرة والأشعرية أن الأشعرية في مقابلة الماتريدية، وهم الذين اتبعوا أبا الحسن الأشعري.

والأشاعرة في مقابلة المعتزلة شاملة للماتريدية والأشعرية. والأشاعرة إذا وقعت في مقابلة الحكماء فالمراد بها جميع المتكلمين. قاله صاحب دستور العلماء ١/١١٧، ١١٨. قلت: وفي هذا الذي قاله نظر؛ فكتب أهل السنة تذكر الأشاعرة مرة بالأشعرية ومرة بالأشاعرة دون تفريق والله أعلم.

(٤) هو عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، إمام الحرمين، ولد سنة ٤١٩ في «جوين» من نواحي نيسابور. من كتبه: «الشامل في أصول الدين»، و«الإرشاد» وهو من أئمة الأشاعرة، وتلمذ عليه أبو حامد الغزالي. توفي سنة ٤٧٨ في قرية يقال لها: «بشتغال» من أعمال نيسابور.

شذرات الذهب ٣/٣٥٨ - ٣٦٢؛ تبين كذب المفتري، ص ٢٧٨ - ٢٨٥؛ الأعلام ١٦٠/٤.

(٥) ظ، م: (إثباتها).

ومثل قوله :

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ^(١) [البقرة: ٢٥٥].

ومثل قوله ^(٢) :

﴿ وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧].

ومثل قوله :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥].

ومثل قوله ^(٢) :

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤].

ومثل قوله ^(٢) :

﴿ أءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ ﴾ [الملك: ١٦].

إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلَّط التأويل عليها عاد
الشرع كله مؤولاً ^(٣)، وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات عاد
الشرع كله متشابهاً؛ لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في
السماء، و[أن] ^(٤) منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن

(١) ما بين القوسين ليس في مناهج الأدلة المطبوع، وأشار المحقق إلى أنه في نسخة أخرى
مخطوطة. مناهج الأدلة، ص ١٧٦، ت ٢.

(٢) مناهج الأدلة: (قوله تعالى).

(٣) ظ، م: (متأولاً)؛ ب: (مأولاً). وما أثبتته من مناهج الأدلة.

(٤) (أن): إضافة من ب.

من السماء نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى قرب من سدرة المنتهى، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت^(١) جميع الشرائع على ذلك.

والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية ونحن نقول: إن إثبات هذا كله غير لازم، فإن الجهة غير المكان، وذلك أن الجهة هي إما سطوح الجسم نفسه المحيط به وهي ستة وبهذا نقول: إن للحيوان فوقاً وأسفلً ويميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً. وإما سطوح جسم آخر يحيط^(٢) بالجسم ذي الجهات الست فأما الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه فليست^(٣) بمكان للجسم نفسه أصلاً، وأما سطوح الأجسام المحيطة [به]^(٤) فهي له مكان مثل سطوح الهواء المحيط بالإنسان، وسطوح الفلك المحيط بسطوح الهواء هي أيضاً مكان^(٥) للهواء وهكذا الأفلاك بعضها محيطة ببعض ومكان له، وأما سطح الفلك الخارجي^(٦) فقد برهن^(٧) أنه ليس خارجه جسم؛ لأنه

(١) ظ: (ارتفعت).

(٢) مناهج الأدلة: (محيط).

(٣) ظ، م: (وليست).

(٤) (به): إضافة من ب.

(٥) ظ: (فكان).

(٦) ظ، م، ب: (الخارج). وما أثبتته من مناهج الأدلة.

(٧) ب: (يترهن)، كذا في مناهج الأدلة.

لو كان كذلك^(١) لوجب أن يكون خارج ذلك الجسم جسم آخر ويمر^(٢) الأمر إلى غير نهاية، فإذ سطح آخر أجسام العالم ليس مكاناً أصلاً إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم؛ لأن كل ما هو مكان يمكن أن يوجد فيه جسم فإذا إن قام البرهان على وجود^(٣) موجود في هذه الجهة، فوجب أن يكون غير جسم والذي يمنع وجوده هناك هو عكس ما ظنه القوم، وهو موجود هو جسم لا موجود ليس بجسم. وليس لهم أن يقولوا: إن خارج العالم خلاء، وذلك أن الخلاء قد تبين^(٤) في العلوم النظرية امتناعه لأن ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيئاً أكثر من أبعاد ليس فيها جسم أعني طولاً وعرضاً وعمقاً، لأنه إن رفعت الأبعاد^(٥) عنه عاد عدماً، وإن أنزل^(٦) الخلاء موجوداً لزم أن تكون أعراضاً^(٧) موجودة في غير جسم؛ وذلك أن الأبعاد هي أعراض من باب الكمية^(٨) ولا بد ولكنه قيل في الآراء السالفة القديمة والشرائع الغابرة: إن ذلك الموضع هو مسكن الروحانيين يريدون الله والملائكة؛ وذلك أن ذلك الموضع ليس هو مكان^(٩)

(١) ب: (لو كان ذلك كذلك).

(٢) ظ: (عمر).

(٣) ظ: (وجوه).

(٤) ب: (يتبين).

(٥) ظ، م: (الابصار).

(٦) ظ، م: (اترك).

(٧) ظ، م، ب: (أعراض).

(٨) سيأتي بيان معناها. انظر ص ٨١٣.

(٩) منهاج الأدلة: (بمكان).

ولا يحويه زمان وكذلك إن كان كل ما يحويه الزمان والمكان فاسداً فقد يلزم أن يكون ما هنالك غير فاسد ولا كائن / وقد تبين هذا المعنى مما^(١) أقوله وذلك أنه [لما]^(٢) لم يكن ها هنا شيء إلا هذا الموجود المحسوس أو العدم^(٣) وكان (من)^(٤) المعروف بنفسه^(٥) أن الموجود إنما ينسب إلى الوجود أعني أنه يقال: إنه موجود، أي في الوجود إذ لا يمكن أن يقال: إنه موجود في العدم، فإن كان ها هنا موجوداً هو أشرف الموجودات فواجب أن ينسب من الموجود المحسوس إلى الجزء^(٦) الأشرف وهي^(٧) السموات، ولشرف هذا الجزء^(٨) قال تعالى:

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

وهذا كله يظهر على التمام للعلماء الراسخين في العلم؛ فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع وانبنى عليه، وإن إبطال

(١) ظ، م: (ما).

(٢) (لما): إضافة من ب.

(٣) ظ، م: (أو المعدوم).

(٤) (من): سقط من ب.

(٥) ظ، م: (بنفسه به).

(٦) ظ، م: (الحيز).

(٧) مناهج الأدلة: (وهو).

(٨) ظ، م: (التحين).

هذه القاعدة إبطال للشرائع^(١)، وإن وجه العسر في تفهيم^(٢) هذا المعنى مع نفي الجسمية^(٣) هو أنه ليس في الشاهد مثال له؛ فهو بعينه السبب في أنه^(٤) لم يصرح الشرع بنفي الجسم عن^(٥) الخالق سبحانه؛ لأن الجمهور إنما يقع لهم التصديق بحكم الغائب متى كان ذلك معلوم الوجود في الشاهد مثل العلم (بالصانع)^(٦) فإنه لما كان في الشاهد شرطاً في وجوده؛ كان شرطاً في وجود الصانع الغائب وأما متى كان الحكم الذي في الغائب غير معلوم الوجود في الشاهد عند الأكثر ولا يعلمه إلا (العلماء)^(٧) الراسخون فإن الشرع يزجر عن طلب معرفته إن لم يكن بالجمهور حاجة إلى معرفته مثل العلم بالنفس أو^(٨) يضرب له مثلاً: (من الشاهد إن كان بالجمهور حاجة إلى معرفته في سعادتهم)^(٩)(١٠)(١١)، والشبهة الواقعة في نفي الجهة عند

(١) ظ، م: (الشرائع).

(٢) ظ: (العرفي يفهم)؛ م: (العرف بفهم).

(٣) ظ، م: (الجهمية).

(٤) ظ، م: (ان).

(٥) ظ، م: (على).

(٦) (الصانع): ليس في مناهج الأدلة.

(٧) (العلماء): سقط من ب.

(٨) ظ: (لو).

(٩) ظ، م: (معادتهم). وما أثبتته من مناهج الأدلة.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) في مناهج الأدلة بعد قوله: «سعادتهم» زاد: (وإن لم يكن ذلك المثال هو نفس الأمر المقصود، تفهيمه مثل كثير مما جاء في أحوال المعاد).

الذين نفوها ليس (يتفطن الجمهور إليها لا سيما إذا لم يصرح لهم بأنه ليس)^(١) بجسم؛ فيجب أن يمثل في هذا كله فعل الشرع (وأن لا يتأول ما لم يصرح الشرع)^(٢) بتأويله.

والناس في هذه الأشياء في الشرع على ثلاث مراتب^(٣):

صنف لا يشعرون^(٤) بالشكوك العارضة^(٥) في هذا المعنى وخاصة متى تركت هذه الأشياء على ظاهرها في الشرع، وهؤلاء هم الأكثر وهم الجمهور.

(وصنف عرفوا حقيقة هذه الأشياء، وهم (العلماء)^(٦) الراسخون في العلم وهؤلاء هم الأقل من الناس)^(٧).

وصنف عرضت لهم في هذه الأشياء شكوك ولم يقدرُوا على حلها، وهؤلاء هم فوق العامة ودون العلماء وهذا الصنف هم الذين يوجد في حقهم التشابه في الشرع وهم الذين ذمهم الله^(٨).

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) مناهج الأدلة: (رتب).

(٤) م: (يسعدون).

(٥) ظ، م: (للمعارضة).

(٦) لفظ (العلماء) ليس في مناهج الأدلة.

(٧) ما بين القوسين ليس في مناهج الأدلة المطبوع. وأشار المحقق إلى أنه من نسخة أخرى

مخطوطة. انظر: مناهج الأدلة، ص ١٧٩، ت ٣.

(٨) مناهج الأدلة: (الله تعالى).

وأما عند العلماء والجمهور فليس في الشرع تشابه؛ فعلى هذا المعنى ينبغي أن يفهم التشابه، ومثال ما عرض لهذا الصِّنْفِ مع الشرع مثال ما يعرض في خبز^(١) البر مثلاً الذي هو^(٢) الغداء^(٣) النافع لأكثر الأبدان، أن يكون لأقل الأبدان ضاراً وهونافع للأكثر. وكذلك التعليم الشرعي هونافع للأكثر وربما ضر الأقل؛ ولهذا^(٤) الإشارة بقوله تعالى:

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

ولكنّ هذا إنما يعرض^(٥) في آيات الكتاب العزيز (في)^(٦) الأقل منها والأقل من الناس وأكثر ذلك هي الآيات التي تتضمن الإعلام عن أشياء^(٧) في الغائب ليس لها^(٨) مثال في الشاهد فيعبر^(٩) عنها بالشاهد الذي هو أقرب الموجودات^(١٠) إليها وأكثرها شبيهاً^(١١) بها؛ فيعرض لبعض الناس أن يأخذ

(١) مناهج الأدلة: (لخبز).

(٢) ب: (هوه).

(٣) م: (غذاء نافع).

(٤) ظ، ب: (وبهذا)؛ م: (وبهذه). وما أثبتته من مناهج الأدلة.

(٥) ظ، م: (يتعرض).

(٦) (في): سقط من ب.

(٧) ظ، م: (أنه) مكان (أشياء).

(٨) م: (في الغالب ليس له).

(٩) ظ، م: (فيصير).

(١٠) ب: (الوجودات).

(١١) ظ: (تشبيهاً)؛ م: (تنبيهاً).

الممثل به هو المثال نفسه^(١)؛ فيلزمه الحَيْرَةُ والشك وهو الذي يسمى متشابهاً في الشرع. وهذا ليس^(٢) يعرض للعلماء ولا الجمهور، وهم صنفاً للناس في الحقيقة؛ لأن هؤلاء هم الأصحاء، [والغذاء الملائم إنما يوافق أبدان الأصحاء]^(٣)، وأما أولئك فمرضى والمرضى هم الأقل؛ ولذلك قال (الله)^(٤) تعالى:

﴿فَأَمَّا^(٥) الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رِيبٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾

[آل عمران: ٧].

وهؤلاء أهل [الجدل]^(٦) والكلام، وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيراً مما ظنوه ليس على ظاهره، وقالوا: إن هذا التأويل هو المقصود به، وإنما أتى الله به في صورة التشابه ابتلاء لعباده واختباراً لهم، ونعوذ بالله من هذا الظن بالله، بل نقول: إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجزاً من جهة الوضوح والبيان، فاءذاً ما أبعدَ مِنْ مَقْصِدِ الشرع مَنْ قال فيما ليس بمتشابه: إنه متشابه ثم^(٧) أول ذلك

(١) ب: (يقبسه).

(٢) ظ، م: (الذي) بدل (ليس).

(٣) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٤) لفظ الجلالة سقط من م.

(٥) ب: (وأما).

(٦) (الجدل): إضافة من ب.

(٧) مناهج الأدلة: (ثم إنه أول).

المتشابه بزعمه، وقال لجميع^(١) الناس: إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل مثل ما قالوه في آيات الاستواء على العرش وغير ذلك مما^(٢) قالوا: إن ظاهره متشابه.

وبالجملة فأكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها المقصود من الشرع إذ تؤولت وجدت ليس يقوم عليها برهان، ولا تفعل فعل الظاهر في قبول الجمهور لها وعملهم^(٣) بها^(٤). فإن المقصود الأول بالعلم في حق الجمهور إنما هو العمل، فما كان أنفع في العمل فهو أجدر، وأما المقصود بالعلم في حق العلماء فهو الأمان جميعاً، أعني العلم والعمل.

ومثال من أوَّل شيئاً من الشرع وزعم أن ما أوَّلَهُ هو الذي قصده الشرع وصرح بذلك التأويل للجمهور، مثال مَنْ أتى إلى دواء قد ركبهُ طبيب ماهر؛ ليحفظ صحة جميع الناس أو الأكثر، فجاء رجل فلم يلائمه ذلك / الدواء المركب الأعظم؛ لرداءة مزاج كان به ليس يعرض إلاً للأقل من الناس فزعم أن بعض^(٥) الأدوية التي^(٦) صرح باسمه الطبيب الأول في ذلك الدواء العام المنفعة المركب لم يرد به ذلك الدواء التي جرت العادة في اللسان أن يدل بذلك

[٤٢/١]

(١) ظ، م: (فجميع).

(٢) ظ، م: (كما).

(٣) ب: (وعلمهم).

(٤) ظ، م، ب: (عنها)، وكذا في مناهج الأدلة. ولعل الصواب ما أثبتته.

(٥) مناهج الأدلة: (بعض تلك الأدوية).

(٦) ظ، م: (الذي).

الاسم عليه، وإنما أراد به دواءً آخر مما يمكن أن يدل عليه بذلك باستعارة بعيدة؛ فأزال ذلك الدواء الأول من ذلك المركب الأعظم وجعل فيه بدله الدواء الذي ظن أنه الذي قصده الطبيب وقال للناس: هذا هو الذي قصده الطبيب الأول، فاستعمال الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذي تأوله عليه ذلك المتأول^(١)؛ ففسدت به أمزجة كثير من الناس فجاء آخرون فشعروا^(٢) بفساد أمزجة الناس عن ذلك الدواء المركب فراموا إصلاحه بأن أبدلوا بعض أدويته بدواء آخر غير الدواء الأول فعرض من ذلك للناس نوع من المرض غير [النوع]^(٣) الأول، فجاء ثالث فتأول في أدوية ذلك المركب غير التأويل الأول والثاني فعرض من ذلك (لِلنَّاسِ)^(٤) نوع ثالث من المرض غير النوعين المتقدمين، فجاء متأول رابع فتأول دواء آخر غير الأدوية المتقدمة فعرض منه للناس^(٥) نوع رابع من المرض^(٦) غير الأمراض المتقدمة. فلما طال الزمن بهذا الدواء المركب الأعظم وسلط الناس التأويل على أدويته وغيرها وبدلوها؛ عرض منه للناس أمراض شتى حتى فسدت المنفعة المقصودة بذلك الدواء المركب في حق أكثر الناس وهذه هي حال هذه الفرق

(١) ظ، م، ب: (المثال). وما أثبتته من مناهج الأدلة.

(٢) مناهج الأدلة: (شعروا).

(٣) (النوع): إضافة من ب.

(٤) (لِلنَّاسِ): سقط من ب.

(٥) ظ، م: (له الناس).

(٦) ظ، م: (الأمراض).

الحادثة في الشريعة مع الشريعة، وذلك أن [كل] (١) فرقة منهم تأولت في الشريعة تأويلاً غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى، وزعمت أنه الذي قصده صاحب الشرع حتى تَمَزَّقَ الشرع كل مُمَزَّقٍ، وَبَعُدَ جداً عن موضوعه الأول؛ ولما علم (٢) صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم أن مثل هذا يعرض ولا بد (٣) في شريعته قال: «ستفترق أمتي على ثنتين (٤) وسبعين فرقة، كُلُّهَا في النار إلا واحدة» (٥) يعني بالواحدة التي سلكت ظاهر الشرع ولم تُؤوَلْهُ (٦).

(١) (كل): إضافة من ب.

(٢) ظ: (عله).

(٣) ظ، م: (ولا يعد).

(٤) ظ، م، ب: (ثلاث). وما أثبتته من الحديث، وكذا في مناهج الأدلة.

(٥) رواه ابن ماجه ١٣٢٢/٢، من طريق أنس، في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم،

ح ٣٩٩٣.

وقال في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات. ونصه: «إن بني إسرائيل افترت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة».

ورواه أبو داود (عون المعبود ٣٤٠/١٢)، من طريق معاوية بن أبي سفيان في كتاب السنة، باب شرح السنة، ح ٤٥٧٢.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٣٩٩/٧)، من طريق عبدالله بن عمرو، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، ح ٢٧٧٩.

ورواه اللالكائي في كتابه: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ١/١٠٢، ح ١٥٠.

ورواه ابن أبي عاصم، في كتاب السنة ٣٢/١، ٣٣، ح ٦٤. وقال الشيخ محمد ناصرالدين الألباني: «الحديث صحيح قطعاً؛ لأن له ست طرق أخرى عن أنس

وشواهد عن جمع من الصحابة». السنة، لابن أبي عاصم ٣٣/١.

(٦) مناهج الأدلة: زاد (تأويلاً صرح به للناس).

وأنت إذا تأملت ما^(١) عرض في هذه الشريعة في هذا الوقت من الفساد العارض^(٢) فيها من قبل [التأويل]^(٣)؛ تبينت أن هذا المثال صحيح، وأول مَنْ غَيَّرَ هذا الدواء الأعظم هم الخوارج^(٤)، ثم المعتزلة بعدهم ثم الأشعرية^(٤)، ثم الصوفية^(٥)، ثم جاء أبو حامد^(٦) فطم^(٧) الوادي على القرى^(٨) اه، وذكر كلاماً بعد ذلك متعلق^(٩) بكتب [أبي حامد]^(١٠) ليس لنا غرض في حكايته.

(١) ب: (في).

(٢) ظ، م: (المعارض).

(٣) (التأويل): إضافة من ب.

(٤) انظر الخوارج، ص ٢٠٦؛ والأشعرية، ص ٤٠٥.

(٥) سُمِّوا بذلك نسبة إلى اللبسة الظاهرة وهي الصوف غالباً. ولقد مر التصوف بعدة مراحل. فقد كان في أوله زهداً في الدنيا وانقطاعاً لعبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم صار حركات ومظاهر خالية من الرُّوحِ والعبادة، ثم صار إلحاداً وخروجاً عن دين الله فقالوا بالحللول ووحدة الوجود وإباحة المحرمات وترك الواجبات وعلم الباطن.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركون، ص ٨٧، ١١٥؛ المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركون، ص ١٣٠، ١١٢.

(٦) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، ولد في الطابران (قصة طوس بخراسان) سنة ٤٥٠، فيلسوف متصوف. من كتبه: «إحياء علوم الدين»، و«تهافت الفلاسفة»، و«الاقتصاد في الاعتقاد»، و«المضنون به على غير أهلها» وغيرها.

توفي في الطابران سنة ٥٠٥.

تبيين كذب المفتري، ص ٢٩١ - ٣٠٦؛ شذرات الذهب ٤/ ١٠ - ١٣.

(٧) ظ: (فطر).

(٨) انتهى كلام ابن رشد. انظر مناهج الأدلة، ص ١٨٢.

(٩) ب: (يتعلق).

(١٠) (أبي حامد): إضافة من ب.

الفصل الثامن عشر

في انقسام الناس في نصوص الوحي إلى
أصحاب تأويل وأصحاب تخييل^(١)،
وأصحاب تجهيل وأصحاب تمثيل^(٢)،
وأصحاب سواء السبيل^(٣)

هذه خمسة أصناف انقسم الناس إليها في هذا الباب
بحسب اعتقادهم ما أريد بالنصوص .

الصنف الأول: أصحاب التأويل: وهم أشد
الأصناف^(٤) اضطراباً إذ لم يثبت لهم قدم في الفرق بين
ما يُتأول وما لا يُتأول ولا ضابط مطرد منعكس تجب مراعاته
وتمنع مخالفته بخلاف سائر الفرق، فإنهم جروا^(٥) على ضابط
واحد وإن كان فيهم من هو أشد خطأً من أصحاب التأويل
كما سنذكره .

الصنف الثاني^(٦): أصحاب التخييل^(٧): وهم الذين

(١) ظ، م: (تبجيل).

(٢) ب: (وأصحاب تمثيل وأصحاب تجهيل) قدم وأخر.

(٣) في هامش ب: (انقسام الناس في نصوص الوحي إلى أصحاب تأويل وأصحاب تخييل
وغيرهما).

(٤) ظ، م: (الناس).

(٥) ظ: (حيروا)، م: (خيروا).

(٦) في هامش ب: (أصحاب التخييل).

(٧) ظ: (التبجيل).

اعتقدوا أن الرسل لم تفصح للخلق بالحقائق؛ إذ ليس في قواهم إدراكها وإنما خيلت^(١) لهم وأبرزت المعقول في صورة المحسوس. قالوا: ولودعت الرسل أمهم إلى الإقرار بربِّ^(٢) لا داخل العالم ولا خارجه، ولا محايثاً له ولا مبايناً له^(٣)، ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه، ولا فوقه ولا تحته، ولا عن يمينه ولا عن يساره؛ لنفرت عقولهم من ذلك ولم تصدق بإمكان وجود هذا الموجود فضلاً عن وجوب وجوده، وكذلك لو أخبروهم بحقيقة كلامه^(٤) وأنه فيض فاض [من]^(٥) المبدأ الأول على العقل الفعال ثم فاض من ذلك العقل على النفس الناطقة الزكية^(٦) المستعدة؛ لم يفهموا ذلك، ولو أخبروهم عن المعاد الروحاني بما هو عليه؛ لم يفهموه؛ فقربُّوا لهم الحقائق المعقولة في إبرازها (في)^(٧) الصور المحسوسة وضربوا لهم الأمثال بقيام الأجساد^(٨) من القبور في يوم العرض والنشور ومصيرها إلى جنة فيها أكل وشرب^(٩) ولحم وخمر وجوار حسان. أونار فيها أنواع العذاب تفهيماً للذة الروحانية بهذه الصورة (والألم الروحاني

(١) ظ: (حلت).

(٢) م: (لرب).

(٣) ظ: (به).

(٤) ظ: (كله)، م: (كل).

(٥) (من): إضافة من م.

(٦) ظ: (الزكية)، م: (المذكية).

(٧) (في): سقط من م.

(٨) ظ: (الأحشار).

(٩) ب: (شراب).

بهذه الصورة^(١) وهكذا فعلوا في وجود الربِّ وصفاته وأفعاله، ضربوا لهم الأمثال بوجود عظيم جداً أكبر من كل موجود، وله سرير عظيم وهو مستوٍ فوق سريره، يسمع ويبصر ويتكلم ويأمر وينهى ويرضى ويغضب، ويأتي ويجيء وينزل وله يدان ووجه ويفعل بمشيئته وإرادته، وإذا تكلم العباد سمع^(٢) كلامهم وإذا تحركوا رأى حركاتهم، وإذا هجس في قلب أحد منهم هاجس علمه^(٣)، وأنه ينزل كل ليلة إليهم^(٤)، إلى سمائهم هذه فيقول: «من يسألني فأعطيه ومن يستغفرنى فأغفر له»^(٥)^(٦) إلى غير ذلك مما نطقت به الكتب الإلهية. قالوا: ولا يحل لأحد أن يتأول ذلك على خلاف ظاهره^(٧) للجمهور؛ لأنه يفسد ما وضعت له / الشرائع والكتب الإلهية.

[٤٣/١]

وأما الخاصة فهم يعلمون أن هذه أمثال مضروبة لأمر عقلية تعجز^(٨) عن إدراكها عقول الجمهور، فتأويلها جناية على الشريعة والحكمة، وإقرارها^(٩) [إقرار للشريعة

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) ب: (يسمع).

(٣) ظ كرر لفظ: (علمه).

(٤) ظ، م: (لهم).

(٥) ب إعادة عبارة: (من يسألني فأعطيه)، بعد هذه العبارة.

(٦) سبق تحقيقه، انظر ص ٣٨٧.

(٧) ب: (ظاهر).

(٨) ظ، م: (فجعز).

(٩) ظ، م: (والإقرار).

والحكمة، قالوا: وعقول الجمهور بالنسبة إلى هذه الحقائق^(١) أضعف من عقول الصبيان بالنسبة إلى ما يدركه عقلاء الرجال وأهل الحكمة منهم، والحكيم إذا أراد أن يخوف الصغير أو يبسط أمله؛ خَوْفُهُ ورجاه بما يناسب فهمه وطبعه.

وحقيقة الأمر عند^(٢) هذه الطائفة: أن الذي أخبرت به الرسل عن الله وصفاته وأفعاله وعن اليوم الآخر لا حقيقة له يطابق ما أخبروا به ولكنه أمثال وتخيل وتفهم^(٣) بضرب^(٤) الأمثال، وقد ساعدتهم أرباب التأويل على هذا المقصد في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته، وصرحوا في ذلك بمعنى^(٥) ما صرح به هؤلاء في باب المعاد وحشر الأجساد، بل نقلوا كلماتهم بعينها إلى نصوص الاستواء والفوقية، ونصوص الصفات الخبرية، لكن هؤلاء أوجبوا أو سوغوا تأويلها بما يخرجها عن حقائقها وظواهرها، وظنوا أن الرسل قصدت ذلك من المخاطبين تعريضاً لهم إلى الثواب الجزيل ببذل الجهد^(٦) في تأويلها، أو استخراج معانٍ تليق بها وحملها عليها، وأولئك حَرَمُوا التأويل، ورأوه عائداً على ما قصدته

(١) ما بين المعكوفين إضافة من ب.

(٢) ظ، م: (على).

(٣) ظ: (الفهم)، م: (الفهم).

(٤) ب: (لضرب).

(٥) ظ، م: (معنى).

(٦) ظ، م: (الجهة).

الأنبياء بالإبطال والطائفتان متفتتان على انتفاء حقائقها المفهومة^(١) منها في نفس الأمر.

والصنف الثالث: أصحاب التجهيل^(٢): الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا نديري ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله، وهي عندنا بمنزلة:

﴿كَهَيْعَصَ﴾^(٣) [مريم: ١].

و ﴿حَمَّ * عَسَقَ﴾ [الشورى: ١، ٢].

و ﴿الْمَصَّ﴾ [الأعراف: ١].

فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً، ولم نعرف معناه وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى^(٤) الله وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ولا يفهمون معنى قوله:

﴿لِمَا خَلَقْتُ^(٥) بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقوله:

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

(١) ظ كرر لفظ: (المفهومة).

(٢) في هامش ب: (أصحاب التجهيل).

(٣) م: (كهعص).

(٤) ظ: (إلا).

(٥) ظ، م: (ما خلقت).

وقوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وأمثال ذلك من نصوص الصفات.

أصول مذهبهم

وبنوا هذا المذهب على أصليين:

الأول

أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه.

الثاني

والثاني: أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله؛ فنتج من هذين الأصليين استجهاال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنهم كانوا يقرأون:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

و ﴿بَلَّ^(١) يَدَاهُ مَبْسُوطَتَيْنِ﴾ [المائدة: ٦٤].

ويروون^(٢) «ينزل ربُّنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»^(٣) ولا يعرفون معنى^(٤) ذلك ولا ما أريد به، ولازم قولهم: إن الرسول كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه. ثم تناقضوا أقبح تناقض فقالوا: تجرى على ظواهرها وتأويلها مما يخالف الظواهر باطل ومع ذلك فلها تأويل لا يعلمه إلا الله، فكيف

(١) ظ: (بلى)، م سقط لفظ: (بل).

(٢) ظ: (ويرون).

(٣) سبق تحقيقه، انظر ص ٣٨٧.

(٤) ظ: (ولا معنى).

يثبتون^(١) لها تأويلاً ويقولون: تجر على ظواهرها^(٢)،
ويقولون: الظاهر منها مراد والرّب منفرد بعلم تأويلها. وهل
في التناقض أقبح من هذا؟! .

وهؤلاء غلطوا^(٣) في التشابه وفي جعل هذه النصوص
من التشابه وفي كون التشابه لا يعلم معناه إلا الله، فأخطأوا
في المقدمات الثلاث واضطّروهم إلى هذا التخلص من
تأويلات المبطلين وتحريفات المعطلين، وسدوا على نفوسهم
الباب وقالوا: لا نرضى بالخطأ^(٤) ولا وصول لنا إلى
الصواب فهؤلاء تركوا التدبر المأمور^(٥) به والتذكر والعقل
لمعاني النصوص الذي هو أساس^(٦) الإيمان وعمود اليقين
وأعرضوا عنه بقلوبهم وتعبّدوا بالألفاظ^(٧) المجردة التي^(٨)
أنزلت في ذلك وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبّد بها دون
تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها.

فأولئك جعلوها عرضة للتأويل والتحريف كما جعلها
أصحاب التخيل أمثالاً لا حقيقة لها. وقابلهم:

-
- (١) ظ، م: (ينسبون).
 - (٢) ظ: (ظواهر أو يقولون)، م: (ظواهرأ أو يقولون).
 - (٣) ظ، م، ب: (عطلوا)، ولعل الصواب ما أثبتته.
 - (٤) م: (للخطأ).
 - (٥) ظ: (المأثور).
 - (٦) ظ، م: (يبين)، وقال ناسخ م: (لعله باب).
 - (٧) ظ: (وتعبروا الألفاظ).
 - (٨) ظ: (الذي).

الصف الرابع^(١): وهم أصحاب التشبيه والتمثيل،
ففهموا منها [مثل]^(٢) ما للمخلوقين وظنوا أن لا حقيقة لها
سوى ذلك، وقالوا: محال أن يخاطبنا الله سبحانه بما لا نعقله
ثم يقول:

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

﴿لَمَلَكُمْ تَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

﴿لِيَذَّبَ رُءُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٩].

ونظائر ذلك وهؤلاء هم المشبهة^(٣).

فهذه الفرق لا تزال تُبَدِّعُ بعضهم بعضاً، وتضلله
وتجهله، وقد تصادمت كما ترى، فهم كزمرة من العميان
تلاقوا فتصادموا كما قال أعمى البصر والبصيرة^(٤) منهم:

ونظيري في العلم مثلي أعمى
فترانا في حنـدس نتصادم

وهدى الله أصحاب سواء السبيل^(٥): للطريقة المثل
الصف الخامس
أصحاب سواء
السبيل

(١) في هامش ب: (أصحاب التشبيه).

(٢) (مثل): إضافة من ب.

(٣) م: (المتبته)، وقال الناسخ في الهامش: (المشبهه).

(٤) ظ، م: (البصيرة والبصر).

(٥) في هامش ب: (أصحاب سواء السبيل).

فلم يتلوثوا^(١) بشيء من أوصار^(٢) هذه الفرق وأدناسها^(٣)،
وأثبتوا^(٤) لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه^(٥) مماثلة
المخلوقات فكان^(٦) مذهبهم / مذهباً بين مذهبين، وهدى
بين ضاللتين، خرج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين
والمجهلين والمشبهين كما خرج اللين من بين فرث ودم لبناً
[خالصاً]^(٧) سائغاً للشاربين وقالوا: نَصِفُ اللّهَ بما وصف به
نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن
غير تشبيه ولا تمثيل بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء
والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل ولا نؤول
ولا نمثل ولا نجهل، ولا نقول ليس لله يدان ولا وجه،
ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا قدرة، ولا استوى على
عرشه، ولا نقول له يدان كأيدي المخلوق ووجه كوجوههم،
وسمع وبصر، وحياة وقدرة، واستوى كأسماعهم وأبصارهم
وقدرتهم واستوائهم، بل نقول: له ذات حقيقة ليست
كالدوات وله صفات حقيقة لا مجازاً ليست كصفات
المخلوقين وكذلك قولنا في وجهه تبارك وتعالى ويديه،
وسمعه وبصره، وكلامه واستوائه، ولا يمنعنا ذلك أن نفهم

(١) ظ، م: (يتكونوا).

(٢) ظ، م: (أوصاف).

(٣) ظ، م: (أديانها).

(٤) ظ، م: (وأثبتوا).

(٥) ظ، م، ب: (عنها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦) ظ، م: (وكان).

(٧) (خالصاً): إضافة من ب.

المراد من تلك الصفات وحقائقها كما لم يمنع ذلك من أثبت
 لله شيئاً من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها،
 فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتتها حقيقة، وفهم
 معناهما فهكذا سائر صفاته المقدسة^(١) يجب أن تجري هذا
 المجرى وإن كان لا سبيل لنا^(٢) إلى معرفة كنهها وكيفيةها فإن
 الله سبحانه لم يكلف عباده بذلك ولا أرادهم ولم يجعل
 لهم إليه سبيلاً بل كثير من مخلوقاته أو أكثرها لم يجعل لهم
 سبيلاً إلى معرفة كنهه وكيفيته وهذه أرواحهم التي هي أدنى
 إليهم من كل دان^(٣) قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيةها
 وجعل لهم السبيل إلى معرفتها والتمييز^(٤) بينها وبين أرواح
 البهائم وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة وما في
 الجنة والنار؛ فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان
 وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كيفيته^(٥) وكنهه فلا يشك^(٦)
 المسلمون أن في الجنة أنهاراً من خمر وأنهاراً من عسل وأنهاراً
 من لبن ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته إذ كانوا
 لا يعرفون في الدنيا الخمر إلا ما اعتصر من الأعناب،
 والعسل إلا ما قذفت به النحل في بيوتها، واللبن إلا ما خرج
 من الضروع، والحريز إلا ما خرج من فم دود القز، وقد

(١) ظ، م: (المتقدمة).

(٢) ب: (له).

(٣) ب: (ذات).

(٤) ب: (وبالتمييز).

(٥) ظ، م: (كنفسه).

(٦) م: (مشك).

فهموا معاني ذلك في الجنة من غير أن يكون ماثلاً لما في الدنيا كما قال ابن عباس: «ليس في الدنيا مما^(١) في الآخرة إلا الأسماء»^(٢)^(٣) ولم يمنعهم^(٤) عدم النظر في الدنيا من فهم ما أخبروا به من ذلك فهكذا^(٥) الأسماء والصفات لم يمنعهم انتفاء نظيرها في الدنيا ومثالها من فهم حقائقها ومعانيها بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها وهذا هو المثل الأعلى الذي أثبتته سبحانه لنفسه في ثلاثة^(٦) مواضع من القرآن:

أحدها: قوله:

﴿لِلَّذِينَ^(٧) لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى^(٨) وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

(١) ظ، م: (ما).

(٢) ظ، م: (والصفات).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ١/٣٩١، ٣٩٢ ط المعارف، بلفظ: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء».

وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٣٨، وقال: وأخرج مسدد وهناد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس فذكره. وانظر، تفسير ابن كثير ١/٦٣؛ وفتح القدير للشوكاني ١/٥٥.

(٤) ظ، م بعد قوله: (ولم يمنعهم)، زاد: (انتفاء نظيرها في الدنيا ومثالها من فهم حقائقها).

(٥) ب: (فكهذا).

(٦) ظ، م: (ثلاث).

(٧) ظ: (الذين).

(٨) ظ، م: (ولله المثل الأعلى في السموات والأرض) وهو خطأ.

الثاني: قوله:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

الثالث: قوله (تعالى) (١):

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الشورى: ١١].

فنفى سبحانه المماثلة عن هذا المثل الأعلى وهو ما في قلوب أهل سمواته وأرضه من معرفته والإقرار بربوبيته وأسمائه وصفاته وذاته فهذا المثل الأعلى هو الذي آمن (٢) به المؤمنون وأنس به العارفون وقامت شواهد في قلوبهم بالتعريفات الفطرية، المكملة (٣) بالكتب الإلهية، المقبولة بالبراهين العقلية. فاتفق على الشهادة بثبوتة العقل، والسمع، والفطرة، فإذا قال المثبت: «يا الله» قام بقلبه (٤) رباً قيوماً [قائماً] (٥) بنفسه مستويماً على عرشه مكلماً متكلماً سامعاً [رأياً] (٦) قديراً سديداً، فعلاً لما يشاء يسمع دعاء الداعين ويقضي حوائج السائلين، ويفرج عن (٧)

(١) (تعالى): سقط من ب.

(٢) ب: (أنس).

(٣) ظ، م: (المكلمة).

(٤) ب كرر لفظ: (قام بقلبه).

(٥) (قائماً): إضافة من ب.

(٦) (رأياً): إضافة من ب.

(٧) ب: (عند).

المكرويين، ترضيه الطاعات، وتغضبه المعاصي، تعرج الملائكة بالأمر إليه وتنزل بالأمر من عنده، وإذا شئت زيادة تعريف بهذا المثل الأعلى فقدر^(١) قوى جميع المخلوقات اجتمعت لواحد منهم ثم كان جميعهم على قوة ذلك الواحد فإذا نسبت قوته إلى قوة^(٢) الربّ تبارك وتعالى لم تجد لها نسبة وإياها^(٣) ألبتة كما لا تجد نسبة بين قوة البعوضة وقوة الأسد فإذا قدرت علوم الخلائق اجتمعت لرجل واحد ثم قدرت جميعهم بهذه المثابة كانت علومهم بالنسبة إلى علمه تعالى كنفرة عصفور من بحر وإذا قدرت حكمة جميع المخلوقين على هذا التقدير لم يكن لها نسبة إلى حكمته وكذلك إذا قدرت كل^(٤) جمال في الوجود اجتمع لشخص^(٥) / واحد ثم كان الخلق كلهم بذلك الجمال كان نسبه إلى جمال الربّ تعالى وجلاله دون نسبة السراج الضعيف إلى^(٦) جرم الشمس.

[٤٥/١]

وقد^(٧) نبهنا (الله)^(٨) سبحانه على هذا المعنى بقوله:

(١) ظ، م : (فعد).

(٢) ظ : (قوت).

(٣) ظ، م : (بدون واو).

(٤) ظ : (على).

(٥) ظ : (شخص).

(٦) ظ، م : (في).

(٧) م : (وغد).

(٨) لفظ الجلالة ليس في ب.

﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ
سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[لقمان: ٢٧].

فقدر البحر المحيط بالعالم مداداً^(١) ووراءه سبعة أبحر
تحيط به كلها مداد تكتب به كلمات الله نفدت البحار وفنيت
الأقلام التي لو قدرت جميع أشجار الأرض من حين خلقت
إلى آخر الدنيا ولم تنفذ كلمات الله .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «إن السموات
السبع في الكرسي كحلقة ملقاة بأرض فلاة» والكرسي في^(٢)
العرش كحلقة ملقاة في أرض^(٣) فلاة^(٤) والعرش لا يقدر
قدره إلا الله وهو سبحانه فوق عرشه يرى ما عباده عليه .
فهذا هو الذي قام بقلوب المؤمنين المصدقين العارفين به

(١) ظ: (أمداد)، ب: (مداد).

(٢) ب: (والعرش).

(٣) ب: (بأرض).

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٤٠٤، ٤٠٥، بلفظ: «ما السماوات السبع
في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك
الفلاة على تلك الحلقة»، وقال: «وله شاهد بإسناد أصح فذكره...» .

ورواه ابن جرير في تفسيره ٨/٣ بنحوه .

وقال السيوطي في الدر المنثور ١/٣٢٨: أخرجه أبو الشيخ في العظمة .

ورواه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير ١/٣٠٩، ٣١٠ .

وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٦/٢، ح رقم ١٠٩ له عدة طرق ثم

قال: «وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح...» .

سبحانه من المثل الأعلى فعرفوه به وعبدوه به وسألوه به فأحبوه وخافوه ورجوه وتوكلوا عليه وأنابوا إليه واطمأنوا بذكره وأنسوا بحبه بواسطة هذا التعريف فلم يصعب عليهم بعد ذلك [فهم] ^(١) استوائه على عرشه وسائر ما وصف به نفسه من صفات كماله ^(٢)، إذ قد أحاط عليهم بأنه لا نظير لذلك ولا مثل له ولم يخطر بقلوبهم مماثلته لشيء من المخلوقات وقد أعلمهم سبحانه على لسان رسوله: «أنه يقبض سماواته بيده والأرض ^(٣) باليد الأخرى ثم يهزهن» ^(٤)، «وأن السماوات السبع والأرضين السبع في كفه تعالى كخردلة في كف أحدكم» ^(٥) ^(٦) «وأنه يضع السماوات على أصبع والأرضين على (أصبع) ^(٧) والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع» ^(٨) فأى أيدي

(١) فهم: إضافة من ب.

(٢) ب: (جماله).

(٣) ظ، م: (بيد والأخرى).

(٤) انظر ص ٢٧٢.

(٥) ب: (أحدنا).

(٦) سبق تحقيقه انظر ص ٢٧٢.

(٧) (أصبع): سقط من ب.

(٨) ورواه البخاري فتح الباري ٨/٥٥٠، ٥٥١ من طريق عبدالله بن مسعود في كتاب

التفسير، تفسير سورة الزمر باب ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ٤٨١١.

ورواه مسلم ٤/٢١٤٧، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة

والجنة والنار، ح ١٩.

ورواه الترمذي تحفة الأحوذى ٩/١١٣ في التفسير، تفسير سورة الزمر، ح ٣٢٩١.

ورواه أحمد في المسند ١/٤٥٧.

للخلق وأي أصبع تشبه هذه اليد وهذه الأصبع حتى يكون إثباتها تشبيهاً وتمثيلاً. فقاتل الله أصحاب التحريف والتأويل وأصحاب التخييل^(١)، [وأصحاب التجهيل]^(٢)، وأصحاب التشبيه والتمثيل ماذا^(٣) حرفوه من الحقائق الإيمانية^(٤) والمعارف الإلهية وماذا تعوضوا به من زبالة الأذهان ونخالة الأفكار فما أشبههم بمن كان غذاؤهم المن والسلوى بلا تعب ولا كلفة فأثروا عليه الفوم^(٥)^(٦) والعدس والبصل وقد جرت عادة الله سبحانه أن يذل من آثر الأدنى على الأعلى ويجعله عبرة للعقلاء.

فأول^(٧) هذا الصنف إبليس ترك السجود لآدم كبراً فابتلاه الله بالقيادة لفساق ذريته، وعُباد الأصنام لم يقرؤا بنبي من البشر ورضوا بإله من الحجر. والجهمية نزهاوا الله عن

(١) ظ: (التحيل).

(٢) (وأصحاب التجهيل): إضافة من ب.

(٣) ظ: (هاذا)، م: (هذا).

(٤) ظ: (الإعانية).

(٥) ظ، م: (الثوم).

(٦) الفوم: الزرع أو الحنطة. وتسمى السنبلة فوما.

وقيل الحمص.

وقيل الخيز.

وقيل لغة في الثوم، وقد ورد في القرآن: ﴿وَفُؤْمَهَا وَعَدَسِهَا﴾.

قال قتادة: إن الفوم كل حب يختبز.

قال البخاري: وقال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم.

اللسان ٣٤٩١/٥؛ تفسير ابن كثير ١٠١/١.

(٧) ب: (وأول).

عرشه لثلا يحويه مكان ثم جعلوه في الآبار والأنجاس وفي كل مكان. وهكذا طوائف الباطل لم يرضوا بنصوص الوحي فابتلوا بزبالة أذهان المتحيرين وورثة الصابئين^(١) وأفراخ الفلاسفة^(٢) الملحدين و:

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ^(٣) وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

(١) انظر ص ١٦٢ .

(٢) انظر ص ١٩١ .

(٣) ظ، م: (يهدي).

(٤) ظ، م: (التهدي).

الفصل التاسع عشر

في الأسباب التي تسهل على النفوس
الجاهلة^(١) قَبُولَ التَّأْوِيلِ مع مخالفته
[للبيان]^(٢) الذي^(٣) علمه الله الإنسان
وفطره على قبوله^(٤)

التأويل يجري مجرى مخالفة^(٥) الطبيعة الإنسانية والفطرة
التي فطر عليها العبد فإنه رد الفهم من جريانه^(٦) مع الأمر
المعتاد^(٧) المؤلف إلى الأمر الذي لم يعهد ولم يؤلف وما كان
هذا سبيله فإن الطباع السليمة لا تتقاضاه^(٨) بل تنفر منه

(١) ظ، م: (الجاهلية).

(٢) (للبيان): إضافة من ب.

(٣) م: (للذي).

(٤) في هامش ب: (الأسباب التي تسهل على النفوس الجاهلة قبول التأويل).

(٥) ب: (مخالفته).

(٦) ظ، م: (حرمانه).

(٧) ظ: (العناد).

(٨) يقال قضى الغريم دينه قضاء: أداه إليه.

واستقضاه: طلب إليه أن يقضيه.

وتقاضاه الدين قبضه منه. قال الشاعر:

تقاضاه شيء لا يميل التقاضيا

إذا ما تقاضى المرء يوماً وليلاً

أي إذا ما تقاضى المرء نفسه يوم وليلة.

والمعنى: إن الطباع السليمة لا تقبله.

اللسان ٣٦٦٦/٥.

وتأباه فلذلك وضع له أربابه أصولاً ومهدوا له أسباباً تدعو إلى قبوله وهي [أنواع]^(١):

فصل

السبب الأول: أن يأتي به صاحبه مموهاً مزخرف الألفاظ ملفق^(٢) المعاني مكسواً حُلَّةً الفصاحة والعبارة الرشيقة^(٣) فتسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسانه وتبادر إلى اعتقاده، وتقليده ويكون حاله في ذلك حال من يعرض سلعة مموهة مغشوشة على من لا بصيرة له بباطنها وحقيقتها فيحسنها في عينه ويحبها^(٤) إلى نفسه وهذا الذي يعتمد على كل من أراد ترويح باطل فإنه لا يتم له ذلك إلا بتمويهه وزخرفته وإلقائه إلى جاهل بحقيقته.

قال: (الله)^(٥) تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

-
- (١) (أنواع): إضافة من ب.
(٢) ملفق قال ابن فارس: «اللام والفاء والقاف أصل يدل على ملاءمة الأمر»، يقال: «لَفَقْتُ الثوبَ بالثوبِ لَفَقًا».
وأحاديث ملفقة: أي أكاذيب مزخرفة.
معجم مقاييس اللغة ٢٥٧/٥؛ لسان العرب ٤٠٥٦/٥، مادة لفق.
(٣) ظ، م: (الرسقة).
(٤) ظ: (يحبها).
(٥) لفظ (الجلالة): سقط من ب.

فذكر سبحانه أنهم يستعينون على مخالفة أمر الأنبياء بما يزخرفه بعضهم لبعض من القول فيغتر به الأعمار^(١) وضعفاء^(٢) العقول^(٣) فذكر السبب الفاعل والقابل ثم ذكر [سبحانه]^(٤)، انفعال^(٥) هذه النفوس الجاهلة به^(٦) بصغوها^(٧) وميلها إليه ورضاها به لما كسي من الزخرف الذي يغر السامع فلما أصغت إليه ورضيته اقترفت ما تدعو إليه من الباطل قولاً وعملاً فتأمل هذه الآيات وما تحتها من هذا المعنى العظيم القدر الذي فيه بيان أصول الباطل والتنبيه / على مواقع الحذر منها وعدم الاغترار بها وإذا تأملت مقالات أهل الباطل رأيتهم قد كسوها من العبارات وتخيروا^(٨) لها من الألفاظ الرائقة ما يسرع إلى قبوله كل من ليس له بصيرة نافذة^(٩) - وأكثر الخلق كذلك - حتى إن^(١٠) [الفجار]^(١١) ليسمون أعظم أنواع الفجور بأسماء لا ينبو عنها

[٤٦/١]

(١) الأعمار جمع غمر: وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور.

اللسان ٣٢٩٥/٥، مادة غمر.

(٢) ظ: (وضعف)، م: (وضعفه).

(٣) ب: (القول).

(٤) (سبحانه): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (انتقال).

(٦) ظ، م، ب: (عنه)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٧) ظ: (يضعوها).

ومعنى بصغوها: أي اصغائها وميلها.

(٨) ب: (غيروا).

(٩) ظ: (نافذ)، م: (ناقد).

(١٠) ظ، م: (جيران)، وقال ناسخ م: (لعله حتى إنهم).

(١١) لفظ (الفجار): إضافة من ب.

السمع ويميل إليها الطبع فيسمون أم الخبائث أم الأفراح
 ويسمون اللقمة (١) الملعونة (٢) لقيمة (٣) الذكر والفكر التي
 تثير (٤) العزم (٥) الساكن إلى أشرف (٦) الأماكن ويسمون
 مجالس الفجور والفسوق مجالس الطيبة (٧) حتى إن بعضهم
 لما عدل عن شيء من ذلك قال لعاذله: ترك المعاصي
 والتخوف منها إساءة ظن برحمة الله وجرأة (٨) على سعة عفوه
 ومغفرته فانظر ماذا تفعل هذه الكلمة في قلب ممتلىء
 بالشهوات ضعيف العلم والبصيرة.

فصل

السبب الثاني: أن يخرج المعنى الذي يريد إبطاله
 بالتأويل في صورة مستهجنة تنفر عنها القلوب وتنبوعها
 الأسماع فيتخير له من الألفاظ أكرهها وأبعدها وصولاً إلى
 القلوب وأشدّها نفرة عنها فيتوهم السامع أن معناها
 هو الذي دلت عليه تلك الألفاظ. فيسمى التدين ثقالة (٩).

-
- (١) ظ: (اللغمة)، م: (اللغة).
 (٢) ظ، م: (الكفريّة).
 (٣) ظ: (نعمة)، م: (نعمة).
 (٤) ظ، م: (الذي يثير).
 (٥) م: (الغرام).
 (٦) ب: (شرف).
 (٧) ظ، م: (الطبيعة).
 (٨) ظ، م: (وجراً).
 (٩) م: (مقالة).

وعدم الانبساط إلى السفهاء والفساق والبطالين سوء خلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله والحمية لدينه فتنة وشراً وفضولاً فكذلك أهل البدع والضلال من جميع الطوائف (هذا) (١) معظم (٢) ما ينفرون به عن الحق ويدعون به إلى الباطل، فيسمون إثبات صفات الكمال لله تجسيماً وتشبيهاً وتمثيلاً، ويسمون إثبات الوجه واليدين له تركيباً ويسمون إثبات استوائه على عرشه وعلوه على خلقه فوق سمواته تحيزاً وتجسيماً، ويسمون العرش حيزاً وجهة ويسمون الصفات أعراضاً والأفعال حوادث واليدين أبعاضاً والحكم والغايات التي يفعل لأجلها أغراضاً (٣)، فلما وضعوا هذه المعاني الصحيحة الثابتة تلك الألفاظ المستنكرة الشنيعة تم لهم من نفيها وتعطيلها ما أرادوه فقالوا للأغمار (٤) والأغفال: اعلموا أن ربكم منزّه عن الأعراض والأغراض والأبعاض والجهات والتركيب والتجسيم والتشبيه فلم يشك أحد الله في قلبه وقار وعظمة في تنزيهه (٥) الرّبّ تعالى عن ذلك وقد اصطلحوا على تسمية سمعه وبصره وعلمه وقدرته وإرادته وحياته أعراضاً وعلى تسمية وجهه الكريم ويديه المبسوطتين أبعاضاً وعلى تسمية استوائه على عرشه وعلوه على خلقه وأنه فوق عباده تحيزاً وعلى تسمية نزوله إلى سماء الدنيا

(١) لفظ (هذا): سقط من ب.

(٢) ب: (تعظم).

(٣) ظ، م: (أعراضاً).

(٤) انظر: ص ٤٣٧.

(٥) ظ، م: (تنزيهه).

وتكلمه بقدرته ومشيتته إذا شاء وغضبه بعد رضاه ورضاه بعد غضبه حوادث، وعلى تسمية الغاية التي يفعل ويتكلم لأجلها غرضاً، واستقر ذلك في قلوب المتلقين^(١) عنهم فلما صرحوا لهم بنفي ذلك بقي السامع متحيراً أعظم حيرة بين نفي هذه الحقائق التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له جميع رسله وسلف الأمة بعدهم وبين إثباتها. وقد قام معه شاهد نفيها بما تلقاه عنهم فمن الناس من فر إلى التخيل ومنهم من فر إلى التعطيل ومنهم من فر إلى التجهيل ومنهم من فر إلى التمثيل ومنهم من فر إلى الله ورسوله وكشف زيف هذه الألفاظ وبين زخرفها وزغلتها^(٢)^(٣) وأنها ألفاظ مموهة بمنزلة طعام طيب الرائحة في إناء حسن اللون والشكل ولكن الطعام مسموم فقالوا ما قاله إمام أهل السنة باتفاق أهل السنة أحمد بن حنبل: «لا نزيل^(٤) عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين»^(٥)^(٦).

ولما أراد المتأولون المعطلون تمام هذا الغرض اخترعوا

(١) ظ، م: (المبلغين).

(٢) تقول زغل الصائغ الذهب: أي غشه بالنحاس ونحوه والمعاملة الزغل عندهم: المغشوشة.

والمعنى أنها مزخرفة مغشوشة.

محيط المحيط، ص ٣٧٣، مكتبة لبنان، المعجم الوسيط ١/٣٩٦، ط. مجمع اللغة العربية.

(٣) ظ: (زعلها).

(٤) ظ: (لا يزال).

(٥) في هامش ب: (لا تزال صفة عنه تعالى لشناعة المشنعين).

(٦) انظر ابطال التأويلات لأبي يعلى، ص ١٧٥، ١٧٦ من المخطوطة.

لأهل السنة الألقاب القبيحة فسموهم^(١) حشوية ونوابت^(٢) ونواصب ومجبرة ومجسمة ومشبهة ونحو ذلك فتولد^(٣) من^(٤) تسميتهم لصفات الربّ تعالى وأفعاله ووجهه ويديه وحكمته بتلك الأسماء وتلقب من أثبتها له بهذه الألقاب لعنة أهل الإثبات والسنة وتبديعهم وتضليلهم وتكفيرهم وعقوبتهم ولقوا منهم ما لقي الأنبياء وأتباعهم من أعدائهم وهذا الأمر لا يزال في الأرض إلى أن يرثها الله ومن عليها.

فصل

السبب الثالث: أن يعزو المتأول تأويله وبدعته إلى جليل القدر، نبيه الذكر من العقلاء، أو من آل البيت النبوي، أو من حل له في الأمة ثناء جميل ولسان صدق ليحليه بذلك في قلوب الأغمار^(٥) والجهال فإنه من شأن الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم وأن يتلقوه بالقبول والميل إليه وكلما كان ذلك القائل أعظم في نفوسهم كان قبولهم لكلامه أتم حتى إنهم ليقدمونه على كلام الله ورسوله ويقولون: هو أعلم بالله ورسوله منا^(٦). / وبهذه الطريق

[٤٧/١]

(١) ظ: (وسموه)، م: (وسموهم).

(٢) ظ: (ونوابت).

(٣) ظ، م: (فيتولد).

(٤) ب: (من بين تسميتهم).

(٥) انظر: ص ٤٣٧.

(٦) ظ: (شا)، م: (نشا).

توصل الرافضة^(١) والباطنية^(٢) والإسماعيلية^(٣) والنصيرية^(٤)^(٥) إلى تنفيق^(٦) باطلهم وتأويلاتهم حتى أضافوها إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما علموا أن المسلمين متفقون على محبتهم وتعظيمهم

(١) انظر: ص ٢١٦.

(٢) انظر: ص ٣٠٣.

(٣) سمو بذلك نسبة إلى محمد بن إسماعيل عليهما رحمة الله وليسوا على دينه. وقالوا: إنه الذي كتم السر الباطن عندهم الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بكتمه عن الناس إلا عن وصيه علي بن أبي طالب واستكتمه أن لا يخرج منه ذلك إلا إلى من يخلفه من الأئمة المعصومين من ذريته حتى انتهى ذلك إلى محمد بن إسماعيل وأنكروا حقائق اليوم الآخر والجنة والنار وحملوا ذلك على تأويلات اصطلاحوا عليها فقالوا القيامة حدوث الشر. والميزان ميزان الحكمة.. إلى غير ذلك.

البرهان في عقائد أهل الأديان، ص ٤٧، ٤٨، ٥٠؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركون ٨٢/٨١؛ الملل والنحل ٢/٢٧، ٢٨؛ مذاهب الإسلاميين ٨٧/٢، ٤٢٦.

(٤) ب: (البصرية).

(٥) وهم قوم ينسبون إلى محمد بن نصير النميري وكان من أصحاب الحسن العسكري وادعى النبوة ثم ادعى الربوبية كما يسمون النميرية. وهم يزعمون أن الله يجل في علي في بعض الأوقات وفي اليوم الذي قلع علي فيه باب خيبر كان الله قد حل فيه. وهم يعتقدون إباحة المحارم. ويسبون فاطمة بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام بكل قول قبيح. ويقولون: إن خير الناس عبدالرحمن بن ملجم قاتل علي لأنه خلص روح اللاهوت من الجسد والتراب وقد غلبوا على الأردن ومدينة طبرية ولا زالوا في الشام إلى الآن.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركون، ص ٩١، ٩٢؛ المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركون، ص ٩١، ٩٢؛ البرهان، ص ٣٧؛ مذاهب الإسلاميين ٤٢٥/٢ - ٥٠٦.

(٦) انظر: ص ١٤٩. والمعنى: أن أصحاب هذه الطرق توصلوا إلى ترويج باطلهم بهذه الطرق.

وموالاتهم وإجلالهم فانتموا إليهم^(١) وأظهروا من محبتهم وموالاتهم واللهج بذكرهم وذكر مناقبهم ما خيل إلى السامع أنهم أولياؤهم وأولى^(٢) الناس بهم [ثم]^(٣) نَفَقُوا باطلهم وإفكهم بنسبته إليهم. فلا إله إلا الله كم من زندقة وإلحاد وبدعة وضلالة قد نفقت في الوجود بنسبتها إليهم وهم براء منها براءة الأنبياء من التجهم والتعطيل وبراءة المسيح من عبادة الصليب والتثليث^(٤) وبراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم من البدع والضلالات.

وإذا تأملت هذا السبب رأيت أنه هو الغالب على أكثر النفوس وليس معهم سوى إحسان الظن بالقائل بلا برهان من الله ولا حجة قادتهم^(٥) إلى ذلك وهذا ميراث بالتعصب من الذين عارضوا دين الرسل بما كان عليه الآباء والأسلاف فإنهم لحسن ظنهم بهم^(٦) وتعظيمهم لهم آثروا ما^(٧) كانوا عليه على ما جاءتهم به الرسل وكانوا أعظم في صدورهم من أن يخالفوهم ويشهدوا عليهم بالكفر والضلال وإنهم كانوا على الباطل وهذا شأن كل مقلد لمن يعظمه فيما خالف فيه الحق إلى يوم القيامة.

(١) ظ، م: (انتموا لهم).

(٢) ظ، م: (أولياء).

(٣) (ثم): إضافة من ب.

(٤) ظ: (التثليث).

(٥) ظ، م: (قادهم).

(٦) ظ: (به).

(٧) ظ، م: (بما).

فصل

السبب الرابع: أن يكون (ذلك)^(١) التأويل قد قبله ورضيه مبرز في صناعة من الصناعات أو علم من العلوم الدقيقة أو الجليلة فيعلو^(٢) (له)^(٣) بما برز به ذكر في الناس ويشتهر^(٤) له (به)^(٥) صيت فإذا سمع الغمر الجاهل بقوله^(٦) لذلك التأويل وتلك البدعة واختياره له أحسن الظن به وارتضاه مذهباً^(٧) لنفسه ورضى من قبله إماماً له وقال: إنه لم يكن ليختار - مع جودة قريحته وذكائه وصحة ذهنه ومهارته بصناعته وتبريزه فيها على بني جنسه - إلا الأصوب والأفضل من الاعتقادات والأرشد والأمثل من التأويلات وأين يقع اختياري (من اختياره)^(٨) فرضيت لنفسي ما رضيه لنفسه فإن عقله وذهنه وقريحته إنما تدله على الصواب كما دلته على ما خفى عن غيره من صناعته وعلمه.

وهذه الآفة قد هلك^(٩) بها أمم لا يحصيهم إلا الله رأوا الفلاسفة^(١٠) قد برزوا في العلوم الرياضية والطبية واستنبطوا

(١) (ذلك): سقط من ب.

(٢) ظ، م: (فبلغوا).

(٣) (له): سقط من م، وفي ظ: (إليه).

(٤) ظ، م: (ويستمم).

(٥) (به): سقط من م.

(٦) ظ: (بقوله).

(٧) ظ، م: (تنزيهاً).

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) ظ، م: (تملك)، وقال ناسخ م: (لعله تمسك).

(١٠) انظر: ص ١٩١.

بعقولهم وجودة قرائحهم^(١) وصحة أفكارهم ما عجز أكثر الناس عن تعلمه^(٢) فضلاً عن استنباطه فقالوا للعلوم الإلهية والمعارف الربانية^(٣) أسوة بذلك فحالمهم فيها مع الناس كحالمهم في هذه العلوم سواء^(٤)، فلا إله إلا الله كم أهلكت^(٥) هذه البلية من أمة وكم ضربت من دار وكم أزال من نعمة وجلبت من نقمة وجرأت كثيراً من النفوس على تكذيب الرسل واستجهاهم^(٦). وما عرف^(٧) أصحاب هذه الشبهة أن الله سبحانه قد يعطي أجهل الناس به وبأسمائه وصفاته وشرعه^(٨) من الخدق في العلوم الرياضية والصناعات العجيبة ما تعجز عنه عقول [أعلم]^(٩) الناس (به)^(١٠) ومعارفهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنتم أعلم بديناكم»^(١١)

-
- (١) ظ: (فراغهم).
(٢) ظ، م: (الزمانية).
(٤) ظ: (فسو).
(٥) ظ: (هلكت).
(٦) ظ: (واستجهاهم).
(٧) ظ، م: (وما حرفه).
(٨) ظ، م: (وسوعه).
(٩) (اعلم): إضافة من ب.
(١٠)(به): سقط من ب.

(١١) رواه مسلم ٤/١٨٣٦، من طريق أنس رضي الله عنه، في كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل الرأي، ح ١٤١، وفيه: «أنتم أعلم بأمر ديناكم». ورواه ابن ماجه ٢/٨٢٥، من طريق عائشة رضي الله عنها، في كتاب الرهون، باب تلقيح النخل، ح ٢٤٧١ وفيه: «... إن كان شيئاً من أمر ديناكم فشانكم به وإن كان من أمور دينكم فإلي».

وصدق صلوات الله وسلامه عليه فإن العلوم الرياضية
والهندسية [وعلم] ^(١) الأرتماطيقى ^(٢) ^(٣) والموسيقى ^(٤)
والجغرافيا ^(٥) وايرن ^(٦) ^(٧) وهو علم [جر] ^(٨) الأثقال ووزن
المياه وحفر الأنهار وعمارة الحصون وعلم الفلاحة وعلم
الحميات وأجناسها ومعرفة الأبوال ^(٩) وألوانها وصفائها ^(١٠)
وكدرها وما يدل عليه وعلم الشِّعر وبحوره ^(١١) وعلمه

- (١) (وعلم): إضافة من ب.
(٢) علم الأرتماطيقى: هو علم يبحث في خواص الأعداد وما بينها من نسب وعلاقات
عددية وهو قسمان: نظري وعملي وهو المعروف الآن بعلم الحساب.
المعجم الفلسفي، ص ١٢٥؛ مفاتيح العلوم، ص ١٠٨.
(٣) ظ: (الألوررتماطيقى).
(٤) في هامش ب: (بحث العلوم الأرتماطيقى).
(٥) ظ: (الجغاقيا)، م: (الجغاقيا)، ب: (وجغرافيا) ولعل الصواب ما أثبتته.
(٦) ظ، م: (وايون).
(٧) ايرن: ذكره ابن النديم في الفن الثاني من المقالة السابعة في أخبار العلماء وأسماء
ما صنّفوه من الكتب وذكر من كتبه كتاب «شيل الأثقال» وذكر أيضاً من كتبه كتاب
«حل شكوك إقليدس»؛ كتاب العلم بالأسطرلاب؛ كتاب الحيل الروحانية. فأيرن:
أحد العلماء المتقدمين وليس هو علم جر الأثقال كما في نص المخطوطة بل علم شيل
الأثقال أحد مؤلفاته فلعل ذلك تحريف من الناسخ، ولعل العلم سمي باسمه والله
أعلم. الفهرست لابن النديم، ص ٣٧٦؛ وفي نسخة ظ، م: (وايون): وهي السنة
الكبرى عند الرواقين، والقوى الأزلية الصادرة عن مبدأ الموجودات عند الغنوصيين
والأفلوطينيين.
المعجم الفلسفي، ص ٢٩.
(٨) (جر): إضافة من ب.
(٩) ظ، م: (الأنوار).
(١٠) ظ، ب: (وصفاؤها)، م: (وصفاءها) والصواب ما أثبتته.
(١١) ظ، م: (وتجوده).

وزحافه^(١) وعلم الفنيطة^(٢) ونحو ذلك من العلوم هم أعلم بها وأحذق فيها.

وأما العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك فإلى الرسل قال الله تعالى:

﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ﴾

[الروم: ٦، ٧].

قال بعض السلف: يبلغ من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقر^(٣) الدرهم بظفره فيعلم وزنه ولا علم له بشيء من دينه، وقال تعالى في علوم هؤلاء واغترارهم^(٤) بها:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهٖ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

وقد فاوت الله سبحانه بين عباده فيما تناله عقولهم وأذهانهم أعظم تفاوت والعقل يعطي صاحبه فائدته في النوع الذي يلزمه به ويشغله^(٥) به ويقصره عليه ما لا يعطيه في

(١) ظ، م: (ورصافه).

(٢) ظ، م: (العسطة)، ولم أقف لها على معنى فلعلها محرفة.

(٣) ظ: (مفر)، م: (ينقد).

(٤) ظ: (واغترارهم).

(٥) م: (وشغله).

غيره وإن كان غيره أسهل منه بكثير، كما يعطيه همته وقريحته في الصناعة^(١) التي هو معني بها ومقصود^(٢) العناية عليها ما لا يعطيه في صناعة غيرها وكثيراً ما تجرد الرجل قد برز في اللطيف من أبواب العلم والنظر^(٣) وتختلف في^(٤) الجليل منها^(٥) وأصاب الأغمض الأدق منها وأخطأ الأجل الأوضح هذا أمر واقع تحت العيان. فكيف / وعلوم الأنبياء ومعارفهم من وراء طور^(٦) العقل، والعقل وإن لم يستقل بإدراكها فإنه لا يحيلها بل إذا أوردت عليه [أقر]^(٧) بصحتها وبادر إلى^(٨) قبولها وأذعن بالانقياد إليها (وعلم أن نسبة العلوم التي نالها الناس بأفكارهم إليها)^(٩) دون نسبة علوم الصبيان ومعارفهم إلى علوم هؤلاء بما لا يدرك.

[٤٨/١]

فصل

السبب الخامس: [الإغراب على النفوس بما لم تكن عارفة به من المعاني الغريبة]^(١٠) التي إذا ظفر الذهن بإدراكها

-
- (١) ظ: (التعاعة).
(٢) ظ، م: (ومقصودة).
(٣) ظ: (والفطر).
(٤) ظ، م: (عن).
(٥) ظ، م: (فيها).
(٦) ظ، م: (أمور).
(٧) (أقر): إضافة من ب.
(٨) ظ: (ويادراك).
(٩) ما بين القوسين سقط من ب.
(١٠) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

نال لذة من جنس لذة الظفر بالصيد الوحشي الذي لم يكن يطمع فيه، وهذا شأن النفوس فإنها موكلة بكل غريب تستحسنه وتؤثره وتنافس فيه حتى إذا كثرت ورخص وناله المثرى^(١) والمقل زهدت فيه مع كونه أنفع لها وخيراً لها ولكن لرخصه وكثرة الشركاء فيه وتطلب ما تتميز^(٢) به عن غيرها للذة التفرد والاختصاص، ثم اختاروا لتلك المعاني الغربية ألفاظاً أغرب منها وألقوها في مسامع الناس وقالوا: إن المعارف العقلية والعلوم اليقينية تحتها^(٣) فتحركت النفوس لطلب فهم تلك الألفاظ الغريبة وإدراك تلك المعاني وانفق أن صادفت قلوباً خالية من حقائق الإيمان وما بعث الله به رسوله^(٤) فتمكنت منها فعز على أطباء الأديان استنقاذها منها وقد تحكمت فيها كما قيل:

تالله^(٥) ما أسرى الهوى من وامق^(٦)

إلا وَعَزَّ على الورى استنقاذه

ولما^(٧) كان الاستغراب وقَبُولُ النفس لكل غريب

[لهج]^(٨) الناس^(٩) بالأخبار الغريبة وعجائب المخلوقات

(١) ظ: (المروي).

(٢) ظ، م: (مهر) وقال ناسخ م: (لعله عده).

(٣) ظ، م: (عنها).

(٤) ظ: (ورسوله).

(٥) ظ، م: (بالله).

(٦) ظ، م: (رامق)، ب: (واثق) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٧) ظ، م: (ويمكان).

(٨) (لهج): إضافة من ب.

(٩) قال ناسخ م: (لعله أنست).

والألغاز والأحاجي [والصور الغريبة] (١) وإن كانت المألوفة
أعجب منها وأحسن وأتم خلقة.

فصل

السبب السادس: تقديم مقدمات قبل التأويل تكون
كالأطناب والأوتاد لفسطاطه (٢) فمنها ذم أصحاب الظواهر
وعيبهم والإزراء بهم وأنهم قوم جهال لا عقول (٣) لهم
وإنما هم أصحاب ظواهر سمعية وينقلون (٤) من مثالبهم
وبلهم ما بعضه [صدق] (٥) وأكثره كذب كما يحكى أن
بعضهم سئل عن قوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

هل هو حقيقة أو مجاز قال: لا حقيقة ولا مجاز فقال له:
جزاك الله عن ظاهريتك خيراً، وأمثال هذا ويحكون عنهم
إنكار أدلة العقول (٦) والبحث والنظر وجدال أهل الباطل،
والنفوس طالبة للنظر والبحث والتعقل.

ومنها قولهم: إن الخطاب بالمجاز والاستعارة أعذب (٧)

(١) (والصور الغريبة): إضافة من ب.

(٢) ظ: (لنسطاعه) والفسطاط: البيت من الشعر.

لسان العرب ٣٤١٣/٥، مادة فسط.

(٣) ب: (لا معقول).

(٤) ظ: (ويفعلون).

(٥) (صدق): إضافة من ب.

(٦) ب: (المعقول).

(٧) ظ: (أعذق)، م: (أعرق).

وأوفق وألطف. وقد قال بعض أئمة النحاة: «أكثر اللغة [مجازاً]»^(١) فإذا كان أكثر اللغة^(٢) مجازاً سهل على النفوس أنواع التأويلات فقل ما شئت وأوّل ما شئت وأنزل عن الحقيقة ولا يضرك أي^(٣) مجاز^(٤) ركبتة.

ومنها قولهم: إن أدلة القرآن والسنة أدلة لفظية وهي لا تفيد^(٥) علماً ولا يقيناً^(٦) والعلم إنما يستفاد من أدلة المعقول^(٧) وقواعد المنطق.

ومنها قولهم: إذا تعارض العقل والنقل قَدّم العقل على النقل. فهذه المقدمات ونحوها هي أساس التأويل فإذا انضمت هذه الأسباب بعضها إلى بعض وتقاربت فيا محنة القرآن والسنة و[قد]^(٨) سلكا في قلوب قد تمكنت منها هذه الأسباب فهنالك التأويل والتحريف والتبديل والإضمار والإجمال.

(١) القائل هو: أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه الخصائص ٤٤٧/٢، في باب في: أن المجاز إذ أكثر لحق بالحقيقة حيث قال: «اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة... الخ وقد رد عليه ابن القيم وعلى غيره في الطاغوت الثالث وهو طاغوت المجاز في الجزء الثاني من هذا الكتاب انظر: مختصر الصواعق المرسله ٧٦/٢ وما بعدها.

(٢) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٣) ظ: (أن).

(٤) ظ، م: (مجازاً).

(٥) ظ: (لا يقصد).

(٦) ظ: (نفساً).

(٧) ظ، م: (العقول).

(٨) (قد): إضافة من ب.

الفصل العشرون

في بيان أن أهل التأويل لا يمكنهم إقامة
الدليل السمعي على مبطل أبداً^(١)

هذا من أعظم آفات التأويل وجنائته على الإسلام أنه
يبطل حجج الله [على المبطلين على السنة المتأولين وإلا
فلا تبطل حجج الله]^(٢) وبيناته^(٣) أبداً.

من المعلوم^(٤) أن كل مبطل أنكر على خصمه شيئاً
من^(٥) الباطل قد شاركه في بعضه أو في نظيره فإنه لا يتمكن
من دحض حجته وكسر باطله لأن خصمه تسلط عليه
بمثل^(٦) ما سلط^(٧) هو به عليه، وهذا شأن^(٨) أهل الأهواء مع
بعضهم بعضاً. ولهذا كان عامة ما يأتون به أبداً يناقض

(١) في هامش ب: (لا يمكن أهل التأويل إقامة دليل سمعي على مبطل أبداً).

(٢) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٣) ظ، م: (وتبيناه).

(٤) ظ، م: (العلوم).

(٥) ظ: (ساس)، م: (أساس).

(٦) ظ، م: (على) بدل (بمثل).

(٧) ب: (تسلط).

(٨) ظ، م: (وهو المارة).

بعضهم بعضاً ويكسر^(١) أقوال بعضهم ببعض وفي هذا
منفعة جليلة لطالب الحق فإنه يكتفي^(٢) بإبطال كل فرقة
لقول الفرقة الأخرى فيقول: إذا احتج^(٣) المؤول بحجة
سمعية على مبطل أمكن خضمه أن يقول له: أنا^(٤) أتأول
هذه الحجة كما تأولت أنت كيت وكيت.

ذكر بعض الأمثلة
على ذلك

مثاله: أن يحتج مَنْ يتأول الصفات الخبرية^(٥) وآيات
الفوقية والعلو على من ينكر ثبوت صفة السمع والبصر
والعلم بالآيات والأحاديث الدالة على ثبوتها. فيقول له
خصمه: هذه عندي مؤولة^(٦) كما أوَّلْتَ أنت نصوص
الاستواء والفوقية والوجه واليدين والنزول والضحك والفرح
والغضب والرضا ونحوها فما الذي جعلك أولى بالصواب
في^(٧) تأويلك مني؟ فلا يذكر سبباً^(٨) [حملة]^(٩) على التأويل
إلا أتاه^(١٠) خصمه بسبب من جنسه أو أقوى منه أو دونه
يحملة على التأويل.

وإذا استدل المتأول على منكري المعاد وحشر الأجساد

المثال الثاني

-
- (١) ظ، م، ب: (وكسر) ولعل الصواب ما أثبت.
 - (٢) ظ: (ملتقي).
 - (٣) ظ: (جنح).
 - (٤) ظ: (أما).
 - (٥) ظ: (الحرية).
 - (٦) ظ: (تأوله).
 - (٧) ظ، م: (من).
 - (٨) ظ، م: (شيئاً).
 - (٩) (حملة): إضافة من ب.
 - (١٠) م: (أماه)، وقال ناسخ م: لعله (اتده) (كذا)!

بنصوص الوحي أبدوا لها تأويلات تخالف ظاهرها وحقائقها وقالوا لمن استدل بها عليهم تأويلنا لهذه الظواهر كتأويلك لنصوص الصفات و لا سيما أنها^(١) أكثر^(٢) وأصرح فإذا تطرق^(٣) التأويل إليها فهو إلى / ما دونها أقرب تطرقاً.

[٤٩/١]

وإذا استدل على الرافضة^(٤) بالنصوص الدالة على فضل الشيخين وسائر الصحابة تأولوها^(٥) بما هو من جنس تأويل^(٦) الجهمي^(٧) [لآيات الصفات وقد تكون تأويلاتهم في كثير من المواضع أقوى من تأويلات الجهمي]^(٨) كما تكون مثلها ودونها^(٩).

المثال الثالث

وإذا احتج^(١٠) الجهمي على الخارجي بالنصوص الدالة على إيمان مرتكب الكبائر، وأنه لا يكفر ولا يخلد في النار، واحتج بها على الوعيدية^(١١) القائلين بنفوذ الوعيد والتخليد قالوا: هذه متأولة.

المثال الرابع

(١) ظ، م، ب: (فإنها) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (أكبر).

(٣) ظ: (بطريق).

(٤) انظر: ص ٢١٦.

(٥) ظ، م: (تأولها).

(٦) ظ، م: (تأويلات).

(٧) م: (الجهم).

(٨) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٩) م: (أو دونها).

(١٠) ظ: (فتح).

(١١) هم القائلون بإفناذ الوعيد لأن الله توعد العاصين بالعقاب والله لا يخلف الميعاد.

وقالوا: إن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب فهو خالد مخلد في النار، ومن قال بهذا =

وتأويله أقرب من تأويل نصوص الصفات .

وإذا احتج على المرجئة^(١) بالنصوص الدالة على أن المثال الخامس الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص قالوا: هذه النصوص قابلة للتأويل كما قبلته نصوص الاستواء والفوقية والصفات الخبرية فعمل^(٢) فيها ما عملتم أنتم في تلك النصوص، والقواعد التي حملتمكم على تأويلها عندنا قواعد حملتنا على تأويل هذه الظواهر.

وإذا احتج أهل الجبر^(٣) على أهل القدر^(٤) بالنصوص الدالة على أن [أفعال]^(٥) العباد مخلوقة لله واقعة بقدرته ومشيتته^(٦) تأولوها بنظير^(٧) ما تأول به خصومهم النصوص الدالة على أنها أفعال للعباد حقيقة وأنها واقعة بقدرتهم^(٨) ومشيتتهم . وكذلك خصومهم معهم بهذه المثابة .

= الخوارج والمعتزلة والفرق بينهما في ذلك أن الخوارج يقولون: إن الذين يموتون على الكبائر ممن يتسبب إلى الإسلام يعذبون عذاب الكافرين، وقالت المعتزلة: إن عذابهم ليس كعذاب الكافرين . كما أنكروا الشفاعة .
أصول الدين، ص ٢٤٢، ٢٤٤؛ الملل والنحل ١/١٥٥؛ مذاهب الإسلاميين ٢٠٤/١ .

(١) انظر: ص ٢٣١ .

(٢) ظ: (فيحمل)، م: (فيعمل) .

(٣) انظر: ص ٢٣٢ .

(٤) انظر: ص ٢١٩ .

(٥) (أفعال): إضافة من م، وفي ب: (أعمال) .

(٦) ظ: (ومنيته) .

(٧) ظ، م: (قالوها سطر) .

(٨) ب: (بقدرهم) .

وإذا احتج من أثبت الرؤية في الآخرة من أهل التأويل على من نفاها قال له: أتأول هذه الظواهر بما تأولت^(١) به أنت آيات الصفات الخبرية وأحاديثها.

وإذا احتج مَنْ أثبت العلم بجميع المعلومات جزئياتها وكلياتها لله من أهل التأويلات بالنصوص الدالة على ذلك قال له المنكر: ليست هذه النصوص بأكثر من نصوص الفوقية والعلو واستواء الرَّب على عرشه ونزول الأمر من عنده وعروج الملائكة إليه فإذا كانت تلك مؤولة عندك على كثرتها وتضافرها فهذه^(٢) أولى بقبول التأويل.

فقد بان أنه (لا)^(٣) يمكن أهل التأويل أن يقيموا على مبطل^(٤) حجة من كتاب ولا سنة فحينئذ فيترك^(٥) الاستدلال بالكتاب والسنة على كل مبطل ولم يبق إلا تصادم الآراء ونتائج الأفكار. لا سيما وقد أعطى الجهمي من نفسه أن أكثر اللغة مجاز^(٦) وأن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، وأن العقل إذا^(٧) عارض السمع وجب تقديم العقل، والإعراض عن السمع وإهداره. ثم إما أن^(٨) يشتغل بتأويله:

(١) ب: (ولت).

(٢) ب: (فهذا).

(٣) (لا): سقط من ب.

(٤) ظ: (مبطلاً).

(٥) ب: (فترك).

(٦) ظ، م: (مجازاً).

(٧) ب: (إذ).

(٨) ب: (إن ما).

وهي طريقة الخلف العالمين، أو يفوضه ولا يحتاج به، وهي طريقة السلف السالمين فكيف يقوم بعد هذا حجة من كتاب أو سنة على مبطل من العالمين.

ولهذا كان فتح باب التأويل على النصوص يتضمن عيبيها^(١) والطعن فيها وعزلها عن سلطانها، وولاية الآراء الباطلة والشبه^(٢) الفاسدة.

بل نقول: إنه لا يمكن أرباب التأويل أن يقيموا على مبطل حجة عقلية أبداً وهذا أعجب من الأول وبيانه: أن الحجج السمعية مطابقة للمعقول، والسمع الصحيح لا ينفك عن العقل الصريح بل هما أخوان نصيران وصل^(٣) الله بينهما وقرن أحدهما بصاحبه فقال تعالى:

بيان أن أهل التأويل لا يمكنهم إقامة الدليل العقلي على مبطل أبداً

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا^(٤) إِنْ مَكَّنَّاكُمْ^(*) فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

فذكر ما ينال به العلوم وهي السمع والبصر والفؤاد الذي هو محل العقل. وقال تعالى:

-
- (١) ظ: (عنها).
(٢) ظ، م: (المسبة)، ب: (المشيئة) ولعل الصواب ما أثبت.
(٣) ظ، م: (وكل).
(٤) ظ: (في ماء)، م، ب: (فيما أن).
(٥) ما بين النجمتين من ص ٤٥٧ حتى ٤٦٠ (* — *) : إضافة من ب.

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠].

فأخبروا أنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل^(١).
وقال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٦٧].

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

وقال:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

[محمد: ٢٤].

فدعاهم إلى استماعه بأسماعهم وتدبره بعقولهم. ومثله
قوله:

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ

شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

فجمع سبحانه بين السمع والعقل وأقام بهما حجته على عباده فلا ينفك أحدهما عن صاحبه أصلاً فالكتاب المنزل والعقل المدرك حجة الله على خلقه. وكتابه هو الحجة العظمى فهو الذي عرفنا ما لم يكن لعقولنا سبيل إلى

(١) في هامش ب: (لا ينفك العقل عن النقل).

استقلالها بإدراكه أبداً فليس لأحد عنه مذهب ولا إلى غيره
مفزع في مجهول يعلمه ومشكل يستبينه وملتبس يوضحه فمن
ذهب عنه فإليه يرجع، ومن دفع حكمه فبه يحاج خصيمه
إذ كان بالحقيقة هو المرشد إلى الطرق العقلية والمعارف
اليقينية التي بالعباد إليها أعظم حاجة فمن رد من مدعي
البحث والنظر حكومته ودفع قضيته فقد كابر وعاند ولم يكن
لأحد سبيل إلى إفهامه ولا محاجته ولا تقرير الصواب عنده
وليس لأحد أن يقول: إني غير راض بحكمه بل بحكم
العقل فإنه متى رد حكمه فقد رد حكم العقل الصريح وعاند
الكتاب والعقل.

والذين زعموا من قاصري العقل والسمع أن العقل
يجب تقديمه على السمع عند تعارضهما إنما أتوا من جهلهم
بحكم العقل ومقتضى السمع فظنوا ما ليس بمعقول معقولاً
وهو في الحقيقة شبهات توهم أنه عقل صريح وليست
كذلك، أو من جهلهم بالسمع إمانستهم إلى الرسول
ما لم يرده بقوله وإما لعدم تفريقهم بين ما لا يدرك بالعقول
وبين ما تدرك استحالته بالعقول، فهذه أربعة أمور أوجبت
لهم ظن التعارض بين السمع والعقل.

أحدها: كون القضية ليست من قضايا العقول.

الثاني: كون ذلك السمع ليس من السمع الصحيح
المقبول.

الثالث: عدم فهم مراد المتكلم به.

الرابع: عدم التمييز بين ما يحيله العقل وما لا يدركه.

والله سبحانه حاج عباده على ألسن رسله وأنبيائه
 فيما أراد تقريرهم به وإلزامهم إياه بأقرب الطرق إلى العقل
 وأسهلها تناولاً وأقلها تكلفاً وأعظمها غناء ونفعاً وأجلها ثمرة
 وفائدة فحججه سبحانه العقلية التي بينها في كتابه جمعت بين
 كونها عقلية سمعية ظاهرة، واضحة، قليلة المقدمات، سهلة
 الفهم، قريبة التناول، قاطعة للشكوك^(١)، والشبه، ملزمة
 للمعانيد والجاحد ولهذا كانت المعارف التي استنبطت منها في
 القلوب أرسخ ولعموم الخلق أنفع.

بيان أن القرآن جمع
 بين الدليل السمعي
 والدليل العقلي

وإذا تتبع المتبع ما في كتاب الله مما حاج به عباده في
 إقامة التوحيد وإثبات الصفات وإثبات الرسالة والنبوة
 وإثبات المعاد وحشر الأجساد وطرق إثبات علمه بكل خفي
 وظاهر وعموم قدرته ومشيتته^(٢) وتفردته بالملك والتدبير وأنه
 لا يستحق العبادة سواه وجد الأمر في ذلك على ما ذكرناه من
 تصرف^(٣)*] المخاطبة منه سبحانه في ذلك على أجل وجوه
 الحجاج وأسبقها إلى القلوب وأعظمها ملاءمة للعقول
 وأبعدها من الشكوك والشبه في أوجز لفظ وأبينه^(٤) وأعذبه
 وأحسنه وأرشقه^(٥) وأدله على المراد وذلك مثل قوله تعالى
 فيما حاج به عباده من إقامة التوحيد وبطلان الشرك وقطع
 أسبابه وحسم مواده كلها:

ذكر بعض الأمثلة
 على ذلك

المثال الأول: في
 التوحيد

(١) ب: (الشكوك)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ب: (ومشيتته)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ما بين النجمتين (* — *): إضافة من ب.

(٤) ظ: (ابته).

(٥) ظ: (وارسنه).

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لُهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾
 [سبأ: ٢٢، ٢٣].

فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع^(١) الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود — لما يرجو من نفعه — وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه [به]^(٢) وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينفع بها عابده أو شريكاً للملكها أو ظهيراً أو وزيراً ومعاوناً^(٣) [له]^(٤) أو وجهياً ذا حرمة وقدر يشفع عنده فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت؛ انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك^(٥) مثقال ذرة في السموات والأرض فقد يقول المشرك: هي شريكة للملك الحق فنفى شركتها^(٦) له فيقول المشرك^(٧) قد تكون ظهيراً ووزيراً ومعاوناً^(٨) فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾

(١) ظ، م: (مجامع).

(٢) (به): إضافة من ب.

(٣) م: (أو معاوناً)، ب: (أو ظهيراً ووزيراً ومعاوناً).

(٤) (له): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (ملك).

(٦) ظ، م: (شريكها)، وقال ناسخ م: (لعله شركها).

(٧) ظ: (فتقول الشرك)، م: (فتقول الشريك).

(٨) ظ، ب: (ومعاونين)، م: (أو معاوناً)، ولعل الصواب ما أثبتته.

فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فهو الذي يأذن للشافع فإن^(١) لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه كما يكون في^(٢) حق المخلوقين فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وإن لم يأذن له فيها.

وأما مَنْ كل ما سواه فقير إليه بذاته وهو الغني بذاته عن كل ما سواه فكيف يشفع عنده / أحد بدون إذنه.

[٥٠/١]

وكذلك قوله سبحانه مقررًا لبرهان^(٣) التوحيد أحسن تقرير^(٤) وأوجزه وأبلغه:

المثال الثاني: في التوحيد.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَيَّ الْعَرْشَ سَبِيلًا﴾

[الإسراء: ٤٢].

فإن الآلهة التي كانوا يشبتونها معه سبحانه كانوا يعترفون بأنها عبوده ومماليكه ومحتاجة إليه فلو كانوا آلهة كما يقولون لعبدوه وتقربوا^(٥) إليه وحده دون غيره فكيف يعبدونهم من دونه وقد أفصح سبحانه بهذا يعينه في قوله:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ

وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

(١) ظ، م: (وإن).

(٢) ظ، م: (باحق).

(٣) م: (برهان).

(٤) ظ: (تقريراً).

(٥) ظ: (يعبدون لعربو)، م: (يعبدون لقربوا).

أي هؤلاء الذين يعبدونهم من دوني هم عبيدي كما أنتم
عبيدي يرجون رحمتي ويخافون عذابي كما ترجون أنتم رحمتي
وتخافوني عذابي فلماذا تعبدونهم من دوني؟ .

وقال تعالى:

المثال الثالث: في
التوحيد.

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ
بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾

[المؤمنون: ٩١].

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيه [البين] (١)
فإن الإله (٢) الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى
عباده (٣) النفع ويدفع عنه الضرر، فلو كان معه سبحانه
إله (٤) لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله
الآخر (٥) معه بل إن قَدَرَ على قهره وتفرد به بالإلهية دونه
فعل (٦) وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به
كما انفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضاً بممالكهم (٧).

إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد
من أحد أمور ثلاثة:

(١) (البين): إضافة من ب.

(٢) ظ: (فإن إله)، م: (كان إله)، وقال في م: لعله (لان اله).

(٣) م: (عباده).

(٤) م: (الهة).

(٥) ظ، م: (الامر).

(٦) ظ: (فعل).

(٧) ظ، م: (بممالكهم).

إمّا أن يذهب كُلُّ إلهٍ بخلقه وسلطانَه .

وإمّا أن يعلو بعضهم على بعض .

وإمّا أن يكون كلهم [تحت] ^(١) قهر إله واحد ومَلِكٍ واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ويمتنع من حكمهم [عليه] ^(٢) ولا يمتنعون من حكمه عليهم فيكون وحده هو الإله [الحق] ^(٣) وهم العبيد المربوبون المقهورون .

وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم ^(٤) لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره ^(٥) واحد لا إله غيره كما دل ^(٦) دليل التمانع على أن ^(٧) خالقه واحد لا رَبَّ له غيره فذاك تمنع في الفعل والإيجاد وهذا تمنع في ^(٨) العبادة ^(٩) والإلهية فكما يستحيل أن يكون للعالم رَبَّانٍ ^(١٠) خالقان متكافئان ^(١١)، يستحيل أن يكون له إلهان معبودان .

(١) [تحت]: إضافة من ب .

(٢) [عليه]: إضافة من ب .

(٣) [الحق]: إضافة من ب .

(٤) ظ، م: (يحكم).

(٥) ظ: (تدبره)؛ م: (تدبيره).

(٦) ب: (يدل).

(٧) ظ، م: (إنه).

(٨) ظ، م: (من).

(٩) ظ، م، ب: (الغاية)، ولعل الصواب ما أثبت.

(١٠) ظ: (ربين).

(١١) ظ، ب: (خالقين متكافئين).

ومن ذلك قوله تعالى :

المثال الرابع : في التوحيد .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[لقمان : ١١] .

فإنه ما أحلى هذا اللفظ وأوجزه وأدله على بطلان الشرك فإنهم إن زعموا أن آلهتهم خلقت شيئاً مع الله طولبوا بأن يروه (١) إياه وإن اعترفوا بأنها أعجز وأضعف وأقل من ذلك كانت آلهيتها (٢) باطلاً ومحالاً .

ومن ذلك قوله تعالى :

المثال الخامس : في التوحيد .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف : ٤] .

فطالبهم بالدليل العقلي والسمعي (٣) .

وقال تعالى :

المثال السادس : في التوحيد .

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَتَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشْبِهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴾ [الرعد : ١٦] .

(١) ظ ، م : (يراه) .

(٢) ظ ، م : (التهتها) .

(٣) ظ ، م : (والسمع) .

فاحتج على تفرده بالإلهية بتفرده^(١) بالخلق، وعلى بطلان إلهية ما سواه بعجزهم عن الخلق وعلى أنه واحد بأنه قهار والقهر التام يستلزم الوحدة فإن الشركة^(٢) تنافي تمام القهر.

وقال تعالى:

المثال السابع: في

التوحيد.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُۥٓ اِنَّ الَّذِيْنَ
تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوْا ذِكْرًا وَّلَوْ اَجْتَمَعُوْا لَهُۥٓ وَاِنْ يَسْئَلُوْهُمْ
الذُّكْرَ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوْبِ *
مَا قَدَرُوْا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ اِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ﴾

[الحج: ٧٣، ٧٤].

فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه فمن^(٣) لم يستمعه فقد عصى أمره كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها، وأسجل^(٤)^(٥) على جميع آلهة المشركين أنهم

(١) ظ، م: (كتفرده).

(٢) ب: (الشركت).

(٣) ظ: (فين).

(٤) ظ: (واسجل)، م: (وسجل).

(٥) أسجل: سجل الشيء سجلاً أرسله متصلاً يقال سجل الماء أي صبه صباً متصلاً.

وأسجل فلان كثر خيره وأسجل النبي أرسله وأسجلت الكلام أرسلته والمعنى والله أعلم أنه أسجل عليهم إسجلاً عاماً شاملاً بهذا الكلام كما يغطي الماء المسجل الأرض التي حوله.

لسان العرب ٣/١٩٤٦، مادة سجل؛ المعجم الوسيط ١/٤١٩، مادة سجل؛ معجم مقاييس اللغة ٣/١٣٦ مادة «سجل».

لواجتمعوا كلهم في صعيد واحد وساعد بعضهم بعضاً
وعاونه بأبلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذباب واحد ثم بين^(١)
ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين
يسقط عليهم فأى إله^(٢) أضعف من هذا الإله المطلوب ومن
عابده الطالب نفعه وخيره^(٣) فهل قدر القوي العزيز حق
قدره من أشرك معه آلهة هذا شأنها.

فأقام سبحانه حجة التوحيد وبين إفك^(٤) أهل الشرك
والإلحاد بأعذب ألفاظ وأحسنها لم يستكرهها غموض
ولم يشنها تطويل ولم يعبها تقصير^(٥)، ولم تزر بها زيادة
ولا نقص بل بلغت في الحسن والفصاحة والبيان والإيجاز
ما لا يتوهم متوهم ولا يظن ظان أن يكون أبلغ في معناها
منها، وتحتها من المعنى الجليل القدر، العظيم الشرف، البالغ في
النفع ما هو أجل من الألفاظ.

ومن ذلك احتجاجه سبحانه على نبوة رسوله
وصحة / ما جاء به من الكتاب وأنه من عنده وكلامه الذي

[٥١/١]

المثال الثامن: في
النبوة والقرآن.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

(١) ظ، م: (تبيين).

(٢) ظ: (فأي إله من)؛ ب: (فأي شيء).

(٣) ظ، م: (وحده).

(٤) ظ، م: (أولى).

(٥) ظ، م: (تعقيد).

فأمر من (١) ارتاب في هذا القرآن الذي نزله [على] (٢) عبده وأنه كلامه أن يأتي بسورة واحدة مثله وهذا يتناول أقصر (٣) سورة من سوره ثم فسح له إن عجز عن ذلك أن يستعين بمن أمكنه الاستعانة (٤) به من المخلوقين .

وقال تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس : ٣٨] .

وقال :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ (فَأْتُوا) (٥) بَعْشِرِ سُورٍ مِثْلِهِ ۚ مَفْتَرِيَتْ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود : ١٣] .

وقال :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور : ٣٣ - ٣٤] .

ثم أسجل (٦) [سبحانه] (٧) عليهم إسجالاتاً عاماً في

(١) ظ ، م : (من ان) .

(٢) (على) : إضافة من م ، ب .

(٣) ب : (أقصى) .

(٤) ظ ، م : (لاستعماله) .

(٥) (فأتوا) : سقط من ظ .

(٦) سبق ، انظر ص ٣٦٨ .

(٧) (سبحانه) : إضافة من ب .

[كل] (١) زمان ومكان بعجزهم عن ذلك ولوتظاهر عليه الثقلان فقال:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

فانظر أي موقع يقع من الأسماع والقلوب هذا الحجاج القاطع الجليل الواضح الذي لا يجد (٢) طالب الحق ومؤثره ومريده عنه (٣) محيداً ولا فوقه مزيداً ولا وراءه غاية ولا أظهر منه آية ولا أصح [منه] (٤) برهاناً ولا أبلغ منه بياناً.

وقال في إثبات نبوة رسوله باعتبار التأمل (٥) لأحواله وتأمل دعوته وما جاء به:

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمُ الْمُنْكَرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٨ - ٧٠].

فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول. وتأمل حال القائل فإن كون القول للشيء كذباً وزوراً يعلم من نفس القول تارة وتناقضه واضطرابه (وظهور شواهد الكذب عليه

(١) (كل): إضافة من ب.

(٢) ب: (لا يجده).

(٣) ب: (ويؤثره ويريده وليس عنه).

(٤) (منه): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (التأمل).

(٦) ظ: (يدبر).

فالكذب باد^(١) على صفحاته وباد^(٢) على^(٣) ظاهره وباطنه ويعرف من حال القائل تارة فإن المعروف بالكذب والفجور والمكر والخداع لا تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله ولا يتأتى منه من القول والفعل^(٤) ما يتأتى من البار الصادق المبرأ من كل فاحشة وغدر وكذب وفجور. بل قلب^(٥) هذا وقصده وقوله وعمله يشبه^(٦) بعضه بعضاً. وقلب ذلك وقوله وعمله وقصده يشبه^(٦) بعضه بعضاً فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول وتأمل سيرة القائل وأحواله وحينئذ تتبين لهم حقيقة الأمر وأن ما جاء به في^(٧) أعلى مراتب الصدق.

وقال تعالى :

المثال العاشر: في
النبوة.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ

فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

فتأمل هاتين الحجيتين القاطعتين تحت هذا اللفظ الوجيز

إحداهما أن هذا من الله لا من قبلي ولا هو مقدور^(٨) لي

ولا من جنس مقدور البشر وأن الله سبحانه (وتعالى)^(٩)

(١) ظ : (باده).

(٢) ظ : (مباد).

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) ظ : كرر لفظ (والفعل).

(٥) ظ : (قلت).

(٦) ظ : (نسبة).

(٧) ظ ، م : (من).

(٨) ظ : (معذور).

(٩) (تعالى) : سقط من ب.

لو شاء لأمسك عنه قلبي ولساني وأسماعكم وأفهامكم
فلم أتمكن من تلاوته عليكم ولم تتمكنوا من درايته وفهمه .

الحجة الثانية : أني^(١) قد لبثت فيكم عمري^(٢) إلى حين
أتيتكم به وأنتم تشاهدوني وتعرفون حالي وتصحبوني^(٣)
حضرًا وسفرًا وتعرفون دقيق أمري وجليله وتحققون سيرتي
هل كانت سيرة من هو من أكذب الخلق، وأفجرهم
وأظلمهم فإنه لا أكذب ولا أظلم ولا أقبح سيرة ممن جاهر
ربه وخالفه بالكذب والفرية عليه وطلب إفساد العالم^(٤)
وظلم النفوس والبغي في الأرض بغير الحق .

هذا وأنتم تعلمون أني لم أكن أقرأ كتاباً ولا أخطه بيمينني
ولا صاحبت من أتعلم منه بل صحبتكم أنتم في أسفاركم
لمن تتعلمون منه وتسالونه عن أخبار الأمم والملوك وغيرها
ما لم أشاركم^(٥) فيه بوجه . ثم جئتكم بهذا النبأ^(٦) العظيم
الذي فيه علم الأولين والآخرين وعلم ما كان و[ما]^(٧)
سيكون على التفصيل .

(١) ظ : (أي) .

(٢) م : (عمرا) .

(٣) ظ : (وتصحبواني) .

(٤) ب : (العلم) .

(٥) ظ : (اسارلكم) .

(٦) م : (الشان) .

(٧) (ما) : إضافة من ب .

فأي برهان أوضح من هذا وأي عبارة أفصح^(١) وأوجز
من هذه العبارة المتضمنة له .

وقال تعالى :

المثال الحادي عشر :
في النبوة .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرْدَى ثُمَّ
تُنْفَكُّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْذِرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ
شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] .

ولما كان للإنسان^(٢) الذي يطلب معرفة الحق والصواب
حالتان^(٣) :

أحدهما : أن يكون ناظراً مع نفسه .
والثانية : أن يكون مناظراً لغيره^(٤) .

أمرهم بخصلة واحدة وهي أن يقوموا لله إثنين إثنين
فيتناظران ويتساءلان بينهما، وواحدًا واحدًا يقوم^(٥) كل واحد
مع نفسه فيتفكر في أمر هذا الداعي وما يدعو إليه ويستدعي
أدلة الصدق والكذب ويعرض ما جاء به عليها ليتبين^(٦) له
حقيقة الحال .

فهذا هو الحجاج الجليل والإنصاف البين والنصح
التام .

(١) ظ : (انصح) ؛ م : (اصح) .

(٢) ظ : (الإنسان) .

(٣) ظ ، ب : (حالتين) .

(٤) ظ ، م : (لمعرفة) .

(٥) م : (يقول) .

(٦) ظ : (لتبين) .

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾
 ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

المثال الثاني عشر: في
البعث.

[يس: ٧٨، ٧٩] إلى آخر السورة.

فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو يمثّلها في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز والاختصار ووضوح الدلالة وصحة البرهان لألفى نفسه ظاهر العجز منقطع الطمع يستحي^(١) الناس من ذلك.

فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده الملحد اقتضى جواباً فكان في قوله سبحانه: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ما وفي بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة لولا ما أراد سبحانه من تأكيد حجته وزيادة تقريرها وذلك أنه سبحانه أخبر أن هذا الملحد السائل عن هذه المسألة لو لم ينس^(٢) خلق نفسه وبدأ كونه^(٣) وذكر خلقه لكانت فكرته فيه كافية في جوابه مسكّنة له عن هذا السؤال، ثم أوضح سبحانه ما تضمنه قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ وصرح به جواباً له عن مسألته فقال:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

(١) ظ، م، ب: (يستحكم)؛ وقال في م: (لعله: يستحي).

(٢) ظ: (سين).

(٣) ظ، م: (وتذاكر به).

فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة
الأخرى إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه
قدر على هذه [وأنه^(١)] لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن
الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه
بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله:

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

فهو عليم بالخلق الأول وتفصيله وجزئياته ومواده
وصورته وعلله الأربع^(٣).

وكذلك هو عليم بالخلق الثاني وتفصيله ومواده وكيفية
إنشائه، فإن كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن
يحيي العظام وهي رميم، ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان

(١) وإنه: إضافة من ب.

(٢) ظ، م: (شيء) وهو غلط.

(٣) وعلله الأربع: العلل الأربع هي: (الفاعلة والمادية والصورية والغائية) فالفاعلة
كالنجار الذي يصنع الكرسي.

والمادية هي الخشب أو الحديد الذي يصنع منه.

والصورية: وهي الهيئة التي يتم عليها شكله.

والغائية: هي الجلوس عليه وهذه هي العلل الأربع عند أرسطو ومنها أخذت العلة
الأولى وعللة العلل وتطلق - عندهم - على الله وحده.

وعند المحدثين تطلق العلة على العلة الفاعلة وتسمى السبب وهي ما يترتب عليه سبب
عقلاً أو واقعاً وهذا هو المعنى السائد اليوم.

المعجم الفلسفي، ص ١٢٢، ١٢٣؛ تهافت التهافت لابن رشد ٤٣١/٢، دار
المعارف.

ظاهر يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول:
 (العظام)^(١) إذا صارت رمياً عادت طبيعتها باردة يابسة
 والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعته^(٢) حارة [رطوبة
 لتقبل صورة الحياة فتولى سبحانه جواب هذا السؤال]^(٣)
 بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً فقال:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ
 تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية
 الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة
 والبرودة فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد
 المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي^(٤) عليه هو الذي يفعل
 ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم.

[ثم]^(٥) أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل^(٦)
 الأعظم على الأيسر الأصغر، وأن كل عاقل يعلم أن من قدر
 على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر [وأقدر]^(٧).

(١) (العظام): سقط من م.

(٢) ب: (طبيعة).

(٣) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٤) ظ: (فلا تستعصي)؛ م: (فلا مستعصي).

(٥) ثم إضافة من م، ب.

(٦) ظ، م: (الأصلي).

(٧) (واقدر): إضافة من ب.

فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد
اقتداراً، فقال:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ [يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ] ﴿يس: ٨١﴾﴾.

فأخبر سبحانه أن الذي أبدع السموات والأرض^(١) على جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقتهما أقدر على أن يحيي عظاماً قد صارت رمياً فيردها إلى حالتها^(٢) الأولى كما قال في موضع آخر:

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] وقال: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ
اللَّهَ﴾^(٣) الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ [وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ] ^(٤) [يَقْدِرُ
عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] [الأحقاف: ٣٣].

ثم أخذ سبحانه ذلك وبينه بيانا^(٥) آخر يتضمن مع إقامة الحجة دفع شبهة كل ملحد وجاحد، وهو أنه ليس في فعله بمنزلة غيره الذي يفعل بالآلات والكلفة والتعب والمشقة ولا يمكنه الاستقلال بالفعل بل لا بد معه من آلة

(١) ما بين المعقوفين إضافة من ب.

(٢) ظ: (حالتها).

(٣) ظ، م، ب: (أوليس).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من النسخ الثلاث.

(٥) ب: (بيان).

ومشارك ومعين بل يكفي^(١) [في]^(٢) خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته وقوله للمكون «كن» فإذا هو كائن كما شاء وأراده.

فأخبر عن نفاذ مشيئته وإرادته وسرعة تكوينه وانقياد المكون^(٣) له وعدم استعصائه عليه.

ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف فيه بفعله و[هو]^(٤) قوله:

﴿وَاللَّيْلُ تَرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

فتبارك الذي تكلم^(٥) بهذا الكلام الذي جمع في نفسه — بوجازته وبيانه وفصاحته وصحة برهانه — كل ما تلزم الحاجة إليه من تقرير الدليل وجواب الشبهة ودحض حجة الملحد وإسكات المعاند بألفاظ لا أعذب منها عند السمع ولا أحلى^(٦) (منها)^(٧) [و]^(٨) من معانيها للقلب ولا أنفع من ثمرتها للعبد.

ومن هذا قوله سبحانه:

(١) ظ: (بلغني).

(٢) (في): إضافة من ب.

(٣) ظ: (لكون)؛ م: (تكونه).

(٤) (هو): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (يعلم).

(٦) ظ: (احل)؛ ب: (اعلى).

(٨) (الواو): إضافة من م.

(٧) (منها): سقط من ب.

المثال الثالث عشر:
في البعث.

﴿وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفْنَا ءَأَنَّا الْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ * قُلْ كُونُوا
حِجَارَةً أَوْ حِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن
يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ
مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ
بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٢].

فتأمل ما أجبوا به عن كل سؤال^(١) على التفصيل فإنهم
قالوا: أولاً إذا كنا عظاماً ورفاتاً أننا لمبعوثون خلقاً جديداً؟
ف قيل لهم في جواب هذا السؤال: إن كنتم تزعمون أنه
لا خالق لكم ولا رب فهلا كنتم خلقاً (جديداً)^(٢) ^(٣)
لا يفنيه الموت^(٤) كالحجارة والحديد أو^(٥) ما هو أكبر في
صدوركم من ذلك. فإن قلتم لنا رب خالق خلقنا على هذه
الصفة وأنشأنا هذه النشأة التي لا تقبل البقاء ولم يجعلنا
حجارة / ولا حديداً فقد قامت عليكم الحجة بإقراركم
[فما]^(٦) الذي يحول بين^(٧) خالقكم ومنشئكم^(٨) وبين
إعادتكم^(٩) خلقاً جديداً.

[٥٣/١]

(١) (سؤال): مكرر في ب.

(٢) (جديداً): سقط من ب.

(٣) ظ، م: (زاد بعد قوله جديداً)، (فقيل لهم).

(٤) ظ: (لا يعسه الغرب).

(٥) ظ، م: (و) بالواو بدل أو.

(٦) (فما): إضافة من ب.

(٧) ظ، م: (بينكم وبين).

(٨) ظ، م: (ومسكم).

(٩) ظ، م: (عبادتكم).

وللحجة تقرير^(١) آخر وهو أنكم لو كنتم من حجارة
أو حديد أو خلق أكبر منها لكان قادراً على أن يفنيكم^(٢)
ويحيل ذواتكم^(٣) وينقلها من حال إلى حال.

ومن قدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها
وصلابتها بالإفناء والإحالة ونقلها من حال إلى حال فما
يعجزه عن التصرف فيما هو دونها بإفناؤه وإحالاته ونقله من
حال إلى حال.

فأخبر سبحانه أنهم يسألون سؤالاً آخر بقولهم من يعيدنا
إذا استحالت أجسامنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله:

﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

وهذا الجواب نظير جواب قول السائل:

﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

فلما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها ولم يجدوا عنها
معدلاً، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به كما يتعلل المقطوع
بالحجاج^(٤) - بمثل^(٥) ذلك وهو قولهم: متى هو؟ فأجيبوا
بقوله:

(١) ظ: (والحجة تقريراً).

(٢) م: (يبعثكم).

(٣) ظ: (دوابكم).

(٤) ظ، م: (بالحجارة).

(٥) ظ، م: (على).

﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِحَمْدِهِ
وَنُظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥١، ٥٢].

ومن هذا قوله سبحانه:

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنٍ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً ﴿٣٨﴾ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٩﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

المثال الرابع عشر:
في البعث.

فاحتج سبحانه على أنه لا يترك الإنسان مهملاً معطلاً عن الأمر والنهي والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك، فإن من نقله من نطفة منى إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم خلقه وشق سمعه وبصره وركب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع والأعصاب والرباطات التي هي أسره^(١) (٢) وأتقن خلقه وأحكمه غاية الإحكام وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية أم كيف تقتضي^(٣) حكمته وعنايته به أن يتركه سدى فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته.

(١) ظ، م: (أشده).

(٢) قال أبو عبيد يقال فرس شديد الأسر أي الخلق قال لبيد:

ساهم الوجه شديد أسره مشرف الحارك محبوك القند

وفي القرآن: ﴿وَشَدَدْنَا آسْرَهُمْ﴾ قال الحسن شددنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب.

لسان العرب ١٩/٤ مادة أسر - معجم مقاييس اللغة ١/١٠٧؛ فتح القدير ٥/٣٥٤، دار المعرفة.

(٣) ظ: (تقتصر).

فانظر إلى هذا الحجاج العجيب بالقول الوجيز الذي لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه ومأخذه القريب^(١) الذي لا تقع الظنون على أقرب منه. وكذلك ما احتج به سبحانه على النصارى مبطلاً لدعوى إلهية المسيح كقوله:

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُمْوَا لَأَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

المثال الخامس

عشر: في إبطال

ألوهية عيسى عليه

السلام.

[الأنبياء: ١٧].

فأخبر أن هذا الذي أضافه من نسبة^(٢) الولد إلى الله من مشركي العرب والنصارى غير سائغ في العقول إذا تأمله المتأمل ولو أراد الله أن يفعل هذا لكان يصطفي لنفسه ويجعل هذا الولد المتخذ من الجوهر الأعلى السماوي الموصوف بالخلوص والنقاء^(٣) من عوارض البشر المجبول على الثبات^(٤) والبقاء لا من^(٥) جوهر هذا العالم الفاني الدائر الكثير الأوساخ والأدناس والأقذار ولما كان هذا الحجاج كما ترى في هذه القوة والجلالة اتبعه بقول:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾

[الأنبياء: ١٨].

(١) ظ: (القرب).

(٢) ظ: (نسبت)، ب: (نسب).

(٣) ظ: (والقاء).

(٤) ظ، م: (الشباب).

(٥) ظ، م: (لان).

ونظير هذا قوله :

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾

[الزمر : ٤].

وقال سبحانه :

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ
نَبِّئُ^(١) لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾

[المائدة : ٧٥].

المثال السادس عشر:
في إبطال ألوهية
عيسى عليه السلام.

وقد تضمنت هذه الحجة دليلين يبطلان إلهية المسيح
وأمه أحدهما: حاجتهما إلى الطعام والشراب وضعف
بنيتهما^(٢) عن القيام بنفسهما^(٣)، بل هي محتاجة فيما
يقيمهما^(٤) إلى الغذاء والشراب والمحتاج إلى غيره لا يكون
إلهاً إذ من لوازم الإله أن يكون غنياً.

الثاني أن الذي يأكل الطعام يكون منه ما يكون من
الإنسان من الفضلات القذرة التي يستحي^(٥) الإنسان من
نفسه وغيره حال انفصالها عنه، بل يستحي من التصريح
بذكرها.

(١) م : (نسير).

(٢) ظ : (بينهما).

(٣) م : (لنفسهما).

(٤) ظ ، م : (يقيمهما).

(٥) ظ : (تبتحي).

ولهذا والله أعلم كنى سبحانه عنها بلازمها من أكل
الطعام الذي ينتقل^(١) الذهن منه إلى ما يلزمه من هذه
الفضلة، فكيف يليق بالرب سبحانه أن يتخذ صاحبة وولداً
من هذا الجنس.

ولو كان يليق به ذلك أو يمكن لكان الأولى به أن يكون
من جنس لا يأكل ولا يشرب ولا يكون منه الفضلات
المستقدرة التي يستحي منها ويرغب عن ذكرها.

فانظر ما تضمنه هذا الكلام الوجيز البليغ المشتمل على
هذا المعنى العظيم الجليل الذي لا يجد سامعه مغمزاً له
ولا مطعناً فيه ولا تشكيكاً ولا سؤلاً يورده عليه بل يأخذ
بقلبه وسمعه.

ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا
وَهُوَ كَاطِمٌ ۖ أَوْ مَن يَنْشَوُفُ الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي^(٢) الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ ۖ﴾
[الزخرف: ١٧، ١٨].

المثال السابع عشر:
في إبطال زعمهم أن
الملائكة بنات الله.

احتج سبحانه على هؤلاء الذين^(٣) جعلوا له^(٤) البنات
بأن أحدهم لا يرضى بالبنات وإذا بشر بالأنثى حصل له من
الحزن والكآبة ما ظهر منه السواد على وجهه فإذا كان أحدمكم

(١) ظ: (اسقل).

(٢) ب: (وهي) وهو غلط.

(٣) ظ: (الذي).

(٤) ب: زاد (هذا) بعد قوله «جعلوا له».

لا يرضى بالإناث بناتاً فكيف تجعلونها لي، كما قال
تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

ثم ذكر سبحانه ضعف هذا الجنس الذي جعلوه له
وأنه (١) أنقص (٢) الجنسين ولهذا يحتاج في كماله إلى
الحلية (٣) / وأضعفها (٤) بيانا فقال تعالى:

[٥٤/١]

﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ عَيْرٌ مِيمٍ﴾

[الزخرف: ١٨].

فأشار بنشأتهم في الحلية إلى أنهم (٥) ناقصات (٦)
فيحتجن إلى حلية يكملن بها وأنهن عيبات فلا بين عن
حجتهن وقت الخصومة.

مع أن في قوله: ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيَةِ﴾ تعريضا بما
وضعت له الحلية (من التزين لمن يفتershهن) (٧) ويطأهن،
وتعريضا بأنهم لا ينشأن (٨) في الحرب والطعان والشجاعة

(١) ظ، م: (وإنكم).

(٢) ب: (أبغض).

(٣) ظ: (الحيلة).

(٤) ظ، م: (واضعفها).

(٥) ظ، م، ب: (أنها) والصواب ما أثبت.

(٦) م: (ناقصة).

(٧) ظ: (من القرين لمن يستفر منهن)؛ م: (من القرين لم يستفرشهن)؛ ب: (من الذين

لم يستفرشهن) ولعل الصواب ما أثبت.

(٨) ظ: (لا يثبتان)؛ م: (لا يثن).

فذكر الحلية التي هي علامة الضعف والعجز^(١)،
والوهن .

ومن هذا ما حكاه سبحانه في محاجة إبراهيم قومه
بقوله:

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدِنَا وَلَا آخَافُ مَا
تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢) * وَكَيْفَ آخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ
بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿ [الأنعام: ٨٠، ٨١، ٨٢].

فهذا الكلام لم يخرج في ظاهره مخرج^(٣) كلام البشر
الذي يتكلفه أهل النظر والجدال والمقايسة والمعارضة بل
خرج في صورة كلام خبري يشتمل على مبادئ الحجاج
[ومقاطعته]^(٤) مشيراً^(٥) إلى مقدمات الدليل ونتائجه^(٦)
بأوضح عبارة وأفصحها وأقربها تناولاً^(٧).

(١) ظ: (والعجم).

(٢) ظ، م: (تذكرون).

(٣) ظ: (نحر كلام)؛ م: (عن كلام).

(٤) (ومقاطعة): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (شبرا).

(٦) ب: (تناسخه).

(٧) ظ: (فاولاً)؛ م: (تاوولا).

والغرض منه أن إبراهيم قال لقومه متعجباً مما دعوه إليه من الشرك أتحتاجوني في الله وتطمعون أن تستنزلوني^(١) عن توحيده بعد أن هداني وتأكدت بصيرتي واستحكمت معرفتي بتوحيده بالهداية التي رزقنيها، وقد علمتم^(٢) أن من كانت هذه حاله في اعتقاده أمراً من الأمور عن بصيرة لا يعارضه فيها ريب ولا يتخالجه^(٣) فيها شك فلا سبيل إلى استنزاله عنها^(٤).

[و]^(٥) أيضاً فإن المحاجة والمجادلة بعد وضوح الشيء وظهوره نوع^(٦) من العتب بمنزلة المحاجة^(٧) في طلوع الشمس وقد رآها من يحاجونه بأعينهم^(٨) فكيف يؤثر حجاجكم له أنها لم تطلع بعد.

(ثم)^(٩) قال: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ^(١٠) بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ وكأنه صلوات الله وسلامه عليه يذكر أنهم

(١) ظ: (سيرلوي)؛ ب: (تستزلوني).

(٢) ظ: (علمتم).

(٣) م: (سيحله يحه).

(٤) ظ، م: (فيها).

(٥) الواو في (وأيضاً): إضافة من ب.

(٦) ب: (ونوع).

(٧) ظ، م، ب: (الحاجة)، والصواب ما أثبت.

(٨) ظ، م، ب: (بعينه)، والصواب ما أثبته.

(٩) (ثم): سقط من م.

(١٠) ظ، م، ب: (ما أشركتم)، وهو غلط.

خوفوه^(١) اهتهم أن يناله منها معرة كما قاله قوم هود^(٢) له :

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ إِلَهَاتِنَا يَسُوءُ﴾

[هود: ٥٤].

فقال إبراهيم إن أصابني مكروه فليس ذلك من قبل هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله وهي أقل من ذلك فإنها ليست مما يرجى ويخاف بل يكون ذلك الذي أصابني من قبل الحي الفعال الذي يفعل ما يشاء الذي بيده الضر والنفع يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

ثم ذكر سعة علمه سبحانه في هذا المقام منبهاً على موقع احتراز لطيف وهو أن لله^(٣) سبحانه^(٤) علماً في فيكم وفي هذه الآلهة لا يصل إليه^(٥) علمي فإذا شاء أمراً من الأمور فهو أعلم بما يشاء^(٦) فإنه وسع كل شيء علماً فإذا أراد أن يصيبني بمكروه لا علم لي من أي جهة أتاني فعلمه محيط بما لم أعلمه وهذا غاية التفويض والتبري من الحول والقوة وأسباب النجاة وأنها بيد الله لا بيدي وهكذا قال شعيب لقومه :

(١) ظ : (حرفوه) .

(٢) ظ : (وهو) .

(٣) ظ ، م : (الله) .

(٤) قال ناسخ م : «إن الله سبحانه وسع علماً» فزاد : وسع .

(٥) ظ ، م : (إلى) .

(٦) ب : (بما يشاؤه) .

﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَحْنُ عَلَى اللَّهِ مُنْهًا
وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا
عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [الأعراف: ٨٩].

فردت الرسل العلم بما يفعله الله إليه وأنه إذا شاء شيئاً^(١) فهو أعلم بما يشاؤه ولا علم لنا بامتناعه وعدم كونه .

ثم رجع الخليل إليهم مقررًا للحجة فقال:

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمُ
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِلْ بِهِ، عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١].

يقول لقومه: كيف يسوغ في عقل أو عند ذي لب أن أخاف ما جعلتموه لله شريكاً في الإلهية وهي ليست بموضع نفع ولا ضرر وأنتم لا تخافون أنكم أشركتم بالله في إلهيته أشياء لم ينزل بها حجة عليكم ولا شرعها لكم فالذي أشرك بخالقه وفاطره وباريه – الذي يقرُّ بأنه^(٣) خالق السماوات والأرض ورب كل شيء ومليكه ومالك الضر والنفع – آلهة لا تخلق شيئاً^(٤) وهي مخلوقة ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وجعلها ندأ

(١) ظ: (سبياً).

(٢) (فأي): كرر في م.

(٣) ظ: (ما به).

(٤) ظ، م: (سبياً).

(له) (١) ومثلاً في الإلهية تعبد (٢) ويسجد (٣) لها ويخضع لها ويتقرب إليها أحق بالخوف ممن لم يجعل مع الله إلهاً آخر بل وحده وأفرده بالإلهية والربوبية والعظمة (٤) والسلطان والحب والخوف والرجاء فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون. فحكم الله سبحانه بينها بأحسن (٥) حكم خضعت له القلوب وأقرت به الفطر وانقادت له العقول فقال:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فتأمل هذا الكلام وعجيب موقعه في قطع الخصوم وإحاطته بكل ما وجب في العقل أن يرد به مادعوه إليه وأرادوا حمله عليه وأخذه بمجامع الحجة التي لم تبق لطاعن مطعناً ولا سؤالاً ولما كانت بهذه المثابة أشار سبحانه بذكرها وعظمتها بالإشارة إليها وأضافها (٦) إلى نفسه تعظيماً لشأنها فقال:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ / دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ [الأنعام: ٨٣].

(١) (له): سقط من ب.

(٢) ظ: (بعد).

(٣) ظ: (وسجد).

(٤) ظ، م: (الفطرة).

(٥) م: (في أحسن).

(٦) ظ، م، ب: (أضافه) والصواب ما أثبت.

فَعَلِمَ السَّامِعُ بِإِضَافَتِهِ إِيَّاهَا إِلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَهَّمَهَا (١) خَلِيلَهُ وَلَقْنَهَا إِيَّاهُ (٢) وَعَنْهُ سَبْحَانَهُ أَخَذَهَا الْخَلِيلُ وَكَفَى بِحُجَّةِ يَكُونُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَقْنَهَا لَخَلِيلِهِ وَحَبِيبِهِ أَنْ تَكُونَ قَاطِعَةً لِمَوَادِّ (٣) الْعِنَادِ قَامِعَةً لِأَهْلِ الشَّرْكِ وَالْإِلْحَادِ .

المثال التاسع عشر: في التوحيد. [وشبيهه] (٤) بهذا الاحتجاج القصة الثانية (٥) لإبراهيم في محاجة المشرك الذي أخبر الله سبحانه (٦) عما جرى بينه وبينه في قوله:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فإن من تأمل موقع الحجاج وقطع المجادل فيما تضمنته هذه الآية وقف على أعظم برهان بأوجز عبارة، فإن إبراهيم لما أجاب المحاج له في الله بأنه الذي (٧) يحيي ويميت أخذ عدو الله معارضته بضرب من المغالطة وهو أنه يقتل من يريد ويستبقي من يريد فقد أحيا هذا وأمات هذا فالزمه إبراهيم

(١) ظ: (فمها).

(٢) ظ: (ولقاها إيها)؛ ب: (ولقاها إيها).

(٣) ظ: (المواد).

(٤) (وشبيهه): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (الثابتة).

(٦) ظ، م: (كما).

(٧) ظ: (والذي).

على طرد هذه المعارضة أن يتصرف في حركة (١) الشمس من غير الجهة التي يأتي الله (٢) بها منها [إذا كان] (٣) بزعمه قد ساوى (٤) الله في الإحياء والإماتة.

فإن كان صادقاً فليتصرف في الشمس تصرفاً تصح به دعواه وليس هذا انتقالاً من حجة إلى حجة أوضح منها كما زعم بعض النظار وإنما هو إلزام للمدعي بطرد حجته إن كانت صحيحة.

المثال العشرون في
إثبات علم الله
بالجزئيات

ومن ذلك احتجاجة سبحانه على إثبات علمه بالجزئيات كلها بأحسن دليل وأوضحه وأصححه حيث يقول:

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

[الملك: ١٣].

ثم قرر علمه بذلك بقوله:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ [وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] (٥)﴾ [الملك: ١٤].

وهذا من أبلغ التقرير فإن الخالق لا بد أن يعلم مخلوقه والصانع يعلم مصنوعه وإذا كنتم مقرين بأنه خالقكم وخالق صدوركم (٦) وما تضمنته فكيف تخفى عليه وهي خلقه وهذا

(١) ظ، م: (حكمة).

(٢) ظ، م: (له).

(٣) (إذا كان): إضافة من ب.

(٤) ظ: (ساوي).

(٥) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٦) ظ، م: (صوركم).

التقرير مما يصعب على القدرية^(١) فهمه، فإنه^(٢) لم يخلق عندهم ما في الصدور فلم يكن في الآية على أصولهم دليل على علمه بها ولهذا طرد غلاة القوم ذلك ونفوا^(٣) علمه فأكفرهم السلف قاطبة.

وهذا التقرير من الآية صحيح على التقديرين أعني تقدير أن تكون «مَنْ» في محل رفع على الفاعلية وفي محل نصب على المفعولية فعلى التقدير الأول [ألا يعلم الخالق الذي شأنه الخلق، وعلى التقدير الثاني]^(٤) ألا يعلم الرب مخلوقه ومصنوعه.

ثم ختم الحجة باسمين مقتضيين لثبوتها وهما اللطيف الذي لطف صنعه وحكمته ودق حتى عجزت عنه الأفهام والخبير^(٥) الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها^(٦) كما أحاط بظواهرها فكيف^(٧) يخفى على اللطيف الخبير ما^(٨) تحويه الضمائر وتخفيه الصدور.

ومن هذا احتجاجه سبحانه على المشركين بالدليل^(٩)

(١) سبق انظر: ص ٢١٩.

(٢) ظ: (فاد)؛ م: (فاذ).

(٣) ظ: (وهو).

(٤) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٥) ظ: (والخبير).

(٦) ب: (وخفاياها).

(٧) م: (كيف).

(٨) ظ، م: (مما).

(٩) ظ: (بلا دليل).

المقسم الحاصر^(١) الذي لا يجد سامعه إلى رده ولا معارضته
سبيلاً حيث يقول تبارك وتعالى^(٢) :
المثال الحادي
والعشرون: في
التوحيد.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٣) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿ [الطور: ٣٥، ٣٦].

فتأمل هذا التردد والحصر المتضمن لإقامة الحجة
بأقرب طريق وأفصح عبارة يقول تعالى هؤلاء مخلوقون بعد
أن لم يكونوا فهل خلقوا من غير خالق^(٣) خلقهم فهذا من
المحال الممتنع عند كل من له فهم وعقل أن يكون مصنوع
من غير صانع ومخلوق من غير خالق.

ولو مر رجل بأرض قفر لا بناء فيها ثم مر بها فرأى فيها
بنياناً وقصوراً وعمارات محكمة^(٤) لم يتخالجه^(٥) شك
ولا ريب أن صانعاً صنعها وبانياً بناها.

ثم قال أم هم الخالقون: وهذا أيضاً من المستحيل أن
يكون العبد موجداً خالقاً لنفسه فإن من لا يقدر أن يزيد في
حياته بعد وجوده وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة
ولا أصبعاً ولا ظفراً ولا شعرة كيف يكون خالقاً لنفسه في
حال عدمه.

(١) ظ، م: (الخاص)؛ ب: (للحاضر) ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: بعد لفظ (تعالى)، أعاد عبارة: (حيث يقول).

(٣) ظ، م: (شيء خالق).

(٤) ظ، م: (محلّه).

(٥) ظ: (ينحاه).

وإذا بطل القسمان تعين أن لهم خالقاً خلقهم وفاطراً
فطرهم فهو الإله (١) الحق الذي يستحق عليهم العبادة
والشكر فكيف يشركون به إلهاً غيره وهو وحده الخالق لهم .

فإن قيل فما موقع قوله :

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٦].

من هذه الحجة قيل أحسن موقع، فإنه بين بالقسمين
الأولين أن لهم خالقاً وفاطراً وأنهم مخلوقون وبين بالقسم
الثالث أنهم بعد أن وجدوا وخلقوا فهم عاجزون غير خالقين
فإنهم (٢) لم (٣) يخلقوا نفوسهم ولم يخلقوا السموات والأرض
وأن الواحد القهار الذي لا إله غيره ولا رب سواه هو الذي
خلقهم وخلق السموات والأرض فهو المتفرد بخلق المسكن
والساكن بخلق العالم العلوي والسفلي وما فيه .

المثال الثاني والعشرون: في التوحيد .
ومن هذا ما حكاه الله سبحانه عن محاجة صاحب
«يس» لقومه بقوله :

﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنِ لَّيْسَ لَكُمْ آجْرًا

وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠ ، ٢١].

فنبه على موجب الاتباع وهو كون المتبوع رسولاً لمن
لا ينبغي أن يخالف ولا يعصى وأنه على هداية . ونبه على

(١) ظ : (فهو لاله).

(٢) ب : (وأنهم).

(٣) ظ : (لا).

انتفاء^(١) المانع وهو عدم سؤال الأجر^(٢) فلا يريد منكم دنياً / ولا رياسة فموجب الاتباع كونه مهتدياً والمانع منه منتف وهو طلب العلو في الأرض والفساد وطلب الأجر.

[ثم]^(٣) قال:

﴿وَمَا لِي^(٤) لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس: ٢٢].

أخرج الحجة عليهم في معرض المخاطبة لنفسه تأليفاً لهم، ونبه على أن عبادة العبد لمن فطره أمر واجب في العقول مستهجن تركها، قبيح الإخلال^(٥) بها، فإن خلقه لعبده أصل إنعامه عليه ونعمة كلها [بعد]^(٦) تابعة لإيجاده^(٧) وخلقها، وقد جبل الله العقول والفطر^(٨) على شكر المنعم ومحبة المحسن. ولا يتلفت إلى ما يقوله نفاة التحسين والتقييح^(٩)

(١) ظ، م: (انتقال).

(٢) ظ، ب: (الأخر).

(٣) (ثم): إضافة من ب.

(٤) سقطت الواو في قوله: (وما لي) من م.

(٥) ظ: (الضلالة).

(٦) (بعد): إضافة من ب.

(٧) في هامش م: قال كذا في الأصل والأشبه (لإيجاده) ولم يتبين لي فرق بين ما في الأصل وما في الهامش.

(٨) في هامش ب: (فساد نفي التحسين والتقييح).

(٩) مسألة التحسين والتقييح فيها نزاع بين أهل السنة والجماعة فجمهور أهل السنة يقولون بتحسين العقل وتقييحه والأشعرية ومن وافقهم يقولون بنفي التحسين والتقييح ويقولون إن الأفعال لم تشتمل على صفات هي أحكام ولا على صفات هي علل للأحكام بل القادر أمر بأحد المتماثلين دون الآخر لمحض الإرادة لا لحكمة ولا لرعاية مصلحة في الخلق والأمر.

في ذلك فإنه من أفسد الأقوال وأبطلها في العقول والفطر والشرائع، ثم أقبل^(١) عليهم مخوفاً لهم تخويف الناصح فقال:

﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢].

ثم أخبر عن الآلهة التي تعبد من دونه أنها باطلة وأن عبادتها باطلة فقال:

﴿ءَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرَدُّنَ^(٢) الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ﴾ [يس: ٢٣].

= وتفصيل القول في هذه المسألة:

١ - أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة ولو لم يرد الشرع بذلك كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم وأن الظلم يشتمل على فسادهم فهذا النوع هو حسن وقيح.

٢ - أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً واكتسب الفعل صفة الحسن أو القبح بخطاب الشارع.

٣ - أن يأمر الشارع بشيء ليمتنح العبد هل يطيعه أم يعصيه ولا يكون المراد فعل المأمور به. كما أمر إبراهيم بذبح ابنه فلما أسلم وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح، فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به. قال ابن تيمية رحمه الله بعد ذكر هذه الأنواع الثلاثة:

«وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة وزعمت أن الحسن و القبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع.

والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع.

وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب انظر: مجموع الفتاوى ٤٢٨/٤، ٤٣٤، ٤٣٦؛ غاية المرام في علم الكلام للآمدي، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(١) ظ، م: (اجعل)، وقال ناسح م لعل (أقبل).

(٢) ظ، م، ب: (يردني).

فإن العابد يريد من معبوده أن ينفعه وقت حاجته^(١) إليه وإنما^(٢) إذا أرادني الرحمن [الذي]^(٣) فطرنى^(٤) بضر لم يكن لهذه الآلهة من القدرة ما ينقدوني^(٥) بها من ذلك الضر ولا من الجاه والمكانة عنده^(٦) ما يشفع لي إليه لأتخلص من ذلك الضر فبأي وجه يستحق العبادة و:

﴿إِنِّي إِذْ أَلْفَيْ ضَلَلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٢٤].

إن عبدت من دون الله مما^(٧) هذا شأنه.

وهذا الذي ذكرناه من حجاج القرآن يسير من كثير وإنما نبهنا على ما لم يذكر منه.

والمقصود أنه يتضمن الأدلة^(٨) العقلية والبراهين القطعية التي لا مطمع في التشكيك والأسئلة عليها إلا لمعاندي مكابر.

والتأول لا يمكنه أن يقيم على مبطل حجة نقلية ولا عقلية.

(١) ظ: (حاجة).

(٢) ب: (دائماً)؛ م: (وأنا).

(٣) (الذي): إضافة من ب.

(٤) م: (أن يضرنى).

(٥) ظ: (ينقدون).

(٦) ب: (عند).

(٧) ب: (ما).

(٨) ب: (متضمن للأدلة).

أما النقل فلأنه عنده قابل للتأويل^(١) وهو لا يفيد اليقين.

وأما العقل فلأنه قد خرج عن صريحه وموجهه بالقواعد التي قادتة إلى تأويل النصوص وإخراجها^(٢) من ظواهرها وحقائقها فصارت تلك القواعد الباطلة حجاباً بينه وبين العقل والسمع.

فإذا احتج على خصمه بحجة عقلية نازعه خصمه في مقدماتها بما سلم له من القواعد التي يخالفها.

فإن المعقول الصريح هو ما دلت عليه النصوص فإذا أبطله^(٣) بالتأويل لم يبق معه^(٤) معقول صريح^(٥) يحتج به على خصمه كما لم يبق معه منقول صحيح^(٦).

فإنه قد عرض المنقول للتأويل والمعقول الصريح خرج عنه بالذي ظن أنه معقول.

ومثال هذا أن العقل الصريح الذي لا يكذب ولا يغلط قد حكم حكماً لا يقبل الغلط أن كل ذاتين قائمتين بأنفسهما^(٧) إما أن تكون كل منهما مباينة للأخرى أو محاثة لها

(١) ظ، م، ب: (التأويل) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (فإخراجها)؛ م: (فأخرجها).

(٣) ظ: (بطله).

(٤) ظ، م: (عليه).

(٥) ظ، م، ب: (صحيح)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦) ظ، م، ب: (صريح)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٧) ظ: (بأنفسها).

وأنه يمتنع أن تكون هذه الذات قائمة^(١) بنفسها وهذه قائمة بنفسها وإحدهما ليست فوق الأخرى ولا تحتها ولا عن يمينها ولا عن يسارها ولا خلفها ولا أمامها ولا متصلة [بها]^(٢) ولا منفصلة عنها ولا مجاورة لها ولا محايثة ولا داخله فيها ولا خارجه عنها.

فإذا خولف^(٣) مقتضى هذا المعقول الصريح ودفع موجهه فأى دليل عقلي احتج به المخالف بعد هذا على مبطل أمكنه دفعه بما دفع هو به حكم هذا العقل.

فإذا قال الجهمي: هذا من حكم الوهم لا من حكم العقل.

قال له خصمه فيما احتج به عليه من قضايا العقل: هذا أيضاً من حكم الوهم.

فإنك لو قلت^(٤) إن في النفس حاكمين الوهم والعقل.

فإذا ادعيت فيما تشهد به العقول والفطر أنه من حكم الوهم كان ادعاء ذلك فيما هو دون هذه القضية بكثير أقرب وأقرب وأمثلة ذلك لا يتسع لها هذا الموضع.

وإذا تأملت القواعد الحاملة لأرباب التأويل عليه وجدتها مخالفة لصريح^(٥) العقل ومن خالف^(٦) صريح العقل لم تقم له حجة عقلية ولا سمعية وبالله التوفيق.

(١) ظ: (فإنه). (٤) م: (لفظت)؛ ب: (اعطيت).
(٢) (بها): إضافة من ب. (٥) ظ: (تحالف تصريح).
(٣) ب: (خلف). (٦) ظ: (ومن خالفه).

الفصل الحادي والعشرون

في الأسباب^(١) [الجالبة]^(٢) للتأويل^(٣)

وهي أربعة أسباب: اثنان من المتكلم واثنان من السامع، فالسببان اللذان من المتكلم:

إما نقصان بيانه.

وإما سوء قصده.

واللذان من السامع:

إما سوء فهمه.

وإما سوء قصده.

فإذا انتفت^(٤) هذه الأمور الأربعة انتفى التأويل الباطل وإذا وجدت أو بعضها وقع التأويل فنقول وبالله التوفيق^(٥).

لما كان المقصود من التخاطب التقاء قصد المتكلم وفهم

(١) م: (أسباب).

(٢) الجالبة: إضافة من ب.

(٣) م: (التأويل).

(٤) ظ: (اتبعت).

(٥) في هامش ب: (الأسباب الجالبة للتأويل).

المخاطب على محز^(١) واحد كان أصح الإفهام وأسعد الناس
 بالخطاب ما التقى فيه فهم السامع ومراد المتكلم وهذا
 هو حقيقة الفقه الذي أثنى الله ورسوله به على أهله وذم من
 فقده فقال تعالى:

السيبان اللذان من
 المتكلم وهما:
 الأول: نقصان بيانه
 الثاني: سوء قصده

﴿وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

وقال^(٢):

﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

وقال في الثناء على أهله:

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً
 يفقهه في الدين»^(٣).

(١) محز: الحز قطع في علاج والقطع من غير إبانة والمحز موضع الحز يقال تكلم فأصاب
 المحز أي تكلم فأقنع والمعنى التقاء قصد المتكلم وفهم المخاطب على معنى واحد.
 لسان العرب ٨٥٦/٢ مادة حز.

والمعجم الوسيط ١٧٠/١.

(٢) ظ، م: (فقال).

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٢٩٣/١٣) من طريق معاوية بن أبي سفيان، في كتاب
 الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من
 أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم، ح ٧٣١٢.

ورواه مسلم ١٥٢٤/٣، في كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم «لا تزال
 طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، ح ١٧٥.

وقال لزياد بن ليبيد^(١): «إن كنت لأعدك^(٢) من فقهاء المدينة»^(٣)(٤) فالفقه فهم^(٥) مقصود المتكلم من كلامه وهذا الأمر زائد على مجرد الفهم.

فإذا كان المتكلم قد وفي البيان حقه وقصد إفهام المخاطب وإيضاح المعنى له وإحضاره في ذهنه / فوافق من [٥٧/١]

(١) هو زياد بن ليبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية الأنصاري الخزرجي أبو عبدالله شهد العقبة وبدراً والمشاهد. ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو عامله على حضرموت وكان من فقهاء الصحابة. توفي سنة ٤١. تهذيب التهذيب ٣/٣٨٣.

(٢) ظ، م: (لاعدل).

(٣) رواه الترمذي ولفظه فيه عن أبي الدرداء قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدرُوا منه على شيء فقال زياد بن ليبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا قال: «ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم...». انظر تحفة الأحوزي ٧/٤١٢، ٤١٣، في أبواب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم، ح ٢٧٩١ وقال «هذا حديث حسن غريب».

ورواه الدارمي ١/٨٧ في المقدمة، باب من قال العلم خشية وتقوى الله. ورواه الحاكم في المستدرک ٣/٥٩٠ من طريق زياد بن ليبيد، في كتاب معرفة الصحابة، ذكر زياد بن ليبيد الأنصاري رضي الله عنه وقال وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ورواه ابن حبان (موارد الظمان، ص ٥٩) في كتاب العلم، باب رفع العلم، ح ١١٥. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٢٠١، رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن وانظر الإصابة ١/٤٥٠، ٤٥١.

(٤) في هامش ب: (بحث الفقه النافع).

(٥) ط، م: (فهو).

المخاطب معرفة^(١) بلغة المتكلم وعرفه المطرد في خطابه وعلم من كمال نصحه أنه لا يقصد بخطابه التعمية والإلغاز لم يخف عليه معنى كلامه ولم يقع في قلبه شك في معرفة مراده.

وإن كان المتكلم قد قصر في بيانه وخاطب السامع بألفاظ مجملة تحتمل عدة معان ولم يتبين له ما أراد منها فإن كان عاجزاً أتى^(٢) السامع من عجزه لا من قصده وإن كان قادراً عليه ولم يفعل حيث ينبغي فعله أتى السامع من سوء قصده.

وقد يحسن ذلك من المتكلم إذا كان في التعمية على المخاطب مصلحة راجحة فيتكلم بالمجمل ليجعل^(٣) لنفسه سبيلاً إلى تفسيره بما يتخلص به أو ليوهم السامع أنه أراد ما^(٤) يخاف إفهامه إياه أو لغير ذلك من الأسباب التي يحسن معها التعريض والكناية والخطاب بضد البيان. وهذا من خاصة العقل وقد قال تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾

[البقرة: ٢٣٥].

(١) ب: (فعرفة).

(٢) ظ: (أي).

(٣) ظ، م: (لتعجل)، وفي هامش م: قال الناسخ لعله «ليتمحل» أو «ليجد».

(٤) ب: (ما لا يخاف).

وفي الحديث «إن في المعاريض مندوحة عن الكذب»^(١) وقد عرض إبراهيم الخليل للجبار بقوله عن امرأته «هذه أختي»^(٢) وعرض النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي سأله في طريقه ممن أنتم؟ فقال: نحن من ماء»^(٣) وعرض الصديق لمن جعل يسأله في طريق الهجرة من هذا معك؟ فقال هاد يهديني السبيل»^(٤).

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٥٩ عن عمران بن حصين. تهذيب الآثار للطبري ١٢١/١ عن عمر بن الخطاب.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٩٤/١٠: «وأخرجه الطبري في التهذيب والطبراني في الكبير ورجاله ثقات وأخرجه ابن عدي من وجه آخر عن قتادة مرفوعاً ووهاه وأخرجه أبو بكر بن كامل في فوائده والبيهقي في الشعب من طريقه كذلك وأخرجه ابن عدي أيضاً من حديث علي مرفوعاً بسند واهٍ أيضاً». وقال البخاري: (باب المعاريض مندوحة عن الكذب) (فتح الباري ٥٩٤/١٠).

كتر العمال ٦٣٠/٣، ح ٨٢٤٩.

السنن الكبرى ١٩٩/١٠. عمل اليوم والليلة، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٣٨٨/٦) من طريق أبي هريرة في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾، ح ٣٣٥٨.

ورواه مسلم ١٨٤٠/٤، في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، ح ١٥٤.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٣٩٦/٦، ٣٩٧)، في كتاب الطلاق، باب في الرجل يقول لامرأته يا أختي، ح ٢١٩٧.

(٣) الروض الأنف ٩٣/٥.

البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٠/٣.

المغازي للواقدي ٥٠/١.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٢٤٩/٧) من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه، في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ح ٣٩١١.

فهذه المواضع ونحوها يحسن فيها (ترك) (١) البيان إما بكناية (٢) عن المقصود أو تعريض (٣) عنه والفرق بينهما أنه في الكناية قاصد لإفهام (٤) المخاطب مراده بلفظ أخفى لا يفهمه كل أحد فيكنى عن المعنى الذي يريده بلفظ أخفى من لفظه (٥) الصريح كما كنى الله سبحانه عن الجماع بالدخول وبالمس واللمس (٦) والإفشاء وكما يكنى عن الفرج (٧) بالهن (٨) ونحو ذلك.

وأما التعريض فإفهام (٩) السامع معنى ويراد خلافه كالتعريض بالقذف مثلاً فإذا قال ما أنا بزبان أفهم (١٠) السامع نفي الزنا عن نفسه ومراده إثباته للسامع كما قال الحماسي :

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

(١) (ترك): سقط من ب .

(٢) ظ: (ما بكناية)، م: (إلى ما يكنى به).

(٣) م: (أو يعرض).

(٤) ظ: (لافها).

(٥) ب: (لفظ).

(٦) قال ابن عباس: «الدخول والمسيس واللماس هو الجماع» رواه البخاري (فتح الباري ١٥٧/٩) في كتاب النكاح باب وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم التي دخلتم

بين .

(٧) ظ: (القدم).

(٨) ظ، م: (المنى).

(٩) ب: (إيهام).

(١٠) ب: (أوهم).

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشِيَّتِهِ

سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْ سَأَلْنَا (١)

فإنه أوهم السامع تنزيههم عن الشرور ووصفهم بخشية الله ومراده وصفهم بالعجز والجبين .

ومثله قول الآخر (٢):

قُبَيْلَةٌ (٣) لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةِ

وَلَا يَظْلَمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً

إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَنَهْلٍ

(١) القائل هو قُرَيْطُ بنِ أُتَيْفٍ من بني العنبر وبنو العنبر من تميم وهو شاعر جاهلي وقد قال هذه الأبيات حينما أغار عليه قوم من بني شيبان وأخذوا له ثلاثين بعيراً فاستنجد قومه فلم ينجده فأتى بني مازن فركب معه نفر منهم وأخذوا من بني شيبان مائة بعير ودفعوها إليه وخرجوا معه حتى وصل إلى قومه فقال قصيدته المشهورة ومطلعها:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازَنْ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبْلِي بَنُو اللَّقِيظَةِ مِنْ ذَهَلِ ابْنِ شَيْبَانَ
(الحماسة لأبي تمام ١٧/١؛ الأعلام ١٩٥/٥)

(٢) القائل هو النجاشي الحارثي وهو قيس بن عمر بن مالك من بني الحارث بن كعب .
والبيتان من قصيدة يهجو بها بني العجلان ومنها:

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لَوْءٍ وَرِقَّةٍ فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانَ رَهْطَ ابْنِ مَقْبِلٍ
وقد شكوه إلى عمر بن الخطاب فهدهه عمر إن عاد بقطع لسانه .

الشعر والشعراء ١/٢٨٨ - ٢٩١ .

سمط اللاليء ٢/٨٩٠ .

(٣) م: (قبيلته) وقال في الهامش كذا في الأصل والصحيح (قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةِ) .

فصل

السببان اللذان من
السامع وهما:
الأول: سوء فهمه
الثاني: سوء قصد

وأما السببان اللذان من السامع:
فأحدهما سوء الفهم، فإن درجات الفهم متفاوتة في
الناس أعظم تفاوت فإن قوى الأذهان كقوى الأبدان والناس
متفاوتون في هذا وهذا تفاوتاً لا ينضبط وقد سئل علي بن
أبي طالب رضي الله عنه هل خصكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشيء دون الناس؟ فقال لا والذي فلق الحبة
وبرأ النسمة [إلا] (١) فهماً يوءتبه الله عبداً في كتابه وما في
هذه الصحيفة وكان فيها العقل (أي الديات) (٢) وفكاك
الأسير (٣).

وكان أبو بكر الصديق أفهم الأمة لكلام (٤) الله ورسوله
ولهذا لما أشكل على عمر مع قوة فهمه قوله تعالى:

﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (٦) ءَامِنِينَ ﴿

[الفتح: ٢٧].

(١) (إلا): إضافة من م: ب.

(٢) ظ: (الرايات)، م: (الريات)، وقال في الهامش كذا في الأصل وهي الديات.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٢٠٤/١) من طريق أبي جحيفة، في كتاب العلم، باب

كتابة العلم، ح ١١١، وفي كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير، ح ٣٠٤٧.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٦٦٨/٤، ٦٦٩) في أبواب الديات، باب ما جاء

لا يقتل مسلم بكافر، ح ١٤٣١.

ورواه أحمد في المسند ٧٩/١.

(٤) م: (بكلام).

(٥) ظ، م: (ولتدخلن)، وهو خطأ.

(٦) لفظ الجلالة ليس في ب.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة: «إنكم تأتونهم وتطوفون»^(١) [به]^(٢) فأورده عليه عام الحديبية فقال له الصديق أقال لك إنك تأتيه العام قال^(٣) لا. قال: فإنك آتية ومطوف^(٤) به^(٥) فأجابه بجواب^(٦) النبي صلى الله عليه وسلم.

وأشكل عليه فقال الصديق لماعني الزكاة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها»^(٧) عصموا مني دماءهم وأموالهم»^(٨)، فقال ألم يقل «إلا بحقها» فإيتاء^(٩) الزكاة من حقها.

ولما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله» بكى

(١) ظ، م: (تطوفونه)، ب: (وتتطوفون)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) (به): إضافة من ب.

(٣) ظ: (وقال).

(٤) ظ، م: (تأتيه وتطوف به).

(٥) رواه البخاري (فتح الباري ٣٣٢/٥) من طريق المسور بن مخرمة ومروان، في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٦) ظ: (الجواب).

(٧) ظ: (قالواها).

(٨) رواه مسلم ٥١/١ من طريق أبي هريرة، في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ح ٣٢. وفي المسند ٣٨٥/٢.

(٩) ظ، م: (فان).

أبو بكر وقال نفديك بأبنائنا وأمهاتنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر (١) أعلم الأمة به (٢).

وكذلك فهم عمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس من سورة:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١].

أنها إعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور أجله (٣) ولذلك (٤) كان الصحابة أعلم الأمة على الإطلاق وبينهم وبين من بعدهم في العلم واليقين كما بينهم وبينهم في الفضل والدين.

ولهذا كان ما فهمه الصحابة من القرآن أولى أن يصار إليه مما فهمه من بعدهم فانضاف (٥) حسن قصدهم إلى حسن فهمهم فلم يختلفوا في التأويل في باب معرفة الله

(١) م: (وهو أعلم).

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٧ / ١٢) من طريق أبي سعيد الخدري، في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر»، ح ٣٦٥٤.

ورواه مسلم ٤ / ١٨٥٤، في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح ٢.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٨ / ٧٣٤، ٧٣٥) من طريق ابن عباس، في كتاب التفسير، باب قوله ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾، ح ٤٩٧٠.

(٤) ب: (وكذلك).

(٥) ظ، م: (وانضاف).

وصفاته وأسمائه وأفعاله واليوم الآخر ولا يحفظ عنهم في ذلك خلاف لا مشهور ولا شاذ، فلما حدث بعد انقضاء عصرهم من ساء فهمه وساء قصده وقعوا في أنواع من التأويل بحسب سوء الفهم وفساد القصد / وقد يجتمعان وقد ينفردان^(١)، وإذا اجتمعا تولد من بينهما جهل بالحق ومعاداة لأهله^(٢) واستحلال ما حرم الله منهم.

[٥٨/١]

وإذا تأملت أصول المذاهب الفاسدة رأيت أربابها قد اشتقوها من بين هذين الأصلين وحملهم عليها منافسة [في]^(٣) رياسة أو مال أو توصل إلى عرض من أعراض الدنيا تخبطه^(٤) الآمال وتتبعه الهمم^(٥) وتشرئب إليه النفوس فيتفق للعبد^(٦) شبهة^(٧) وشهوة وهما أصل كل فساد ومنشأ كل تأويل باطل وقد ذم الله سبحانه من اتبع الظن وما تهوى الأنفس [فالظن الشبهات وما تهوى الأنفس]^(٨) الشهوات^(٩) وهما اللذان ذكرهما في سورة براءة في^(١٠) قوله تعالى:

(١) ظ: (ينفران)، م: (ينفردانه) وقال في الهامش لعله ينفردان.

(٢) ظ، م زاد: (واستحلال لأهله)، بعد قوله (لأهله) ولعل الصواب حذفها.

(٣) (في): إضافة من ب.

(٤) ظ: (يخطئه)، م: (يخطه)، ب: (مخطئه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٥) ظ، م: (ويتبعه من الهمم):

(٦) ظ، م: (فينفق العبد).

(٧) ب: (شبهت).

(٨) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٩) م: (من الشهوات).

(١٠) ظ، م: (وقوله).

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
 وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ (١) كَمَا اسْتَمْتَعَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا (٢)﴾
 [التوبة: ٦٩].

فذكر الاستمتاع بالخلق وهو التمتع بالشهوات
 وهو نصيبهم الذي آثروه في الدنيا على حظهم من الآخرة.

فالخوض: الذي (٣) اتبعوا فيه الشبهات فاستمتعوا
 بالشهوات (٤) وخاضوا بالشبهات، فنشأ (٥) عنها التفرق
 المذموم الذي ذم الله أهله في كتابه ونهى عباده المؤمنين عن
 التشبه بهم فقال:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
 وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾
 [آل عمران: ١٠٥، ١٠٦].

قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف
 وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف (٦).

(١) ظ: (بخلاتهم).

(٢) ظ: (كانوا).

(٣) ظ: (الذين).

(٤) ظ: (بالشبهات).

(٥) م: (ففسنا)، وقال الناسخ لعله فنشأ.

(٦) انظر تفسير ابن الجوزي زاد المسير ٤٣٦/١.

وأخبر سبحانه أن الحامل لهم على التفرق بعد البيان إنما هو البغي فقال تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ (الَّذِينَ) (١) ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فأخبر سبحانه أن الذين آمنوا هدوا (٢) لما اختلف (٣) فيه أهل التأويل الباطل الذي أوقعهم في الاختلاف والتفرق. وقال تعالى:

﴿وَمَا نَفَرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا (٤) الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤]. وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اٰخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الحاشية: ١٦، ١٧].

(١) (الذين): سقط من ب.

(٢) ظ، م: (وهدوا).

(٣) ظ، م: (اختلفوا).

(٤) ظ، م: (اوتوا)، وهو خطأ.

فأخبر سبحانه أن المختلفين بالتأويل لم يختلفوا لخباء العلم الذي جاءت به الرسل عليهم وإنما اختلفوا بعد مجيء العلم وهذا كثير في القرآن كقوله:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْرًا صَدَقِي وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [يونس: ٩٣].

وقال تعالى:

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾^(١)
[البينة: ٤].

فهؤلاء المختلفون بالتأويل بعد مجيء الكتاب كلهم مذمومون والحامل لهم على التفرق والاختلاف البغي، وسوء القصد.

(١) ب: (البيئات).

الفصل الثاني والعشرون
في أنواع الاختلاف الناشئة عن التأويل
وانقسام الاختلاف إلى محمود ومذموم^(١)

أنواع الاختلاف في
كتاب الله
النوع الأول

الاختلاف في كتاب الله نوعان:
أحدهما: أن يكون المختلفون كلهم مذمومين وهم
الذين اختلفوا بالتأويل وهم الذين نهانا الله سبحانه عن
التشبه بهم في قوله:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥].
وهم الذين تسود وجوههم يوم القيامة وهم الذين قال
(الله)^(٢) تعالى فيهم:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا^(٣)
فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].
[فجعل المختلفين كلهم في شقاق بعيد]^(٤).

وهذا النوع هو الذي وصف الله أهله بالبغي وهو الذي
يوجب الفرقة والاختلاف وفساد ذات البين ويوقع
التحزب^(٥) والتباين.

(١) في هامش ب: (الاختلاف الناشء عن التأويل وانقسامه إلى محمود ومذموم).

(٢) (لفظ الجلالة): سقط من ب. (٣) ب: (أوتوا).

(٤) ما بين المعكوفتين إضافة من ب. (٥) م: (الحرب).

والنوع الثاني: اختلاف ينقسم أهله إلى محمود ومذموم فمن أصاب الحق فهو محمود ومن أخطأه مع اجتهاده في الوصول إليه فاسم الذم موضوع عنه وهو محمود في (١) اجتهاده معفو عن خطئه، وإن أخطأه مع تفريطه وعدوانه فهو مذموم.

ومن هذا النوع المنقسم قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ (٢) الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾

[البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى:

﴿وَمَا اٰخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾

[الشورى: ١٠].

والاختلاف المذموم كثيراً ما يكون مع كل فرقة من أهله بعض الحق فلا يقر له (٣) خصمه به بل يجحده إياه بغياً ومنافسة فيحمله ذلك على تسليط التأويل الباطل على النصوص التي مع خصمه، وهذا شأن جميع المختلفين بخلاف أهل الحق فإنهم يعلمون (٤) الحق من كل / من جاء به فيأخذون حق جميع الطوائف ويردون باطلهم. فهؤلاء الذين قال الله فيهم:

[٥٩/١]

(١) ب: (على).

(٢) ظ، م، ب: (جاءهم).

(٣) ظ: (فلا تقوله)؛ م: (فلا يقول). (٤) لعلها (يقبلون) وفي جميع النسخ (يعلمون).

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا^(١) فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فأخبر سبحانه أنه هدى عباده لما اختلف فيه المختلفون .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه :

«اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني^(٢) لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٣) .

فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع

من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه ورد الباطل مع من

كان ولو كان مع من يحبه ويواليه فهو ممن هدى لما اختلف فيه

من الحق .

فهذا^(٤) أعلم الناس وأهداهم سبيلاً وأقومهم قياً .

وأهل هذا المسلك إذا اختلفوا فاختلفهم اختلاف رحمة

(١) ظ : (لما اختلفوا) .

(٢) ظ : (أهدى) .

(٣) رواه مسلم ١/٥٣٤ ، من طريق عائشة رضي الله عنها في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، ح ٢٠٠ .

ورواه ابن ماجه ١/٤٣١ ، ٤٣٢ ، في كتابه : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل ، ح ١٣٥٧ .

ورواه النسائي ٣/٢١٢ ، ٢١٣ ، في كتاب قيام الليل وقطوع النهار ، باب بأي شيء تستفتح صلاة الليل .

ورواه أحمد في المسند ٦/١٥٦ .

(٤) م : (هذا) .

وهدى يقر بعضهم بعضاً عليه ويواليه ويناصره وهو داخل في باب التعاون والتناظر الذي لا يستغني عنه الناس في أمور دينهم وديناهم بالتناظر^(١) والتشاور، وإعمالهم الرأي، وإجالتهم الفكر في الأسباب الموصلة^(٢) إلى درك^(٣) الصواب فيأتي كل منهم بما قدحه زناد^(٤) فكره وأدركه قوة بصيرته فإذا قوبل بين الآراء المختلفة والأقوال المتباينة وعرضت على الحاكم الذي لا يجور وهو كتاب الله وسنة رسوله، وتجرد الناظر عن التعصب والحمية واستفرغ وسعه، وقصد طاعة الله ورسوله فقل^(٥) أن يخفى عليه الصواب من تلك الأقوال وما هو أقرب إليه [والخطأ وما هو أقرب إليه]^(٦) فإن الأقوال المختلفة لا تخرج عن الصواب وما هو أقرب إليه والخطأ وما^(٧) هو أقرب إليه^(٨) ومراتب القرب والبعد متفاوتة.

وهذا النوع من الاختلاف لا يوجب معادة ولا افتراقاً في الكلمة ولا تبديداً للشمل فإن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل كثيرة من مسائل الفروع كالجدد مع الإخوة وعتق أم الولد بموت سيدها ووقوع الطلاق الثلاث بكلمة

-
- (١) ظ: (بالتناظر)؛ م: (بالتناصر)، وقال الناسخ: «كان في الأصل بالتناظر.
 (٢) م: (المعضلة).
 (٣) ظ، م: (دار).
 (٤) ظ: (زيادة).
 (٥) ظ، م: (قول).
 (٦) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.
 (٧) ظ، م: (وخطأ ما).
 (٨) ب: (إليه أقرب).

واحدة، وفي الخلية والبرية والبتة^(١) وفي بعض مسائل الربا، وفي بعض نواقض الوضوء وموجبات الغسل وبعض مسائل الفرائض وغيرها فلم ينصب [بعضهم]^(٢) لبعض عداوة ولا قطع بينه وبينه عصمة بل كانوا كل منهم يجتهد في نصر قوله بأقصى ما يقدر عليه ثم يرجعون بعد المناظرة إلى الألفة والمحبة والمصافاة والموالاتة من غير أن يضمم بعضهم لبعض ضغنًا، ولا ينطوي له (على)^(٣) معتبة ولا ذم بل يدل^(٤) المُستفتي عليه مع مخالفته له^(٥) ويشهد له بأنه خير منه وأعلم منه.

فهذا الاختلاف أصحابه بين الأجرين والأجر وكل منهم مطيع لله^(٦) بحسب نيته واجتهاده وتحريه الحق.

وهنا نوع آخر من الاختلاف وهو وفاق في الحقيقة وهو اختلاف في الاختيار والأولى، بعد^(٧) الاتفاق على جواز

(١) هذه الألفاظ من كنايات الطلاق. ومعنى خلية: أي خالية من الزوج والخلية في الأصل الناقة تطلق من عقاها ويحلى عنها.

وبرية: بالهمز وتركه وهي تقتضي الخلو من النكاح والبراءة منه.

وبتة: من البتل وهو القلع وسميت مريم (البتول) لانقطاعها عن النكاح بالكلية.

حاشية الروض المربع لعبدالرحمن بن محمد بن قاسم ٥٠٤/٦. وانظر: معجم مقاييس اللغة ١/١٧٠، ٢٣٦؛ ٢/٢٠٤.

(٢) بعضهم إضافة من ب.

(٣) سقط لفظ: (على) من م وكتب مكانه (منه)؛ ظ: (على منه).

(٤) م: (دل).

(٥) (له): سقط من ب.

(٦) ظ، م: (يطيع ذلك).

(٧) ظ، م: (لك).

الجميع كالاختلاف في أنواع الأذان^(١) والإقامة وصفات
 التشهد والاستفتاح وأنواع النسك الذي يحرم به قاصد الحج
 والعمرة، وأنواع صلاة^(٢) الخوف، والأفضل من القنوت
 أو تركه ومن الجهر بالبسملة أو إخفائها ونحو ذلك فهذا وإن
 كان صورته صورة اختلاف فهو اتفاق في الحقيقة.

فصل

ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد
 [منه]^(٣) لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن
 [المذموم]^(٤) بغي^(٥) بعضهم على بعض وعدوانه^(٦)
 وإلا فإذا^(٧) كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين
 والتحزب وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر
 ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية ولكن
 إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريق
 المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافاً
 لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة، فإن الأصل الذي
 بنوا عليه واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله والقصد واحد
 وهو طاعة الله ورسوله والطريق واحد وهو النظر في أدلة
 القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس، وذوق،
 وسياسة.

(١) ظ: (الأذهان).

(٢) م: (أصلاة).

(٣) (منه): إضافة من ب، م.

(٤) (المذموم): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (ان بغي).

(٦) ظ، م: (وحدوا به).

(٧) ظ: (والا فيلذا)؛ م: (وإلا ملاذ).

الفصل الثالث والعشرون
في أسباب الخلاف الواقع بين الأئمة
بعد اتفاقهم على أصل واحد وتحاكمهم
إليه وهو كتاب الله وسنة رسوله^(١)

رأي ابن حزم في أسباب الخلاف الواقع بين الأئمة
ذكر الحميدي^(٢) في هذا فصلاً من كلام أبي محمد بن حزم وهو من أحسن كلامه فرأينا سياقه بلفظه. قال الحميدي: قال لنا الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد اليزيدي^(٣) الفارسي في بيان أصل الاختلاف الشرعي وأسبابه، تطلعت^(٤) النفس بعد تيقنها^(٥) أن الأصل المتفق [عليه]^(٦) المرجوع إليه أصل واحد لا يختلف وهو ما جاء عن

(١) في هامش ب: (أسباب الخلاف الواقع بين الأئمة).

(٢) هو محمد بن فتوح بن عبدالله بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبدالله ولد سنة ٤٢٠ مؤرخ محدث من أهل جزيرة ميورقة أصله من قرطبة ظاهري المذهب وهو صاحب الإمام ابن حزم وتلميذه رحل إلى مصر ودمشق ومكة سنة ٤٤٨. من كتبه: «جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» و«الجمع بين الصحيحين» وغيرهما. أقام ببغداد وفيها توفي سنة ٤٨٨.

بغية الملتمس، ص ١١٣، طبع روخس، سنة ١٨٨٤م؛ الأعلام ٦/٣٢٧، ٣٢٨.

(٣) ظ، م: (الرندي) وما أثبتته من ب وانظر: بغية الملتمس، ص ٤٠٣، مطبعة روخس.

(٤) ب: (تعطلت).

(٥) ظ، م: (منعها).

(٦) (عليه): إضافة من ب.

صاحب الشرع إما في القرآن وإما من فعله أو قوله الذي لا ينطق عن الهوى فيه.

[٦٠/١]

لما رأيت وشاهدت من اختلاف علماء الأمة فيما سبيله / واحد وأصله^(١) غير مختلف فبحثت^(٢) عن السبب الموجب للاختلاف ولترك من ترك كثيراً مما صح^(٣) من السنن^(٤)، فوضح لها بعد التفتيش والبحث أن كل واحد من العلماء [بشر]^(٥)^(٦) ينسى^(٧) كما ينسى^(٨) البشر^(٩) وقد يحفظ الرجل^(١٠) الحديث ولا يحضره ذكره فيفتي^(١١) بخلافه، وقد يعرض هذا في آي القرآن ألا ترى أن عمراً رضي الله عنه أمر على المنبر ألا يزداد^(١٢) مهور النساء على عدد ذكره (مياً إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على

(١) في ظ: (واجعله)؛ م: (وجعله).

(٢) ظ، م: (فنجيب).

(٣) ظ: (فما صح)؛ م: (فاصح).

(٤) ظ: (السنن)؛ م: (النفس).

(٥) (بشر): إضافة من ب.

(٦) من هنا ابتداء كلام الإمام ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام ٣٠١/٢، وما قبله ليس في الإحكام.

(٧) ظ، م: (بني).

(٨) ظ، م: (بينى).

(٩) الإحكام: (كما ينسى سائر الناس).

(١٠) الإحكام: (وقد تجد الرجل يحفظ).

(١١) الإحكام: (حتى يفتي).

(١٢) الإحكام: (وقد أمر عمر على المنبر بأن لا يزداد).

ذلك العدد في مهور نسائه^(١) حتى ذكرته^(٢) امرأة (من جانب المسجد)^(٣) بقوله^(٤) تعالى:

﴿وَأَتَيْتُمَّ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠].

فترك قوله وقال كل أحد أعلم منك حتى النساء^(٥)، وفي رواية أخرى^(٦) امرأة أصابت ورجل أخطأ^(٧)^(٨) (علماً

(١) ما بين القوسين ليس في الإحكام.

(٢) الإحكام: (فذكرته).

(٣) من جانب المسجد ليس في الإحكام.

(٤) الإحكام: (يقول الله).

(٥) الإحكام: (كل أحد أفقه منك يا عمر).

(٦) الإحكام: (وقال) بدل: (وفي رواية أخرى).

(٧) الإحكام: (وأمر المؤمنين أخطأ).

(٨) نهي عمر عن المغالاة في مهور النساء. رواه أبو داود (عون المعبود ٦/١٣٥) من

طريق أبي العجفاء السلمي في كتاب النكاح، باب الصداق، ح ٢٠٩٢.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٤/٢٥٥، ٢٥٦)، في أبواب النكاح، باب ما جاء في

مهور النساء، ح ١١٢٢ وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

ورواه النسائي ٦/١١٧، ١١٨، في كتاب النكاح، باب القسط في الأصدقة.

ورواه الحاكم في المستدرک ٢/١٧٦، من طريق ابن عمر وابن عباس وسعيد بن

المسيب ثم قال: «فقد تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب رضي الله عنه...» وقال الألباني: «صحيح الإسناد». إرواء الغليل

٦/٣٤٧.

أما قصة المرأة التي نازعت عمر رضي الله عنه فقد رواها البيهقي ٧/٢٣٣، وقال هذا

منقطع وقال الألباني: «هو ضعيف منكر» كما رواها عبدالرزاق في المصنف ٦/١٨٠؛

وقال الألباني: إسناده ضعيف. إرواء الغليل ٦/٣٤٨؛ وقال الحافظ ابن حجر في فتح

الباري ٩/٢٠٤؛ وأخرجه عبدالرزاق من طريق أبي عبدالرحمن السلمي قال: قال

عمر: لا تغالوا في مهور النساء. فقالت امرأة ليس ذلك لك يا عمر إن الله يقول: =

منه رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان لم يزد في مهور النساء على عدد ما فإنه لم يمنع مما^(١) سواه والآية أعم^(٢).

وكذلك أمر رضي الله عنه^(٣) بـرجم امرأة ولدت لستة أشهر فذكره^(٤) علي رضي الله عنه بقوله تعالى^(٥):

﴿وَحَمَلُهُ وَفَصَلُّهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

مع قوله:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

فرجع عن الأمر بـرجمها^(٦).

= ﴿وَوَاعَيْتُمُ إِحْدَانَهُنَّ قِنطَارًا﴾ مِنْ ذَهَبٍ.

قال: وكذلك هي في قراءة ابن مسعود فقال عمر: امرأة خاصمت عمر فخصمته. وأخرجه الزبير بن بكار من وجه آخر منقطع «فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ». وأخرجه أبو يعلي من وجه آخر عن مسروق عن عمر فذكره متصلاً مطولاً. وأصل قول عمر: «ولا تغالوا في صدقات النساء» عند أصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم لكن ليس فيه قصة المرأة.

(١) ظ، م: (ما سواه).

(٢) ما بين القوسين ليس في الإحكام.

(٣) الإحكام: (وأمر بـرجم).

(٤) ظ: (فذكر).

(٥) الإحكام: (علي يقول الله).

(٦) رواه الإمام مالك (الموطأ ٢/٨٢٥)، من طريق مالك في كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم، ح ١١، وذكر أن القصة وقعت لعثمان وقال محقق جامع الأصول ٣/٥٣٩، إسناده منقطع.

ورواه عبدالرزاق (المصنف ٧/٣٤٩، ٣٥٠)، من طريق قتادة في كتاب النكاح، باب =

وهم أن يسطو بعينته بن حصن^(١)^(٢) إذ جفا^(٣) عليه^(٤) حتى^(٥) ذكره^(٦) الحر بن قيس^(٧)^(٨) بقول الله عز وجل:

﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٩) [الأعراف: ١٩٩].

التي تضع لسته أشهر ح ١٣٤٤٣، وذكر أن القصة وقعت لعمر. وقال ابن كثير ١٥٧/٤، ورواه ابن أبي حاتم).

وزاد السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٦؛ وأخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد.

(١) ظ، م: (محضن)؛ ب: (حصين) والصواب ما أثبتته.

(٢) هو عينته بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو مالك وهو من المؤلفه قلوبهم. وكان من الأعراب الجفاة نعتة النبي صلى الله عليه وسلم بالأحق المطاع - يعني في قومه - قيل ان اسمه حذيفة ولقبه «عينته» لشر عينه.

الاستيعاب ١٢٤٩/٣، ترجمة رقم ٢٠٥٥.

تجريد أسماء الصحابة ٥٨٨/٢، ٥٨٩، ٦٩٣؛ الترجمة رقم ٤٦٧٥.

(٣) م: (حقا) وقال الناسخ: (لعله خفي).

(٤) الإحكام: إذا قال له يا عمر ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل.

(٥) ظ، م: (حين)؛ وقال ناسخ م: (لعله حتى).

(٦) الإحكام: (فذكره).

(٧) هو الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة الفزاري ابن أخي عينته بن حصين وهو أحد

الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رجع من تبوك وكان من جلساء عمر وقد استأذن لعمه عينته بن حصن في الدخول على عمر فلما دخل عليه قال: ها ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فهم أن يسطوا به

عمر رضي الله عنه فذكره الحر بن قيس بقوله عز وجل: ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فأمسك عمر.

الإصابة ٣٢٣/١، المكتبة التجارية الكبرى؛ أسد الغابة ٤٧٢/١، رقم الترجمة ١١١٨، كتاب الشعب.

(٨) الإحكام: (الحر بن قيس بن حصين بن حذيفة).

(٩) الإحكام: (وقال له يا أمير المؤمنين هذا من الجاهلين).

فأمسك عمر^(١).

وقال رضي الله عنه يوم^(٢) مات رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يكون آخرنا^(٣) حتى قرىء^(٤) عليه:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

(فرجع^(٥) عن ذلك^(٦) وقد كان علم الآية ولكنه نسيها لعظم الخطب الوارد عليه)^(٧)(^(٨).

(وقد يذكر العالم الآية^(٩) والسنة^(١٠)) ولكن يتأول

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٨/٣٠٤، ٣٠٥)، من طريق ابن عباس، في كتاب التفسير تفسير سورة الأعراف، باب خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، ح ٤٦٤٢. ورواه البخاري أيضاً (فتح الباري ١٣/٢٥٠) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح ٧٢٨٦.

(٢) ظ، م: (يقول)؛ وقال ناسخ م: (لعله يقولون).

(٣) الإحكام: زاد: (أو كلاماً هذا معناه).

(٤) م: (قرأ)؛ الإحكام: (قرئت).

(٥) الإحكام: (فسقط السيف من يده وخر إلى الأرض وقال: كأي والله لم أكن قرأتها قط).

(٦) رواه البخاري (فتح الباري ٧/١٩)، من طريق عائشة رضي الله عنها، في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ولو كنت متخذاً خليلاً»، ح ٣٦٦٧ (بنحوه).

ورواه ابن ماجه ١/٢٩٨، في أبواب ما جاء في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم، ح ١٦٢٧ (بنحوه) ط. الأعظمي.

(٧) ما بين القوسين ليس في الإحكام.

(٨) في الإحكام: (فإذا أمكن هذا في القرآن فهو في الحديث أمكن وقد ينسأه البتة وقد لا ينسأه بل يذكره).

(٩) ظ، م: (إلا)؛ وقال في م: (لعله الآية).

(١٠) ما بين القوسين ليس في الإحكام.

فيهما^(١) تأويلاً من خصوص أو نسخ^(٢) أو معنى^(٣) ما وإن كان كل ذلك يحتاج إلى دليل^(٤) ولا شك^(٥) أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالمدينة حوله^(٦) صلوات الله وسلامه عليه مجتمعين وكانوا ذوي^(٧) معاش يطلبونها وفي ضنك من القوت^(٨) فمن محترف^(٩) في الأسواق، ومن قائم على نخله، ويحضره^(١٠) صلى الله عليه وسلم في كل وقت منهم طائفة^(١١) إذا وجدوا أدنى فراغ مما هم بسبيله^(١٢)(١٣).

وقد نص على^(١٤) ذلك أبو هريرة فقال: إن إخواني من

-
- (١) الإحكام: (فيه).
 - (٢) الإحكام: (فيظن فيه خصوصاً أو نسخاً).
 - (٣) ظ، م: (تعين).
 - (٤) الإحكام: (وكل هذا لا يجوز إتباعه إلا بنص أو إجماع لأنه رأى من رأى ذلك ولا يحل تقليد أحد ولا قبول رأيه).
 - (٥) الإحكام: (وقد علم كل أحد أن الصحابة).
 - (٦) الإحكام: (كانوا حوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة).
 - (٧) ظ: (ذو)؛ م: (ذو).
 - (٨) الإحكام: زاد (شديد) — وقد جاء ذلك منصوصاً — وإن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أخرجهم الجوع من بيوتهم فكانوا من...).
 - (٩) الإحكام: (محترف) ومعنى احترف: اتخذ حرفة ولأهله اكتسب فهو محترف. المعجم الوسيط ١٦٧/١.
 - (١٠) ظ، م: (بحضرته) وقال في هامش م: (لعله تحضره). الإحكام: (ويحضر رسول الله).
 - (١١) الإحكام: (الطائفة).
 - (١٢) ظ، م: (فأهم لسبيله).
 - (١٣) الإحكام: (هذا ما لا يستطيع أحد أن ينكره).
 - (١٤) الإحكام: (وقد ذكر ذلك).

المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواني من الأنصار كان يشغلهم القيام على نخلهم^(١) وكنت امرأً مسكيناً أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني^(٢).

وقد قال عمر رضي الله عنه^(٣) أهاني الصفق بالأسواق^(٤) في حديث استئذان أبي موسى^(٥)، وكان^(٦).

(١) ظ، م: (عملهم).

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ١/٢١٣، ٢١٤)، من طريق أبي هريرة بنحوه، في كتاب العلم، باب حفظ العلم، ح ١١٨. وفي كتاب الاعتصام ١٣/٣٢، باب الحجّة على من قال إن أحكام النبي صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة وما كان يغيب بعضهم عن مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم وأمور الإسلام، ح ٧٣٥٣.

ورواه مسلم ٤/١٩٣٩، في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، ح ١٥٨، مع اختلاف يسير.

ورواه أحمد في المسند ٢/٢٤٠، بنحوه.

(٣) الإحكام: (وقد أقر بذلك عمر فقال: فإني مثل هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٤) الإحكام: (ذكر ذلك في).

(٥) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٣٢٠، ٣٢١)، من طريق عبيد بن عمير، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الحجّة على من قال إن أحكام النبي صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة، وما كان يغيب بعضهم عن مشاهد النبي وأمور الإسلام، ح ٧٣٥٣.

ورواه أبو داود (عون المعبود ١٤/٨٤ - ٨٦)، من طريق أبي سعيد الخدري وأبي موسى في كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، ح ٥١٥٨، وح ٥١٥٩.

ورواه أحمد في المسند ٤/٤٠٠.

(٦) الإحكام: (فكان رسول الله).

صلى الله عليه وسلم يسأل عن المسألة ويحكم بالحكم ويأمر بالشيء ويفعل بالشيء، فيحضره^(١) من حضره ويغيب عن غاب عنه، فلما مات^(٢) صلوات الله وسلامه عليه ولي أبو بكر^(٣) كان^(٤) إذا جاءته^(٥) القضية ليس عنده فيها نص^(٦) سأل من حضرته من الصحابة عنها^(٧) فإن وجد عندهم^(٨) نصاً رجع إليه وإلا اجتهد في الحكم فيها^(٩)، (وكان اجتهاده واجتهاد غيره منهم رضي الله عنهم رجوعهم إلى نص عام أو إلى أصل إباحة متقدمة أو إلى نوع من هذا يرجع إلى أصل، ولا يجوز أن يظن أحد أن اجتهاد أحد منهم هو أن يشرع^(١٠) شريعة باجتهاد ما أو يخترع حكماً لا أصل له، حاشاهم من ذلك)^(١١).

فلما ولي عمر رضي الله عنه فتحت الأمصار وتفرقت^(١٢)

-
- (١) الإحكام: (فيعيه).
 - (٢) الإحكام: (النبي).
 - (٣) الإحكام زاد: (فمن حينئذ تفرق الصحابة للجهاد إلى مسيلمة وإلى أهل الردة وإلى الشام والعراق وبقي بعضهم بالمدينة مع أبي بكر رضي الله عنه).
 - (٤) الإحكام: (فكان).
 - (٥) الإحكام: (جاءت).
 - (٦) الإحكام: (عن النبي صلى الله عليه وسلم أمر).
 - (٧) الإحكام: (عن ذلك).
 - (٨) ظ، م، ب: (عنهم)، وقال في هامش م: (عندهم) وكذا في الإحكام.
 - (٩) الإحكام زاد: (ليس عليه غير ذلك) بدل: (فيها).
 - (١٠) ظ: (مشرع).
 - (١١) ما بين القوسين ليس في الإحكام.
 - (١٢) الإحكام: (وزاد تفرقت).

الصحابة في الأقطار، فكانت الحكومة^(١) تنزل بالمدينة^(٢) أو غيرها^(٣) من البلاد، فإن كان عند الصحابة الحاضرين لها نص^(٤) حكم به وإلا اجتهدوا^(٥) في ذلك وقد يكون في تلك القضية نص^(٦) موجود عند صاحب آخر في بلد آخر.

وقد حضر المدني^(٧) ما لم يحضر المصري وحضر المصري ما لم يحضر الشامي وحضر الشامي ما لم يحضر^(٨) البصري، والبصري^(٩) ما لم يحضر الكوفي، والكوفي^(١٠) ما لم يحضر البصري^(١١) والمدني^(١٢) ما لم يحضر الكوفي والبصري^(١٣) كل هذا موجود في الآثار وتقتضيه الحالة التي ذكرنا^(١٤) من

-
- (١) الحكومة هي القضية التي فيها حكم.
 - (٢) ظ، م، ب: (بمكه)، وما أثبتته من الأحكام.
 - (٣) الأحكام: (في غيرها).
 - (٤) الأحكام: (في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أثر).
 - (٥) الأحكام: (وإلا اجتهد أمير تلك المدينة).
 - (٦) الأحكام: (حكم عن النبي صلى الله عليه وسلم).
 - (٧) الأحكام: (المديني).
 - (٨) م: (ما لم يحضر الكوفي والبصري).
 - (٩) الأحكام: (وحضر البصري).
 - (١٠) الأحكام: (وحضر الكوفي).
 - (١١) الأحكام: (المديني).
 - (١٢) الأحكام: (المديني).
 - (١٣) ما بين القوسين ليس في الأحكام.
 - (١٤) الأحكام: (وفي ضرورة العلم بما قدمنا) بدل: (وتقتضيه الحالة التي ذكرنا).

مغيب^(١) بعضهم عن مجلسه^(٢)(٣) في بعض الأوقات
وحضور غيره ثم مغيب^(٤) الذي حضر وحضور الذي غاب
فيدري كل واحد منهم ما حضره^(٥) ويفوته ما غاب عنه هذا
أمر مشاهد^(٦)(٧).

وقد كان علم التيمم عند عمار وغيره وغاب عن^(٨)
عمر وابن مسعود حتى قال^(٩) لا يتيمم الجنب ولو لم يجد الماء
شهرين^(١٠).

وكان حكم المسح على الخفين^(١١) عند علي وحذيفة
ولم تعلمه^(١٢) عائشة ولا ابن عمر ولا أبو هريرة على أنهم

(١) ظ، م: (تغيب).

(٢) ظ، م: (مجلسه).

(٣) الإحكام: (مجلس النبي صلى الله عليه وسلم).

(٤) ظ، م، ب: (تغيب) وما أثبتته من الإحكام.

(٥) الإحكام: (ما حضر).

(٦) ظ: (شاهد).

(٧) الإحكام: (وهذا معلوم بيديه العقل) بدل: (وهذا أمر مشاهد).

(٨) الإحكام: (وجهله).

(٩) الإحكام: (فقالا).

(١٠) انظر: البخاري (فتح الباري ١/٤٥٥، ٤٥٦)، من طريق أبي وائل ومن طريق شقيق، في كتاب التيمم، باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم، وباب التيمم ضربة واحدة، ح ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، وفيه: «فلم يجد الماء شهراً».

ومسلم ١/٢٨٠، ٢٨١، من طريق شقيق ومن طريق عبدالرحمن بن ابزي، في كتاب الحيض، باب التيمم، ح ١١٠، ١١٢.

(١١) (على الخفين) ليس في الإحكام.

(١٢) ظ: (ولو لم نقله)؛ م: (ولو لم تنقله).

مدينون(١)(٢).

وكان توريث(٣) بنت الابن مع البنت عند(٤) ابن مسعود وغاب ذلك عن(٥) أبي موسى(٦).

وكان حكم الاستئذان عند أبي موسى وأبي سعيد (الخدري)(٨) [وأبي(٩) وغاب(١٠) عن عمر(١١)].

-
- (١) الإحكام: (وجهته عائشة وابن عمر وأبو هريرة وهم مدينون).
(٢) انظر: البخاري (فتح الباري ١/٣٠٥)، من طريق سعد بن أبي وقاص في كتاب الوضوء، باب المسح على الخفين، ح ٢٠٢ وفيه خبر عائشة.
ومسلم ١/٢٣٢، من طريق شريح بن هاني، في كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين، ح ٨٥.
والنسائي ١/٨٤، في كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين للمقيم. وفيها خبر ابن عمر.
(٣) ظ، م: (يورث).
(٤) م: (عن).
(٥) الإحكام: (وجهلة).
(٦) انظر: أبو داود (عون المعبود ٨/٩٧)، من طريق هزيل بن شرحبيل الأودي، في كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب، ح ٢٨٧٣. وانظر: ما رواه البخاري (فتح الباري ١٢/٢٤)، في كتاب الفرائض، باب ميراث الأخوات مع البنات عصبة، ح ٦٧٤٢ (وليس فيه ذكر أبي موسى).
وانظر: ما رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٦/٢٦٨)، في أبواب الفرائض، باب ما جاء في ميراث بنت الابن مع بنت الصلب، ح ٢١٧٣.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(٧) الإحكام: (وعند أبي).
(٨) (الخدري): سقط من ب، وليس في الإحكام.
(٩) (وأبي): إضافة من ب، وليس في الإحكام.
(١٠) الإحكام: (وجهله).
(١١) سبق تحقيقه، انظر ص ٥٢٧.

وكان حكم الإذن للحائض في أن تنفر قبل أن تطوف^(١) عند ابن عباس وأم سليم ولم يعلمه^(٢) ابن عمر^(٣) وزيد بن ثابت^(٤).

وكان حكم^(٥) المتعة والحمر الأهلية عند علي وغيره ولم يعلمه^(٦) ابن عباس^(٧)، وكان حكم الصرف عند عمر^(٨)، وأبي سعيد وغيرهما وغاب^(٩) ذلك عن طلحة وابن عباس وابن عمر^(١٠).

(١) م: (قبل أن تنفر).

(٢) الإحكام: (وجهله).

(٣) ظ، م، ب: (عمر)، وكذا في الإحكام وقد ورد في الحديث أنه ابن عمر وهو ما أثبتته.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٤٢٨/١)، في كتاب الحيض، باب المرأة تحيض بعد الإفاضة، ح ٣٣٠، بلفظ: «وكان ابن عمر يقول في أول أمره انها لا تنفر...».

كما روى البخاري رأى ابن عباس وأم سليم وزيد بن ثابت (فتح الباري ٥٨٦/٣)، من طريق عكرمة في كتاب الحج، باب إذا حاضت المرأة بعدما أفاضت، ح ١٧٥٨، ١٧٥٩.

(٥) الإحكام: (حكم تحريم).

(٦) ظ: (ولم يقله)؛ م: (ولم ينقله)؛ الإحكام: (وجهله).

(٧) رواه البخاري (فتح الباري ١٦٦/٩، ١٦٧)، من طريق الحسن بن محمد بن علي وأخيه عبدالله عن أبيهما ومن طريق أبي حمزة، في كتاب النكاح، باب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة أخيراً، ح ٥١١٥، ٥١١٦.

ورواه مسلم ١٠٢٨/٢، من طريق علي بن أبي طالب، في كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيع ثم نسخ ثم أبيع ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة، ح ٣١.

(٨) ظ: (عمر).

(٩) الإحكام: (وجهله).

(١٠) انظر: قصة طلحة مع عمر رضي الله عنهما في البخاري (فتح الباري ٣٧٧/٤)،

(٣٧٨)، من طريق مالك بن أوس في كتاب البيوع، باب بيع الشعير بالشعير، ح ٢١٧٤.

وكذلك^(١) حكم إجلاء أهل الذمة من بلاد العرب^(٢) كان عند ابن عباس وعمر، ففسيه عمر سنتين^(٣) فتركهم حتى ذكر (بذلك)^(٤) فذكره^(٥) فأجلاهم^(٦)^(٧) ومثل هذا كثير^(٨). فمضى الصحابة على هذا^(٩) ثم خلف / بعدهم [٦١/١]

= وفي مسلم (١٢٠٩/٣، ١٢١٠)، في كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، ح ١٥٨٦.

وانظر: قصة ابن عمر وابن عباس مع أبي سعيد في مسلم ١٢١٧/٣ عن طريق أبي نضرة، في كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل، ح ١٠٠.

(١) الإحكام: (وكان). (٢) ظ: (القرب).

(٣) الإحكام: (سنين). (٤) بذلك: ليس في الإحكام.

(٥) ظ، م: (فذكرهم)؛ الإحكام: (فذكر).

(٦) رواه البخاري (فتح الباري ٣٢٧/٥)، من طريق عبدالله بن عمر، في كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة «إذا شئت أخرجتك»، ح ٢٧٣٠.

واختلف في سبب إجلائهم:

١ - فقد ورد في البخاري أنه لما فدع أهل خيبر عبدالله بن عمر قام عمر خطيباً وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سامل يهود خيبر على أموالهم.. وإن عبدالله بن عمر خرج إلى ماله هناك ففدعت يده ورجلاه.. وقد رأيت إجلاهم الفدع: زيغ في الكف بينهما وبين الساعد.

٢ - ما ورد عن عبدالله بن عتبة أنه قال: «ما زال عمر حتى وجد الثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان».

٣ - ما ورد عن عمر بن شبة في: «أخبار المدينة» قال لما كثرت العيال - أي الخدم - في أيدي المسلمين وقووا على العمل في الأرض أجلاهم عمر.

قال ابن حجر في الفتح ٣٢٨/٥: «ويحتمل أن يكون كل هذه الأشياء جزء علة في إخراجهم» ولم يذكر النسيان.

(٧) الإحكام: زيادة خمسة أسطر بعد قوله: (فأجلاهم).

(٨) الإحكام: «كثير جداً».

(٩) الإحكام: (على ما ذكرنا).

التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي ذكرنا فإنما تفقهوا بمن^(١) كان عندهم من الصحابة وكانوا^(٢) لا يتعدون^(٣) فتاويهم لا تقليداً لهم ولكن لأنهم^(٤) أخذوا ورووا عنهم إلا اليسير مما^(٥) بلغهم عن غير من كان في بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم. كاتباع أهل المدينة في الأكثر فتاوى (ابن عمر. وأتباع أهل مكة في الأكثر فتاوى [ابن عباس واتباع أهل الكوفة في الأكثر فتاوى]^(٦)^(٧) ابن مسعود^(٨)).

ثم أتى من^(٩) بعد التابعين فقهاء الأمصار كأبي حنيفة، وسفيان^(١٠) وابن أبي ليلى^(١١) بالكوفة، وابن

(١) الإحكام: (مع من).

(٢) ب: (فكانوا).

(٣) ظ، م: (لا ينقدون).

(٤) الإحكام: (إنما أخذوا).

(٥) م: (فما).

(٦) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٧) ما بين القوسين سقط من م.

(٨) الإحكام: (قدم قوله: «واتباع أهل الكوفة في الأكثر فتاوى ابن مسعود» على قوله:

«واتباع أهل مكة في الأكثر فتاوى ابن عباس»).

(٩) من ليست في الإحكام.

(١٠) هوسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي أبو عبدالله ولد سنة ٩٧ روى عن أبيه

وأبي إسحاق الشيباني وعبد الملك بن عمير وغيرهم وروى عنه جعفر بن برقان

والأوزاعي ومالك وزهير بن معاوية وغيرهم قال النسائي هو أجل من أن يقال فيه ثقة.

وتوفي سنة ١٦١.

تهذيب التهذيب ٤/١١٤؛ تذكرة الحفاظ ١/٣٠٣ - ٣٠٦؛ سير أعلام النبلاء

٧/٢٢٩، ٢٨٠؛ الكاشف ١/٣٧٨.

(١١) هو محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي أبو عبدالرحمن قاض الكوفة ولد

نيف وسبعين.

روى عن أخيه عيسى وابن أخيه عبدالله بن عيسى ونافع مولى ابن عمر وغيرهم.

جريج (١) بمكة، ومالك وابن الماجشون (٢) بالمدينة، وعثمان البتي (٣)

= وروى عنه ابنه عمران وقريبه عيسى بن المختار بن عبدالله بن عيسى وابن جريج وغيرهم. قال البخاري، مات سنة ١٤٨.

تهذيب التهذيب ٣٠١/٩، ٣٠٢؛ سير أعلام النبلاء ٣١٠/٦ - ٣١٦؛ الجرح والتعديل ٣٢٢/٧، ٣٢٣؛ ميزان الاعتدال ٦١٣/٣، ٦٦؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٣٤٨.

(١) هو عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم أصله رومي ولد سنة ٨٠، روى عن حكيمة بنت رقيقة وأبيه عبدالعزيز وعطاء بن أبي رباح وغيرهم. وروى عنه ابنه عبدالعزيز ومحمد والأوزاعي والليث ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم. مات سنة ١٥٠.

تهذيب التهذيب ٤٠٢/٦، ٤٠٥؛ سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٦ - ٣٣٦؛ الجرح والتعديل ٣٥٦/٥ - ٣٥٨؛ ميزان الاعتدال ٦٥٩/٢؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٢٤٤.

(٢) هو عبد الملك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون التيمي مولاهم. روى عن أبيه وخاله يوسف بن يعقوب ومالك ومسلم بن خالد الزنجي وغيرهم وروى عنه أبو الربيع سليمان بن داود المهري وعمار بن طالوت والزبير بن بكار وغيرهم. قال أبو مصعب: رأيت مالك بن أنس طرد عبد الملك لأنه كان يتهم برأي جهم. مات سنة ٢١٤.

تهذيب التهذيب ٤٠٧/٦، ٤٠٨؛ سير أعلام النبلاء ٣٥٩/١٠ - ٣٦٠؛ ميزان الاعتدال ٦٥٨/٢، ٦٥٩؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٢٤٤ - ٢٤٥؛ شذرات الذهب ٢٨/٢؛ الجرح والتعديل ٣٥٨/٥.

(٣) هو عثمان بن مسلم أبو عمر البصري ويقال اسم جده جرموز البتي (بفتح الموحدة بعدها مثناة مكسورة) وسمي البتي لأنه كان يبيع البتوت والبت كساء غليظ وفيه يقول الشاعر:

من يك ذا بت فهذا بتي مقيض مصيف مشتي
روى عن أنس والشعبي وعبد الحميد بن سلمة. . وغيرهم.

وروى عنه شعبة والثوري وحامد بن سلمة وهشيم وعيسى بن يونس وغيرهم. مات سنة ١٤٣.

وسوار^(١)^(٢) بالبصرة، والأوزاعي^(٣) بالشام،
والليث^(٤) بمصر، فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل
واحد منهم عن التابعين من أهل بلده (وتابعوهم عن

تهذيب التهذيب ١٥٣/٧، ١٥٤؛ سير أعلام النبلاء ١٤٨/٦، ١٤٩؛ الجرح
والتعديل ١٤٥/٦؛ ميزان الاعتدال ٥٩/٣، ٦٠؛ خلاصة تهذيب الكمال،
ص ٢٦٢.

(١) ظ، م: (سنوار).

(٢) سوار بن عبدالله بن قدامة بن عنزة بن نقب بن عمرو بن الحارث البصري القاضي
روى عن بكر بن عبدالله المزني والحسن بن أبي الحسن البصري وأبي المنهال سيار بن
سلامة وغيرهم وروى عنه ابنه عبدالله وابن عليّة وبشر بن المفضل.. وغيرهم. ولاء
أبو جعفر القضاء بالبصرة، سنة ١٣٨، وبقي على القضاء إلى أن مات وهو أمير البصرة
وقاضيتها سنة ١٥٦.

تهذيب التهذيب ٢٦٩/٤؛ ميزان الاعتدال ٢٤٥/٢، ٢٤٦.

(٣) هو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبو عمرو الأوزاعي،
ولد سنة ٨٨.

روى عن إسحاق بن عبدالله ابن أبي طلحة وشداد بن عمارة وعبد بن أبي لبابة..
وغيرهم.

وروى عنه الزهري ويحيى بن أبي كثير وقتادة وغيرهم. توفي سنة ١٥٨.

تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦ - ٢٤٠؛ سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧ - ١٣٤؛ الجرح
والتعديل ١٨٤/١ - ٢١٩؛ ميزان الاعتدال ٥٨٠/٢؛ خلاصة تهذيب الكمال،
ص ٢٣٢؛ شذرات الذهب ٢٤١/١ - ٢٤٢.

(٤) هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي أبو الحارث الإمام عالم الديار المصرية، ولد
سنة ٩٤.

روى عن نافع وابن أبي مليكة ويزيد بن أبي حبيب.. وغيرهم.

وروى عنه شعيب ومحمد بن عجلان وهشام بن سعد.. وغيرهم.

توفي سنة ١٧٥.

تهذيب التهذيب ٤٥٩/٨ - ٤٦٤؛ سير أعلام النبلاء ١٣٦/٨ - ١٦٣؛ الجرح
والتعديل ١٧٩/٧، ١٨٠؛ ميزان الاعتدال ٤٢٣/٣؛ شذرات الذهب ٢٨٥/١.

الصحابة^(١)، فيما كان عندهم وفي اجتهادهم فيما ليس^(٢) عندهم وهو موجود عند غيرهم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وكل من^(٣) ذكرنا مأجور على ما أصاب فيه^(٤) أجرين ومأجور فيما خفى عنه ولم يبلغه^(٥) أجراً واحداً (قال تعالى:

﴿لَا تُذِرْكُم بِهِءٍ وَمَنْ يُلَِّغْ﴾^(٦) [الأنعام: ١٩].

وقد يبلغ الرجل من^(٧) ذكرنا نضان^(٨) ظاهرهما^(٩) التعارض فيميل إلى أحدهما^(١٠) بضرب من الترجيحات^(١١)^(١٢)، ويميل غيره إلى النص^(١٣) الآخر^(١٤) الذي تركه^(١٥) بضرب آخر^(١٦) من الترجيحات^(١٧)، كما روى

-
- (١) ما بين القوسين ليس في الإحكام.
 - (٢) الإحكام: (واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم).
 - (٣) الإحكام: (ما ذكرنا).
 - (٤) الإحكام زاد: (حكم النبي صلى الله عليه وسلم).
 - (٥) الإحكام: (منه) بدل: (ولم يبلغه).
 - (٦) ما بين القوسين ليس في الإحكام.
 - (٧) الإحكام: (مما).
 - (٨) الإحكام: (حديثان).
 - (٩) ظ: (ظاهما).
 - (١٠) الإحكام زاد: (دون الثاني).
 - (١١) ظ: (الرجيحات).
 - (١٢) الإحكام زاد: (التي صححنا أو أبطلنا قبل هذا في هذا الباب).
 - (١٣) الإحكام: (الحديث).
 - (١٤) (الأخر) ليست في الإحكام.
 - (١٥) (الإحكام) ترك هذا.
 - (١٦) (أخر) ليست في الإحكام.
 - (١٧) (١٧) الإحكام: (من تلك الترجيحات).

عثمان^(١) بن عفان في الجمع بين الأختين أحلتها آية
وحرمتها آية^(٢)^(٣). وكما مال ابن عمر إلى تحريم نساء أهل
الكتاب جملة بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقال: لا أعلم شركاً أعظم من قول المرأة إن عيسى
رهباً^(٤)، وغلب ذلك على الإباحة المنصوصة في الآية
الأخرى^(٥) (ومثل هذا كثير)^(٦).

فعلى^(٧) هذه الوجوه ترك بعض العلماء^(٨) [ما تركوا]^(٩)
من الحديث ومن الآيات^(١٠)، وعلى هذه الوجوه خالفهم

(١) الإحكام: (عن عثمان).

(٢) الإحكام: قدم حرمتها آية على قوله: أحلتها آية.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/٥٣٨، ٥٣٩، من طريق قبيصة بن أبي ذؤيب، في
كتاب النكاح، باب ما جاء في كراهية إصابة الأختين بملك اليمين والمرأة وابنتها، ح ٣٤.
ورواه البيهقي في سننه ٧/١٦٤، في كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم الجمع بين
الأختين؛ ورواه عبدالرزاق في المصنف ٧/١٨٩.

وانظر: كنز العمال ١٦/٥١١؛ وأحكام القرآن للجصاص ٢/١٣٠، ١٣١.

وذكره ابن قدامة في المغني ٦/٥٨٤، ونسبه لابن عباس.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٩/٤١٦)، من طريق نافع، في كتاب الطلاق، باب قول
الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾، ح ٥٢٨٥.

(٥) الإحكام: زيادة ستة أسطر بعد قوله وفي الآية الأخرى.

(٦) ما بين القوسين ليس في الإحكام.

(٧) ب: (فعل).

(٨) الإحكام: (ترك مالك ومن كان قبله).

(٩) (ما تركوا): إضافة من ب.

(١٠) الإحكام: والآيات.

نظراؤهم فأخذ هؤلاء ما ترك أولئك وأخذ أولئك ما ترك هؤلاء^(١) ([لا]^(٢) قصداً إلى خلاف النصوص، ولا تركاً لطاعتها ولكن لأحد الأعدار التي ذكرنا، إما من نسيان^(٣)، (و)^(٤) إما أنها لم تبلغهم وإما لتأويل^(٥) ما وإما لأخذ^(٦) بخبر ضعيف لم يعلم الآخذ به ضعف روايته^(٧) وعلمه^(٨) غيره فيأخذ^(٩) بخبر آخر أصح منه أو بظاهر آية، وقد يتنبه^(١٠) بعضهم في النصوص الواردة إلى معنى، ويلوح منه حكم بدليل ما ويغيب عن غيره^(١١)(^{١٢})، وقد كثرت الرحل إلى الآفاق^(١٣) وتداخل الناس^(١٤) وانتدب أقوام لجمع^(١٥) حديث النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وتقييده ووصل من البلاد

(١) في الإحكام: زيادة قرابة صفحة ذكر فيها وجوهاً عشرة من أسباب الاختلاف الواقع بين الأئمة.

(٢) (لا): إضافة من ب.

(٣) ظ، م: (سبان).

(٤) سقط حرف الواو من م.

(٥) ظ: (التأويل).

(٦) ظ، م: (الأخذ).

(٧) ظ، م: (ضعيف رواية).

(٨) ظ، م: (وعمله).

(٩) ب: (فأخذ).

(١٠) ظ، م: (بينه).

(١١) ما بين القوسين ليس في الإحكام.

(١٢) الإحكام: (ثم كثرت).

(١٣) ظ، م: (الإيمان).

(١٤) الإحكام زاد: (والتقوا).

(١٥) ظ: (بجمع).

البعيدة إلى من لم يكن عنده وقامت^(١) الحجة على من بلغه شيء منه وجمعت الأحاديث المبينة^(٢) لصحة أحد^(٣) التأويلات المتأولة في الحديث وعرف الصحيح من السقيم وزيف^(٤) الاجتهاد المؤدي إلى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ترك عمله وسقط العذر^(٥) ممن خالف ما بلغه من السنن ببلوغها إليه وقيام الحجة بها^(٦) عليه ولم^(٧) يبق إلا العناد والتقليد^(٨).

وعلى هذه الطريقة^(٩) كان الصحابة رضي الله عنهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث^(١٠) الأيام الكثيرة (طلباً للسنن والتزاماً لها)^(١١).

وقد رحل أبو أيوب من المدينة إلى مصر في حديث واحد إلى عقبة بن عامر^(١٢)(١٣)(١٤)، ورحل علقمة، والأسود إلى

(١) ظ: (وقامة).

(٢) ظ، ب: (المثبتة)؛ م: (المشبهة)، وما أثبتته من الإحكام.

(٣) ظ، م، ب: (أخذ)، وما أثبتته من الإحكام.

(٤) ظ، م: (راق)؛ ب: (زاف)، وما أثبتته من الإحكام.

(٥) ظ، م: (القدر).

(٦) الإحكام: (به).

(٧) الإحكام: (فلم).

(٨) الإحكام: (فلم يبق إلا العناد والجهل والتقليد والاثم).

(٩) الإحكام: (وعلى هذا الطريق).

(١٠) الإحكام: (الحديث الواحد).

(١١) ما بين القوسين ليس في الإحكام.

(١٢) الإحكام (إلى عقبة بن عامر في حديث واحد).

(١٣) في هامش ب: (الرحلة إلى أخذ الحديث).

(١٤) رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث، ص ٧، ٨.

عائشة وابن عمر^(١) ورحل علقمة إلى أبي الدرداء بالشام^(٢) وكتب معاوية إلى المغيرة اكتب إليّ بما^(٣) سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤)^(٥) (ومثل هذا كثير)^(٦) انتهى كلامه^(٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٨): جماع الأعدار (في

= الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٢٦/٢ تحقيق الدكتور محمود الطحان. جامع بيان العلم وفضله ٩٣/١، ٩٤.

الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي، ص ١١٨، ١١٩.

ورواه أحمد في المسند ١٥٣/٤ ولفظه قال رحل أبوأيوب إلى عقبة بن عامر فأتى مسلمة بن مخلد فخرج إليه فقال دلوني فأتى عقبة فقال حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ستر على مؤمن في الدنيا ستره الله يوم القيامة فأتى راحلته فركب ورجع. قال الحافظ بن حجر سنده منقطع ورواه الطبراني من حديث مسلمة بن مخلد. فتح الباري ١/١٧٥.

(١) علوم الحديث لابن الصلاح، ص ٢٢٣ تحقيق نورالدين عتر.

(٢) الرحلة في طلب الحديث، ص ٧٨ للخطيب البغدادي تحقيق نورالدين عتر ولم يذكر علقمة وإنما قال فأتاه رجل من المدينة.

(٣) ظ، م: (ما)، (الإحكام): (ما).

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٢٦٤) من طريق وراذ كاتب المغيرة في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه، ح ٧٢٩٢.

ورواه مسلم ٣/١٣٤١، في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع عن أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، ح ١٣.

(٥) الإحكام: (قدم قصة معاوية على قصة أبي الدرداء).

(٦) (ومثل هذا كثير) ليس في الإحكام.

(٧) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/٣٠٧، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز.

(٨) انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ص ٥، الطبعة الخامسة مؤسسة مكة للطباعة والإعلام توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

رأي شيخ الإسلام
ابن تيمية في أسباب
الخلاف الواقع بين
الأئمة

ترك من ترك من الأئمة حديثاً^(١) ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله .

الثاني: عدم اعتقاده أنه^(٢) أراد تلك المسألة بذلك القول .

الثالث: اعتقاده^(٣) أن ذلك الحكم منسوخ .

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة:

السبب الأول: أن لا يكون الحديث قد بلغه، ومن

لم يبلغه الحديث لم يكلف أن يكون عالماً بموجبه . فإذا^(٤)

لم يبلغه^(٥) وقد قال في تلك النازلة^(٦) بموجب ظاهر آية

أو حديث آخر أو بموجب قياس أو^(٧) استصحاب فقد

يوافق^(٨) الحديث المتروك^(٩) تارة ويخالفه أخرى . وهذا

السبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السلف مخالفاً

لبعض الأحاديث، فإن الإحاطة بحديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم لم تكن لأحد من الأئمة^(١٠)^(١١) واعتبر ذلك

فصل

(١) ما بين القوسين ليس في رفع الملام .

(٢) (أنه): ليست في رفع الملام .

(٣) ب: (عدم اعتقاده)، وفي رفع الملام كما أثبتته .

(٤) ب: (وإذا)، وكذلك في رفع الملام .

(٥) رفع الملام: (لم يكن قد بلغه) .

(٦) رفع الملام: (القضية) .

(٧) رفع الملام: (أو موجب استصحاب) .

(٨) رفع الملام: (ذلك الحديث) .

(٩) (المتروك): ليس في رفع الملام .

(١٠) رفع الملام: (الأئمة) .

(١١) رفع الملام: زيادة حوالي ثلاثة عشر سطرأ .

بالخلفاء الراشدين [الذين] (١) هم أعلم الأمة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه (٢) وأحواله [و] (٣) خصوصاً الصديق الذي لم يكن يفارقه (٤) لا سفرًا ولا حضراً (٥) وكان عنده (٦) غالب الأوقات حتى كان (٧) يسمر عنده بالليل (٨) (٩) وكان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول (١٠) «دخلت أنا وأبوبكر وعمر وخرجت أنا وأبوبكر وعمر

(١) (الذين): إضافة من ب.

(٢) رفع الملام: (وسنته).

(٣) الواو في قوله وخصوصاً إضافة من ب، وليست في رفع الملام.

(٤) رفع الملام: (يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٥) ب: (حضراً ولا سفرًا)، وكذلك في رفع الملام.

(٦) رفع الملام: (بل يكون معه في غالب).

(٧) رفع الملام: (حتى إنه).

(٨) رفع الملام: زيادة (في أمور المسلمين وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

(٩) رفع الملام: (فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(١٠) رفع الملام: (ما كان يقول).

الحديث رواه البخاري (فتح الباري ٧/٤١، ٤٢، في كتاب فضائل الصحابة، باب

مناقب عمر بن الخطاب، ح ٣٦٨٥.

ورواه ابن ماجه ٣٧/١، ٣٨، في المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم، ح ١٨ ولفظه «عن ابن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس يقول

لما وضع عمر على سريره اكتنفه الناس يدعون ويصلون أو قال يثنون ويصلون قبل أن

يرفع - وأنا فيهم - فلم يرعني إلا رجل قد زحمني وأخذ بمنكبتي فالتفت فإذا علي بن

أبي طالب فترحم على عمر ثم قال ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله

منك وإيم الله إن كنت لأظن لي جعلتك الله عز وجل مع صاحبك وذلك أني كنت أكثر

أن أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ذهبت أنا وأبوبكر وعمر ودخلت أنا

وأبوبكر وعمر وخرجت أنا وأبوبكر وعمر» فكنت أظن لي جعلتك الله مع صاحبك.

(وذهبت أنا وأبو بكر وعمر) (١) (*ثم (٢) مع ذلك الاختصاص خفي على (٣) أبي بكر ميراث (٤) الجدة، وكان علمه عند المغيرة بن شعبة، ومحمد بن مسلمة، وعمران بن الحصين (٥)، وليس هؤلاء الثلاثة مثل أبي بكر ولا قريباً منه في العلم وخفي على عمر سنة الاستئذان (٦)، وتوريث المرأة من دية زوجها، حتى أخبره الضحاك بن سفيان الكلابي [وهو] (٧) أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض البوادي - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث امرأة أشيم الضبابي (٨) / من دية زوجها فترك رأيه لذلك وقال [٦٢/١]

(١) ما بين القوسين ليس في رفع الملام.

(٢) ما بين النجمتين (* — *) مختصر عن رفع الملام.

(٣) ظ، م، ب: (عن) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) ظ: (سداة الحرة).

(٥) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٦/٢٧٨، ٢٧٩) من طريق قبيصة بن ذؤيب، في أبواب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الجدة، ح ٢١٨٣. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٨/١٠٠، ١٠١)، في كتاب الفرائض باب ما جاء في ميراث الجدة، ح ٢٨٧٧ وفي هذه الرواية ورواية الترمذي ذكر محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة دون عمران بن حصين.

(٦) سبق تحقيقه انظر ص ٥٢٧.

(٧) ليست في جميع النسخ وما أثبتته من رفع الملام.

(٨) أشيم بوزن أحمد الضبابي نسبة إلى ضباب من بني كلاب قتل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم خطأ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الضحاك بن سفيان الكلابي أن يورث امرأته من ديته.

الإصابة ٥١/١ مطبعة السعادة.

تجريد أسماء الصحابة ٢٤/١.

لولم نسمع^(١) هذا لقضيينا بخلافه^(٢). [وخفي عليه حكم
المجوس حتى أخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب]^(٣)(٤)
وخفي عليه حكم^(٥) الطاعون حتى أخبره عبدالرحمن بن
عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا وقع

(١) ظ، م: (اسمع).

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٢٩٢/٦) من طريق سعيد بن المسيب، في أبواب
الفرائض، باب ما جاء في ميراث المرأة من دية زوجها، ح ٢١٩٣ وقال هذا حديث
حسن صحيح.

ورواه أبو داود (عون المعبود ١٤٤/٨)، في كتاب الفرائض، باب في المرأة ترث من
دية زوجها وليس فيهما «لولم نسمع هذا لقضيينا بخلافه».

قال الذهبي والحديث صحيح.

انظر تجريد أسماء الصحابة ٢٤/١.

وانظر الإصابة لابن حجر ٥١/١، ٥٢.

(٣) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٤) ورواه مالك (الموطأ ٢٧٨/١) في الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس.

قال الحافظ في الفتح ٢٦١/٦ وهذا منقطع مع ثقة رجاله.

وللطبراني من حديث مسلم بن العلاء الحضرمي «سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب» قال
الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣/٦ وفيه من لم أعرفهم.

وروى أبو عبيد في الأموال، ص ٣٦ عن أبي موسى الأشعري «لولا أني رأيت
أصحابي يأخذون منهم الجزية ما أخذتها - يعني المجوس -».

قال الحافظ في الفتح ٢٦١/٦ بأن سنده صحيح.

وروى البخاري أن عمر لم يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر. انظر (فتح الباري ٢٥٧/٦)

كتاب الجزية والموادعة باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ح ٣١٥٧.

ورواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٥) ب: (أمر).

بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم به بأرض
فلا تقدموا عليه(١)*(٢).

وتذاكر(٣) هو وابن عباس أمر الذي شك(٤) في صلاته
فلم يكن قد بلغته السنة في ذلك حتى حدثه(٥)
عبدالرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
يطرح الشك ويبني على ما استيقن(٦).

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١٠/١٧٩) من طريق عبدالله بن عباس في كتاب الطب
باب ما يذكر في الطاعون، ح ٥٧٢٩.

ورواه مسلم ٤/١٧٤٠ في كتاب السلام باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها،
ح ٢٢١٩.

(٢) ما بين النجمتين مختصر من كتاب رفع الملام.

(٣) رفع الملام: (تذكر).

(٤) رفع الملام: (يشك).

(٥) رفع الملام: (حتى قال).

(٦) رواه مسلم ١/٤٠٠ من طريق أبي سعيد الخدري في كتاب المساجد ومواضع الصلاة
باب السهو في الصلاة والسجود له، ح ٨٨.

ورواه أبو داود (عون المعبود، ص ٣٣٠، ٣٣١) في كتاب الصلاة، باب إذا شك في
الثنتين والثلاث من قال يلقي الشك، ح ١٠١١.

ورواه النسائي ٣/٢٧ كتاب السهو باب إتمام المصلي على ما ذكر إذا شك، أمارواية
عبدالرحمن بن عوف فقد رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٢/٤١٨، ٤١٩) في أبواب
الصلاة باب فيمن يشك في الزيادة والنقصان، ح ٣٩٦ بغير هذا اللفظ وقال هذا
حديث حسن صحيح.

وقال الحافظ بن حجر في تلخيص الحبير ٢/٥ وهو معلول فإنه من رواية ابن إسحاق
عن مكحول عن كريب وقد رواه أحمد في مسنده عن ابن عليه عن ابن إسحاق عن
مكحول مرسلًا قال ابن إسحاق فلقيت حسين بن عبدالله فقال لي هل أسنده لك؟
قلت. لا. فقال لكنه حدثني أن كريباً حدثه به وحسين ضعيف جداً.

وكان مرة في السفر فهاجت ريح فجعل يقول من يحدثنا
عن الريح قال أبو هريرة فبلغني ذلك^(١) وأنا في أخريات
الناس فحشت راحلتي حتى أدركته فحدثته بما أمر [به]^(٢)
النبي صلى الله عليه وسلم عند هبوب الريح^(٣).

فهذه مواضع لم يكن يعلمها حتى بلغه إياها من عمر
أعلم منه بكثير.

ومواضع أخرى^(٤) لم يبلغه ما فيها من السنة
[فقضى]^(٥) وأفتى بغيرها^(٦)، كما^(٧) قضى في دية الأصابع
أنها مختلفة بحسب منافعها، وقد كان عند أبي موسى

(١) ذلك ليس في رفع الملام.

(٢) (به) ليست في النسخ الثلاث وما أثبتته من: رفع الملام.

(٣) رواه أبو داود (عون المعبود ٣/١٤) من طريق أبي هريرة في كتاب الأدب باب ما يقول
إذا هاجت الريح، ح ٥٠٧٥.

ورواه ابن ماجه ٣٢٠/٢ في كتاب الأدب باب النهي عن سب الريح، ح ٣٧٧٢،
ط. الأعظمي.

قال الحافظ في تخریج الأذكار كما في الفتوحات الربانية، ٢٧٢/٤ لابن علان هذا
حديث حسن صحيح.

ولفظ الحديث «الريح من روح الله. قال سلمة فروح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب
فإذا رأيتموها فلا تسبوها وأسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها».

وقد رواه الإمام مسلم ٦١٦/٢ من طريق عائشة في كتاب صلاة الاستسقاء باب التعوذ
عند روية الريح والغيم والفرح بالمطر، ح ٥ بغير هذا اللفظ.

(٤) رفع الملام: (أخر).

(٥) (فقضى): إضافة من ب.

(٦) رفع الملام: (فقضى فيها أو أفتى فيها بغير ذلك).

(٧) رفع الملام: (مثل ما).

وابن عباس، وهما دونه^(١) في العلم^(٢) أن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: «هذه، وهذه سواء»^(٣)»^(٤) فبلغت هذه السنة معاوية في إمارته ففضى بها ولم يجد المسلمون بداً من اتباع ذلك^(٥).

وكان^(٦) عمر ينهى المحرم عن التطيب قبل الإحرام وقبل الإفاضة إلى مكة بعد رمي الجمرة^(٧) هو^(٨) وابنه عبدالله، وغيرهما من أهل العلم^(٩)، ولم يبلغهم حديث عائشة رضي الله عنها طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه^(١٠) قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت^(١١)^(١٢).

(١) رفع الملام زاد: (بكثير).

(٢) رفع الملام: زاد (علم بان).

(٣) رفع الملام: زاد (يعني الإبهام والخنصر)، وفي البخاري: (يعني الخنصر والإبهام).

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٢٢٥/١٢) من طريق ابن عباس، في كتاب الديات: باب دية الأصابع، ح ٦٨٩٥.

وانظر رأي عمر في الأصابع في المصنف لابن أبي شيبة ١٩٤/٩ في كتاب الديات، باب كم في كل أصبع، رقم ٧٠٥٠.

وفتح الباري ٢٢٦/١٢.

(٥) رفع الملام: زاد (ولم يكن ذلك الحديث عيباً في حق عمر رضي الله عنه حيث لم يبلغه الحديث).

(٦) رفع الملام: (وكذلك كان).

(٧) رفع الملام: (جمرة العقبة).

(٨) ظ: (وهو).

(٩) رفع الملام: (الفضل).

(١٠) ظ، ب: (لحرمه)، وما أثبتته من الحديث.

(١١) (بالبيت): ليست في رفع الملام.

(١٢) رواه البخاري (فتح الباري ٣٩٦/٣) من طريق عائشة رضي الله عنها، في كتاب الحج، باب الطيب عند الإحرام وما يلبس إذا أراد أن يحرم، ح ١٥٣٩.

وكان أمر لابس الخف أن يسمح عليه إلى أن يخلعه من غير توقيت^(١)» واتبعه على ذلك طائفة من السلف ولم تبلغهم أحاديث التوقيت التي صحت (عند من عمر)^(٢) [أعلم منه .

وكذلك عثمان لم يكن عنده علم بأن المتوفى^(٣) عنها زوجها تعتد في منزل^(٤) الموت حتى حدثته الفريعة بنت مالك^(٥)

= ورواه مسلم ٨٤٦/٢، في كتاب الحج، باب الطيب للمحرم عند الإحرام، ح ٣١ . وانظر رأي عبدالله بن عمر في مسلم ٨٤٩/٢ من طريق محمد بن المنتشر عن أبيه، في كتاب الحج، باب الطيب للمحرم عند الإحرام، ح ٤٧ .

(١) اختلف القول عن عمر في هذه المسألة فقد روى البيهقي في السنن الكبرى ٢٨٠/١ عن عقبة بن عامر قال: «خرجت من الشام إلى المدينة يوم الجمعة فدخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال متى أولجت خفيك في رجلك قلت: يوم الجمعة قال فهل نزعتهما: قلت لا قال أصبت السنة .

وفي رواية قال: «لبستهما يوم الجمعة واليوم يوم الجمعة ثمان». قال أصبت السنة . قال البيهقي: «وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه التوقيت فيما أن يكون رجع إليه حين جاءه الثبث عن النبي صلى الله عليه وسلم في التوقيت وإما أن يكون قوله الذي يوافق السنة المشهورة أولى» .

وقد ثبت التوقيت بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم ٢٣٢/١ من طريق علي بن أبي طالب في كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين، ح ٨٥ .

(٢) (عند من عمر): سقط من م .

(٣) إضافة من ب وفي حاشية م بلفظ: التي صحت عند بعض من ليس مثلهم في العلم وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة صحيحة وكذلك عثمان لم يكن) وكذا في رفع الملام .

(٤) رفع الملام: (بيت) .

(٥) هي الفريعة بنت مالك بن سنان الخدرية الأنصارية ولقبها «كبشة» شهدت بيعة الرضوان روى حديثها سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة . وفيه قالت: فأرسل إلي عثمان فأخبرته ففضى به .

تهذيب التهذيب ٤٤٥/١٢ . الكاشف ٤٧٨/٣ .

أخت أبي سعيد الخدري بقصتها^(١) لما توفي زوجها^(٢) وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله^(٣)» فأخذ به عثمان (وترك فتواه)^(٤).

وأهدي له مرة صيد [كان قد]^(٥) صيد لأجله [وهو محرم]^(٦) فهم بأكله حتى أخبره علي رضي الله عنها^(٦) بأن النبي صلى الله عليه وسلم رد لحمًا أهدي له (وهو محرم)^(٧)^(٨).

-
- (١) رفع الملام: (بقصيتها).
- (٢) رفع الملام: (عنها زوجها).
- (٣) رواه أبو داود (عون المعبود ٦/٤٠٥، ٤٠٦) من طريق زينب بنت كعب بن عجرة في كتاب الطلاق، باب في المتوفى عنها تنتقل، ح ٢٢٨٣.
- ورواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٤/٣٩٠) في أبواب الطلاق واللعان، باب ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها، ح ١٢١٦، ١٢١٧.
- وقال هذا حديث حسن صحيح.
- ورواه النسائي ٦/١٩٩ في كتاب الطلاق، باب مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل.
- ورواه أحمد في المسند ٦/٣٧٠.
- قال الألباني: ضعيف، إرواء الغليل ٧/٢٠٦.
- (٤) ليس في رفع الملام.
- (٥) إضافة من م، وكذا في رفع الملام.
- (٦) م: (عنه).
- (٧) ليس في رفع الملام.
- (٨) رواه أبو داود (عون المعبود ٥/٣٠١) م طريق إسحاق بن عبدالله بن الحارث عن أبيه في كتاب الحج، باب لحم الصيد للمحرم، ص ١٨٣٢.
- وقصة عثمان مع علي رضي الله عنها رواها أحمد في المسند ٢/٧٨٣، بتحقيق أحمد شاكر، ح ٧٨٣، ٧٨٤.

وأفتى^(١) علي وابن عباس وغيرهما أن^(٢) المتوفى عنها إذا كانت حاملاً تعتد أقصى^(٣) الأجلين، ولم تكن [قد]^(٤) بلغتهم^(٥) سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعة الأسلمية^(٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتاها حين وضعت حملها بأنها قد حلت للأزواج^(٧)(٨).

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٩/٣: «رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه، والبخاري وفيه علي بن زيد، وفيه كلام كثير وقد وثق».

وقال أحمد شاكر ٧٨٣/٢ «إسناده صحيح» وقال في علي بن زيد «هو ابن جدعان... وهو مختلف فيه والراجح عندنا توثيقه وقد صحح له الترمذي أحاديث».

(١) في رفع الملام زيادة أكثر من أربعة أسطر. قبل قوله «وأفتى».

(٢) رفع الملام: (بان).

(٣) رفع الملام: (أبعد).

(٤) (قد): إضافة من ب. وكذا في رفع الملام.

(٥) ظ، م: (بلغهم).

(٦) هي سبعة بنت الحارث الأسلمية زوجة سعد بن خولة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم عدتها.

وعنها عمر بن عبد الله بن الأرقم ومسروق بن الأجدع وزفر بن أوس بن الحدثان. قال ابن عبد البر روى عنها فقهاء المدينة والكوفة حديثها هذا.

تهذيب التهذيب ٤٢٤/١٢؛ الكاشف ٤٧٢/٣.

(٧) رفع الملام: (سبعة الأسلمية رضي الله عنها وقد توفى عنها زوجها سعد بن خولة حيث أفتاها النبي بأن عدتها وضع حملها).

(٨) رواه البخاري (فتح الباري ٤٦٩/٩) من طريق أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، في كتاب الطلاق، باب وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن، ح ٥٣١٨.

ورواه مسلم ١١٢٢/٢، ١١٢٣ من طريق سليمان بن يسار، في كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها بوضع الحمل، ح ٥٧.

وأفتى هو وزيد بن ثابت^(١) وابن عمر وغيرهم بأن^(٢) المفوضة «إذا مات عنها زوجها فلا مهر لها، ولم تكن بلغتهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق»^{(٣)(٤)(٥)} (وهذا باب واسع).

وأما المنقول فيه (عن)^(٦) من بعد الصحابة والتابعين

(١) رفع الملام: زاد (ابن ثابت).

(٢) الباء في (بان): إضافة من ب؛ وكذا في رفع الملام.

(٣) ظ: (زوع).

(٤) بروع بنت واشق الرواسية الكلابية والأشجعية زوج هلال بن مرة لها ذكر في حديث معقل الأشجعي وغيره وهي أنها نكحت رجلاً وفوضت إليه، فتوفي قبل أن يجامعها ففضى لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بصداق نسائها.

وبُرُوعُ: على وزن جدول بفتح الباء وسكون الراء وفتح الواو عند أهل اللغة وعند المحدثين بكسر الباء وسكون الراء قال في المصباح المنير: «والصواب جواز الفتح والكسر وانفقوا على فتح الواو».

الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٢٤٤؛ الاستيعاب ٤/٢٤٨؛ المصباح المنير ١/٥٧؛ تحفة الأحوزي ٤/٢٩٩.

(٥) رواه أبو داود (عون المعبود ٦/١٤٨، ١٤٩) من طريق عبدالله بن عتبة بن مسعود في كتاب النكاح، باب: فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات، ح ٢١٠٢.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٤/٢٩٩) من طريق عبدالله بن مسعود في أبواب النكاح، باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، ح ١١٥٤.

وقال الترمذي (حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح).

ورواه النسائي ٦/١٢١، ١٢٢ في كتاب النكاح، باب إباحة التزوج بغير صداق من طريق عبدالله بن مسعود.

وانظر رأي ابن عمر وزيد بن ثابت في الموطأ ٢/٥٢٦ في النكاح، باب ما جاء في الصداق والحباء، من طريق نافع مولى ابن عمر، ح ١٠.

(٦) (عن): سقط من م.

فأكثر من أن^(١) يحصى . فإذا خفي على أعلم الأمة وأفقهها بعض السنة فما الظن بمن بعدهم؟ فمن اعتقد أن كل حديث صحيح قد بلغ كل^(٢) فرد من الأئمة، أو إماماً معيناً فقد أخطأ خطأ فاحشاً^(٣) .

قال أبو عمر^(٤) وليس أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد خفيت عليه بعض سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة فمن بعدهم^(٥) .

وصدق أبو عمر رضي الله عنه^(٦) فإن^(٧) مجموع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وإقراره لا يوجد عند رجل واحد أبداً، ولو كان أعلم أهل الأرض (فإن قيل: فالسنة قد دونت^(٨) وجمعت وضبطت وصار ما تفرق منها عند الفئة الكثيرة مجموعاً عند واحد)^(٩) .

(١) ب: (إن من أن).

(٢) ظ: (ذلك).

(٣) ما بين القوسين مختصر من رفع الملام، ص ١٧ .

(٤) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي أبو عمر من كبار حفاظ الحديث يقال له حافظ المغرب ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ من كتبه «الاستيعاب» و«العقل والعقلاء»؛ و«التمهيد»، وغيرها توفي بشاطبة سنة ٤٦٣ .

تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣ - ١١٣٢ .

وانظر مقدمة التمهيد الجزء الأول .

الأعلام ٢٤٠/٨ .

(٥) في هامش ب: (عدم الإحاطة بالسنة).

(٦) ب: (رحمة الله).

(٧) ظ، م: (إن).

(٩) ما بين القوسين عن رفع الملام، ص ١٨ بتصرف .

(٨) ظ، م: (رويت).

قيل^(١): هذه الدواوين المشهورة في السنن إنما جمعت بعد انقراض عصر الأئمة المتبوعين.

ومع هذا فلا يجوز أن يدعى انحصار سنة^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معينة ثم لو فرض انحصار السنة^(٣) في هذه الدواوين، فليس كل ما فيها^(٤) يعلمه العالم ولا يكاد يحصل ذلك^(٥) لأحد أبداً، بل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة وهو لا يحيط علماً^(٦) بما فيها، بل الذين كانوا قبل جمع هذه الدواوين كانوا أعلم بالسنة^(٧) من المتأخرين بكثير لأن كثيراً مما بلغهم وصح عندهم قد لا يبلغنا^(٨) إلا عن مجهول، أو بإسناد منقطع أو لا يبلغنا بالكلية وكانت^(٩) دواوينهم صدورهم التي تحوي أضعاف ما في الدواوين.

(١) رفع الملام: (لان).

(٢) رفع الملام: (حديث).

(٣) رفع الملام: (حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها).

(٤) رفع الملام: (كل ما في الكتب).

(٥) رفع الملام: (ذلك يحصل).

(٦) (علماً): ليست في رفع الملام.

(٧) ظ: (بالنسبه).

(٨) ظ: (لا يبلغنا).

(٩) رفع الملام: (فكانت).

[فصل (١)]

السبب الثاني: أن يكون الحديث قد بلغه [لكنه] (٢) لم يثبت عنده؛ إما لأن محدثه، أو من فوقه (٣) مجهول عنده، أو سيء الحفظ، أو متهم (٤)، أو لم (٥) يبلغه مسنداً بل منقطعاً، أو لم يضبط له (٦) لفظ الحديث (ويكون ذلك الحديث بعينه قد رواه الثقات لغيره بإسناد صحيح متصل بأن يعلم غيره عدالة ذلك المجهول، أو يرويه له ثقة غيره، ويتصل له من غير (٧) تلك الجهة المنقطعة، ويضبطه له من (لم) (٨) يضبطه للآخر (٩)، أو يقع (١٠) له من الشواهد والمتابعات (١١) ما لم يقع لغيره، فيكون الحديث حجة على من بلغه من هذا الوجه، وليس بحجة على من بلغه من الوجه الأول، ولهذا علق كثير من الأئمة القول بموجب الحديث على صحته فيقول قولي فيها / كيت وكيت، وقد روى فيها حديث بخلافه فإن صح فهو قولي (١٢)، وأمثلة هذا كثيرة جداً.

[٦٣/١]

(١) (فصل): إضافة من ب، وليس في رفع الملام.

(٢) (لكنه): إضافة من م، ب.

(٣) رفع الملام: (أو محدث محدثه أو غيره من رجال الإسناد).

(٤) رفع الملام: (أو متهم أو سيء الحفظ).

(٥) رفع الملام: (وإما لأنه لم).

(٦) (له): ليس في رفع الملام.

(٧) ظ: (أغير).

(٨) (لم): ساقطة من ب.

(٩) ظ، م: (الآخر).

(١٠) ظ، م: (يضع).

(١١) ظ: (والتابعات).

(١٢) ما بين القوسين مختصراً من رفع الملام، ص ٢٠، ٢١، مع تقارب في الألفاظ.

فصل (١)

*السبب الثالث: اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره، فقد يعتقد أحد المجتهدين ضعف رجل، ويعتقد الآخر ثقته وقوته، وقد يكون الصواب (مع المضعف^(٢)) لاطلاعه على سبب خفي على الموثق^(٣)، وقد يكون الصواب^(٤) مع الآخر لعلمه بأن ذلك السبب غير قادح في روايته وعدالته؛ إما لأن جنسه غير قادح، وإما لأن له فيه عذراً أو تأويلاً^(٥) يمنع الجرح.

وقد لا يعتقد^(٦) الذي بلغه الحديث أن راويه سمعه^(٧) من غيره لأسباب معروفة عنده خفيت على غيره.

وقد يكون للمحدث حالان: حال استقامة، وحال اضطراب، فلا^(٨) يدري الرجل أن حديثه المعين حدث به في حال الاستقامة أو في حال الاضطراب فيتوقف فيه، ويعلم غيره أنه حدث به في حال الاستقامة فيقبله.

(١) (فصل): ليست في رفع الملام.

(٢) ظ، م: (الضعف)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (الوثق).

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) ظ، ب: (عذراً وتأويلاً).

(٦) قال في حاشية م عند هذه العبارة مانصه: «عبارة رفع الملام المنقولة كذا:

ومنها: ألا يعتقد أن المحدث سمع الحديث ممن حدثه عنه وغيره يعتقد أنه سمعه لأسباب توجب ذلك معروفة».

قلت في رفع الملام، ص ٢٢: (ممن حدث عنه) وهو أصح.

(٧) ظ، م، ب: (معه) وما أثبتته من رفع الملام.

(٨) ظ، م: (ولا).

وقد يكون المحدث قد نسي الحديث الذي (قد)^(١) حدث به فينكره، فيبلغ المجتهد إنكاره له، ولا يعمل به، ويرى غيره أن نسيانه له لا يقدر في صحة الحديث ووجوب العمل به.

وأيضاً فكثير [من]^(٢) الحجازيين لا يحتج بحديث عراقي، ولا شامي، إن لم يكن له أصل بالحجاز حتى قال بعض من يذهب هذا المذهب: نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم^(٣)، وقيل لبعض من كان يذهب إلى هذا المذهب سفيان^(٤)(٥) عن منصور^(٦)

(١) (قد): سقط من ب.

(٢) (من): إضافة من ب، م.

(٣) ذكر ابن عبد البر في كتابه: «جامع بيان العلم وفضله»، ص ٤٤٩ بسنده عن ابن وهب قال مالك، وذكر عنده أهل العراق فقال: أنزلوهم فيكم منزلة أهل الكتاب لا تصدقوهم، ولا تكذبوهم.

﴿وَقُولُوا أَمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمَّ وَجِدْ﴾ الآية
[العنكبوت: ٤٦].

(٤) ظ، ب: (سفين).

(٥) سبق ذكر ترجمته، انظر ص ٣٠٧.

(٦) هو منصور بن المعتمر بن عبدالله بن ربيعة السلمى الكوفي أبو عتاب روى عن إبراهيم النخعي، والحسن البصري، وزيد بن وهب، وغيرهم. وروى عنه سفيان الثوري، وسليمان التيمي، وشعبة... وغيرهم.

قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن منصور، فقال: ثقة.

وقال العجلي: كوفي ثقة في الحديث.. وقال أيضاً: أحسن إسناد الكوفة سفيان عن

منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله. توفي سنة ١٣٢.

تهذيب التهذيب ١٠/٣١٣ - ٣١٥، ٤/١١٤؛ تذكرة الحفاظ ١/١٤٢، ١٤٣.

عن إبراهيم^(١) عن علقمة^(٢) عن عبد الله^(٣) حجة. قال: إن لم يكن له أصل بالحجاز فلا*^(٤).

وكان الشافعي يرى هذا المذهب أولاً، ثم رجع عنه، وقال للإمام أحمد: «يا أبا^(٥) عبدالله إذا صح الحديث فأعلمني حتى أذهب إليه شامياً كان، أو عراقياً^(٦)»^(٧).

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس الأسود الكوفي النخعي أبو عمران، ولد سنة ٥٠ روى عن علقمة بن قيس، وعبدالرحمن بن يزيد، ومسروق، والأسود، وغيرهم. وروى عنه منصور، والأعمش، وابن عون... وغيرهم.

قال عبدالملك ابن أبي سليمان، سمعت سعيد بن جبير يقول: تستفتوني، وفيكم إبراهيم النخعي. مات في آخر سنة ٩٥ رحمه الله.

تهذيب التهذيب ١/١٧٧، ١٧٨؛ تذكرة الحفاظ ١/٧٣، ٧٤.

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك بن علقمة النخعي الكوفي، أبو شبل، ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو خال إبراهيم النخعي. روى عن عمر، وعثمان، وعبدالله بن مسعود... وغيرهم.

وعنه إبراهيم النخعي، وإبراهيم بن سويد، وعامر الشعبي، وغيرهم قال أبو طالب عن أحمد: ثقة من أهل الخير. وقال إسحاق بن منصور، عن ابن معين: ثقة. مات سنة ٦٢.

تهذيب التهذيب ٧/٢٧٦، ٢٧٨؛ تذكرة الحفاظ ١/٤٨.

(٣) ظ: (عبدالله بن).

(٤) ما بين النجمتين مختصر من رفع الملام، ص ٢١ - ٢٣.

(٥) ظ: (بابا) بـ (بابا).

(٦) ظ: (أعراقياً).

(٧) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ١٧٢/١٧٣.

ورواه أبو نعيم في الحلية ٩/١٠٦، ١٧٠؛ آداب الشافعي ومناقبه، ص ٩٤، ٩٥؛ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/٣٣.

وسياقه كما في الحلية ٩/١٧٠، حدثنا سليمان قال: سمعت عبدالله بن أحمد يقول:

سمعت أبي يقول: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: يا أبا عبدالله أنت أعلم =

ولم يقل أو حجازياً، لأنه لم يكن يشك هو ولا غيره في (أحاديث)^(١) أهل الحجاز.

وأكثر أهل العلم على خلاف هذا المذهب، وأن الحديث إذا صح وجب العمل به من أي مصر من الأمصار كان مخرجه. وعلى هذا إجماع أهل الحديث قاطبة.

فصل

*السبب الرابع: اشتراط بعضهم في خبر الواحد العدل شروطاً^(٢) يخالفه فيها غيره، كاشتراط بعضهم أن يكون الراوي فقيهاً إذا خالف ما رواه القياس، واشتراط بعضهم انتشار الحديث^(٣) وظهوره إذا كان مما تعم^(٤) به البلوى، واشتراط بعضهم أن لا يكون الحديث قد تضمن زيادة على نص القرآن^(٥)، لئلا يلزم منه^(٦) نسخ القرآن به، وهذه مسائل معروفة.

= بالأخبار الصحاح منا فإذا كان خبر صحيح فأعلمني، حتى أذهب إليه كوفياً كان، أو بصرياً، أو شامياً».

(١) (أحاديث): سقط من ب.

(٢) ظ: (شراطاً).

(٣) ظ: (الحدوث).

(٤) ظ: (كما يعم)؛ م: (فيما).

(٥) ظ، م: (كأفصح العراق).

(٦) ظ، م: (فيه).

فصل

السبب الخامس: أن ينسى الحديث أو الآية كما نسي
عمر قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١) [الزمر: ٣٠].

ونسي قوله:

﴿وَأَتَيْتُمُوهنَّ فَانطَارَا﴾^(٢) [النساء: ٢٠].

ونسي فتوى النبي صلى الله عليه وسلم له ولعمّار
بالتيمم للجنابة في السفر^(٣)(٤)، وكذلك ما روي أن علياً
ذكر الزبير يوم الجمل شيئاً عهدته إليهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكره، فانصرف عن القتال^(٥). قلت: فيكون
الناسي^(٦) معذوراً بفتواه بخلاف النص، فما عذر الذاکر

(١) سبق تحقيقه، ص ٥٢٧.

(٢) سبق تحقيقه، ص ٥٢٢.

(٣) ظ، م: (النفري).

(٤) سبق تحقيقه، انظر ص ٥٣٠.

(٥) يشير ذلك إلى ما رواه أبو يعلى الموصلي بسنده، عن أبي حزم المازني قال: شهدت
علياً والزبير حين توافقا، فقال له علي: يا زبير أنشدك الله أسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول: إنك تقاتلني وأنت ظالم، قال: نعم. لم أذكر إلا في موقعي
هذا، ثم انصرف.

قال ابن كثير: قال البيهقي: وهذا مرسل، وقد روى موصولاً من وجه آخر وذكره.
البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٣/٧.

(٦) ظ: (الناس).

للنص إذا قلّد الناس، وخالف الذاكر^(١)(*) والذكر^(٢).

فصل (٣)

السبب السادس: عدم معرفته بدلالة الحديث إما لِكَوْن لفظ^(٤) الحديث غريباً عنده مثل لفظ المزبنة^(٥)، والمحاقلة^(٦).....

(١) ما بين النجمتين مختصر من رفع الملام، ص ٢٥ - ٢٩.

(٢) الذكر: أي النص سواء كان من الكتاب أو السنة قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالى:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾

[النحل: ٤٤].

(٣) ليست في رفع الملام.

(٤) رفع الملام: (تارة ليكون اللفظ الذي في الحديث).

(٥) المزبنة: هي بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر. وأصل من الزبن، وهو الدفع كأن كل واحد من المتبايعين يزبن صاحبه عن حقه بما يزداد منه، وإنما نهى عنها لما يقع فيها من الغبن والجهالة.

النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٩٤.

(٦) المحاقلة: مختلف فيها: فقيل: هي اكتراء الأرض بالحنطة هكذا جاء مفسراً في الحديث. وهي التي تسمى المحارثة.

وقيل: هي المزارعة على نصيب معلوم كالثلث، والرابع، ونحوها.

وقيل: هي بيع الطعام في سنبله بالبر.

وقيل: هي بيع الزرع قبل إدراكه.

وإنما نهى عنها، لأنها من المكيل، ولا يجوز فيه إذا كانا من جنس واحد إلا مثلاً بمثل، ویداً بيد، وهذا مجهول لا يدرى أيها أكثر.

النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٤١٦.

والمخابرة^(١)^(٢)، والملامسة^(٣)، والمنابذة^(٤)، والحصاة^(٥)^(٦)،
والغرر^(٧)،

(١) المخابرة: قيل هي المزارعة على نصيب معين كالثلث، أو الربع، وغيرهما. والخبرة: النصيب. وقيل: أصلها من الخبار، وهي الأرض اللينة وقيل: من خبير لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها في أيدي أهلها على النصف. فقيل خابرههم، أي عاملهم في خبير. والفرق بين المزارعة، والمخابرة أن المزارعة يكون فيها البذر من المالك، والمخابرة يكون فيها البذر من العامل وفي صحة المزارعة والمخابرة خلاف مشهور، والجمهور على الجواز، وحمل النهي عن المخابرة على ما إذا اشترط لكل واحد قطعة معينة من الأرض.

النهاية في غريب الحديث والأثر ٧/٢؛ شرح النووي على مسلم ١٩٣/١٠، ٢١٠.

(٢) رفع الملام: (المخابرة والمحاكلة).

(٣) الملامسة: هي: أن يقول: إذا لمست ثوبي، أو لمست ثوبك، فقد وجب البيع، وقيل: هي أن يلمس المتاع من وراء ثوب، ولا ينظر إليه، ثم يوقع البيع عليه نهى عنه، لأنه غرر، أو لأنه تعليق، أو عدول عن الصيغة الشرعية.

النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢٦٩، ٢٧٠.

(٤) المنابذة: هي أن يقول الرجل لصاحبه: انبذ إلى الثوب أو انبذه إليك ليجب البيع. وقيل: هو أن يقول: إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع فيكون البيع معاطات من غير عقد، ولا يصح. النهاية مع غريب الحديث والأثر ٦/٥.

(٥) الحصاة: ليس في رفع الملام.

(٦) بيع الحصاة: هو أن يقول البائع، أو المشتري: إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع.

وقيل: أن يقول: بعتك من السلع ما تقع عليه حصاتك. إذا رميت بها، أو بعتك من الأرض إلى حيث تنتهي حصاتك.

والكل فاسد لما فيه من الغرر والجهالة.

النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٩٨.

(٧) بيع الغرر: هو ما كان له ظاهر يغر المشتري، وباطن مجهول، وقال الأزهري: بيع الغرر ما كان على غير عهدة ولا ثقة، وتدخل فيه البيوع التي لا يحيط بكنهها المتبايعان من كل مجهول. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٥٥.

ونحوها^(١) من الكلمات الغربية^(٢) التي يختلف العلماء في تأويلها^(٣). ومثل قوله^(٤): «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق»^(٥).

فإنهم فسروا الإغلاق بالإكراه: قلت: هذا تفسير كثير من الحجازيين.

ومنهم من فسره بالغضب وهو تفسير العراقيين، ونص عليه أحمد، وأبو عبيد، وأبو داود^(٦).

ومنهم من فسره بجمع الثلاث في كلمة واحدة، فإنه مأخوذ من غلق الباب أي أغلق عليه باب الطلاق جملة، وصحح بعضهم هذا التفسير، وجعله أولى التفسير^(٧)

(١) رفع الملام: (إلى غير ذلك).

(٢) ظ: (الغربة).

(٣) ظ: (تفسيرها).

(٤) ظ: (وكالحديث المرفوع).

(٥) رواه أبو داود (عون المعبود ٢٦١/٦)، من طريق عائشة، في كتاب الطلاق، باب في الطلاق على غلط، ح ٢١٧٩.

ورواه ابن ماجه ٣٧٨/١، في أبواب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، ح ٢٠٥٦. ورواه الحاكم ١٩٨/٢، من طريق عائشة، في كتاب الطلاق وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

قال الذهبي: «محمد بن عبيد لم يحتج به مسلم وقال أبو حاتم: ضعيف». وقال الحافظ في التلخيص ٢٣٧/٣: «وفي إسناد محمد بن عبيد بن أبي صالح، وقد ضعفه أبو حاتم الرازي، ورواه البيهقي من طريق ليس هو فيها ولكن لم يذكر عائشة».

(٦) قال أبو داود: أظنه في الغضب.

انظر: (سنن أبي داود، المطبوع مع شرحه عون المعبود ٢٦٢/٦).

(٧) ظ، م: (التفسير).

[و] (١) ممن حكى (٢) الأقوال الثلاثة صاحب مطالع الأنوار (٣)، وصاحب مشارق الأنوار (٤) (٥)، وهذا الباب يعرض (٦) منه اختلاف كثير، سببه أن يكون لذلك اللفظ في لغته، وعرفه معنى غير معناه في لغة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو (٧) أعم منه أو أخص فتفطن لهذا الموضع، فإنه منشأ لغلط (٨) كثير على صاحب الشرع.

والصواب في لفظ الإغلاق أنه الذي يغلط على صاحبه باب تصوره، أو قصده (٩)، كالجنون (١٠)، والسكر،

(١) الواو في قوله: (وممن) إضافة من ب.

(٢) ظ: (حاكي).

(٣) كتاب في غريب الحديث، اسمه «مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ، ومسلم، والبخاري، وإيضاح مبهم لغاتها». تأليف أبي إسحاق بن قرقول إبراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي المتوفى سنة ٥٦٩، وقد نظمه شمس الدين محمد بن محمد الموصلي المتوفى سنة ٧٧٤. كشف الظنون ١٧١٥/٢، ١٦٨٧/٢.

(٤) كتاب في غريب الحديث اسمه: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» مختص بالصحاح الثلاثة: الموطأ، والبخاري، ومسلم، وصاحبه هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤، وهو مطبوع في دار الجيل للطباعة بمصر، وقام بنشره المكتبة العتيقة بتونس، ودار التراث بالقاهرة.

وقد اختصره ابن قرقول إبراهيم بن يوسف الوهراني، وزاد عليه في كتاب أسماه: «مطالع الأنوار» وهو المذكور آنفاً. كشف الظنون ١٦٨٧/٢.

(٥) انظر: مشارق الأنوار ١٣٤/٢ - المكتبة العتيقة - تونس.

(٦) ظ: (يقرض).

(٧) ظ: (إذا).

(٨) ظ: (لفظ).

(٩) ظ، م: (باب تصور ما وقصده).

(١٠) ظ: (الحيوان).

والإكراه، والغضب، كأنه لم^(١) ينفث قلبه لقصده، ولا وطر له فيه، ومن هذا لفظ^(٢) الخمر فإنه في لغة الشارع اسم لكل مسكر، لا يختص بنوع من أنواعه وهذا المعنى مطابق^(٣) لاشتقاقه، فتخصيصه ببعض الأنواع المسكرة دون بعض اصطلاح حادث^(٤) / حصل بحمل كلام الشارع عليه تخصيص لما قصد الشارع تعميمه^(٥) ولهذا لم يختلف المخاطبون بالقرآن أولاً، وهم الصحابة في تحريم ذلك (كله)^(٦).

فصل

ومن هذا الخلاف [العارض]^(٧) من جهة كون اللفظ مشتركاً أو مجملاً أو متردداً بين حمله على معناه عند الإطلاق، وهو^(٨) المسمى بالحقيقة، أو على معناه عند التقييد، وهو المسمى بالمجاز كاختلافهم في المراد من القُرء هل هو الحيض، أو^(٩) الأطهار؟، ففهمت طائفة منه الحيض،

(١) ظ: (الم).

(٢) م: (اللفظ).

(٣) ظ، م: (يطابق).

(٤) ظ، م: (وحادث).

(٥) ظ، م: (نعمته).

(٦) (كله): سقط من ب.

(٧) (العارض): إضافة من ب، م.

(٨) ظ، م: (هذا).

(٩) ب: (والأطهار).

وأخرى الطهر، وكما فهمت طائفة من الخيط الأبيض،
والأسود، الخيطين^(١) المعروفين^(٢)، وفهم غيرهم بياض
النهار وسواد الليل. وكما فهمت طائفة من قوله في التيمم:

﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

(المسح)^(٣) (إلى الأباط ففعلوه، وفهم آخرون
المسح)^(٤) (إلى المرافق ففعلوه، وأسعدُ الناس بفهم الآية
من فهم منها المسح)^(٥) إلى الكوع. وهذا هو الذي فهمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآية^(٦)، وهو نظير فهمه

(١) ظ: (الخيطي).

(٢) انظر ما رواه البخاري (فتح الباري ١٣٢/٤) من طريق سهل بن سعد في كتاب
الصوم، باب قول الله - تعالى - : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ
مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصَّلَاةَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، ح ١٩١٧، وما رواه
مسلم ٧٦٧/٢، في كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع
الفجر، ح ٣٥.

(٣) (المسح): سقط من ب.

(٤) ما بين القوسين مكرر في ظ.

(٥) ما بين القوسين ساقط من ب.

(٦) قال الحافظ في فتح الباري ٤٤٤/١، ٤٤٥: «فإن الأحاديث الواردة في التيمم لم يصح
منها سوى حديث أبي جهيم وعمار، وما عداهما، فضعيف، أو مختلف في رفعه
ووقفه، والراجح عدم رفعه. فأما حديث «جهيم» فوردَ بذكر اليمين مجملاً، وأما
حديث عمار فوردَ بذكر الكفين في الصحيحين، وبذكر المرفقين في السنن، وفي رواية
إلى نصف الذراع، وفي رواية إلى الأباط. فأما رواية المرفقين، وكذا نصف الذراع ففيهما
مقال، وأما رواية الأباط، فقال الشافعي وغيره: إن كان ذلك وقع بأمر النبي
- صلى الله عليه وسلم - فكل تيمم صح للنبي - صلى الله عليه وسلم - بعده
فهو ناسخ له، وإن كان وقع بغير أمره فالحجة فيما أمر به، ومما يقوي رواية الصحيحين

— صلوات الله وسلامه عليه — القطع من الكوع من آية السرقة^(١).

وكما فهمت طائفة من قوله: ﴿فَأَمْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ﴾ البعض مقدرًا أو غير مقدر، وفهم آخرون مسح الجميع، وفهمهم مؤيد بفعل الرسول^(٢).

وكما فهم بعضهم من قوله — تعالى —:

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١].

في الاختصار على الوجه والكفين كون عمار كان يفتي بعد النبي — صلى الله عليه وسلم — بذلك، وراوي الحديث أعرف بالمراد به من غيره ولا سيما الصحابيُّ المجتهد^١، اهـ.

وانظر في الاختصار على الوجه والكفين.

ما رواه البخاري (فتح الباري ١/٤٤٤) من طريق عمار بن ياسر، في كتاب التيمم، باب التيمم للوجه والكفين، ح ٣٢٩.

وما رواه مسلم ١/٢٨٠ من طريق شفيق، في كتاب الحيض، باب التيمم، ح ١١٠.

(١) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/٢٩، ٣٠ بسنده عن رجاء بن حيوة: «أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قطع رجلاً من المفضل».

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٨/٢٧١.

وأورده الزيلعي في نصب الراية ٣/٣٧٠ وقال: بأنه مرسل.

وقال ورواه ابن عدي في الكامل.

وذكره الحافظ في الفتح ١٢/٩٩ وقال بأنه مرسل. وقال: وأورده أبو الشيخ في كتاب

حد السرقة من وجه آخر.

(٢) انظر ما رواه البخاري (فتح الباري ١/٢٨٩) من طريق عبدالله بن زيد، في كتاب

الوضوء، باب مسح الرأس كله، ح ١٨٥.

وما رواه مسلم ١/٢١٠، في كتاب الطهارة، باب في وضوء النبي — صلى الله عليه

وسلم —، ح ١٨.

الثلاثة فصاعداً اعتماداً على الحقيقة، وفهم الآخرون
الأثنين فصاعداً اعتماداً على فهم الجنس الزائد على
الواحد، وهؤلاء أسعد بفهم الآية^(١).

وكما فهمه الصديق ومن معه من الكلاله - التي يرث^(٢)
معها الأخوة، والأخوات للأب - [أنها]^(٣) عدم الولد وإن
سفل، والأب وإن علا، وفهم آخرون منها عدم الأب دون
مَنْ فوقه، والصديق أسعد بفهم الآية^(٤)، كما اتفق
المسلمون على أن الكلاله في قوله:

(١) وممن قال بأن المراد بالأخوة الثلاثة فصاعداً ابن عباس - رضي الله عنه -، فقد روى
البيهقي من طريق شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه دخل على عثمان فقال: إن
الأخوين لا يردان الأم عن الثلث قال الله - تعالى -: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾، فالأخوان
ليسوا بلسان قومك إخوة. فقال عثمان: لا أستطيع تغيير ما كان قبلي ومضى في الأمصار
وتوارث به الناس» انظر البيهقي ٢٢٧/٦؛ وابن جرير الطبري ٤٠/٨، ط المعارف؛
فتح القدير ٤٣٣/١.

قال ابن كثير في تفسيره: «وفي صحة هذا الأثر نظراً، فإن «شعبة» هذا تكلم فيه
مالك بن أنس، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخصاء به
والمقول عنهم خلفه، وقد روى عبدالرحمن بن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه
أنه قال: الأخوان تسمى إخوة وقد أفردت لهذه المسألة جزءاً على حدة»، اهـ. وبين
ابن جرير الطبري أن القول بأنهم اثنان فصاعداً هو الصواب «لنقل الأمة وراثة صحة
ما قالوه من ذلك عن الحجّة، وإنكارهم ما قاله ابن عباس في ذلك» وله في هذه المسألة
كلام جيد في تفسيره ٤١/٨، ط المعارف، فليراجعه من شاء.

(٢) م: (يورث).

(٣) (أنها): ليست في ظ، م، ولعل الصواب إثباتها.

(٤) فقد روى الشعبي قال: سئل أبو بكر عن الكلاله، فقال: إني سأقول فيها برأبي فإن
كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، أراه ما خلا الوالد والولد،
فلما استخلف عمر قال: إني لأستحي من الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر (انظر سنن
الدارمي ٣٦٥/٢، ٣٦٦. دار إحياء السنة النبوية).

﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلِئْلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُوسُ﴾ [النساء: ١٢].

أنها عدم الولد وإن سفل، والأب وإن علا^(١).
وكما فهم من فهم من السلف والخلف من قوله
- تعالى -:

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أنه مرة بعد^(٢) مرة، مثل قوله:

﴿سَعَدَ بِهِمْ﴾^(٣) مَرَّتَيْنِ [التوبة: ١٠١].

وقوله:

﴿فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ﴾ [النور: ٦].

وقوله: في الحديث: «فلما أقر أربع مرات رجمه
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -»^(٤).

وقوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ

يَبْلُغُوا الْحُلُمَ^(٥) مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [النور: ٥٨].

(١) ظ، م: زاد عبارة (وكما فهم الصديق).

(٢) ب: (بعده).

(٣) ظ: (سعد بهم)؛ م: (سعد به) وهو غلط.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ١٢/١٣٦) من طريق أبي هريرة في كتاب الحدود، باب سؤال الإمام المقر: هل أحصنت؟، ح ٦٨٢٥، ورواه مسلم ٣/١٣١٨ في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ح ١٦.

(٥) ظ: (الحكم) وهو غلط.

وجميع ما ذكر فيه تعدد المرة، فهذا سبيله. فالثلاث^(١)
المجموعة بكلمة واحدة مرة واحدة، وفهم^(٢) آخرون منها
الجمع والإفراد ولا يخفى أي الفهمين أولى.

(وكما فهم)^(٣) من أباح نكاح التحليل ذلك من قوله:

﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وفهم المحرمون^(٤) المبطلون له بطلانه من نفس الآية
من عدة أوجه:

منها: قوله:

﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

ونكاح التحليل لا يدخل في النكاح المطلق، كما
لم يدخل فيه نكاح الشغار، والمتعة، ونكاح المعتدة، ونكاح
المحرمة، فإن الذي أخرج هذه الأنواع من النكاح المطلق
المأذون فيه، هو الذي أخرج نكاح التحليل منه بنصوص
أكثر وأصرح من تلك النصوص.

ومنها: تسميته - سبحانه - لهذا الثاني زوجاً، وأحكام
الزوج عُرْفاً وَشَرْعاً منتفية عن المحلل، وانتفاء الأحكام

(١) في هامش ب: (بحث الطلاق الثلاث).

(٢) ظ: (وهم).

(٣) ما بين القوسين مكرر في ب.

(٤) ظ: (المحرمون).

مستلزم لانتفاء الاسم شرعاً و عرفاً^(١)، وكذلك هو، فإن أهل العرف لا يسمونه زوجاً، والشارع إنما^(٢) سماه «تيساً مستعاراً»^(٣)، فلا يجوز تسميته زوجاً إلا على وجه التقييد بأن يقال: زوج ملعون، أو زوج في نكاح تحليل، أو في نكاح باطل.

ومنها: أنه جعل الزوج الثاني وطلاقه بمنزلة الزوج الأول، وطلاقه: فالمفهوم منها [واحد]^(٤) وغير ذلك من الوجوه التي أفهمت منها الآية بطلان نكاح المحلل، وهي عشرة قد ذكرناها في موضع آخر^(٥). ولا ريب أن فهم هؤلاء أولى بالصواب.

(١) ظ: (عرفنا).

(٢) م: (لنا).

(٣) يشير بذلك إلى ما رواه عقبه بن عامر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
«ألا أخبركم ما التيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله
المحلل والمحلل له». رواه ابن ماجه ٣٥٦/١ في أبواب النكاح، باب المحلل والمحلل
له، ح ١٩٤٣.

قال ابن كثير ٢٧٩/١، ٢٨٠: «تفرد به ابن ماجه، وكذا رواه إبراهيم بن يعقوب
الجوزجاني، عن عثمان بن صالح، عن الليث به، ثم قال: كانوا ينكرون على عثمان
في هذا الحديث إنكاراً شديداً (قلت): عثمان هذا أحد الثقات، روى عنه البخاري في
صحيحه، ثم قد تابعه غيره فرواه جعفر الفريابي عن العباس المعروف بابن فريق،
عن أبي صالح عبدالله بن صالح عن الليث به، فبريء من عهده والله أعلم»، اه.
كلام ابن كثير.

(٤) (واحد): إضافة من ب.

(٥) ب: (مواضع آخر). وانظر ما ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢٩٣/١.

ومن هذا فهم بعضهم إباحة العينة^(١) من قوله
- تعالى -:

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾

[البقرة: ٢٨٢].

وفهم آخرون منها تحريمها وبطلانها، فإن لفظ التجارة:
البيع المقصود الذي يقصد به كل واحد من المتعاقدين
الربح والانتفاع، ولا يعرف أهل اللغة والعرف من لفظ
التجارة إلا ذلك. ولا يعد أحد منهم قط الحيلة على الربا
تجارة وإن كان المرابي^(٢) يعد ذلك تجارة، كما^(٣) يعد بيع
الدرهم بالدرهمين، فالعينة لا تعد تجارة لغة ولا شرعاً،
ولا عرفاً.

وكما فهم من فهم من قوله - تعالى -:

﴿الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣].

أنه العقد^(٤)، وفهم آخرون أنه نفس الوطاء، وفهم
الأولين^(٥) أصوب لخلو الآية عن الفائدة إذا حمل على
الوطاء.

وكما فهم أهل الحجاز من قوله - تعالى -:

﴿أَوْ يَنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣].

(١) ظ: (العنة).

(٢) ظ: (المرابي).

(٣) ظ، م: (وكما).

(٤) ظ: (العقدة).

(٥) ظ، م: (الأولون).

طرده [من الأرض]^(١) من موضع إلى موضع، وفهم
أهل العراق منه الحبس^(٢).

وبالجملة فهذا الفصل معترك^(٣) النزاع.

فصل

السبب السابع: أن يكون عارفاً بدلالة اللفظ
وموضوعه، ولكن لا يتفطن لدخول هذا الفرد المعين تحت
اللفظ / إما لعدم إحاطته بحقيقة ذلك الفرد، وأنه مماثل
لغيره من الأفراد الداخلة تحته، وإما لعدم حضور^(٤) ذلك
الفرد بباله، وإما لاعتقاده [اختصاصه بخصيصة يخرج منه
اللفظ العام. وإما لاعتقاده]^(٥) العموم فيها^(٦) ليس بعام،
أو^(٧) الإطلاق فيها هو مقيد، فيذهل عن المقيد^(٨) كما يذهل
عن^(٩) المخصص.

[٦٥/١]

(١) (من الأرض): إضافة من ب.

(٢) ظ، م: (الجنس).

(٣) ظ: (يعترك)؛ وفي هامش م لعله (معترك) ولم أجد فرق بين ما في الأصل وما في
الهامش.

(٤) ظ، م: (خطره).

(٥) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٦) ظ، م: (فها).

(٧) ب: (إذ).

(٨) ظ، م: (التقييد).

(٩) ظ، م: (في).

فصل

السبب الثامن: اعتقاده أن لا دلالة في ذلك اللفظ على الحكم المتنازع فيه فهنا أربعة أمور:
أحدها: أن لا يعرف مدلول اللفظ في عرف الشارع، فيحمله على خلاف مدلوله.

الثاني: أن يكون له في^(١) عرف الشارع معنيان، فيحمله على أحدهما، ويحمله غيره على المعنى^(٢) الآخر.

الثالث: أن يفهم من العام خاصاً، أو من الخاص عاماً، أو من المطلق مقيداً، أو من المقيد مطلقاً.

الرابع: أن ينفي دلالة اللفظ، وتارة يكون مصيباً [في نفس الدلالة]^(٣) وتارة يكون مخطئاً، فمن نفى دلالة قوله:

﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾

[البقرة: ١٨٧].

على [حل]^(٤) أكل ذي الناب والمخلب أصاب، ومن نفى دلالة قوله:

﴿وَأَنكحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

(١) ظ: (من).

(٢) ظ، م: (المعين).

(٣) (في نفس الدلالة): إضافة من ب.

(٤) (حل): إضافة من ب.

على جواز نكاح الزانية أصاب، (ومن نفى دلالة قوله:

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾

[الأنعام: ١٤٥].

على الإذن في أكل ما عدا المذكور في الآية أصاب^(١)،
ومن نفى دلالة العام على ما عدا محل التخصيص غلط،
ومن نفى دلالة على ما عدا [محل]^(٢) السبب غلط، ومن
نفى دلالة الأمر [على الوجوب]^(٣) والنهي على التحريم
غلط، ومن هذا ما يعرض من الاختلاف في الأفعال
المنفية^(٤) بعد وجود صورتها كقوله: «لا صلاة لمن لم يقرأ^(٥)»
بفاتحة الكتاب^(٦)، «ولا صيام لمن لم يُبَيِّت الصيام من الليل»^(٧)،

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) (محل): إضافة من ب.

(٣) (على الوجوب): إضافة من ب.

(٤) ظ: (المسفيه)؛ ب: (المتفية).

(٥) ب: (لم يقر).

(٦) رواه البخاري (فتح الباري ٢/٢٣٦، ٢٣٧) من طريق عبادة بن الصامت، في كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر، ح ٧٥٦.

ورواه مسلم ١/٢٩٥، في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ح ٣٩٤.

(٧) رواه أبو داود (عون المعبود ٧/١٢٢) من طريق حفصة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -، في كتاب الصيام، باب النية في الصوم، ح ٢٤٣٧.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٣/٤٢٦)، في كتاب الصيام، باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل، ح ٧٢٦.

وقال أبو عيسى: «حديث حفصة حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه».

«ولا صلاة لفذ^(١) خلف الصف^(٢)»، ونحو ذلك.

وطائفة لم تفهم المراد منه، فجعلته مجماً يتوقف العمل به على البيان.

وطائفة فهمت منه نفي الكمال المستحب، وهذا ضعيف جداً؛ فإن النفي المطلق بعيد منه.

وطائفة فهمت نفي الأجزاء والصحة، وفهم هؤلاء أقرب إلى اللغة، والعرف، والشرع.

وطائفة فهمت^(٣) نفي المسمى الشرعي، وهؤلاء أسعد الناس بفهم المراد.

فصل

هذا كله قبل الوصول إلى السبب التاسع: وهو اعتقاده^(٤) أن تلك الدلالة قد عارضها ما هو مساوٍ لها،

= ورواه النسائي ٤/١٩٦، ١٩٧، في كتاب الصوم، باب النية في الصيام. قال الحافظ بن حجر في تلخيص الخبير ٢/٢٠٠: اختلف الأئمة في رفعه ووقفه». (١) ظ: (لقد).

(٢) رواه ابن ماجه ١/١٨٠ من طريق علي بن شيبان، في أبواب إقامة الصلاة، باب صلاة الرجل خلف الصف وحده، ح ١٩٨٩. قال في الزوائد: «إسناده حسن ورجاله ثقات». ورواه أحمد في المسند ٤/٢٣.

وروى الأثرم عن أحمد أنه قال: حديث حسن، (تحفة الأحوذى ٢/٢٣).

(٣) ظ، م: (وفهمت طائفة).

(٤) م: (اعتقاد).

فيجب التوقف، أو^(١) ما [هو]^(٢) أقوى منها، فيجب تقديمه^(٣).
وهذه المعارضة نوعان: معارضة في الدليل، ومعارضة في
مقدمة من مقدماته.

فالمعارضة في الدليل: أن يعتقد أنه قد عارضه
ما هو أرجح (منه)^(٤)، فيجب عليه العمل بالراجح، وقد
يكون مصيباً في ذلك و[قد^(٥)] لا يكون مصيباً (فالمصيبُ
من اعتقد المعارضة بناسخ يصح فيه دلالة ومقاومته
وتأخره)^(٦) فإن انتفى بعضها^(٧) كان وإهماً في اعتقاد
المعارضة، وإبطال النص بها.

وأما المعارضة في المقدمة: فأن يقوم عنده^(٨) معارض
كجزء^(٩) الدليل. مثاله: أن يعتقد تحريم الميسر بالنص
الدال على تحريمه، ويدل عنده دليل على دخول الشطرنج
فيه، ثم يقوم عنده دليل معارض لهذا الدليل يدل على
[أن^(١٠) الشطرنج ليس من الميسر، فها هنا أربعة أمور:

(١) ب: (إذا).

(٢) (هو): إضافة من ب.

(٣) ظ، م، ب: (تقديمها) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) (منه): سقط من ب.

(٥) (قد): إضافة من ب.

(٦) ما بين القوسين مكرر في ظ.

(٧) ظ، م: (فقضها).

(٨) ظ: (عند)؛ م: (عنه).

(٩) ظ: (كجر) ب (لجر).

(١٠) (أن): إضافة من ب.

أحدها: أن لا يعتقد دلالة اللفظ على المعنى.

الثاني: أن يعتقد دلالته، ولكن يقوم عنده^(١) معارض للدليل^(٢).

الثالث: أن يقوم عنده معارض لمقدمة من مقدماته.

الرابع: أن يتعارض عنده، [الدالتان، والتعارض قد يقع في]^(٣) الدليلين^(٤): [وقد يقع في الدالتين]^(٥) والفرق بينهما: أن تعارض الدليلين يكون مع اعتقاد دلالة كل واحد منهما على مطلوبه.

وتعارض الدالتين^(٦) يقع في الدليل الواحد فيكون له وجهان، ثم قد يتبين^(٧) رجحان المعارض فيصير إلى الراجح، وقد لا يتبين له الرجحان فيتوقف، وقد يترك الحديث لظنه انعقاد الإجماع على خلافه، إذ^(٨) لم يبلغه الخلاف، ويكون إنما^(٩) (معه) عدم العلم بالمخالف لا العلم بوجود^(١٠) المخالف، وهذا العذر لم يكن أحد من الأئمة

(١) ظ، م: (عنه).

(٢) ظ، م: (الدليل).

(٣) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٤) م: (الدليلان).

(٥) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٦) ظ، م: (الدليلين).

(٧) ظ، م: (يعنون)؛ ب: (يعتقد) وما أثبتته من حاشية م.

(٨) ب: (إذا).

(٩) ظ، م: (يفهم).

(١٠) ظ: (فوجود).

والسلف يصير إليه، وإنما لهج به المتأخرون، وقد أنكره أشد الإنكار الشافعي، والإمام أحمد، وقال الشافعي: ما لا يعلم فيه خلاف لا يقال له: إجماع^(١) (هذا لفظه)^(٢)، وأما الإمام أحمد فقال: «مَنْ ادَّعى الإجماع فقد كذب. وما يدرية لعل الناس اختلفوا»^(٣) وقد كتبت نصوصه ونصوص الشافعي في غير هذا الموضوع^(٤)، ولا خلاف بين الأئمة أنه إذا صح^(٥) الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [لم]^(٦) يكن عدم العلم بالقائل به مسوغاً لمخالفته فإنه [دليل]^(٧) موجب للاتباع^(٨)، وعدم العلم بالمخالف لا يصلح أن يكون معارضاً، فلا^(٩) يجوز ترك الدليل له، وإذا تأملت هذا الموضوع وجدت كثيراً من أعيان العلماء قد صاروا إلى أقوال متمسكهم فيها^(١٠) عدم العلم بالمخالف مع قيام الأدلة الظاهرة على

(١) إعلام الموقعين ٣٠/١، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) (هذا لفظه): سقط من ب.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١٤٩/١، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

الإبهاج شرح المنهاج للسبكي ٣٩١/٢، مكتبة الكليات الأزهرية؛ زاد المعاد ٥٥/٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي؛ إعلام الموقعين ٣٠/١.

(٤) انظر: إعلام الموقعين ٣٠/١؛ وانظر: زاد المعاد ٥٥/٤.

(٥) في هامش ب: (إذا صح الحديث فهو مذهب الأربعة وغيرهم).

(٦) (لم): إضافة من م، ب.

(٧) (دليل): إضافة من ب.

(٨) ظ، م: (الاتباع).

(٩) ظ، م: (ولا يجوز).

(١٠) ظ: (فيها).

خلاف تلك الأقوال، وعذرهم - رضي الله عنهم - أنهم لم يكن (١) لأحد (٢) منهم أن يتدعى قولاً لم يعلم (٣) به قائلاً مع علمه بأن الناس قد قالوا: خلافه، فيتركب (٤) من هذا العلم، وعدم ذلك العلم الإمساك عن اتباع ذلك الدليل.

وها هنا انقسم (٥) [العلماء] (٦) ثلاثة أقسام: فقسم (٧) أخذوا بما بلغهم من أقوال أهل العلم، وقالوا: لا يجوز لنا أن نخالفهم، ونقول قولاً لم نسبق إليه. وهؤلاء معذورون قبل وصول الخلاف إليهم، فأما من وصل إليه الخلاف، وعلم بذلك القول قائلاً، فما أدري ما عذره عند الله في مخالفته صريح الدليل (٨).

وقسمٌ توقفوا وعلقوا القول فقالوا: إن كان في المسألة (٩) إجماع فهو أحق ما اتبع، وإلا فالقول فيها كيت وكيت، وهو موجب الدليل ولو علم هؤلاء قائلاً به لصرحوا بموافقتة، فإذا علم به قائل فالذي ينبغي ولا يجوز غيره أن يضاف ذلك القول إليهم، لأنهم إنما تركوه لظنهم أنه لا قائل

(١) ب: (يمكن).

(٢) ظ، ب: (أحداً).

(٣) ظ: (يعلمه).

(٤) ب: (فترك).

(٥) م: (انقسموا).

(٦) (العلماء): إضافة من ب.

(٧) ظ: (فيقسم).

(٨) ب: (صريح الدليل منه).

(٩) ظ، ب: (المسألة).

به : (وأنه لو كان به قائل)^(١) لصاروا إليه ، فإذا ظهر به قائل لم يجوز أن يضاف إليهم غيره إلا على الوجه المذكور ، وهذه الطريقة أسلم .

وقسم ثالث اتبعوا موجب الدليل ، وصاروا إليه ، ولم يقدموا عليه قول من ليس قوله حجة ، ثم انقسم هؤلاء قسمين .

فطائفة علمت أنه يستحيل أن تجمع الأمة على خلاف هذا الدليل ، وعلمت أنه لا بد أن يكون في الأمة من قال : [بموجبه]^(٢) وإن لم يبلغهم قوله فما كل ما قاله كل واحد من أهل العلم وصل إلى كل واحد^(٣) من المجتهدين . وهذا لا يدعيه عاقل ، ولا يدعى في أحد ، وقد نص الشافعي^(٤) على مثل ذلك فذكر البيهقي^(٥) عنه في المدخل^(٦) أنه قال له

(١) ما بين القوسين مكرر في (ظ) .

(٢) (بموجبه) : إضافة من ب .

(٣) ظ ، م ، ب كرر لفظ : (واحد) ، ولعل الصواب حذف أحدهما .

(٤) انظر : الرسالة للإمام الشافعي ، ص ٤٧٠ .

(٥) هو أحمد بن الحسين بن علي ، أبوبكر ولد في (خسروجرد) من قرى بيهق في نيسابور سنة ٣٨٤ من أئمة الحديث .

من مؤلفاته : «السنن الكبرى» و«السنن الصغرى» و«الأسماء والصفات» و«دلائل النبوة» . توفي سنة ٤٥٨ .

طبقات الشافعية ٤/١٦٠٨ ؛ شذرات الذهب ٣/٣٠٤ ؛ الأعلام ١/١١٦ .

(٦) المدخل للسنن الكبرى للبيهقي مخطوط ، وتوجد نسخة منه ناقصة في مكتبة الجمعية الآسيوية بـ «كلكتا» في الهند ، وقد طبع لأول مرة بتحقيق الأستاذ محمد ضياء الرحمن الأعظمي . في دار الخلفاء للكتاب الإسلامي في الكويت .

ولم أجد النص المذكور في المطبوع منه ، فالظاهر أنه في الجزء المفقود من الكتاب والذي =

بعض من ناظره: فهل تجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سنةً ثابتة متصلة خالفها الكل؟ قلت: «(لا)»^(١) لم أجدها
قطُّ كما وجدت المرسل».

وطائفة قالت: يجوز أن لا يتقدم به قائل، ولكن لا يلزم
انعقاد الإجماع على خلافه؛ إذ لعل تلك النازلة تكون قد
نزلت فأفتى فيها بعض العلماء، أو كثير^(٢) منهم أو أكثرهم
بذلك القول^(٣)، ولم يستفت فيها الباقيون ولم تبلغهم فحفظ
فيها قول طائفة من أهل العلم، ولم يحفظ لغيرهم فيها قول،
والذين حفظ قولهم فيها ليسوا كل الأمة^(٤)، فيحرم
مخالفتهم.

قالوا: فنحن^(٥) في مخالفتنا لمن ليس قوله حجة أعذر
منكم في مخالفتكم لمن قوله حجة، فإن كنتم معذورين في
مخالفة الدليل لقول مَنْ بلغتكم أقوالهم مع أنهم ليسوا كل
الأمة، فنحن في مخالفتهم لقيام الدليل أعذر عند الله ورسوله
منكم، وهذا كما تراه لا يمكن دفعه إلا بمكابرة، أو إجماع
متيقن معلوم لا شك فيه وبالله التوفيق.

= خصصه المؤلف للكلام في مصطلح الحديث انظر: مقدمة المدخل إلى السنن الكبرى،
ص ٦٩، ٧٥؛ وكشف الظنون ١٦٤٤/٢؛ الرسالة المستطرفة، ص ٣٤، الطبعة
الثالثة، دار الفكر، مقدمة كتاب الاعتقاد للبيهقي بقلم المحقق أحمد عصام الكاتب.

(١) (لا): سقط من ب.

(٢) ظ، م: (وكثير).

(٣) م: (يقول).

(٤) ظ، م: (أمة).

(٥) ظ، م: (نحن).

ومما يوضح هذا أن كل من ترك موجب الدليل لظن الإجماع، فإنه قد تبين لغيره أنه لا إجماع في تلك المسألة، والخلاف فيها قائم، ونحن نذكر من ذلك طرفاً يسيراً يستدل به العالم على ما وراءه^(١).

فمن ذلك قول مالك^(٢): «لا أعلم أحداً أجاز شهادة العبد» وصدق رضي الله عنه، فلم يعلم أحداً أجازها وعلمه غيره.

فأجازها علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وشريح^(٣) القاضي حكاه الإمام أحمد وغيره. وروى أحمد عن أنس قال: «لا أعلم أحداً رد شهادة العبد»^(٤)، وقال: «لا أعلم أحداً أوجب الصلاة على النبي صلى الله عليه

(١) ظ: (رواه).

(٢) ظ: (قوله ملك).

(٣) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة زمن عمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، واستعفى أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧هـ. وكان ثقة في الحديث. توفى سنة ٧٨هـ بالكوفة.

تهذيب التهذيب ٤/٣٢٦، ٣٢٨؛ الأعلام ٣/١٦١.

(٤) انظر: إجازة علي رضي الله عنه، في المصنف لابن أبي شيبة ٦/٧٧.

وانظر: إجازة أنس وشريح في المصنف لابن أبي شيبة ٦/٧٧، ٧٨.

وفي السنن الكبرى للبيهقي ١٠/١٦١؛ وفي البخاري (فتح الباري ٥/٢٦٧) في الترجمة، في كتاب الشهادات، باب شهادة الإماء والعييد.

وانظر: قول أنس: «لا أعلم أحداً رد شهادة العبد» في المغني ٩/١٩٥، وقد منع شهادة العبد سوى مالك: ابن عباس، وعطاء ومكحول، ومجاهد، وسفيان وغيرهم، انظر: المصنف لابن أبي شيبة ٦/٧٨، ٧٩.

وسلم (في الصلاة)^(١) « ووجوبها محفوظ عن أبي جعفر
الباقر^(٢) ».

وقال الشافعي: «أجمعوا على أن المعتق بعضه (لا)»^(٤)
يرث» وقد صح توريثه عن علي، وابن مسعود^(٥)، وقال
الشافعي: وقد قيل له: فهل من مرسل ما قال به أحد؟
قال: نعم، أخبرنا ابن عيينة، عن محمد بن المنكدر أن رجلاً
جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن
لي مالاً وعيالاً وإن لأبي مالاً وعيالاً، يريد^(٦) أن يأخذ مالي

(١) (في الصلاة): سقط من ب.

(٢) هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي القرشي، أبو جعفر، الباقر، ولد
بالمدينة سنة ٥٧ كان ناسكاً عابداً. وهو خامس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية من
الشيعة. تُوِّفِيَ سنة ١١٤.

تهذيب التهذيب ٣٥٠/٩ - ٣٥٢؛ الأعلام ٢٧٠/٦، ٢٧١.

(٣) قال في الروض النضير ٥٠/٢. وقيل: تجب في كل صلاة في التشهد الأخير،
وهو مذهب جمهور العترة وقال به الشافعي». اهـ. الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧، مطبعة
السعادة.

(٤) (لا): سقط من ب.

(٥) كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٤٧٢/٤،
٤٧٣)، من طريق ابن عباس، في أبواب البيوع، باب ما جاء في المكاتب إذا كان عنده
ما يؤدي، ح ١٢٧٧؛ ولفظه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال:
«إذا أصاب المكاتب حداً أو ميراثاً ورث بحسب ما عتق منه». وقال الترمذي: «حديث
ابن عباس حديث حسن»، ورواه أبو داود (عون المعبود ٣٢٢/٩٢) في كتاب الديات،
باب في دية المكاتب، ح ٤٥٥٨. ورواه النسائي ٤٦/٨، في القسامة، باب دية
المكاتب.

(٦) ظ: (وعيالاً لا يريد).

فيطعمه عياله فقال: «أنت ومالك لأبيك»^(١) قال الشافعي: فقال محمد بن الحسن: أما نحن فلا نأخذ بها، ولكن هل من أصحابك من يأخذ به؟ قلت: [لا]^(٢)، لأن من أخذ بهذا جعل للأب الموسر أن يأخذ من مال ابنه^(٣)، قال: أجل ما يقول بهذا أحد [قال]^(٤) فَلِمَ يخالفه الناس؟ قلت: لأنه لم يثبت، فان^(٥) الله لما فرض للأب ميراثه من ابنه فجعله كوارث غيره، وقد يكون انقص حظاً من كثير [من]^(٦)

(١) رواه أبو داود (عون المعبود ٩/٤٥٥)، من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده في كتاب البيوع، باب الرجل يأكل من مال ولده، ح ٣٥١٣.
ورواه ابن ماجه ٢/٣٤، من طريق محمد بن المنكدر عن جابر في أبواب التجارات، باب مال للرجل من مال ولده، ح ٢٣١٢.
قال في الزوائد: إسناده صحيح.
وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر بعض طرقه: فمجموع طرقه لا تحطه عن القوة وجواز الاحتجاج به فيتعين تأويله». فتح الباري ٥/٢١١.
وقال ابن القطان: إسناده صحيح. فتح الباري ٥/٢١١.
وقال المنذري: رجاله ثقات. فتح الباري ٥/٢١١.
وقال أحمد شاکر في حاشية الرسالة للإمام الشافعي، ص ٤٦٧: «الحديث» من هذا الطريق مرسل ضعيف». ثم ذكر له طرقاً أخرى في المسند ١/١٥٧، وقال: إسناده صحيح. انظر: حديث رقم ٦٦٧٨، ٦٩٠٢، ٧٠٠١.
وانظر: قول ابن القيم في الأصل «وقد صح اتصاله».

(٢) (لا): إضافة من ب.

(٣) ب: (أبيه).

(٤) (قال): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (وإن).

(٦) (من): إضافة من م، ب.

الورثة، دل ذلك على [أن] (١) ابنه مالك للمال دونه» (٢)
 [وقد] (٣) قال بهذا الحديث جماعة من السلف منهم شيخ
 الشافعي سفيان (٤) بن عيينة (٥)، وصاحبه الإمام أحمد،
 وغيرهما ولم يعلم به الشافعي قائلًا، واعتذر عن (٧) مخالفته
 بأنه مرسل لم يثبت، ولم يعتذر عن مخالفته بالإجماع، وقد
 صح اتصاله.

وقال الثوري (٨): فيما إذا طلق (٩) المدخول بها، ثم
 راجعها، ثم طلقها قبل دخول (١٠) ثانٍ (١١) بعد الرجعة فإن
 أكثر العلماء على أنها تستأنف العدة قال سفيان: أجمع الفقهاء
 على هذا. وسفيان من كبار (١٢) أئمة الإسلام، وقد حكى
 الإجماع على هذا. والنزاع في ذلك موجود قبله (وبعده) (١٣)

(١) (أن): إضافة من م، ب.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي، ص ٤٦٧، ٤٦٨.

(٣) (وقد): إضافة من ب.

(٤) ب: (سفين).

(٥) ظ: (ابن).

(٦) سبق ذكر ترجمته، ص ٢٠٦.

(٧) ظ، م: (وأعذر من).

(٨) سبق ذكر ترجمته، انظر ص ٥٣٤.

(٩) ظ: (صلق).

(١٠) م: (الدخول).

(١١) ظ، م: (بها).

(١٢) ظ، م: (كان من).

(١٣) (وبعد): سقط من ب.

فإن^(١) مذهب عطاء أنها^(٢) تبنى^(٣) على ماضى كما لوطلقها قبل الرجعة، وهو أحد قولي الشافعي، وأحد الروایتين عن أحمد، وحكى عن مالك قول ثالث أنه إن قصد الإضرار بها بنت، وإلا استأنفت^(٤) وحكى عن داود قول رابع: أنه لا عدة عليها بحال جعلها مطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها بالطلاق الثاني، والأول انقطعت عدته / بالرجعة والأكثر يقولون: هي زوجة مدخول بها^(٥).

[٦٧/١]

ومن ذلك أن الليث بن سعد حكى الإجماع (على)^(٦) أن المسافر لا يقصر الصلاة في أقل من يومين^(٧) هذا مع سعة علمه، وفقهه، وجلالة قدره، والنزاع في مسافة القصر عن الصحابة، والتابعين أشهر من أن يذكر.

ومن ذلك ما ذكره مالك في موطأه^(٨) فقال: «فمن الحججة على من قال ذلك القول – أي أنه لا يقضى بشاهد

(١) م: (قال).

(٢) ظ: (فإنها)؛ م: (فإنه).

(٣) م: (يتبنى).

(٤) ظ: (استأنف).

(٥) انظر: حكاية سفيان الثوري. الإجماع على ذلك، وأقوال العلماء في هذه المسألة في المجموع شرح المذهب ٤١٣/١٦، ٤١٤).

(٦) (على): سقط من ب.

(٧) انظر: قول الليث في المجموع شرح المذهب ١٩١/٤؛ وفي المغني ٢٥٦/٢، وليس فيهما حكاية الإجماع.

(٨) ٧٢٤/٢، في كتاب الأفضية، باب القضاء باليمين مع الشاهد.

ويمين لأنه ليس في القرآن - فيقال: أرأيت لو أن واحداً ادعى على رجل مالا. أليس يحلف المطلوب ما ذلك الحق عليه، وإن حلف بطل ذلك الحق عنه، وإن نكل عن اليمين حلف صاحب الحق إن حقه لحق، وثبت حقه على صاحبه. قال: فهذا مما^(١) لا خلاف^(٢) فيه عند أحد من الناس، ولا يبيلد من البلاد». اهـ. والحلف بالقضاء بالنكول وحده دون اشتراط رد اليمين أشهر من أن يذكر.

وإبراهيم النخعي^(٣) لا يقول بالرد بحال، ومذهب أبي حنيفة، وأصحابه لا يرون لزوم تحليف المدعي بحال، بل يقضون بالنكول، وأبو ثور^(٤) ذكر في المسألة قولاً ثالثاً: أنه إذا امتنع أن يحلف وسأل حيسَ المدين^(٥) حبسه له.

وأحمد وإن كان يُحْلَفُ المدعي في بعض الصور

(١) ظ، م: (كما).

(٢) ب: (اختلاف).

(٣) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٠١.

(٤) هو: إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان، أبو ثور الكلبى البغدادي الفقيه يقال كنيته: أبو عبدالله، وأبو ثور لقب.

روى عن ابن عيينة، وابن علية، ووكيع وخلق. وروى عنه البغوي، والسراج وخلق.

قال أحمد: أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، وهو عندي في مسلاخ (جلد) الثوري.

وقال أبو حاتم بن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهاً، وعلماً، وورعاً، وفضلاً، وديانة وخيراً ممن صنف الكتب وفرع على السنن، وكان فقيه أهل بغداد في عصره. مات سنة ١٤٠ وعمره سبعون سنة.

تهذيب التهذيب ١/١١٨، ١١٩؛ الكاشف ١/٨٠.

(٥) ب: (الدين).

كالقسامة، والقضاء بشاهد ويمين، فإن المشهور عنه أنه يقضي بالنكول دون الرد.

وفي مذهب أحمد قول آخر أنه يقضي [بالرد، وهو اختيار أبي الخطاب^(١)، وأبي محمد المقدسي^(٢) في العمدة^(٣)].

وذهب بعض أصحاب الشافعي إلى أنه من قضى بالنكول نقض^(٤) حكمه.

ومع هذا فأبو عبيد^(٥) يحكي الإجماع على خلاف هذا،

(١) هو محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوزاني، ولد في بغداد سنة ٤٣٢. إمام الحنابلة في عصره، أصله من كلواذي من ضواحي بغداد. من كتبه: «التمهيد» في أصول الفقه، و«الانتصار في المسائل الكبار» و«الهداية» فقه و«عقيدة أهل الأثر» منظومة قصيرة. توفي ببغداد سنة ٥١٠.

ذيل طبقات الحنابلة ١١٦/١ - ١٢٧؛ الأعلام ٢٩١/٥.

(٢) هو ابن قدامة وقد سبقت ترجمته، ص ١٨٠.

(٣) انظر: العمدة لابن قدامة، المطبوع مع شرحه العدة، ص ٦٢٥، ٦٢٦؛ كتاب القضاء، باب صفة الحكم - طبع المطبعة السلفية ومكاتبها - الطبعة الثانية ١٣٨٢.

(٤) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٥) هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء الخراساني البغدادي أبو عبيد ولد سنة ١٥٧، من كبار العلماء في الحديث، والأدب، والفقه. ولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، من كتبه: «الأموال»، و«الإيمان ومعالمه وسننه، واستكمالها: ودرجاته» مخطوط في الظاهرية بدمشق وله كتاب: «أدب القاضي» توفي بمكة سنة ٢٢٤.

تهذيب التهذيب ٣١٥/٨ - ٣١٨؛ الأعلام ١٧٦/٥؛ معجم المؤلفين ١٠١/٨، ١٠٢؛ شذرات الذهب ٥٤/٢، ٥٥؛ الكاشف ٣٩٠/٢؛ مقدمة كتاب أبي عبيد «غريب الحديث» بقلم محمد عظيم الدين.

فإنه قال في كتاب القضاء^(١) لما ذكر أحاديث القضاء: إن اليمين على المدعى عليه. قال: وفي ذلك سنة يستدل عليها بالتأويل، وذلك أنه لما قضى أنه لا براءة للمطلوب^(٢) إلا باليمين إلى الطالب كان فيه دليل على أن ترك أدائها إيجاب للدعوى^(٣) عليه، وتصديق لما يدعي.

قال: وقد زعم بعض من يدعي النظر في الفقه أن إباء اليمين لا يوجب عليه حقاً، ولكنه - زعم - يجبس حتى يُقر، أو يحلف، وهذا خلاف التأويل والأخبار وإجماع العلماء.

ومن ذلك (ما)^(٤) قاله مالك في موطئه^(٥): «الأمر المجمع عليه عندنا، والذي سمعت ممن أرضى به في القسامة، والذي اجتمعت عليه الأئمة^(٦) في القديم والحديث أن^(٧) يبدأ بيمين المدعين^(٨) في القسامة، وأن القسامة لا تجب إلا بأحد أمرين: إما أن يقول المقتول: دمي عند

(١) كتاب أبي عبيد في القضاء غير موجود، وقد ذكره ابن القيم في كتابه الإعلام ٦٢/١، ٨٥، ونقل منه كتاب عمر - رضي الله عنه - إلى أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.

(٢) ظ، م: (لا يراه المطلوب).

(٣) ظ، م: (الدعوى).

(٤) (ما): سقط من ب.

(٥) ٨٧٩/٢، في كتاب القسامة، باب تبرئة أهل الدم في القسامة.

(٦) في ظ، م، ب: (الأمة) وما أثبتته من الموطأ.

(٧) م: (أن من).

(٨) ظ، م، ب: (المدعين) ولعل الصواب ما أثبتته.

فلان، أو يأتي ولاية الدم بلوث. فهذا يوجب القسامة للمدعين^(١) للدم على من ادعوه عليه».

قال مالك: «ولا تجب القسامة إلا بأحد هذين الوجهين». قال مالك: «وتلك السنة التي [لا]^(٢) اختلاف فيها عندنا، والذي لم يزل عليه الناس أن المبدئين^(٣) بالقسامة أهل الدم الذي يدعون في العمد والخطأ^(٤)».

قال ابن عبد البر: وقد أنكر العلماء على مالك قوله: إن القسامة لا تجب إلا بقول^(٥) المقتول دمي عند فلان، أو يأتي بلوث يشهدون به، لأن المقتول بخبير^(٦) لم يدع على أحد، ولا قال دمي عند أحد (ولا)^(٧) قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للأنصار تأتون بلوث^(٨). قالوا: وقد جعل مالك سنة ما ليس له مدخل في السنة.

وكذلك^(٩) أنكروا عليه أيضاً في هذا الباب قوله: الأمر

(١) ظ، م، ب: (للمدعين) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) (لا): إضافة م، ب.

(٣) ظ، م، ب: (المبدئين) وما أثبتته من الموطأ.

(٤) الموطأ ٨٧٩/٢، في كتاب القسامة، باب تبرئة أهل الدم في القسامة.

(٥) ظ: (ولا تقول).

(٦) ظ، م: (حم).

(٧) (ولا): سقط من ب.

(٨) وهذا الخبر قد رواه البخاري (فتح الباري ٢٢٩/١٢، ٢٣٠) من طريق بشير بن

يسار، في كتاب الديات، باب القسامة، ح ٦٨٩٨.

ورواه مسلم ١٢٩١/٣، من طريق بشير بن يسار عن سهل بن أبي حثمة، وعن

رافع بن خديج، في كتاب القسامة، باب القسامة، ح ١٦٦٩.

(٩) ب: (ولذلك).

المجمع عليه أن يبدأ المدعون بالإيمان في القسامة^(١)، قالوا: فكيف اجتمعت الأئمة في الفقه والحديث وابن شهاب يروي عن سليمان بن يسار، وأبي سلمة بن^(٢) عبد الرحمن عن رجل من الأنصار أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بدأ اليهود في الإيمان^(٣) قال: وهذا الحديث وإن لم يكن من روايته عن ابن شهاب، فمن روايته^(٤) عن ابن شهاب، عن سليمان بن يسار وعراك بن مالك أن عمر بن الخطاب قال للجهمي الذي ادعى دية وليه على رجل من بني سعد بن ليث وكان أجرى فرسه^(٥) فوطىء على إصبع الجهمي فنزى^(٦) منها^(٧) الدم، فمات، فقال عمر للذي ادعى عليهم:

(١) الموطأ ٢/٨٧٩، في كتاب القسامة، باب تبدئة أهل الدم في القسامة.

(٢) ظ، م: (أبي).

(٣) رواه مسلم ٣/١٢٩٥، بهذا السند في كتاب القسامة، باب القسامة، ح ٧. ورواه النسائي ٥/٨، بهذا السند، في كتاب القسامة، باب القسامة وفيها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية. وفي رواية أخرى فيها. وقضى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين ناس من الأنصار في قتيل ادعوه على اليهود.

وفي رواية للبخاري (فتح الباري ١٢/٢٣٠، ٢٣١) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قدم اليهود في اليمين فقال: أترضون نفل خمسين من اليهود ما قتلوه. انظر: كتاب الديات، باب القسامة، ح ٦٨٩٩.

وانظر: كلام الإمام ابن حجر في هذه المسألة وجمعه بين الروايات المختلفة في فتح الباري ١٢/٢٣٤.

(٤) ظ: (رواية عن)؛ م: (رواية ابن) وانظر: الموطأ ٢/٨٥١.

(٥) ب: (أجرى قريبه).

(٦) يقال: نزى دمه ونزف إذا جرى ولم ينقطع. اللسان ٦/٤٤٠٢، مادة (نزا).

(٧) م: (فرسها)؛ وفي الأثر: (فنزى).

أتحلفون بالله خمسين يمينا ما مات منها فأبوا وتخرجوا، وقال
للمدعين: احلفوا فأبوا ففضى [بشطر]^(١) البدية على
السعديين^(٢). قالوا: فأى أمة اجتمعت على هذا.

ومن ذلك قال الشافعي في مختصر المزني^(٣) في مسألة
اليمين الغموس: ودل^(٤) إجماعهم على أن مَنْ حلق في
الإحرام عمداً، أو خطأ، أو قتل صيداً عمداً، أو خطأ في
الكفارة سواء^(٥). (و^(٦) على أن الحالف بالله، وقاتل المؤمن
عمداً، أو خطأ في الكفارة سواء)^(٧) « فقد ذكر الإجماع على
التسوية بين العامد والمخطيء في قتل الصيد وحلق
الشعر، ومعلوم ثبوت النزاع في ذلك قديماً وحديثاً،
فمذهب جماعة من السلف أن قاتل الصيد خطأً
لا جزاء عليه، ويروى ذلك عن ابن عباس وطاوس^(٨)،

(١) ليست في جميع النسخ وما أثبتته من الموطأ ٨٥١/٢.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ ٨٥١/٢، من طريق عراك بن مالك وسليمان بن يسار، في
كتاب العقول، باب دية الخطأ في القتل، ج ٤.
قال مالك: وليس العمل على هذا.

(٣) انظر ص ٢٩٠، من مختصر المزني المطبوع في نهاية الجزء الثامن من كتاب الأم
للشافعي.

(٤) ظ، م: (وكل).

(٥) ظ: (سوى).

(٦) مختصر المزني: (سواء على) بدون واو.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) هو طاوس بن كيسان اليماني الحميري الجندي، أبو عبدالرحمن، من أبناء الفرس،
قيل: اسمه ذكوان، وطاوس لقب. قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن
سادات التابعين. مات سنة ١٠٦.

وسعيد بن جبير^(١)، و^(٢) يروى ذلك عن القاسم^(٣)، وسالم^(٤).
وعطاء^(٥)، ومجاهد^(٦)، وهو قول (ابن)^(٧) المنذر^(٨)،

= تهذيب التهذيب ٨/٥، ٩؛ سير أعلام النبلاء ٣٨/٥ - ٤٩؛ الجرح والتعديل
٥٠٠/٤؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ١٨١؛ شذرات الذهب ١/١٣٣.

(١) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم، أبو محمد ويقال: أبو عبدالله الكوفي. قال ابن حبان في الثقات: كان فقيهاً عابداً فاضلاً ورعاً، وفي سنة ٩٥ قتله الحجاج، وهو ابن سبع وخمسين سنة.

تهذيب التهذيب ١١/١٤، ١٣؛ سير أعلام النبلاء ٤/٣٢١ - ٣٤٢؛ خلاصة تهذيب
الكمال، ص ١٣٦.

(٢) انظر: المغني ٣/٥٠٥.

(٣) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد ويقال: أبو عبدالرحمن وُلِدَ في
خلافة عليّ قال ابن سعد: كان ثقة، رفيعاً، عالماً فقيهاً، إماماً، ورعاً، كثير الحديث،
مات سنة ١٠٦.

تهذيب التهذيب ٨/٣٣٣ - ٣٣٥؛ سير أعلام النبلاء ٥/٥٣ - ٦٠؛ الجرح والتعديل
٧/١١٨؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٣١٣؛ شذرات الذهب ١/١٣٥.

(٤) هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عمر، ويقال: أبو عبدالله المدني
الفقيه.

قال مالك: لم يكن أحد في زمان سالم بن عبدالله أشبه بمن مضى من الصالحين في
الزهد والفضل والعيش منه. مات سنة ١٠٧.

تهذيب التهذيب ٣/٤٣٦ - ٤٣٨؛ سير أعلام النبلاء ٤/٤٥٧ - ٤٦٧؛ خلاصة
تهذيب التهذيب، ص ١٣١؛ شذرات الذهب ١/١٣٣.

(٥) انظر ص ٨٢.

(٦) هو مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج، مولى بني مخزوم، تابعي، ولد سنة ٢١؛ من
أئمة التفسير من أهل مكة، وتوفي سنة ١٠٤.

سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩ - ٤٥٧؛ تهذيب التهذيب ١٠/٤٢ - ٤٤؛ شذرات
الذهب ١/١٢٥؛ الأعلام ٥/٢٧٨.

(٧) (ابن): سقط من ب.

(٨) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر، النيسابوري، الحافظ، أبو بكر، الفقيه. ولد بنيسابور =

وداود^(١) وأصحابه^(٢). وقول إسحاق^(٣) في الشعر، وهو رواية عن أحمد في الصيد، وخرج أصحابه في مذهبه في الحلق والتقليم قولاً مثله، وكذلك [ذكره]^(٤) ابن^(٥) أبي هريرة^(٦)^(٧) قولاً للشافعي في

= سنة ٢٤٢. ثم سافر إلى مكة، فكان يعرف بفتيحه مكة وشيخ الحرم، من كتبه «تفسير القرآن الكريم»؛ و«اختلاف العلماء»؛ و«إجماع الأئمة»؛ و«المبسوط»، توفي ابن المنذر ٣١٨.

ميزان الاعتدال ٤٥٠/٣ - ٤٥١؛ مقدمة كتاب الإجماع (د/٥-٧)، بقلم أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف دار طيبة، الرياض ١٤٠٢.

(١) داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري، ولد في الكوفة، ص ٢١٠، أحد الأئمة الفقهاء، وإليه تنسب الظاهرية، وسموا ذلك لأخذهم بظاهر الكتاب والسنة، وكان داود أول من جهر بهذا القول، وكان ممن يقول بحدوث القرآن تُوفي ٢٧٠ في بغداد. ميزان الاعتدال ١٤/٢ - ١٦؛ الأعلام ٣٣٣/٢.

(٢) انظر: قول داود وابن المنذر في المغني ٥٠٥/٣.

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر، أبو يعقوب الحنظلي المعروف بابن راهويه، المروزي نزيل نيسابور ولد سنة ١٦١. روى عن ابن عيينة، وابن عليه، وجريز، وغيرهم.

وروى عنه الجماعة سوى ابن ماجه، وبقية بن الوليد، ويحيى بن آدم، وغيرهم. قال النسائي: إسحاق أحد الأئمة، وقال أيضاً: ثقة مأمون. توفي سنة ٢٣٨.

تهذيب التهذيب ٢١٦/١ - ٢١٨؛ سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١١ - ٣٨٣؛ ميزان الاعتدال ١٨٢/١، ١٨٣؛ البداية والنهاية ٣٥٩/١٠.

(٤) (ذكره): إضافة من ب.

(٥) ظ: (ان).

(٦) ب: (هيرة).

(٧) هو الحسن بن الحسين، أبو علي بن أبي هريرة، البغدادي، القاضي انتهت إليه الرئاسة في المذهب الشافعي. صنف شرحاً لمختصر المزني، وأخذ عنه أبو علي الطبري، والدارقطني، وغيرهما. توفي سنة ٣٤٥.

سير أعلام النبلاء ٤٣٠/١٥؛ شذرات الذهب ٣٧٠/٢؛ الأعلام ١٨٨/٢.

الصيد، وذكر أبو إسحاق^(١)، وغيره أن له قولاً مخرجاً في الحلق والتقليم في الخطأ^(٢) أنه لا كفارة فيه كالطيب واللباس. فصار في المسألة ثلاثة أقوال: الكفارة (فيهما)^(٣)، وعدم الكفارة فيهما، والكفارة / في الصيد دون الحلق والتقليم.

[٦٨/١]

*ومن ذلك ما حكاه ابن المنذر^(٤) قال: (أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على)^(٥) أن الرجل إذا قال لامرأته: أنت طالق ثلاثاً إن دخلتِ الدار، فطلقها^(٦) ثلاثاً، ثم تزوجت بعد^(٧) ما انقضت عدتها، ثم نكحها^(٨) الحالف الأول، ثم دخلت الدار أنه لا يقع عليها الطلاق^(٩) لأن طلاق الملك قد انقضى. والنزاع في هذه المسألة معروف فإن هذه المسألة لها صورتان:

(١) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق الإسفراييني عالم الفقه والأصول، شافعي، متكلم، له كتب منها: «جامع الحلى في أصول الدين والرد على الملحدين، وله مناظرات مع المعتزلة، و«رسالة في أصول الفقه» توفي بنيسابور سنة ٤١٨.

طبقات الشافعية ٤/٢٥٦ - ٢٦٢؛ شذرات الذهب ٣/٢٠٩؛ تبين كذب المفتري ٢٤٣ - ٢٤٤؛ الأعلام ١/٦١.

(٢) ظ: (الخفاء).

(٣) (فيهما): سقط من ب.

(٤) انظر: ترجمته ص ٥٩٤.

(٥) الإجماع لابن المنذر (وأجمعوا أن الرجل).

(٦) ظ، م: (وظلقها).

(٧) الإجماع: (بعد أن).

(٨) الإجماع: (نكحت).

(٩) انظر: الإجماع لابن المنذر، ص ١٠٣، دار طيبة للنشر والتوزيع.

إحدهما: أن لا توجد الصفة؛ فإن الصفة تعود في المشهور في مذهب أحمد حتى إن من أصحابه من يقول: تعود الصفة هنا رواية واحدة، وهذا أحد أقوال الشافعي، بل هو الصحيح عند العراقيين من أصحابه كما ذكره أبو إسحاق^(١)، وغيره، وهو قول حماد بن أبي^(٢) سليمان^(٣) وزفر^(٤) [و]^(٥) كذلك^(٦) ذكره الطحاوي^(٧) عن^(٨) الأوزاعي^(٩)، وعثمان البتي^(١٠)، وابن الماجشون^(١١)

(١) سبق ذكر ترجمته ص ٥٩٦.

(٢) ب: (بن سليمان).

(٣) هو حماد بن أبي سليمان مسلم الأشعري، مولاهم أبو إسماعيل الكوفي الفقيه. قال النسائي: ثقة إلا أنه مرجيء، وكان لا يقول بخلق القرآن، وينكر على من يقوله. مات سنة ١٢٠.

تهذيب التهذيب ١٦/٣، ١٧؛ سير أعلام النبلاء ٢٣١/٥ - ٢٣٩؛ الجرح والتعديل ١٤٦/٣ - ١٤٧.

(٤) هو زفر بن الهذيل بن قيس العنبري من تميم، أبو الهذيل. ولد سنة ١١٠، وهو من أصحاب الإمام أبي حنيفة، ومن كبار الفقهاء، أقام بالبصرة وولي قضاءها وتوفي بها سنة ١٥٨.

سير أعلام النبلاء ٣٨/٨ - ٤١؛ شذرات الذهب ٢٤٣/١؛ الجرح والتعديل ٦٠٨/٣، ٦٠٩؛ الأعلام ٤٥/٣.

(٥) الواو في قوله وكذلك إضافة من ب.

(٦) ظ: (لذلك).

(٧) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، ولد في طحا من صعيد مصر سنة ٢٣٩. فقيه حنفي من كتبه: «العقيدة الطحاوية»، «شرح معاني الآثار» و«مشكل الآثار». وتوفي بالقاهرة سنة ٣٢١.

وفيات الأعيان ٧١/١؛ الأعلام ٢٠٦/١.

(٨) ب: (والأوزاعي).

(٩) سبق ذكر ترجمته، انظر ص ٥٣٦.

(١٠) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٣٥.

(١١) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٣٥.

إذا طلق، ثم تزوج تعود اليمين. قال الطحاوي: ولم يذكروا بعد الثلاث.

والقول الثاني: لا تعود الصفة بحال، وهو قول أبي ثور^(١)، والمزني^(٢).

وقد حكى ابن حامد^(٣) رواية فيمن قال لعبده: إن دخلت الدار فأنت حر، ثم باعه قبل الدخول، ثم اشتراه لم يعتق عليه بحال. فذكر عنه في العتق أن الصفة لا تعود، وفي الطلاق أولى كما صرح أصحابه [بمثل]^(٤) ذلك القول^(٥).

[الثالث]^(٦): أنه وإن^(٧) أبانها بالثلاث لم ترجع

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٨٨.

(٢) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني، ولد سنة ١٧٥، من أصحاب الإمام الشافعي من أهل مصر، من كتبه: «المختصر» و«الجامع الكبير» و«الجامع الصغير». توفي سنة ٢٦٤.

وفيات الأعيان ٢١٧/١ - ٢١٩؛ الأعلام ٣٢٩/١.

(٣) الحسن بن حامد بن علي بن مروان، أو عبدالله البغدادي، إمام الحنابلة في زمانه له كتب منها: «الجامع» في مذهب الحنابلة؛ و«شرح الخرقى» و«شرح أصول الدين» و«تهذيب الأجوبة»، وكان ينسخ الكتب ويقتات من أجرتها. توفي بعد رجوعه من الحج بقرب «واقصة» سنة ٤٠٣.

تذكرة الحفاظ ١٠٧٨/٣؛ الأعلام ١٨٧/٢.

(٤) [بمثل]: إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (كما صرح ذلك أصحابه على ذلك).

(٦) [الثالث]: إضافة من ب.

(٧) ب: (إنه إن بدون واو).

الصفة، وبدونها ترجع، وهو مذهب أبي حنيفة وقول^(١) الشافعي*^(٢). ومن ذلك ما حكاه ابن المنذر^(٣) أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن الرجل إذا قال لامرأته: أنت طالق إن شئت. فقالت^(٤): قد شئت إن شاء فلان أنها قد ردت الأمر، ولا يلزمه الطلاق إن شاء فلان. كذلك^(٥) قال أحمد وإسحاق^(٦)، وأبو ثور^(٧)، وأصحاب الشافعي.

ولأصحاب الشافعي في هذه المسألة وجهان حكاهما الماوردي^(٨) وغيره، ومن ذلك قال ابن المنذر^(٩): أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن الرجل إذا قال لامرأته: أنت طالق ثلاثاً إلا إثنين أنها تطلق واحدة، وإن قال: أنت طالق ثلاثاً إلا واحدة انها تطلق ثنتين. فإن قال: أنت طالق

(١) م: (وقولي).

(٢) ما بين النجمتين (* — *) من قوله: «ومن ذلك ما حكاه ابن المنذر» إلى قوله: «وقول الشافعي» ذكر بعد قوله: وأكثر أجوبته كقول الجمهور، ص ٦٠٠، ومكانه التقديم.

(٣) سبق ذكر ترجمته ص ٥٩٤.

(٤) ظ: (فقال).

(٥) ب: (لذلك).

(٦) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٦.

(٧) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٨٨.

(٨) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي. سمي بذلك نسبة إلى بيع ماء الورد، ولد في البصرة سنة ٣٦٤، كان عالماً فقيهاً تولى القضاء في أيام القائم بأمر الله العباسي، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، من كتبه «أعلام النبوة» و«تسهيل النظر في سياسة الحكومات والأحكام السلطانية» و«معرفة الفضائل». توفي سنة ٤٥٠ في بغداد.

شذرات الذهب ٣/٢٨٥؛ وفيات الأعيان ٣/٢٨٢ - ٢٨٤؛ الأعلام ٤/٣٢٧.

(٩) سبق ذكر ترجمته.

ثلاثاً إلا ثلاثاً طلقت ثلاثاً، ومن حفظ [هذا] (١) عنه
الثوري (٢)، والشافعي، وأبو ثور (٣) وأصحاب الرأي.

والخلاف في المسألة مشهور فمذهب أحمد المنصوص عنه
إذا قال: أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين وقعت الثلاث؛ لأن
استثناء الأكثر عنده باطل، وإذا قال: ثلاثاً إلا واحدة صح
الاستثناء في المشهور من مذهبه.

وقال أبو بكر عبدالعزيز (٤): لا يصح الاستثناء في
الطلاق، وهو نظير أشهر الروايتين عند شريح (٥) فيما إذا
قال: أنت طالق إن دخلت الدار أنها تطلق ولا يتعلق
بالشرط المؤخر، وهي رواية ثابتة (٦)، عن أحمد، وأكثر
أجوبته كقول (٧) الجمهور.

ومن ذلك [ما حكاه] (٨) (٩) أن ابن عبد البر (١٠) نقل

(١) (هذا): إضافة من ب.

(٢) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٣٤.

(٣) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٨٨.

(٤) هو عبدالعزيز بن جعفر بن أحمد بن يزيد بن معروف، أبو بكر المعروف «بغلام
الخلال»، وهو من كبار علماء المذهب الحنبلي من تلاميذ الخلال. من أهم مصنفاته:
«الشافعي» و«المقنع» و«تفسير القرآن» و«زاد المسافر» و«التنبيه» وغيرها. توفي سنة ٣٦٣
وعمره ٧٨.

الأعلام ١٥/٤؛ البداية والنهاية ٣١١/١١.

(٥) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٨٣.

(٦) ب: (ثانية).

(٧) ظ: (لقول).

(٨) (ما حكاه): إضافة من ب.

(٩) في هامش ب: (أي ابن حامد).

(١٠) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٥٣.

الإجماع على أن الاعتكاف يلزم بالشروع. فقال: وقال مالك: يلزمه بالنية مع الدخول، وإن قطعه لزمه قضاؤه. قال ابن عبد البر^(١) لا يختلف في ذلك الفقهاء، ويلزمه القضاء عند جمهور^(٢) العلماء، والخلاف في ذلك أشهر شيء. فمذهب الشافعي وأحمد في مشهور قوله: إنه لا يلزم، وقال الشافعي: كل عمل لك أن لا تدخل فيه، فإذا دخلت (فيه)^(٣) فليس عليك أن تقضي إلا^(٤) الحج والعمرة.

ومن ذلك ما حكاه صالح بن أحمد^(٥) عن أبيه أنه قال: لا اختلاف أنه لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم. والخلاف في ذلك مشهور عن الصحابة، والتابعين. ومن ذلك ما ذكره أبو عمر [بن عبد البر^(٦)] ^(٧) في الاستذكار^(٨) قال: وأما القراءة^(٩) في الركوع، والسجود،

(١) سبق ذكر ترجمته، ٥٥٣.

(٢) ب: (جميع).

(٣) (فيه): سقط من ب.

(٤) ظ، م: (إلا أن تقضي).

(٥) هو صالح بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو الفضل، ولد سنة ٢٠٣ ببغداد، ونشأ بين يدي أبيه، وأخذ عنه، ثم ولي القضاء بأصبهان، وتوفي فيها سنة ٢٦٥.

سير أعلام النبلاء ١٢/٥٢٩، ٥٣٠؛ الجرح والتعديل ٤/٣٩٤؛ الجرح والتعديل ٤/٣٩٤؛ الأعلام ٣/١٨٨.

(٦) سبق ذكر ترجمته ص ٥٥٣.

(٧) (ابن عبد البر): إضافة من ب.

(٨) انظر الاستذكار لابن عبد البر ٢/١٤٨ بتحقيق علي النجدي ناصف.

(٩) ظ: (القراءة)؛ م: (القراءة).

فجميع العلماء على أن ذلك لا يجوز»، اه. وليس ذلك بإجماع؛ فقد سئل عطاء عن ذلك فقال: رأيت عبيد بن عمير^(١) يقرأ وهو راكع. وحكى عن سلمان بن ربيعة^(٢) أنه كان يقرأ وهو ساجد، وقال مغيرة^(٣) عن إبراهيم^(٤) في الرجل يقرأ فيترك الآية، فيذكرها وهو راكع قال: يقرأها، وهو راكع، وقال مغيرة: كانوا يقرأون في الركوع الآية والآيتين إذا بقي على الرجل من قراءته.

(١) هو عبيد بن عمير بن قتادة بن سعيد بن عامر الليثي، أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة. روى عن عمر، وعلي، وأبي موسى الأشعري... وغيرهم. وعنه ابنه عبدالله وعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار.

قال ابن معين، وأبو زرعة: ثقة، مات سنة ٦٨.

تهذيب التهذيب ٧١/٧؛ سير أعلام النبلاء ١٥٦/٤، ١٥٧؛ البداية والنهاية ٦/٩.

(٢) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي روى عن عمر وولي له الجبل والكوفة وعنه أبو وائل، والشعبي، ثم ولي لعثمان، وولي غزو أرمينية وثقة العجلي وابن سعد. قيل: له صحبة وهو أول قاض استقضي في الكوفة. قتل ببلنجر سنة ٢٥ وقيل سنة ٢٧.

تهذيب التهذيب ١٣٦/٤ - ١٣٧؛ خلاصة تذهيب الكمال، ص ١٤٧؛ الكاشف الذهبي ٣٨١/١.

(٣) هو مغيرة بن مقسم الضبي مولاهم، أبو هشام الكوفي الفقيه. روى عن أبيه، وأبي وائل، وإبراهيم النخعي... وغيرهم، وروى عنه سليمان التيمي، وشعبة، والثوري... وغيرهم.

قال أبو حاتم عن أحمد: إنه كان يضعف حديث مغيرة عن إبراهيم وجده وقال العجلي: مغيرة ثقة فقيه الحديث، إلا أنه كان يرسل الحديث عن إبراهيم، توفي سنة ١٣٦.

تهذيب التهذيب ٢٦٩/١٠؛ سير أعلام النبلاء ١٠/٦ - ١٣؛ الجرح والتعديل ٢٢٨/٨.

(٤) سبق ذكر ترجمته انظر ص ٥٥٣.

ومن ذلك ما حكاه إبراهيم بن مسلم الخوارزمي^(١) في كتاب الطهور، وقد ذكر من كان يتوضأ من مس الذكر ثم قال: وهو منسوخ؛ لأن أهل العلم اجتمعوا على خلاف هذا»

ومن ذلك ما ذكره أبو عمر بن عبدالبر^(٢) فقال: «وأما الشهادة على رؤية الهلال فأجمع الفقهاء على أنه لا يقبل في شهادة شوال في الفطر إلا شهادة رجلين عدلين»، والخلاف في ذلك مشهور وقد حكى ابن المنذر^(٣) عن أبي ثور^(٤)، وطائفة من أهل الحديث القول بقول^(٥) الواحد في الصوم، والفطر.

ومن ذلك ما قاله أبو ثور^(٦): «لا يختلفون أن أقل الطهر خمسة عشر يوماً^(٧)، والخلاف في ذلك مشهور، وقد قال إسحاق^(٨): توقيت^(٩) هؤلاء بخمسة عشر باطل»، وقال أحمد في إحدى^(١٠) الروايتين عنه: أقله ثلاثة عشر يوماً.

(١) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه.

(٢) سبق ذكر ترجمته، انظر ص ٥٥٣.

(٣) سبق ذكر ترجمته، انظر ص ٥٩٤.

(٤) سبق ذكر ترجمته، انظر ص ٥٨٨.

(٥) ب: (يقبول).

(٦) سبق ذكر ترجمته، انظر ص ٥٨٨.

(٧) انظر المجموع شرح المهذب ٣٥٩/٢.

(٨) سبق ذكر ترجمته، انظر ص ٥٩٦.

(٩) ظ: (لوقيت).

(١٠) ظ، م، ب: (أحد)، والصواب ما أثبتته.

ومن ذلك ما حكاه غير واحد من العلماء أن الخالف بالطلاق والعتاق إذا حنث في يمينه أنه تطلق عليه زوجته، ويعتق عليه عبده، أو جاريته حكى ذلك^(١) بضعة عشر من أهل العلم / وعذرهم أنهم قالوا بموجب علمهم، وإلا فالخلاف في ذلك ثابت عن السلف والخلف من وجوه:

الوجه الأول: ما رواه الأنصاري^(٢) حدثنا أشعث^(٣) ثنا بكر^(٤) عن أبي

(١) ظ، م: (على ذلك).
 (٢) هو محمد بن عبدالله بن المثنى بن عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري، أبو عبدالله البصري القاضي. روى الأصول عن يحيى بن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق. روى عن أبيه وسليمان التيمي وحيد الطويل وأشعث بن عبد الملك الحمزاني... وغيرهم. وروى عنه البخاري، وهشام بن عبيدالله، وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهم. مات سنة ٢١٤ وقال يعقوب بن سفيان: سمعته سنة اثنتي عشرة ومائتين يقول: «قد أشرفت على أربع وتسعين سنة».
 تهذيب التهذيب ٩/٢٧٤، ٢٥؛ سير أعلام النبلاء ٩/٥٣٢ - ٥٣٨؛ الجرح والتعديل ٧/٣٠٥؛ الكاشف ٣/٦٤.

(٣) ظ، م، ب: (أشعث) وما أثبتته من سنن الدارقطني ٤/١٦٣.
 (٤) هو أشعث بن عبد الملك الحمزاني، أبو هاني البصري مولى حمران روى عن الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وخالد الحذاء، وبكر بن عبدالله المزني... وغيرهم. وروى عنه محمد بن عبدالله الأنصاري، وشعبة، وهشيم، وخالد بن الحارث وغيرهم. قال النسائي: ثقة، وقال أبو حاتم: لا بأس به. مات سنة ١٤٢.
 تهذيب التهذيب ١/٣٥٧ - ٣٥٨؛ سير أعلام النبلاء ٦/٢٧٨ - ٢٨٠.
 الجرح والتعديل ٢/٢٧٥ - ٢٧٦؛ ميزان الاعتدال ١/٢٦٦ - ٢٦٨.
 (٥) هو بكر بن عبدالله بن عمرو المزني، أبو عبدالله البصري.

روى عن أبي رافع الصائغ، والحسن البصري، وابن عباس، وغيرهم وروى عنه ثابت البناني، وعاصم الأحول، وسليمان التيمي وغيرهم قال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً مأموناً حجة، وكان فقيهاً، مات سنة ١٠٨.

رافع^(١) أن مولاته أرادت أن تفرق بينه، وبين امرأته فقالت: هي يوماً يهودية، ويوماً نصرانية، وكل مملوك لها حر، وكل مال لها في سبيل الله، وعليها المشي إلى بيت الله إن لم تفرق بينها. فسألت عائشة، وابن عمر، وابن عباس، وحفصة، وأم سلمة فكلهم قال لها: أتريدين أن تكوني مثل هاروت، وماروت! وأمروها أن تكفريمينا، وتخلي بينها^(٢).

وقال يحيى بن سعيد القطان^(٣) عن سليمان

= تهذيب التهذيب ١/٤٨٤؛ سير أعلام النبلاء ٤/٥٣٢ - ٥٣٦؛ البداية والنهاية ٢٨٨/٩.

(١) هو نفع بن رافع الصائغ، أبو رافع المدني نزيل البصرة مولى ابنة عمر. وقيل مولى بنت العجاء.

روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وحفصة وابن عمر وغيرهم. وروى عنه بكر بن عبدالله المزني والحسن البصري وسليمان التيمي... وغيرهم.

قال العجلي: بصري تابعي ثقة من كبار التابعين. وقال حماد بن سلمة: لما أُعْتِقَ أبو رافع بكى، وقال: كان لي أجران فذهب أحدهما. توفي سنة نيف وتسعين.

تهذيب التهذيب ١٠/٤٧٢؛ سير أعلام النبلاء ٤/٤١٤، ٤١٥؛ الجرح والتعديل ٤٨٩/٨.

(٢) رواه الدارقطني (التعليق المغني على سنن الدارقطني ٤/١٦٣، ١٦٤) من طريق أبي رافع في كتاب النذور، ح ١٣، ١٤.

وانظر تصحيح ابن القيم لهذا الأثر في النص. وانظر كنز العمال ١٦/٧٢٠، ٧٢١. وعبدالرزاق في المصنف ٨/٤٨٦، ٤٨٧ في كتاب الإيمان والنذور، ورواه البيهقي في سننه ١٠/٦٦ في كتاب الإيمان.

(٣) وهو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التيمي، أبو سعيد البصري الأحول الحافظ ولد سنة ١٢٠. روى عن سليمان التيمي، وحמיד الطويل، والأعمش... وغيرهم.

وروى عنه ابنه محمد بن يحيى بن سعيد، وحفيده أحمد بن محمد وعلي بن المديني وغيرهم.

وقال بن منجويه: كان من سادات أهل زمانه حفظاً وورعاً وفهماً وفضلاً ودينياً وعلماً مات سنة ١٩٨. تهذيب التهذيب ١١/٢١٦ - ٢٢٠؛ سير أعلام النبلاء ٩/١٧٥ - ١٨٨؛ الجرح والتعديل ٩/١٥٠؛ الكاشف ٤/٣٨٠.

التمي (١) حدثنا بكر بن عبدالله عن أبي رافع (٢) فذكره
(عن زينب) (٣) (٤). ورواه الأوزاعي (٥)، حدثني حسن (٦)
ابن الحسن (٧) حدثني بكر بن عبدالله المزني حدثني

(١) هو سليمان بن طرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، ولم يكن من بني تيم، وإنما نزل
فيهم. روى عن أنس بن مالك وطاوس وبكر بن عبدالله المزني... وغيرهم.
وروى عنه ابنه معتمر وشعبة وحماد بن سلمة والقطان... وغيرهم.

قال عبدالله بن أحمد عن أبيه: ثقة، وكذا قال ابن معين والنسائي. وقال العجلي: تابعي
ثقة، فكان من خيار أهل البصرة. وقال يحيى بن معين: كان يدلّس، توفي سنة ١٤٣
وعمره ٨٧ سنة.

تهذيب التهذيب ٤/٢٠١، ٢٠٢؛ سير أعلام النبلاء ٦/١٩٥-٢٠٢؛ الجرح والتعديل
٤/١٢٤، ١٢٥؛ ميزان الاعتدال ٢/٢١٢.

(٢) انظر ترجمة بكر بن عبدالله، ص ٦٠٤؛ وأبي رافع، ص ٦٠٥.

(٣) (عن زينب): سقط من ب.

(٤) هي زينب بنت أبي سلمة بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأمها
أم سلمة، روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أمها، وعائشة، وزينب
بنت جحش. وروى عنها ابنها أبو عبيدة بن عبدالله بن زمعة وعطاء وعراك بن مالك
وآخرون.

قال بكر بن عبدالله المزني: أخبرني أبو رافع قال: كنت إذا ذكرت امرأة بالمدينة فقيهة
ذكرت زينب بنت أبي سلمة.

وقال سليمان التيمي عن أبي رافع غضبت على امرأتي فذكر قصة فيها فقالت زينب
بنت أم سلمة، وهي يومئذ أفضه امرأة بالمدينة. توفيت سنة ٧٣.

تهذيب التهذيب ١٢/٤٢١، ٤٢٢؛ المصنف لابن أبي شيبة ٨/٤٨٦ - ٤٨٧.

(٥) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٣٦.

(٦) ب: (جسر).

(٧) لعلة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب روى عن أبويه، وعنه
فضيل بن مرزوق، وعمرو بن شبيب. مات في السجن مع أخيه عبدالله سنة ١٤٦.

الكاشف للذهبي ١/٢١٩؛ تهذيب التهذيب ٢/٢٦٢، ٢٦٣؛ خلاصة تهذيب
الكمال، ص ٧٧؛ الجرح والتعديل ٣/٥.

رافع^(١) فذكره وذكر فيه العتق، فهذه ثلاث طرق، فقد برىء سليمان التيمي من عهدة التفرد بذكر العتق بمتابعة^(٢) أشعث^(٣)، وحسن^(٤) بن الحسن^(٥) له حتى ولو تفرد بها التيمي فهو أجل^(٦) من أن يرد ما تفرد به، وهو أجل من الذين لم يذكروا الزيادة. فصح ذكر العتق في هذا الأثر^(٧) وزال الارتباب. فهؤلاء ستة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعلم لهم مخالف أفتوا من قالت كل مملوك لها حر إن لم تفرق بين مملوكها وبين امرأته أن تكفر يمينها، وتخلي بين الرجل وامرأته وهم ابن عباس في سعة علمه، وابن عمر في شدة ورعه وتحريه، وأبو هريرة مع كثرة حفظه، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء من أفقه نساء الصحابة، أو أفقههن^(٨) على الإطلاق.

فإن كان التقليد^(٩) فمن جعل هؤلاء بينه وبين الله أعذر عند الله ممن^(١٠) جعل بينه وبينه من لا يداينهم، وأن

(١) ظ، ب: (رفيع).

(٢) ظ، م: (بمتابعته).

(٣) ب: (أشعث). وسبق ذكر ترجمته ص ٦٠٤.

(٤) ب: (حبن).

(٥) ظ، م: (حسن).

(٦) م: (أجرا).

(٧) ظ، م: (الأمر).

(٨) ظ، م: (لموافقتهن).

(٩) ب: (للتقليد).

(١٠) ظ: (فمن).

كان الدليل (١) والحجة فهاتوا دليلاً واحداً لا يطعن (٢) فيه من كتاب الله أو سنة رسوله، أو قياس يستوي فيه حكم الأصل والفرع (٣) على وقوع الطلاق المحلوف (٤) به وأكثركم (٥) لم يعول في ذلك [إلا] (٦) على ما ظنه من الإجماع، وهو معذور قبل الاطلاع على النزاع فما عذره بعد الاطلاع على أن المسألة مسألة خلاف بين الأئمة إذا استحل عقوبة من يفتي بها، وجاهر (٧) بالكذب والبهت؟ (٨) أنه خالف إجماع الأمة أفترى هؤلاء الذين هم من سادات الأمة وعلمائها يفتون (٩) بالكفارة في العتق، ويلزوم الطلاق، وهل يمكن بشر على وجه الأرض أن يفرق بين قول الخالف إن فعلت كذا فعبدني حر، وبين قوله إن فعلت كذا (وكذا) (١٠) فامرأتي طالق بفرق (١١) تلوح منه رائحة الفقه.

الوجه الثاني: من الوجوه المثبتة (١٢) أن المسألة مسألة

-
- (١) ب: (للدليل).
(٢) ب: (مطعن).
(٣) ب: (وللفرع).
(٤) ب: (والمحلوف).
(٥) ظ، م: (الركم).
(٦) (إلا): إضافة من ب.
(٧) ظ: (جاهد)؛ ب: (هاجر).
(٨) ظ، م: (الريب).
(٩) ظ، م: (يفتون).
(١٠) (وكذا): سقط من ب.
(١١) ظ، م: (مفرق).
(١٢) ب: (المبينة).

نزاع لا مسألة إجماع مارواه عبدالرزاق^(١) في جامعه^(٢)
حدثنا^(٣) معمر عن ابن طاوس عن أبيه أنه كان لا يرى
الحلف بالطلاق شيئاً قلت: أكان يراه يميناً قال: لا أدري.

الوجه الثالث: ما رواه سنيد^(٤) بن داود في تفسيره
حدثنا عباد بن عباد المهلب عن عاصم الأحول عن عكرمة
في رجل قال لغلامه: إن لم أجلدك مائة سوط فامرأتى طالق.

(١) هو عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم، أبو بكر الصنعاني من حفاظ الحديث
الثقات من أهل صنعاء، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث ح ولد
سنة ١٢٦.

من كتبه «الجامع الكبير» في الحديث و«المصنف» في الحديث و«تفسير القرآن». توفي
سنة ٢١١.

تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ - ٣١٥؛ ميزان الاعتدال ٢/٦٠٩؛ الأعلام ٣/٣٥٣.

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف ٦/٤٠٦، باب طلاق المكره، وسنده عبدالرزاق، عن
ابن جريج قال: «أخبرني ابن طاوس عن أبيه أنه كان يقول الحلف بالطلاق باطل ليس
بشيء. قلت: أكان يراه يميناً؟ قال: لا أدري». وكذا في المحل لابن حزم ١١/٥٤٣.
ذكره من طريق ابن جريج لا معمر كما ذكر المصنف.

(٣) ظ، م: (ثنا)، وكلاهما صحيح.

(٤) ظ، م: (سيد)، وقال ناسخ م: لعله سنيد.

وهو سنيد بن داود المصيبي، أبو علي المحتسب واسمه الحسين، وسنيد لقب روى عن
يوسف بن محمد بن المنكدر، وحماد بن زيد وابن عليه... وغيرهم. وروى عنه
الحسن بن محمد الزعفراني، وأبوزرعة وأبو حاتم... وغيرهم.

قال أبو داود: لم يكن بذلك، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: ضعيف، وقال النسائي:
ليس بثقة. قال الذهبي: لسنيد تفسير كبير رأته كله بالأسانيد ومذهبه في الصفات
مذهب السلف» توفي ٢٢٦.

تهذيب التهذيب ٤/٢٤٤، ٢٤٥؛ سير أعلام النبلاء ١٠/٦٢٧؛ ميزان الاعتدال
٢/٢٣٦؛ فتح الباري ٨/٢٥٣؛ معجم المؤلفين ٤/٢٨٣؛ العلو للعلي الغفار،
ص ١٢٦؛ شذرات الذهب ٢/٥٩.

قال: لا يجلد^(١) غلامه، ولا تطلق امرأته هذا من خطوات الشيطان».

الوجه الرابع^(٢): أن في الطلاق المعلق بالشرط قولين للعلماء:

أحدهما: يقع عند وقوع شرطه.

والثاني: لا يقع بحال، ولا يتعلق الطلاق بالشرط كما لا يتعلق النكاح به، وهذا اختيار أجل أصحاب الشافعي^(٣) – الذي أخذ عنه، وكان يلازمه – أبو عبد الرحمن^(٤) ولا ينزل^(٥) اختياره عن [درجة]^(٦) مَنْ له وجه من المتأخرين، بل هو أجل من أصحاب الوجوه، وهو مذهب داود بن علي الأصبهاني^(٧) وابن حزم وأصحابهما.

قال أبو محمد بن حزم^(٨): «واليمين بالطلاق لا يلزم

(١) م: (يجلد)، وقال في الهامش كذا في الأصل والأشبه لا... الخ.

(٢) في هامش م مطلب لا يتعلق الطلاق بالشرط.

(٣) انظر طبقات الشافعية ٦٥/٢ وعدّ السبكي هذا القول من منكرات المسائل.

(٤) هو أحمد بن يحيى بن عبدالعزيز البغدادي، أبو عبد الرحمن قال الدارقطني: كان من

كبار أصحاب الشافعي الملازمين له ببغداد، ثم صار من أصحاب ابن أبي داود وأتبعه

على رأيه وكذا قال الشيخ أبو إسحاق.

طبقات الشافعية ٦٤/٢ – ٦٦؛ تاريخ بغداد ٢٠٠/٥، ٢٠١.

(٥) ظ: (ولا يزل)؛ م: (ولا يزال).

(٦) (درجة): إضافة من ب.

(٧) سبق ذكر ترجمته. انظر ص ٥٩٥.

(٨) في كتابه المحلى ٥٤١/١١.

سواء^(١) بَرَّ^(٢) أو حنث لا يقع به طلاق. (ولا طلاق)^(٣) إلا كما أمر^(٤) الله - عز وجل - ولا يمين إلا كما أمر الله على لسان رسوله، والطلاق بالصفة عندنا^(٥) كما هو [الطلاق]^(٦) باليمين لا يجوز^(٧)، وكل ذلك لا يلزم، ولا يكون طلاق إلا كما أمر الله - عز وجل - به وعلمه، وهو القصد إلى الطلاق. وأما ما عدا ذلك فباطل^(٨)، «ومن قال بقولنا في أن اليمين بالطلاق ليس شيئاً، ولا يقضى به على من حلف به عليُّ بن أبي طالب، وشريح وطاوس، ولا يعرف لعلي مخالفاً من الصحابة»^(٩).

الوجه الخامس: أن أبا الحسين القدوري^(١٠) ذكر في

(١) المحلي: (وسواء).

(٢) ب: (سوابر).

(٣) ظ: (والطلاق)؛ م: (والطلاق) وضع عليها علامة الإلغاء.

(٤) ظ، م، ب: (أمره الله) وما أثبتته من المحلي ٥٤١/١١.

(٥) ظ، م: (عند).

(٦) ليست في جميع النسخ وما أثبتته من المحلي ٥٤٣/١١.

(٧) لا يجوز، ليس في المحلي.

(٨) المحلي ٥٤٣/١١، ٥٤٤.

(٩) المحلي ٥٤٣/١١ (بتصرف).

(١٠) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان، أبو الحسين القدوري ولد ببغداد سنة ٣٦٢. من فقهاء الحنفية. من كتبه «التجريد» في سبعة أجزاء، وله مختصر عرف باسمه «مختصر القدوري» توفي ببغداد سنة ٤٢٨.

وفيات الأعيان ٧٨/١، ٧٩؛ الأعلام ٢١٢/١؛ تاريخ بغداد ٣٧٧/٤؛ شذرات الذهب ٢٣٣/٣.

شرحه^(١) أنه إذا قال: طلاقك علي واجب أو لازم أو فرض أو ثابت (أو إن فعلت كذا فطلاقك عليّ واجب أو لازم أو ثابت)^(٢) ففعلت قال: فعلى قول أبي حنيفة لا يقع الطلاق في الكل، وعند أبي يوسف إن نوى الطلاق يقع في الكل، وعن محمد يقع في قوله لازم ولا يقع في قوله واجب، قال صاحب الذخيرة^(٣):

وكان^(٤) الشيخ ظهير الدين^(٥) المرغيناني^(٦) يفتي بعدم^(٧) الوقوع في الكل.

الوجه السادس^(٨): إن القفال^(٩) أفتى في قوله: الطلاق

(١) لم أجده في مختصر القدوري المعروف باسم «الكتاب» المطبوع مع شرحه اللباب، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، ١٣٨٣.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) هو الإمام القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس. من علماء المالكية، وهو مصري المولد، والنشأ، والوفاة. له مؤلفات كثيرة منها «مختصر تنقيح الفصول» و«الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة» و«الذخيرة» في فقه المالكية ستة مجلدات مخطوطة، له نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة في جامع القرويين، ونسخة في مكتبة لاللي باستنبول، وطبع منه الجزء الأول، في مطبعة كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية سنة ١٣٨١ وبلغني أن أحد طلبة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة يقوم بتحقيق الجزء الخامس، وتوفي القرافي سنة ٦٨٤.

الأعلام ١/٩٤، ٩٥؛ مقدمة الذخيرة، ص ١٨ - ١٩.

(٤) ظ: (وكا). (٥) ب: (ابن). (٦) لم أجده له ترجمة. (٧) ظ: (بعد).

(٨) ظ، م، ب: (الخامس)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٩) هو محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي القفال، أبو بكر، ولد في الشاش سنة ٢٩١، من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، من كتبه «أصول الفقه» و«محاسن الشريعة»، و«شرح رسالة الشافعي»، توفي في الشاش سنة ٣٦٥. وفيات الأعيان ٤/٢٠٠، ٢٠١؛ الأعلام ٦/٢٧٤.

يلزمي أنه لا يقع به الطلاق نواه أو لم ينوه. قال: قال أبو القاسم عبدالرحمن بن يونس في شرح التنبيه^(١) في قول المصنف: وإن قال الطلاق، والعتاق لازم لي، ونواه لزمه، لأنها يقعان بالكناية مع النية، وهذا اللفظ يحتمل / فجعل كناية، فقال الروياني^(٢): الطلاق لازم صريح، وعد^(٣) ذلك في صرايح^(٤) الطلاق، ولعل وجهه عنده^(٥) استعماله لإرادة الطلاق، وقال القفال: في فتاويه^(٦) ليس بصريح ولا كناية حتى لا يقع به الطلاق وإن نواه.

[٧٠/١]

(١) كتاب التنبيه في فروع الشافعية تأليف الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفقيه الشيرازي الشافعي، المتوفى سنة ٤٧٦. وهو من الكتب المشهورة عند الشافعية، وله شروح كثيرة فلعل المذكور هنا أحدها. وصاحب الشرح عبدالرحمن بن يونس لم أجد له ترجمة.

معجم المؤلفين ٦٨/١؛ كشف الظنون ٤٨٩/١؛ شذرات الذهب ٣/٣٤٩، ٣٥١؛ موارد ابن القيم في كتبه، ص ٣٦.

(٢) عبدالواحد بن إسماعيل بن أحمد، أبو المحاسن فخر الإسلام، ولد سنة ٤١٥، فقيه شافعي من أهل رويان، قال: لواحترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي. من كتبه «مناصيص الإمام» و«الكافي» و«حلية المؤمن» و«بحر المذهب» من أطول كتب الشافعية، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، قتله الإسماعيلية سنة ٥٠٢، بجامع «أمل».

وفيات الأعيان ٣/١٩٨، ١٩٩؛ الأعلام ٤/١٧٥.

(٣) ظ، م: (عقد).

(٤) ظ، م: (صراح).

(٥) ظ، م، ب: (عليه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦) توجد نسخة خطية ناقصة من فتاوى القفال في دار الكتب المصرية برقم (١١٤١)، فقه شافعي، ولها مصورة في مخطوطات جامعة الإمام (فلم) رقم (٨٨٨٢)، وقد بحث فيها عن النص المذكور فلم أجده، إذ لم يذكر في الجزء الموجود منها كتاب الطلاق.

الوجه السابع^(١): إن أشهب بن عبدالعزيز^(٢)، وهو من أجل أصحاب مالك أفتى فيمن قال لامرأته: إن فعلت كذا^(٣) وكذا فأنت طالق ففعلته (تقصد وقوع الطلاق به، أنها لا تطلق مقابلة لها بنقيض)^(٤) قصدها كما لو قتل الوارث مورثه^(٥)، أو المدبر سيده، أو الموصي له. ونظائر ذلك مما^(٦) يقابل به الرجل بنقيض^(٧) قصده ذكر ذلك عنه^(٨) ابن رشد^(٩) في مقدماته^(١٠)، وهذا محض الفقه لو كان الحلف^(١١) يقع به الطلاق.

- (١) ظ، م، ب: (السادس)، ولعل الصواب ما أثبتته.
- (٢) هو أشهب بن عبدالعزيز بن داود بن إبراهيم القيسي، أبو عمرو الفقيه قيل: اسمه مسكين، وأشهب لقب له، ولد سنة ١٤٠.
- روى عن مالك والليث وسليمان بن بلال والفضيل بن عياض... وغيرهم.
- وروى عنه الحارث بن مسكين، وأبو الطاهر بن السرح ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم... وغيرهم.
- وقال ابن حبان في الثقات: كان فقيهاً على مذهب مالك ذاباً عنه، توفي سنة ٢٠٤.
- تهذيب التهذيب ١/٣٥٩، ٣٦٠؛ سير أعلام النبلاء ٩/٥٠٠، ٥٠٣؛ الكاشف ١/١٣٥، ١٣٦؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٤٥؛ شذرات الذهب ٢/١٢.
- (٣) ظ: (كذى).
- (٤) ما بين القوسين مكرر في ظ.
- (٥) ظ، م، ب: (موروثه)، ولعل الصواب ما أثبتته.
- (٦) ظ، م: (كما). (٧) ظ: (ينقضي). (٨) ب: (عند).
- (٩) هو محمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد. ولد سنة ٤٥٠ بقرطبة، من أعيان المالكية، وهو جد ابن رشد الفيلسوف (محمد بن أحمد)، له تأليف منها «المقدمات الممهدة في الأحكام الشرعية» و«البيان والتحصيل» و«الفتاوى» وغيرها وتوفي بقرطبة سنة ٥٢٠.
- بغية الملتبس، ص ٤٠؛ الأعلام ٥/٣١٦، ٣١٧.
- (١٠) مقدمات ابن رشد ٢/٤٤٦.
- (١١) ظ، م، ب: (الحالف)، ولعل الصواب ما أثبتته.

الوجه الثامن^(١): أن أصحاب مالك من أشد الناس في هذا الباب فلا يعذرون الخالف بجهل [ولا نسيان]^(٢)، ويوقعون^(٣) الطلاق على من حلف على ما لا يعلم فَبَانَ كما حلف عليه، ومع هذا فقد حكوا^(٤) عدم الوقوع بالحلف بالطلاق عن علي بن أبي طالب، وشريح^(٥)، وطاوس^(٦)، ونحن نذكر ألفاظهم، قال أبو القاسم عبدالعزيز بن إبراهيم بن أحمد بن بزيزة^(٧) في كتاب «مصالح^(٨) الأفهام في شرح كتاب الأحكام» الباب الثالث في حكم اليمين بالطلاق: فقد^(٩) قدمنا في كتاب الإيمان اختلاف العلماء في اليمين بالطلاق، والعتق، والمشى^(١٠)^(١١)،

(١) ظ، م، ب: (السابع)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) (ولا نسيان): إضافة من ب.

(٣) ظ، : (لا يوقعون)؛ م: (لا يقعون).

(٤) ظ، م: (حكما).

(٥) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٨٣. (٦) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٣.

(٧) هو: عبدالعزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي المعروف بابن بزيزة، ولد بتونس سنة ٦٠٦. صوفي، فقيه مفسر من كتبه «الإسعاد في شرح الإرشاد»؛ وشرح الأحكام الصغرى، لعبدالحق الإشبيلي، المتوفى سنة ٥٨٢.

قلت: والظاهر أنه المذكور هنا باسم مصالح الأفهام في شرح كتاب الأحكام كما ذكره الدكتور بكر عبدالله أبوزيد في الموارد ومن كتبه أيضاً تفسير القرآن وشرح التلقين.

معجم المؤلفين ٢٣٩/٥؛ كشف الظنون ٢٠/١؛ موارد ابن القيم في كتبه، ص ١١٢. (٨) ظ، م، ب: (مطامح)، وما أثبتته من موارد ابن القيم في كتبه، ص ١١٢.

(٩) ب: (قد).

(١٠) في جميع النسخ: (المشى)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(١١) لعله اليمين بالمشى إلى بيت الله الحرام، انظر: حديث أبي رافع السابق، ص ٦٠٥، وفيه: «وعليها المشى إلى بيت الله إن لم تفرق بينهما».

وانظر: مقدمات ابن رشد ٤٤٦/٢. وانظر: العمدة في الأحكام لأبي محمد المقدسي، ص ١٢٣، باب النذر.

وغير ذلك هل يلزم أم لا؟. فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشريح^(١)، وطاوس^(٢): لا يلزم عن ذلك شيء ولا يقضى بالطلاق على من حلف به فحنت (ولا يعرف لعلي في ذلك مخالف من الصحابة^(٣))، هذا لفظه مع اعتقاده وقوع الطلاق على من حلف به فحنت^(٤)، ولم يطعن في هذا النقل، ولم يعترضه باعتراض.

الوجه التاسع^(٥): إن فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنه لا يقع الطلاق المحلوف به، وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد^(٦)، وغيره من أهل البيت^(٧).

وهب أن مكابراً^(٨) كذبهم كلهم، وقال: قد تواطوا

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٨٣.

(٢) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٣.

(٣) انظر: ص ٣١١.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) ظ، م، ب: (الثامن)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي الملقب بالصادق. ولد سنة ٨٠ بالمدينة وهو سادس الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، من أجلاء التابعين، أخذ عنه جماعة منهم الإمامان مالك وأبو حنيفة. وتوفي في المدينة سنة ١٤٨.

الأعلام ١٢٦/٢؛ سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٦، ٢٧٠؛ الجرح والتعديل ٤٨٧/٢؛

ميزان الاعتدال ٤١٤/١؛ تهذيب التهذيب ١٠٣/٢، ١٠٥.

(٧) ذكر هذا المعنى في كتاب «عيون الأزهار في فقه الأئمة الأطهار»، ص ٢١٦، دار الكتاب اللبناني بيروت.

(٨) ظ: (أن مكابراً).

على الكذب عن أهل البيت ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد، وإن كانوا مخطئين مبتدعين^(١) في أمر الصحابة فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم، واحتج به المسلمون، ولم يزل الفقهاء ينقلون خلافهم، ويبحثون معهم، والقوم وإن أخطأوا في بعض المواضع لم يلزم من ذلك أن يكون جميع ما قالوه خطأ حتى يرد عليهم هذا، لو انفردوا بذلك عن الأمة، فكيف وقد وافقوا^(٢) في قولهم من قد حكينا قولهم، وغيره ممن لم تقف على قوله.

الوجه العاشر^(٣): إنه لم يزل أئمة الإسلام يفتنون بما يظهر لهم من الدليل، وإن لم يتقدمهم إليه أحد، وإذا شئت أن تقف على ذلك فانظر إلى كثير من فتاوى الأئمة التي لا تحفظ عن أحد من أهل العلم قبلهم.

وقال إسحاق بن منصور الكوسج^(٤): سألت إسحاق^(٥) عن مسألة فذكر قوله فيها فقلت: إن أخاك

(١) ظ: (مبتدين).

(٢) ظ، م: (أفتن).

(٣) ظ، م، ب: (التاسع)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) هو إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي المعروف بالكوسج، فقيه حنبلي من رجال الحديث، ولد بمرو، له كتاب «المسائل في الفقه» دونها عن الإمام أحمد، توفي سنة ٢٥١.

طبقات الحنابلة ١/١١٣، ١١٥؛ الأعلام ١/٢٩٧.

(٥) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٦.

أحمد بن حنبل أجاب فيها بمثل (١) جوابك فقال: ما ظننت أن أحداً يوافقني عليها.

وقال ابن المنذر (٢) (٣): وهو من أعلم الناس بالإجماع، والاختلاف لم يسبق الشافعي إلى نجاسة الأبوال أحد (٤) يريد بول ما يؤكل لحمه.

وقال شيخنا: لم يسبق أحمد بن [حنبل] (٥) إلى الحكم بإسلام أولاد [أهل] (٦) الذمة الصغار بموت آبائهم أحد (٧)، ولم يسبقه إلى إقعاد المرأة أول ما ترى الدم يوماً وليلة، ثم تصلي وهي ترى الدم أحد (٨).

وأما غيره فمن له أدنى اطلاع على أقوال السلف والخلف لا يخفى عليه ذلك ولكثرته تركنا ذكره.

الوجه الحادي عشر (٩): أنا لو لم نعلم النزاع في هذه المسألة لم يكن لنا علم بالإجماع المعلوم - الذي تكون مخالفته

(١) ظ، م: (علي).

(٢) انظر: الإجماع لابن المنذر، ص ٣٧، حيث قال ابن المنذر: وأجمعوا أن الصلاة في مرائب الغنم جائزة. وانفرد الشافعي فقال: إذا كان سلباً من أبوالها. وانظر: رأي الشافعي في نجاسة بول ما يؤكل لحمه في الأم ٩٣/١؛ وانظر: المجموع شرح المهذب ٥٠٣/٢، ١٥٢/٣.

(٣) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٤. (٤) ظ، م: (أحداً).

(٥) (حنبل): إضافة من ب. (٦) (أهل): إضافة من ب.

(٧) انظر: رأي أحمد في درء تعارض العقل والنقل ٤٣٣/٨، ٤٣٤؛ وانظر: رأي ابن تيمية بالتفصيل في درء تعارض العقل والنقل ٣٨١/٨، ٤٣٥.

(٨) انظر: مجموع الفتاوى ٢٣٨/١٩، ٢٣٩.

(٩) ظ، م، ب: (العاشر)، ولعل الصواب ما أثبتته.

كفراً أو فسقاً^(١) - عليها بل ولا ظن به^(٢)، فإننا قد رأينا أكثر هؤلاء الذين يحكون الإجماع إنما يكونه^(٣) على حسب اطلاعهم، ومعناه عدم العلم بالمخالف، وقد رأيت [من]^(٤) نقض^(٥) إجماعاتهم التي حكوها ما هو قليل من كثير.

فغاية هذه الإجماعات أن تفيدنا عدم [علم]^(٦) ناقلها بالخلاف. وهذا بمجرد لا يكون عذراً للمجتهد في ترك موجب الدليل والله أعلم.

فصل^(٧)

ومن ذلك نقل من نقل الإجماع على أن المتكلم بالطلاق الثلاث في مرة واحدة يقع به الثلاث، وقال بموجب علمه وما بلغه، وإلا فالخلاف في هذه المسألة ثابت من وجوه:

الوجه الأول: إنه على عهد الصديق إنما كان يفتى بأنها واحدة كما روى مسلم في صحيحه^(٨) أن أبا الصهباء قال

(١) ظ، م، ب: (فسق).

(٢) ظ: (ولا ظر).

(٣) ظ: (يملونه).

(٤) (من): إضافة من ب.

(٥) ظ، م: (بعض).

(٦) (علم): إضافة من ب.

(٧) في هامش م: أقوال من لا يوقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد وهي مسألة مهمة.

(٨) انظر ١٠٩٩/٢، من طريق أبي الصهباء، في كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث، ح ١٦، وفي بعض روايات الحديث، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٢٧٦/٦)، في كتاب الطلاق، باب نسخ المراجعة بعد التطلقات الثلاث، ح ٢١٨٥. وانظر: كلام ابن القيم رحمه الله حول هذا الحديث في حاشيته عون المعبود ٢٧٦/٦ وما بعدها.

عبدالله بن عباس^(١): ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي^(٢) بكر وصدرًا من خلافة عمر من طلق ثلاثاً جعلت واحدة؟ قال: نعم، وذكر الحديث ومن تتبع ألفاظه وطرقه [جزم ببطلان تلك التأويلات التي غايتها أن يتطرق إلى بعض ألفاظه، وسياق طرقه]^(٣) وألفاظه صريحة^(٤) في المراد، فلو قال القائل: إن هذا مذهب أبي بكر الصديق وجميع الصحابة في عهده أصاب وصدق، حاش من لم يصرح منهم بأنها ثلاث /، وهم جمع من الصحابة صح ذلك عنهم بلاريب، فأقل أحوال المسألة أن تكون مسألة نزاع بين الصحابة^(٥).

[٧١/١]

(١) ظ، م: (عامر).

(٣) ما بين المعكوفتين إضافة من ب.

(٤) ظ، ب: (صريح).

(٥) قال في حاشية ب مانصه: «فرع قد أوقع الشيخ تقي الدين بن تيمية من ثلاث طلاقات مجموعة بكلمة واحدة طلقة واحدة وأعلم أن الخلاف كما ذكر الشيخ ثابت فيها. قال أبو جعفر، أحمد بن مغيث، في كتاب «الوثائق» له: «فطلاق البدعة أن يطلقها ثلاثاً في كلمة واحدة فإن فعل لزمه الطلاق. ثم اختلف أهل العلم بعد إجماعهم على أنه مطلق كم يلزمه من الطلاق فقال علي ابن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف، وأبي بكر الصديق، وعمر في سنتين في خلافته لا يلزم إلا واحدة وبه قال ابن وضاح الحنبلي، وابن أبي شيبة، ويحيى بن معين، وسحنون، وابن زبناح، وابن عبدالسلام وجماعة سواهم. وذكر التلمساني هذه رواية عن مالك وبه قال محمد بن مقاتل الرازي من أئمة الحنفية حكاه عنه الماوردي وحكاه عنه الطحاوي أيضاً وكان يفتي بذلك مجد الدين أبو البركات عبدالسلام بن تيمية جد الشيخ تقي الدين بن تيمية، وهو وغيره يحتجون بالحديث الذي رواه مسلم وأبوداود عن ابن عباس وكان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة، وأبي بكر وستين من خلافة عمر» انتهى. وثائق.

الوجه الثاني: إنه صح عن ابن عباس بإسناد صحيح أنه أفتى بأنها واحدة ذكر ذلك أبو داود^(١) وغيره .

الوجه الثالث: إن هذا مذهب الزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، حكاه عنهما ابن وضاح^(٢)، وابن مغيث^(٣)، في وثائقه، وغيرهما.

الوجه الرابع: إنه إحدى الروايتين عن علي، وابن مسعود، وابن عباس .

الوجه الخامس: إنه مذهب طاوس^(٤)، وخلاس بن عمرو^(٥)

(١) انظر: (عون المعبود ٦/٢٧١)، من طريق عكرمة في كتاب الطلاق، باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث .

ولفظه: «إذا قال أنت طالق ثلاثاً بفم واحد فهي واحدة» وقد ورد عن ابن عباس أنه قال: تقع ثلاثاً ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره. وقال أبو داود: إن ابن عباس قد رجع عن قوله بالبينونة كما رجع عن قوله في الصرف (عون المعبود ٦/٢٧٣).

(٢) هو محمد بن وضاح بن بزيع (على وزن عظيم)، أبو عبدالله مولى عبدالرحمن بن معاوية بن هشام محدث من أهل قرطبة. رحل إلى المشرق، ولد سنة ١٩٩، من كتبه: «العباد والعباد في الزهد والرفائق» و«القطعان» في الحديث و«مكنون السر ومستخرج العلم» في فقه المالكية، وكتاب «البدع والحوادث» و«كتاب فيه ما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى»، توفي سنة ٢٨٦. ميزان الاعتدال ٤/٥٩؛ الأعلام ٧/١٣٣. مقدمة كتاب البدع، ص (د، هـ)، وبقلم محمد أحمد دهمان.

(٣) هو أحمد بن محمد بن محمد بن مغيث الصديقي، أبو جعفر، ويقال: أبو عمر ولد سنة ٤٠٦ له مشاركات في الأدب واللغة والنحو والتفسير، من كتبه: «المقنع في الوثائق»، توفي سنة ٤٥٩ وقيل ٤٥٧.

ترتيب المدارك ٤/١٨٩؛ معجم المؤلفين ٢/١٨١؛ كشف الظنون ٢/١٨٠٩.

(٤) سبق ذكر ترجمته، ص ٣٩٣.

(٥) هو خلاس بن عمرو الهجري البصري. قال عبدالله بن أحمد عن أبيه: ثقة ثقة. قال الحافظ ابن حجر: قرأت بخط الذهبي. مات خلاس قبيل المائة.

ومحمد بن إسحاق^(١)، وداود^(٢)، وجمهور أصحابه.

الوجه السادس: أنه مذهب إسحاق بن راهويه^(٣)^(٤) في غير المدخول بها صرح به في كتاب اختلاف العلماء [له]^(٥) وهو مذهب بعض فقهاء التابعين.

الوجه السابع: أنه أحد القولين في مذهب مالك حكاه التلمساني^(٦) في شرح التفریح، قال ابن الجلاب^(٧): ومن

= تهذيب التهذيب ٣/١٧٧، ١١/١؛ سير أعلام النبلاء ٤/٤٩١؛ خلاصة تهذيب التهذيب، ص ١٠٨.

(١) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني، أبو بكر المطلبی، مولا هم صاحب السيرة النبوية ولد سنة ٨٠.

قال عباس الدوري عن ابن معين: محمد بن إسحاق ثقة وليس بحجة. وقال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبد الله يقول: ابن إسحاق ليس بحجة، مات سنة ١٥١.

سير أعلام النبلاء ٧/٣٣، ٥٥؛ تهذيب التهذيب ٩/٣٨، ٤٦؛ الجرح والتعديل ٧/١٩١؛ خلاصة تذهیب الكمال، ص ٣٢٦، ٣٢٧؛ ميزان الاعتدال ٣/٤٦٨، ٤٧٥.

(٢) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٥. (٣) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٥.

(٤) ظ، م: ذكر هنا عبارة (وهو مذهب بعض فقهاء التابعين) ومكانها بعد قوله: (في كتاب اختلاف العلماء له).

(٥) (له): إضافة من ب.

(٦) هو التلمساني المالكي وكتابه المذكور شرح لكتاب التفریح لابن الجلاب كما سيأتي في ترجمة ابن الجلاب. ولم أقف للتلمساني المذكور على ترجمة.

موارد ابن القيم، ص ٦١.

(٧) ابن الجلاب هو عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري أبو القاسم. فقيه أصولي، مالكي، له كتب منها: «مسائل الخلاف» وكتاب «التفریح» في المذهب. وله مختصر اسمه: «السهل البديع» لإبراهيم بن الحسن المالكي، توفي عند منصرفه من الحج سنة ٣٧٨. معجم المؤلفين ٦/٢٣٨، ٢٣٩؛ كشف الظنون ١/٤٢٧.

طلق امرأته ثلاثاً في كلمة (واحدة)^(١) حرمت عليه قال الشارح: إذا كان ذلك في كلمات فلا خلاف في حرمتها لقوله تعالى:

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

إلى قوله:

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾

[البقرة: ٢٣٠]

وإن كان في كلمة ففيه خلاف هل يرجع إلى الواحدة، والمشهور من المذهب أنها ثلاث، ثم قال الشارح في موضع آخر في قوله: من طلق امرأته ثلاثاً في كلمة قال: هذا تنبيه على الخلاف، وهو أن الثلاث في كلمة ترجع إلى الواحدة وهو قول شاذ في المذهب، ووجهه ما روى أن الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت واحدة^(٢).

الوجه الثامن: أنه أحد القولين في مذهب أبي حنيفة، اختاره محمد بن^(٣) مقاتل الرازي^(٤) حكاه عنه الطحاوي^(٥).

(١) (واحدة): سقط من ب. (٢) سبق تخريجه، انظر ص ٦٢٠.

(٣) ب: (ومقاتل).

(٤) هو محمد بن مقاتل الرازي. قال الذهبي: تكلم فيه ولم يترك.

وروى عنه جرير ووكيع وأبي معاوية وغيرهم.

وروى عنه عيسى بن محمد المروزي وأحمد بن علي الأسعدي وسمع منه البخاري ولم يحدث عنه، مات سنة ٤٨.

تهذيب التهذيب ٩/٤٦٩، ٤٧٠؛ ميزان الاعتدال ٤/٤٧.

(٥) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٧.

الوجه التاسع: أنه أحد القولين في مذهب أحمد حكاه شيخنا واختاره^(١)، وأفتى به، وأقل درجات اختياراته أن يكون وجهاً^(٢) في المذهب، ومن الممتنع أن يكون اختيار ابن عقيل^(٣)، وأبي^(٤) الخطاب^(٥)، والشيخ أبي محمد^(٦) وجوهاً يفتى بها واختيارات شيخ الإسلام لا تصل إلى هذه المرتبة، فالذي يجزم به أن دخول الكفارة في الحلف بالطلاق، وكون الثلاث في كلمة واحدة [واحدة]^(٧) أحد الوجهين في مذهب أحمد، وهو مخرج على أصوله أصح تخريج^(٨)، والغرض نقض^(٩) قول من ادعى الإجماع في ذلك ولتقرير هذه المسألة^(١٠) موضع آخر^(١١).

(١) انظر: مجمع الفتاوى ١٧/٣٣، وما بعدها.

(٢) ب: (وجوهاً).

(٣) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد، أبو الوفاء. ولد سنة ٤٣١. من أئمة الحنابلة. من كتبه كتاب: «الفنون في شتى العلوم» في أربعمئة جزء وقد طبع الجزء الأول منه. رأيته في المكتبة السعودية، بدار الإفتاء و«الفصول» و«المفردات» و«نفي التشبيه» و«الرد على الأشاعرة وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال». اتهم ببعض آراء المبتدعة ويقال: إنه رجع وتاب. توفي سنة ٥١٣. ذيل طبقات الحنابلة ١٤٢/١ - ١٦٦؛ ميزان الاعتدال ١٤٦/٣.

(٤) ظ، م: (ابن).

(٥) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٨٩.

(٦) هو أبو محمد المقدسي وقد سبقت ترجمته، ص ١٨٠.

(٧) (واحدة): إضافة من ب.

(٨) في هامش ب: (كون الطلاق يمينا مكفراً والثلاث بكلمة واحدة وجه في المذهب).

(٩) م: (بعض). (١٠) م، ب: (المسائل).

(١١) انظر: كلام ابن القيم في هذه المسألة في حاشية (عون المعبود ٢٧٦/٦ وما بعدها). في

كتابه المسمى تهذيب سنن أبي داود.

الوجه العاشر: أنه من المحال أن تجمع الأمة على لزوم الثلاث، وفيها حديثان صحيحان صريحان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا معارض لهما، ولا ناسخ، وحديث آخر (ظاهر)^(١) في عدم الوقوع.

الحديث الأول: حديث أبي الصهباء عن ابن عباس، وقد رواه مسلم في صحيحه^(٢)؛ [الحديث]^(٣) الثاني: قال الإمام أحمد في مسنده^(٤): حدثنا سعد بن إبراهيم حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: طَلَّقَ^(٥) ركانة بن عبد يزيد أخو المطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف طَلَّقَهَا قال: طَلَّقْتُهَا^(٦) ثلاثاً قال: في مجلس واحد، قال: نعم، قال: فإنما تلك واحدة فأرجعها إن شئت قال: فرجعها.

(١) (ظاهر): سقط من م. (٢) انظر ص ٦١٩. (٣) (الحديث): إضافة من ب. (٤) انظر ١/٢٦٥؛ ورواه أبو داود (عون المعبود ٦/٢٦٦، ٢٦٧)، من طريق ابن عباس، في كتاب الطلاق، باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث، ح ٢١٨٢. ورواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٤/٣٤٣)، من طريق يزيد بن ركانة عن أبيه عن جده، في كتاب الطلاق، باب ما جاء في الرجل طلق امرأته ألبتة، ح ١١٨٧. قال الحافظ ابن حجر في التلخيص ٣/٢٤٠: واختلفوا هل هو من مسند ركانة أو مرسل عنه. وصححه أبو داود وابن حبان والحاكم وأعله البخاري بالاضطراب. ورواه الحاكم في المستدرک ٢/١٩٩، في كتاب الطلاق وقال: قد انحرَف الشیخان عن الزبیر بن سعید الهاشمي في الصحيحين غير أن لهذا الحديث متابعاً من بنت ركانة بن عبد يزيد فيصح به الحديث.

(٥) في هامش ب: (حديث ركانة). (٦) ظ، م: (طلقها).

قال: وكان ابن عباس يرى أن الطلاق عند كل طهر ورواه محمد بن عبدالواحد المقدسي^(١) في مختارته^(٢)، التي هي أصح من صحيح الحاكم، فهذا من رواية عكرمة عن ابن عباس، والأول من^(٣) رواية طاوس^(٤) وكان طاوس، وعكرمة يقولان هي واحدة.

قال إسماعيل^(٥) بن إبراهيم: ثنا أيوب^(٦) عن عكرمة

(١) هو محمد بن عبدالواحد بن أحمد بن عبدالرحمن السعدي المقدسي الأصل الصالحي الحنبلي، أبو عبدالله ضياء الدين ولد بدمشق سنة ٥٦٩. عالم بالحديث مؤرخ من كتبه: «الأحاديث المختارة»، تسعون جزءاً، لم يكمل ويقوم بتحقيقه بعض طلبة الدراسات العليا بجامعة الإمام. و«الأحكام في الحديث» و«مناقب جعفر بن أبي طالب» وغيرها. توفي بدمشق سنة ٦٤٣.

ذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٣٦ - ٢٤٠؛ شذرات الذهب، ص ٢٢٤؛ الأعلام ٢٥٥/٦.

(٢) م: (مختارته). (٣) ظ، م: (عن).

(٤) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٣.

(٥) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم، أبوبشر البصري المعروف بابن عليّة. ولد سنة ١١٠.

روى عن عبدالعزيز بن صهيب، وأيوب وابن عون وأبي ريجانة. وغيرهم وروى عنه شعبة وابن جريج وحماد بن زيد وغيرهم.

قال أحمد بن حنبل: «إليه المنتهى في الثبت في البصرة»، وقال يحيى بن معين: كان ثقة مأموناً صدوقاً مسلماً ورعاً تقياً». توفي سنة ١٩٣.

الجرح والتعديل ٢/١٥٣؛ الكاشف ١/١١٨ - ١١٩؛ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، ص ٣٢؛ تهذيب التهذيب ١/٢٧٥، ٢٧٧؛ سير أعلام النبلاء ٩/١٠٧ - ١٢٠؛ ميزان الاعتدال ١/٢١٦ - ٢٢٠.

(٦) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السخيتاني، أبوبكر البصري مولى عنزة، ويقال مولى جهينة. ولد سنة ٦٦.

روى عن عمرو بن سلمة الجرمي وعكرمة وعطاء والأعرج... وغيرهم. وروى عنه =

إذ قال: أنت طالق ثلاثاً بضم واحد فهي واحدة. قال
أبوداود: وروى حماد بن يزيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن
عباس إذا قال: أنت طالق ثلاثاً بضم واحد فهي واحدة^(١)،
فهؤلاء رواة الحديث عن ابن عباس قد أفتوا به، ومنهم
محمد بن إسحاق^(٢) كان يفتي بأن من قال أنت طالق ثلاثاً
فهي واحدة.

وكان يقول: [«مَنْ»^(٣) جهل السنة فُيرَد إليها]، وهذا
عين^(٤) الفقه فإن العامي الجاهل إذا جهل سنة الطلاق،
وطلق ردَّ طلاقه إلى السنة لقوله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ
عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٥).

وأما الحديث الظاهر في عدم لزوم الثلاث، فهو حديث
محمود^(٦) بن لبيد. قال: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
عن رجل طَلَّقَ امرأته ثلاث تطليقات جميعاً؛ [فقام]^(٧) غضبان

= الأعمش وابن علية ومالك... وغيرهم.
قال النسائي ثقة ثبت. وقال الدارقطني: أيوب من الحفاظ الأثبات، مات سنة ١٣١.
تهذيب التهذيب ١/٣٩٧ - ٣٩٩؛ سير أعلام النبلاء ٦/١٥ - ٢٦؛ خلاصة تذهيب
تهذيب الكمال، ص ٤٢، ٤٣.

(١) سبق، انظر ص ٦٢١. (٢) سبق، انظر ص ٦٢٢.

(٣) (من): إضافة من ب. (٤) ظ، م: (غير).

(٥) رواه البخاري (فتح الباري ٥/٣٠١)، من طريق عائشة، في كتاب الصلح، باب إذا
اصطلحوا على جور فالصلح مردود، ح ٢٦٩٧.

ورواه مسلم ٣/١٣٤٣، في كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات
الأمر، ح ١٧.

(٦) ب: (محمد).

(٧) (فقام): إضافة من ب.

ثم قال: أيلعبُ بكتاب الله وأنا بين أظهركم حتى قام رجل فقال: يا رسول الله ألا أقتله، رواه النسائي^(١)^(٢) ولم يقل: إنه أجازته عليه بل الظاهر برسول الله الذي يقرب من القطع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يميز حكماً تلاعب موقعه بكتاب الله بل هو أشد رداً له وإبطالاً، والله المستعان.

(فصل)

ومن ذلك حكاية من حكى الإجماع على وقوع الطلاق في الحيض، بحسب ما بلغه، والمسألة مسألة نزاع، لا مسألة إجماع، فصح عن ابن عمر أنه قال في الرجل يطلق امرأته / وهي حائض، لا تعتد بذلك، وصح عن^(٣) [*طاوس^(٤)^(٥) أنه كان لا يرى طلاقاً ما خالف وجهه الطلاق، ووجه العدة، وكان يقول وجه الطلاق: أن يطلقها

(١) ظ، م: (الناس).

(٢) (١٤٢/٦)، من طريق محمود بن لبيد في كتاب الطلاق، باب الثلاث المجموعة وما فيه من التخليط.

وفي سنده مخرمة بن بكير عن أبيه قال ابن حبان: يحتج بحديثه من غير روايته عن أبيه لأنه لم يسمع من أبيه.

تهذيب التهذيب ٧١/١٠.

(٣) ط، م: (في الهامش هكذا وجدناه في الأصل).

(٤) ما بين النجمتين (* — *) من قوله: (طاوس أنه كان لا يرى طلاقاً)، ص ٦٢٨، إلى قوله: (عن صريحه وبالله التوفيق)، ص ٧٢٩، إضافة من ب. وفي ب تبدأ الإضافة من الورقة ٧٦ حتى الورقة ١٠٠ أي قرابة ست وأربعين صفحة.

(٥) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٩٣.

طاهراً من غير جماع، أو إذا استبان حملها، وصح عن
 خلاص بن عمرو^(١)، أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي
 حائض، قال: لا يعتد بها، قال أبو محمد ابن حزم^(٢):
 ويكفي من هذا كله المسند البين الثابت، الذي خرجه
 أبو داود^(٣) السجستاني قال: «حدثنا أحمد بن صالح حدثنا
 عبدالرزاق حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير، أنه سمع
 عبدالرحمن بن أيمن مولى عزة، يسأل ابن عمر، قال
 أبو الزبير: وأنا أسمع، كيف ترى في رجل طلق امرأته
 حائضاً؟ فقال ابن عمر: طلق ابن / عمر امرأته وهي

*
 [١ / ٧٧ / أ]
 ب

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٦٢١، ٦٢٢.

(٢) المحلى لابن حزم ٤٥٧/١١.

(٣) رواه أبو داود (عون المعبود ٢٣٢/٦، ٢٣٣)، من طريق عبدالرحمن
 بن أيمن: في كتاب الطلاق، باب طلاق السنة، ح ٢١٧.
 قال أبو داود: والأحاديث كلها على خلاف ما قال أبو الزبير، يعني
 قول أبي الزبير ولم يرها شيئاً. وصحح ابن حزم إسناده، كما في المحلى
 ٤٥٧/١١.

ورواه النسائي ١٣٩/٦، في كتاب الطلاق، باب وقت الطلاق للعدة
 التي أمر الله عز وجل أن تطلق لها النساء.
 وقد جاء التصريح بأنها حسبت طلقة كما في البخاري (فتح الباري
 ٣٥١/٩) في كتاب الطلاق، باب إذا طلقت الحائض تعتد بذلك
 الطلاق، ح ٥٢٥٢.

وفي مسلم ١٠٩٨/٢، من طريق عبدالرحمن بن أيمن، في كتاب الطلاق، باب تحريم
 طلاق الحائض بغير رضاها وأنه لو خالف، وقع الطلاق ويؤمر برجعته، ح ١٤.
 قال الحافظ ابن حجر في التلخيص ٢٣٣/٣: لكن لم ينفرد أبو الزبير، فقد رواه
 عبدالوهاب الثقفي، عن عبيدالله عن نافع، أن ابن عمر قال في الرجل يطلق امرأته =

حائض على عهد رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، فسأل عمر عن ذلك رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقال: إن عبدالله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، قال عبدالله، فردها علي ولم يرها شيئاً، وقال إذا طهرت فليطلق أوليمسك، وقرأ رسول الله «صلى الله عليه وسلم»:

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قَبْلِ (١) عِدَّتِهِنَّ﴾

[الطلاق: ١].

قال: وهذا إسناده في غاية الصحة لا يحتمل التوجيهات»^(٢)، والكلام على هذا الحديث وعلى الحديث

= وهي حائض: قال ابن عمر: «لا يعتد بذلك»، أخرجه محمد بن عبدالسلام الخثي عن بندار عنه، وإسناده صحيح، لكن يحمل قوله لا يعتد بذلك. على معنى أنه خالف السنة لا على معنى أن الطلقة لا تحسب جمعاً بين الروايات القوية والله أعلم. هـ. وذكره ابن حزم في كتاب المحلى ٤٥٣/١١ بإسناده، من طريق الخثي قال ابن القيم: وهذا إسناده صحيح (حاشية عون المعبود ٦/٢٤٠).

(١) وردت هذه القراءة في صحيح مسلم ١٠٩٨/٢، من طريق عبدالرحمن بن أيمن في كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، وأنه لو خالف وقع الطلاق، ويؤمر برجعتها، ح ١٤.

وفي أبي داود (عون المعبود ٦/٢٣٣)، ح ٢١٧؛ والنسائي ١٣٩/٦.

قال ابن حزم في المحلى ٤٥٧/١١: (وهذا مما قرىء، ثم رفعت لفظه: «في قبل» وأنزل الله تعالى ﴿لعديتهن﴾، واختلفوا هل هي قراءة أو تفسير، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص ٢٣٢/٣). (وأما اختلافهم في أنه قراءة أو تفسير فقال الروياني في البحر: لعله قرأ ذلك على وجه التفسير لا على وجه التلاوة. وقال ابن عبدالبر: هي قراءة عمرو وابن عباس وغيرهما لكنها شاذة لكن لصحة إسنادهما يجتج بها فتكون مفسرة لمعنى القراءة المتواترة) ا. هـ.

(٢) انتهى كلام الإمام أبي محمد بن حزم ٤٥٧/١١.

الأخر. «أرأيت إن عجز واستحقم»^(١)، وبيان عدم التعارض بينهما له موضع آخر^(٢)، والمقصد أن المسألة من مسائل النزاع، لا من مسائل الإجماع، فأحد الوجهين في مذهب الإمام أحمد، أنه لا يقع الطلاق في زمن الحيض، اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣)، وبالله التوفيق، فلنرجع إلى ما كنا فيه، وهو المقصود بذكر هذا الفصل، وهو الوهم الواقع بظن الإجماع فيما فيه النزاع، حتى يقدم على مقتضى الحديث أو مقتضى الدليل، ثم يسلك من ظن الإجماع في تلك الأدلة مسلك التأويل، فيكون الحامل له على التأويل ما ظنه من الإجماع، فإذا تبين الخلاف الثابت في المسألة؛ لم يبق للتأويل بما يخالف الظاهر مساغ، وبالله التوفيق.

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٣٥١/٩)، من طريق ابن عمر: في كتاب الطلاق، باب إذا طلقت الحائض تعدد بذلك الطلاق، ح ٥٢٥٢.
ورواه مسلم ١٠٩٧/٢، في كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها، ح ١٠.
ورواه أبو داود (عون المعبود ٢٣١/٦)، في كتاب الطلاق، باب في طلاق السنة، ح ٢١٧٠.

(٢) انظر: رأي ابن القيم في بيان عدم التعارض بين الحديثين وعدم وقوع الطلاق في الحيض، في زاد المعاد ٥٥/٤ - ٦٤، وحاشية عون المعبود ٢٣٤/٦ - ٢٥٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٩٨/٣٣ - ١٠١، وفيه يقول: «لاريب أن الأصل بقاء النكاح ولا يقوم دليل شرعي على زواله بالطلاق المحرم بل النصوص والأصول تقتضي خلاف ذلك والله أعلم».

الفصل الرابع والعشرون^(١)

في ذكر الطواغيت الأربع التي هدم بها
أصحاب التأويل الباطل معاقل الدين،
وانتهكوا بها حرمة القرآن، ومحوها بها
رسوم الإيمان

وهي:

الأول قولهم: إن كلام الله وكلام رسوله أدلة لفظية لا تفيد
علماً ولا يحصل منها يقين.

الثاني وقولهم: إن آيات الصفات وأحاديث الصفات مجازات
لا حقيقة لها.

الثالث وقولهم: إن أخبار رسول الله «صلى الله عليه وسلم»
الصحيحة التي رواها العدول وتلقتها الأمة بالقبول، لا تفيد
العلم، وغايتها أن تفيد الظن.

الرابع وقولهم: إذا تعارض العقل ونصوص الوحي، أخذنا
بالعقل ولم نلتفت إلى الوحي.

فهذه الطواغيت الأربع، هي التي فعلت بالإسلام
ما فعلت، وهي التي محت رسومه، وأزالت معالمه، وهدمت
قواعده، وأسقطت حرمة النصوص من القلوب، ونهجت
طريق الطعن فيها لكل زنديق وملحد، فلا يحتاج عليه

(١) في هامش ب: (الطواغيت الأربعة).

المحتج بحجة من كتاب الله أوسنة رسوله، إلا لجأ إلى طاغوت من هذه الطواغيت واعتصم به. واتخذ جنة يصد به عن سبيل الله، والله تعالى بحوله وقوته ومنه وفضله، قد كسر هذه / الطواغيت طاغوتاً طاغوتاً، على السنة خلفاء رسله وورثة أنبيائه، فلم يزل أنصار الله ورسوله يصيحون بأهلها من أقطار الأرض ويرجمونهم بشهب الوحي وأدلة المعقول، ونحن نفرّد الكلام عليها طاغوتاً طاغوتاً.

الطاغوت الأول^(١)

قولهم نصوص الوحي أدلة لفظية وهي لا تفيد اليقين، قال متكلمهم^(٢): مسألة: الدليل اللفظي^(٣) لا يفيد اليقين إلا عند تيقن^(٤) أمور عشرة: عصمة رواة تلك الألفاظ، وإعرابها وتصريفها، وعدم الاشتراك والمجاز والنقل^(٥) والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار والتقديم والتأخير والنسخ^(٦) وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه^(٧)، إذ ترجيح النقل على العقل، يقتضي القدر

(١) في هامش ب: «الطاغوت الأول: قولهم: أدلة نصوص الوحي أدلة لفظية وهي لا تفيد اليقين».

(٢) هو الرازي. انظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص ٥١. وانظر الأربعين في أصول الدين، ص ٤٢٤، وكلاهما للرازي.

(٣) (اللفظي): ليس في ب، وما أثبتته من المحصل للرازي.

(٤) (تيقن): ليس في ب، وما أثبتته من المحصل للرازي.

(٥) (والنقل): ليس في ب، وما أثبتته من المحصل للرازي.

(٦) (والنسخ): ليس في ب، وما أثبتته من المحصل للرازي.

(٧) عليه: ليس في ب، وما أثبتته من المحصل للرازي.

في العقل المستلزم للقدح في النقل، لافتقاره إليه، فإذا كان
المنتج ظنياً فما ظنك بالنتيجة؟

قال شيخ الإسلام^(١): والجواب عن هذا من وجوه.

فصل الطريق الأول

أحدها: أنا لا نسلم أنه موقوف على هذه المقدمات
العشر، بل نقول: ليس موقوفاً على ما به يعرف مراد
المتكلم، فإن مراد القائل بقوله: الأدلة اللفظية لا تفيد
اليقين، أنه لا يعلم بها مراد المتكلم، فأما كون مراده مطابقاً
للحق، فذاك مبني على ثبوت صدقه وعلمه، وليس مرادهم
هذا، وإن أرادوا ذلك دون الأول، فهو موقوف على ثبوت
عصمة المتكلم ومعرفة صدقه فقط، فمن عرف أن الرسول
أراد هذا المعنى، وعرف أنه صادق حصل له العلم اليقيني.

والمقدمة الثانية: إيمانية فإن كل من شهد أن محمداً
رسول الله، علم أنه خير مطابق^(٢) لمخبره، فلا يجوز عليه
الإخبار بما لا يطابق مخبره.

وأما المقدمة الأولى، فتعرفها علماء أمته وورثته وخلفاؤه
«قلت: ها هنا أمران: أحدهما: اليقين بمراد المتكلم،
والثاني: اليقين بأن ما أراداه هو الحق، فقول القائل: كلام

(١) لم أجد هذا النص فيما اطلعت عليه من كتب ابن تيمية المطبوعة، والأرجح أنه في كتاب
شرح أول المحصل وهو مجلد واحد، وهو من كتب ابن تيمية المفقودة.
انظر: العقود الدرية، ص ٥٣.

وانظر: أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن القيم، ص ١٩.

(٢) ب: (طابق) ولعل الصواب ما أثبتته.

الله ورسوله لا يفيد اليقين، يحتمل أن يريد به مجموع الأمرين، أي لا يفيد علماً بمراده، ولو أفاد علماً بالمراد لم يفد علماً بكون ذلك المراد مطابقاً للحق في نفس الأمر، ويحتمل أن يريد به المعنى الأول فقط، وأنه لو حصل لنا اليقين بمراده؛ لحصل لنا اليقين بكونه حقاً في نفس الأمر، ويحتمل أن يريد به المعنى الثاني، فقط، وهو أنه لو حصل اليقين بمراده، لم يحصل اليقين بكونه مطابقاً للحق، فإن ذلك لا يعلم إلا بأدلة، والمعقول لا يعلم بمجرد الخبر، فهذه ثلاثة احتمالات، فإن أراد المعنى الأول أو الثالث، كان ذلك قدحاً في الإيمان به. وتجويز / الكذب عليه، وأمثال ذلك مناف للجزم بتصديقه، وإن أراد المعنى الثاني وحده، وهو أنها لا يحصل منها اليقين بمراده، ولو حصل ذلك منها؛ لحصل اليقين بكونه حقاً، فهذا وإن لم يقدر في تصديقه، فهو قادح في تحكيمه والتحاكم إليه، والاهتداء بكلامه موجب لعزله عن ذلك والإعراض عنه، لأن التحاكم إلى من لا يفيدك كلامه علماً ولا يقيناً لا يحصل به المقصود.

[١/٧٨/أ]
ب

فإذا انضم إلى هذه المقدمة: أن النقل إذا عارض العقل، وجب تقديم العقل، كمل عزل الوحي واستحكم الإعراض عنه في باب معرفة الله عز وجل وأسمائه وصفاته وأفعاله، فنقول: معرفة مراد المتكلم تحصل بالنقل المتواتر، كما حصل العلم بأنه قال ذلك اللفظ بالنقل المتواتر، فإننا نعلم أن قوله:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ (آل عمران: ٩٧).

متواتر نقل لفظه ونقل معناه عن الرسول، ونعلم أن المراد بالله: رب العالمين، وبالناس: بنو آدم، وبالبيت: الكعبة، التي يحجها الناس بمكة، كما علمنا بالمتواتر، أن الرسول بلغ هذا الكلام عن الله، وكذلك نعلم بالتواتر، أن قوله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾

[البقرة: ١٨٥].

المراد به: هذا الشهر الذي بين شعبان وشوال، وأن القرآن هذا الكتاب الذي بين دفتي المصحف، وكذلك عامة ألفاظ القرآن نعلم قطعاً مراد الله ورسوله منها، كما نعلم قطعاً أن الرسول بلغها عن الله، فغالب معاني القرآن معلوم أنها مراد الله خبراً كانت أو طلباً، بل العلم بمراد الله من كلامه أوضح وأظهر من العلم بمراد كل متكلم من كلامه، لكمال علم المتكلم، وكمال بيانه، وكمال هداه وإرشاده، وكمال تيسيره للقرآن، حفظاً وفهماً عملاً وتلاوة، فكما بلغ الرسول ألفاظ القرآن للأمة، بلغهم معانيه، بل كانت عنايته بتبليغ معانيه أعظم من مجرد تبليغ ألفاظه، ولهذا وصل العلم بمعانيه، إلى من لم يصل إليه حفظ ألفاظه، والنقل لتلك المعاني أشد تواتراً وأقوى اضطراراً، فإن حفظ المعنى أيسر من حفظ اللفظ، وكثير من الناس يعرف صورة المعنى ويحفظها، ولا يحفظ اللفظ، والذين نقلوا الدين عنه، علموا مراده قطعاً، لما تلا عليهم من تلك الألفاظ.

ومعلوم أن المقتضى التام لفهم الكلام الذي بلغهم إياه

قائم وهم قادرون على فهمه وهو قادر على إفهامهم، وإذا حصل المقتضى التام لزم وجود مقتضاه.

وبالجمله فالأدلة السمعية اللفظية قد تكون مبنية على مقدمتين يقينتين:

إحدهما: أن الناقلين إلينا فهموا مراد المتكلم.

والثانية: أنهم نقلوا إلينا ذلك المراد كما نقلوا اللفظ الدال عليه.

[١/٧٨/ب]

ب

وكلا المقدمتين معلومة بالاضطرار /، فإن الذين خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم باسم الصلاة والزكاة والصوم والحج والوضوء والغسل وغيرها من ألفاظ القرآن في سائر الأنواع من الأعمال والأعيان والأزمنة والأمكنة وغيرها، يعلم بالاضطرار، أنهم فهموا مراده من تلك الألفاظ التي خاطبهم بها أعظم من حفظهم لها، وهذا مما جرت به العادة في كل من خاطب قوماً بخطبة أو دارسهم علماً، أو بلغهم رسالة، وإن حرصه وحرصهم على معرفة مراده أعظم من حرصهم على مجرد حفظ ألفاظه.

ولهذا يضبط الناس من معاني المتكلم، أكثر مما يضبطونه من لفظه، فإن المقتضى لضبط المعنى أقوى من المقتضى لحفظ اللفظ لأنه هو المقصود واللفظ وسيلة إليه وإن كانا مقصودين، فالمعنى أعظم المقصودين، والقدرة عليه أقوى فاجتمع عليه قوة الداعي، وقوة القدرة، وشدة الحاجة، فإذا كانوا قد نقلوا الألفاظ التي قالها الرسول مبلغاً لها عن الله،

وألفاظه التي تكلم بها يقيناً، فكذلك نقلهم لمعانيها، فهم سمعوها يقيناً، وفهموها يقيناً ووصل إلينا لفظها يقيناً، ومعانيها يقيناً، وهذه الطريقة إذا تدبرها العاقل علم أنها قاطعة، وأن الطاعن في حصول العلم بمعاني القرآن شر من الطاعن في حصول العلم بألفاظه، ولهذا كان الطعن في نقل بعض ألفاظه من فعل الراضية^(١)، وأما الطعن في حصول العلم بمعانيه، فإنه من فعل الباطنية^(٢) الملاحدة^(٣)، فإنهم سلموا بأن الصحابة نقلوا الألفاظ التي قالها الرسول، وأن القرآن منقول عنه، لكن ادعوا أن لها معاني تخالف المعاني التي يعلمها المسلمون، وتلك هي باطن القرآن وتأويله.

وقول القائل: الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، دهليز^(٤)

(١) انظر: ص ٢١٦، في تعريف الراضية. وهنا يشير ابن القيم إلى عقيدة الراضية في القرآن حيث يزعمون أنه ناقص كما صرح بذلك الكليني صاحب كتاب الكافي في الأصول «الذي هو بمنزلة صحيح البخاري عند المسلمين وفيه «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدرهم ما مصحف فاطمة؟ قال قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه، من قرآنكم حرف واحد». الشافي في شرح أصول الكافي ٣/١٩٩، كتاب الحجّة، باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة، ط. النجف. قال محب الدين الخطيب في الخطوط العريضة، ص ١٠، (بتصرف) [الناشر، دار طيبة للنشر والتوزيع، مطابع الشرق الأوسط]: «وحتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لناوهم على التقارب والوحدة هم لا يعتقدون بذلك».

(٢) سبق التعريف بهم. انظر: ص ٣٠٣.

(٣) في هامش ب: (رأى الباطنية).

(٤) الدهليز فارسي معرب والجمع دهاليز، قال ابن منظور: وهو ما بين الباب والدار.

لسان العرب ٢/١٤٤٣، مادة دهل.

إلى مذهب هؤلاء ومراقبة إليه، لكن الفرق بينها أنه يقول:
لا أعلم مراد المتكلم بها، وهم يقولون: مراده هذه
التأويلات الباطنة.

وما جاء به الرسول نوعان؛ طلب وخبر، فالطلب
يقولون: المراد به: تحصيل الأخلاق التي تستعد بها النفس
لنيل العلوم العقلية، فإذا حصلت لها تلك المعارف، لم يكن
لاشتغالها بتلك الأسباب التي أمرت بها فائدة، فسقط عنها
ما يجب على غيرها من النفوس الجاهلة، ويباح لها ما يحرم
على غيرها، وعند هؤلاء مقصود الشرائع؛ تعديل النفوس
بالأخلاق التي / تعدها لإدراك العلوم.

[١/٧٩/١]

ب

وأما الأخبار، فعقلاؤهم ورؤوسهم يعلمون قطعاً، أن
الرسول إنما أرادت إفهام الخلق ظواهرها، وما دلت عليه،
لكن لا حقيقة لها في نفس الأمر، والرسول كانت تعلم ذلك،
لكن خيلوا إلى الناس ما ينتفعون به ويكونون به أدعى إلى
الانقياد، ولم يكن ذلك إلا بإظهار ما لا حقيقة له، وذلك
سائع للمصلحة، إذا كان فهم الجمهور عندهم للحقائق في
نفس الأمر يوجب انحلالهم، وانهماكهم في الشهوات.

وطائفة منهم تزعم أن الرسول إنما قصدت إفهام تلك
التأويلات، لكن أهل الظاهر غلظ حجابهم، وكثفت
أفهامهم، عن إدراكها، فوقعوا بسبب قصور أفهامهم في
العناء والمشقة وتحمل أعباء التكليف، وهؤلاء وضعوا لهم
قانوناً في تأويل الأمر والنهي والخبر كما وضعت الجهمية

والقدرية^(١) لهم قانوناً في تأويل آيات الصفات وأخبارها، وانقطعت الطائفتان على تقديم ما ظنوه من العقليات على نصوص الوحي، وأنها لا يستفاد منها علم أصلاً، ولا يعرف أحد من فرق الإسلام قبل ابن الخطيب^(٢)^(٣) وضع هذا الطاغوت وقرره وشيد بنيانه وأحكمه مثله. بل المعتزلة والأشعرية^(٤) والشيعية^(٥) والخوارج^(٦) وغيرهم، يقولون بفساد هذا القانون، وإن اليقين يستفاد من كلام الله ورسوله، وإن كان بعض هذه الطوائف يوافقون صاحب هذا القانون في بعض المواضع، فلم يقل أحد منهم قط أنه لا يحصل اليقين من كلام الله ورسوله البتة.

(١) سبق التعريف بهم. انظر: ص ٢١٩.

(٢) في هامش ب: (ابن الخطيب).

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله فخر الدين الرازي ويقال له: «ابن خطيب الري» ولد في الري سنة ٥٤٤. من كتبه «مفاتيح الغيب» تفسير القرآن الكريم في ثمان مجلدات، و«معالم أصول الدين» و«أساس التقديس» وغيرها. توفي في هراة سنة ٦٠٦. البداية والنهاية ٥٣/١٣، ٥٤؛ الأعلام ٣١٣/٦؛ طبقات الشافعية ٨١/٨ - ٩٦.

(٤) انظر صفحة ٤٠٥.

(٥) سبق التعريف بهم، انظر صفحة ٢١٦، وانظر صفحة ٦٣٨.

(٦) انظر صفحة ٣٠٦.

فصل

الطريق الثاني: في إبطال هذا الأصل أن يقال: من المعلوم أن دلالة الأدلة اللفظية، لا تختص بالقرآن والسنة، بل جميع بني آدم يدل بعضهم بعضاً بالأدلة اللفظية. والإنسان حيوان ناطق، فالنطق ذاتي له، وهو مدني بالطبع لا يمكن أن يعيش وحده كما يعيش الوحش، بل لا يمكنه أن يعيش إلا مع بني جنسه، فلا بد أن يعرف بعضهم مراد بعض، ليحصل التعاون فَعَلَّمَهُمُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ تعريف بعضهم بعضاً مراده بالألفاظ، كما قال تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١، ٤].

وقال تعالى:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

وقال:

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾ [العلق: ٥].

فكانت حكمة ذلك التعليم، تعريف مراد المتكلم، فلو لم يحصل له المعرفة كان في ذلك إبطال لحكمة الله، وإفساد لمصالح بني آدم، وسلب الإنسان خاصيته التي ميزه بها على سائر الحيوان، وهذه / الطريق يستدل بها من وجوه:

الوجه الأول: بيان أحدها: أنه لو لم تفد الأدلة اللفظية العلم بمراد المتكلم لم يعيش بنو آدم.
 أن هذا المقصود ضروري في حياة بني آدم، فلا بد من وجوده، فلو لم تفد الأدلة اللفظية العلم بمراد المتكلم؛ لم يعيش بنو آدم، واللازم منتف فالملزوم مثله.

الوجه الثاني: بيان الثاني: أن عدم إفادتها اليقين قدح في العلوم الضرورية
 الثاني: أنا نعلم قطعاً، أن جميع الأمم يعرف بعضهم مراد بعض بلفظه، ويقطع به، ويتيقنه، فقول القائل: الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، قدح في العلوم الضرورية التي اشترك الناس في العلم بها.

الوجه الثالث: بيان الثالث: أن معرفة الناس بمراد المتكلم منهم بكلامه، أعظم من معرفتهم عامة العلوم العقلية، فمعرفتهم مراد المتكلم لهم بكلامه، أتم وأقوى من معرفتهم بتلك القوانين التي وضعها أربابها للقدح في إفادة الخطاب لليقين.

الوجه الرابع: بيان الرابع: أن الطفل أول ما يميز يعرف مراد من يريه بلفظه قبل أن يعرفه شيئاً من العلوم الضرورية، فلا أقدم عنده ولا أسبق من تيقنه لمراد من يخاطبه بلفظه، فالعلم بذلك مقدم على سائر العلوم الضرورية، فمن جعل العقليات تفيد اليقين، والسمعيات لا تفيد معرفة مراد المتكلم فقد قلب الحقائق وناقض الفطرة وعكس الواقع.

الخامس:

الوجه الخامس:

أن كل إنسان يدل غيره بالأدلة اللفظية على ما يعرفه ويعرف مراد غيره بالأدلة اللفظية، وأما الاستدلال بالعقلية الكلية فلا يعرفه إلا بعض الناس، وما يعرفه كل أحد ويتيقنه فهو أظهر مما لا يعرفه إلا بعض الناس.

السادس:

الوجه السادس:

أن التعريف بالأدلة اللفظية أصل للتعريف بالأدلة العقلية، فمن لم يكن له سبيل إلى العلم بمدلول هذه لم يكن له سبيل إلى العلم بمدلول تلك، بل العلم بمدلول الأدلة اللفظية أسبق، فإنه يوجد في أول تمييز الإنسان، وحينئذ فالقدح في حصول العلم بمدلول الأدلة اللفظية قدح في حصول العلم بمدلول [الأدلة] (١) العقلية بل هي أصل العلم بها، فإذا بطل الأصل بطل فرعه، يوضحه:

الوجه السابع:

بيان أن الإنسان في

فهمه وإفهامه للدليل العقلي محتاج إلى معرفة مراد المخبر به الذاكر (٢) له لمن يخاطبه، فإذا لم يحصل له علم بمراده من الدليل فكيف يحصل له علم بالمدلول.

الوجه الثامن:

بيان أن تعليم الأدلة

أن تعليم الأدلة اللفظية يحسنه كل أحد، فما من أحد إلا ويمكنه أن يعرف غيره لغته، ويعرفه ما يعرفه بالأدلة اللفظية، وأما تعليم الدلالة (٣) العقلية فلا يحسنه كل أحد.

(١) (الأدلة): ليست في ب وإثباتها أولى.

(٢) ب: (الذكر له)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ب: (الدلالة)، والصواب ما أثبت.

الوجه التاسع :

أن الله سبحانه هدى البهائم والطيور، أن يعرف بعضها بعضاً مرادها بأصواتها كما يشاهد / في أجناس الحيوان والطيور، فالديك يصوت فيعرف الدجاج مراده، والفرس يصهل فيعرف الخيل مراده، والكلب ينبج فتعرف الكلاب مراده، والهرة تنوء^(١) فتعرف أولادها مرادها، والدجاجة تعرف أفرانها مرادها بصوتها، وهذا من تمام عناية الخالق سبحانه بخلقه وهدايته العامة، كما قال موسى :

بيان أن البهائم
والطيور تعرف مراد
بعضها بعضاً
بأصواتها

[١/٨٠/أ]

﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه : ٥٠].

وقال تعالى :

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾

[الأعلى : ١ - ٣].

فكيف لا يعلم الأدميون مراد بعضهم من بعض، وخطابهم بألفاظهم ولا يجزمون به .

الوجه العاشر :

أن أبلد الناس وأبعدهم فهماً يعلم مراد أكثر من يخاطبه بالكلام الركيك^(٢) العادم للبلاغة والفصاحة فكيف لا يعلم أذكى الناس وأصحهم أذهاناً وأفهاماً مراد المتكلم بأفصح

بيان أن أبلد الناس
يعلم مراد من يخاطبه
بالكلام الركيك

(١) ب : (تنور)، والصواب ما أثبتته .

(٢) الركيك : الضعيف يقال : هوركيك العلم، قليله، وركيك الأسلوب سخيغه، وركيك العقل ضعيفه .

المعجم الوسيط ١/٣٧١ .

الكلام وأبينه وأدله^(١) على المراد، ويحصل لهم اليقين بالعلم بمراده، وهل ذلك إلا من أمحل المحال.

الوجه الحادي عشر:

بيان أن هذا يستلزم الطعن في فصاحة المتكلم أو في فهم السامع أو فيهما معاً

أن هذا يستلزم الطعن والقدح في بيان المتكلم وفصاحته أو في فهم السامع وذهنه أو فيهما معاً، فإن عدم العلم بمراده إن كان لتقصير في بيانه كان ذلك قدحاً فيه، وإن كان لقصور فهم السامع كان كذلك، فإذا كان المتكلم تام البيان، والمخاطب تام الفهم فكيف يتخلف العلم عنه بمراده؟.

الوجه الثاني عشر:

بيان أنه إذا كان التفاهم حاصلًا للحيوانات فما الظن بالإنسان فما الظن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم

أنه إذا كان التفاهم والعلم بمراد الحيوان من غيره حاصلًا للحيوانات، فما الظن بأشرف أنواعها وهو الإنسان؟ فما الظن بأشرف هذا النوع وهم العقلاء المعتنون بالبيان والإيضاح؟ فما الظن بالأنبياء المخصوصين من العلم والبيان والأفهام بما ليس مثله لسواهم؟ فما الظن بأفضل الأنبياء وأعلمهم وأكملهم بياناً وأتمهم فصاحة وأقدرهم على التعبير عن المعنى باللفظ الذي لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ولا يوهم غيره، وأحرصهم على تعليم الأمة وتفهمهم وأصحابه أكمل الأمم عقلاً وفهماً وفصاحة وحرصاً على فهم مراده فكيف لا يكونون قد تيقنوا مراده بألفاظه؟ وكيف لا يكون التابعون لهم بإحسان قد تيقنوا مرادهم مما بلغوهم إياه عن نبيهم، ونقلوه إليهم؟.

(١) ب: (أدلته)، والصواب ما أثبت.

بيان أنا نعلم الوجه الثالث عشر:

بالضرورة أن شيوخنا كانوا يعرفونا مرادهم بألفاظهم، وقد عرفنا مرادهم يقيناً، وهكذا نحن فيمن نعلمه ونخاطبه، وهم كانوا أفضل منا وأكمل علماً وتعليماً، ومن قبلهم كانوا أفضل منهم وأكمل علماً / وتعليماً، ومن قبلهم كذلك، وهلم جرا إلى أوائل هذه الأمة، فكيف يكون هؤلاء كلهم لم يعلموا مراد الله ورسوله من كلامه ولا حصل لهم يقين بمعرفة مراده من ألفاظه؟

[ب/٨٠/١]

ب

ومن تدبر هذا أو تصوره تبين له أن قول القائل: الأدلة اللفظية التي جاء بها الرسول لا تفيدنا علماً ولا يقيناً من أعظم أنواع السفسطة^(١) وأكثر أسباب الزندقة^(٢) وأن هؤلاء

(١) السفسطة هي نفي الحقائق الثابتة مع العلم بها تمويهاً ومغالطة، نسبة إلى السفسائية وهم قوم ينكرون المحسوسات.

أو هي: قياس مركب من الوهيمات والغرض منه. تغليط الخصم وإسكاته. راجع التعريفات للجرجاني، ص ٨٠؛ دستور العلماء ١٦٩/٢؛ التحفة المهدية ٣٢/١؛ البرهان في عقائد أهل الأديان، ص ٢٢.

(٢) الزنادقة جمع زنديق. ومصدره زندقة فارسي معرب، وهو الذي لا يؤمن بالآخرة، ووحداية الخالق ويقول بدوام بقاء الدهر.

كما يطلق على كل متهتك مستهتر يتكلم في الدين بما هو كفر صراح دون نظر أو استدلال، كم يطلق على أتباع ديضان ثم ماني ثم مزدك وحاصل مقالتهم: أن النور والظلمة إلهان قديمان، النور إله الخير، والظلمة إله الشر. وأنه يجب السعي في تخليص النور من الظلمة فيلزم إزهاق كل نفس.

يقول المتنبي في هذا المعنى:

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن الثانوية تكذب
لسان العرب ٣/١٨٧١؛ فتح الباري ١٢/٢٧٠.

شر من اللاأدرية^(١) وشر من الباطنية^(٢).

الوجه الرابع عشر:

بيان أن دلالة الأدلة
اللفظية على مراد
المتكلم أقوى من
دلالة الأدلة العقلية
على الحقائق الثابتة

أن دلالة الأدلة اللفظية على مراد المتكلم أقوى من دلالة الأدلة العقلية على الحقائق الثابتة، كما تقدم تقريره، فكيف بدلالة المقدمات المشتبهة التي غايتها أن يكون فيها حق وباطل وليس مع أصحابها إلا إحسان الظن بمن قالها؟ فإذا طولبوا بالبرهان على صحتها، قالوا هكذا قال العقلاء. وهذا أمر قد صقلته أذهانهم وقبلته عقولهم فبين دلالة الأدلة اللفظية على مراد المتكلم ودلالة هذه المقدمات على الحقائق تفاوت عظيم، فكيف تفيد هذه اليقين دون تلك؟ وهل هذا إلا قلب للفطر وتعكيس للأذهان.

الوجه الخامس عشر:

بيان أن دلالة قول
الرسول على مراده
أقوى من دلالة
شبهات هؤلاء
العقلية على
معارضته

أن دلالة قول الرسول على مراده أكمل من دلالة شبهات هؤلاء العقلية على معارضته بما لا نسبة بينهما فكيف تكون شبهاتهم تفيد اليقين، وكلام الله ورسوله لا يفيد اليقين؟! .

(١) ب: (البلاذرية)، والصواب ما أثبت.

اللاأدرية: سموا بذلك نسبة إلى قولهم لا أدري وهم ينكرون قيمة العقل وقدرته على المعرفة وهم يرون التوقف عن العلم وعن الحكم فمذهبهم يقوم على التجاهل وهم يقولون لا ندري معاني هذه النصوص ولا ما أريد بها. وهم أصحاب بيرون، إمام الشك، وإليه ذهب الطوسي والرازي، وهم أحد طوائف السوفسطائية. وقد تحدث عنهم المصنف، ص ٦٤٩، ٩٢٠. المعجم الفلسفي، ص ١٥٨.

(٢) سبق التعريف بهم، ص ٣٠٣.

بيان أن عقلياتهم
التي زعموا أنها تفيد
اليقين مخالفة
لصريح المعقول

الوجه السادس عشر:

أنك إذا تأملت العقليات التي زعموا أنها تفيد اليقين، وقدموها على كلام الله ورسوله وجدتها مخالفة لصريح المعقول، وقد اعترفوا أنها مخالفة لظاهر المنقول، وهذا لا يعرف إلا بالامتحان كحكم عقولهم بأن العرض لا يبقى زمانين^(١)، وأن الأجسام كلها متماثلة، فجسم النار مساو لجسم الماء^(٢) في الحقيقة، وإنما اختلفا بالأعراض، وجسم البول مساو لجسم المسك بالحقيقة، وإنما اختلفا في أعراضهما، وحكم عقولهم بأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وأن ذلك المصدر لا يسمى باسم ولا يوصف بصفة، ولا له ماهية غير الوجود المطلق ثم الذي صدر عنه إن وجب أن يكون كذلك كان مصدره أيضاً كذلك، ولم يكن بالعالم^(٣) تكثر، وإن كان فيه نوع تكثر فقد صدر عنه أكثر من واحد، ومثل حكمهم بأن العاقل والمعقول والعقل شيء واحد، فالمبدأ الأول عاقل ومعقول وعقل، ومثل حكمهم بأن في الخارج كليات لا تتقيد بقيد ولا تتشخص بتشخيص ولا تتعين بتعيين /، وليست داخلية العالم ولا خارجة، وأنها جزء من هذه المعينات، ومثل حكمهم بأن ذات الرب تعالى مع كونها خارجة الذهن فليست خارجة العالم ولا داخلية فيه، ولا متصلة به ولا منفصلة عنه، ولا حالة فيه ولا مباينة له، ومثل حكمهم

[١/٨١/أ]
ب

(١) فالصوت مثلاً عرض وهو بآلات التسجيل الحديثة يبقى زمانين وأكثر.
(٢) ب: (المائل)، والصواب ما أثبت.
(٣) ب: (به العالم)، ولعل الصواب ما أثبت.

بأن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل في الأزل وحصول المقدور فيه محال، ثم انتقل الفعل من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي، فلا يحدد بسبب أصلاً، وحدث من غير تحدد أمر يقتضي حدوثه، بل حال الفاعل قبله ومعه وبعده واحدة، ومثل حكمهم بأن كلامه معنى واحد لا ينقسم ولا يتجزأ ولا له بعض ولا كل، وأن الأمر هو عين النهي، وهما عين الخبر والاستخبار، فالكل حقيقة واحدة، وأن الحواس والإدراكات يصح تعلقها بكل موجود فتؤكل الأصوات وتشم وتذاق، وتسمع الروائح والطعوم إلى أضعاف أضعاف ذلك من خواص علومهم التي جعلوها قواطع عقلية تفيد اليقين وكلام الله ورسوله أدلة لفظية لا تفيد اليقين فقد تبين أن ما نفى عنه هؤلاء اليقين من أعظم ما يفيد اليقين وما أثبتوا له اليقين أبعد شيء عن اليقين.

بيان أن هذا شر
أنواع السفسطة

الوجه السابع عشر:
أن هذا من أنواع السفسطة بل هو شر أنواعها فإن
أنواعها ثلاثة:

أحدها: التجاهل وهو^(١): لا أدري، وأصحابه
يسمون اللاأدرية.

الثاني: النفي والجحود.

الثالث: قلب الحقائق وهو جعل الموجود معدوماً

(١) ب: (وهؤلاء)، والصواب ما أثبت.

والمعدوم موجوداً، إما في نفس الأمر، وإما بحسب الاعتقاد، والذي يدعي قلب الحقائق في نفس الأمر أشد سفسطة ممن يدعي أنها تبع لاعتقاد الإنسان فيها، فإذا جعلت الأدلة العقلية التي هي من جنس ما تقدم وغيره تفيد اليقين بمدلولاتها الخارجية والأدلة اللفظية التي أعلاها كلام الله ورسوله لا تفيد اليقين كان ذلك من أعظم أنواع السفسطة^(١) وأكثر أسباب الزندقة^(٢)، فإن قلت: فهم لم يجعلوا كل دليل عقلي يفيد اليقين بل ما كانت مقدماته يقينية وتأليفه صحيحاً يوضحه.

الوجه الثامن عشر:

إن قول القائل الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين إما أن يريد به نفي العموم أو عموم النفي^(٣)، فإن أراد نفي العموم لم يفده شيئاً، فإن عاقلاً لا يدعي أن كل دليل لفظي يفيد اليقين حتى ينصب معه الخلاف، ويحتج عليه، وإن أراد به عموم النفي كان هذا مكابرة للعيان وبهتاً ومجاهرة / بالكذب والباطل.

بيان أن القائل بهذا إما أن يريد نفي العموم أو عموم النفي

[١/٨١/ب]

ب

(١) انظر: ص ٦٤٦.

(٢) انظر: ص ٦٤٦.

(٣) نفي العموم كقولك: «لا أقرأ كل كتاب في مكتبتى» وهذا لا يلزم منه ألا أقرأ كل كتاب في مكتبتى بل قد أقرأ البعض دون البعض.

وعوم النفي كقولك: لا أقرأ أي كتاب في مكتبتى» فهذا يفهم منه عموم النفي.

ومثال نفي العموم في النص المذكور أعلاه: ليس كل دليل لفظي يفيد اليقين.

ومثال عموم النفي: كل دليل لفظي لا يفيد اليقين.

انظر: المسودة في أصول الفقه، ص ١١٤، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

الوجه التاسع عشر:

بيان أن مصنفى
العلوم علم الناس
مرادهم من ألفاظهم

أنا نعلم بالاضطرار أن مصنفى العلوم على اختلاف أنواعها، علم الناس مرادهم من ألفاظهم علماً يقينياً^(١)، وإنما يقع الشك في قليل من كلامهم. ويقل ذلك ويكثر بحسب القائل وقوة إدراكه وجودة تصويره وإلفه لكلامهم وغرائبه منه، ومعلوم قطعاً أن علم الرسول بما يقوله وحرصه على إفهامه وتعليمه وشدة بيانه له وحرص أمته على فهمه، أعظم من حرص هؤلاء المصنفين ومن يتعلم منهم، فإذا حصل لأولئك اليقين بمعرفة مراد أرباب التصانيف فحصول اليقين لأهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله أولى وأحرى.

وليس الكلام في هذا المقام في تثبيت نبوته، بل الكلام مع من يقر بنبوته، ويشك في معرفته مراده بألفاظه، فيقال: لا ريب عند كل مؤمن بالله ورسوله أنه كان أعلم الخلق بما ينجر به وما يأمر به، فهو أعلم الخلق بما أخبر به عن الله واليوم الآخر وأعلمهم بدينه وشرعه الذي شرعه لعباده، وأنه كان أفصح الأمة وأقدرهم على البيان وكشف المعاني فإنه عربي والعرب أفصح الأمم، وقرشي وقريش أفصح العرب، وهو في نفسه كان أفصح قریش على الإطلاق، وقد أقر له أعداؤه بذلك، ولهذا قال: «أنا أفصح العرب بيد أنى من قریش واسترضعت في بني سعد بن بكر»^(٢)، وقد تكلم

(١) ب: (يقيناً)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) قال السيوطي في مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا ١٢/١، أورده أصحاب الغريب ولا يعرف له إسناد.

كشف الخفاء ٢٠١/١.

الناس في فصاحة الحاضرة والبادية وفي شعر الحاضرة والبادية، ورجح هؤلاء من وجه وهؤلاء من وجه ورسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الله له كمال فصاحة البادية والحاضرة، ومن تدبر كلامه الذي تكلم به والقرآن الذي بلغه عن الله وأخبر أن الله تكلم به، وجد التفاضل بين كلامه هو عليه السلام وكلام غيره من البشر، ثم من المعلوم بالاضطرار من حاله أنه كان أحرص الناس على هدى أمته وتعليمهم والبيان لهم، فاجتمع في حقه كمال القدرة وكمال الداعي وكمال العلم، فهو أعلم الناس بما يدعو إليه وأقدرهم على أسباب الدعوة وأعظمهم رغبة وأتمهم نصيحة، فإذا كان من هو دونه بمراتب لا تحصى في كل صفة من هذه الصفات قد بين مراده بلفظه، كان هو صلوات الله وسلامه عليه أحق وأولى من كل وجه أن يكون قد استولى على الأمد الأقصى من البيان.

فمن قال: إن اليقين لا يحصل بألفاظه ولا يستفاد العلم من كلماته كان قدحه في بيانه أعظم من قدحه في مراد سائر العلماء المصنفين، ومن قدحه^(١) في / حصول العلم واليقين بمرادها، وإلا كان قدحه في مراد عامة الأدميين أقرب وقدحه

[١/٨٢/١]

ب

= رواه أبو عبيد القاسم بن سلام قال: وأخبرني بعض الشاميين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فذكره (غريب الحديث ١/١٤٠)، بلفظ ميد أني من قریش. وذكره البغوي في شرح الستة ٤/٢٠٢، فقال: وفي بعض الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره.

الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ص ١١٧.

(١) ب: (قدح)، ولعل الصواب ما أثبت.

في معرفته مراد البهائم بلغاتها أقرب، ومن كان قوله مستلزماً لهذه اللوازم، كان قوله من أفسد أقوال بني آدم، وكان قوله قدحاً في العقلية والشرعية والضروريات.

الوجه العشرون:

بيان أن القدح فيما جاء به الرسول كالقدح في مخبر الأخبار المتواترة

إنه من المعلوم أن الصحابة سمعوا القرآن والسنة من النبي صلى الله عليه وسلم، وقرأوه وأقرأوه من بعدهم، وتكلم العلماء في معانيه وتفسيره، ومعاني الحديث وتفسيره، وما يتعلق بالأحكام وما لا يتعلق بها، وهم مجمعون على غالب معاني القرآن والحديث، ولم يتنازعوا إلا في قليل من كثير، لا سيما القرون^(١) الأولى، فإن النزاع بينهم كان قليلاً^(٢) جداً، بالنسبة إلى ما اتفقوا عليه، وكان النزاع^(٣) في التابعين أكثر وكلما تأخر الزمان كثر النزاع وحدث من الاختلاف بين المتأخرين ما لم يكن في الذين قبلهم، فإن القرآن تضمن الأمر بأوامر ظاهرة وباطنة، والنهي عن مناه ظاهرة وباطنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين مقادير الصلوات ومواقيتها وصفاتها، والزكوات ونصبها ومقاديرها، وكذلك سائر العبادات، وعامة هذه الأمور نقلتها الأمة نقلاً عاماً متواتراً خلفاً عن سلف، وحصل العلم الضروري للخلق بذلك كما حصل لهم العلم الضروري بأنه بلغهم ألفاظها، وأنه قاتل المشركين وأهل الكتاب وأنه بعث بمكة

(١) ب: (القرآن)، والصواب ما أثبت.

(٢) ب: (قليل)، والصواب ما أثبت.

(٣) ب: (الناس)، والصواب ما أثبت.

وهاجر إلى المدينة وأنه دعا الأمة إلى أن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأخبرهم أن هذا القرآن كلام الله الذي تكلم به لا كلامه ولا كلام مخلوق، وأنه ليس قول البشر، وأنه علمهم أن ربه فوق سمواته على عرشه وإن الملك نزل من عنده إليه^(١) ثم يعرج إلى ربه وأن ربه يسمع ويرى ويتكلم وينادي ويحب ويبغض ويرضى ويغضب، وأن له يدين ووجهاً، وأنه يعلم السر وأخفى، فلا يخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض، وأنه يقيمهم من قبورهم أحياء بعدما مزقهم البلى إلى دار النعيم أو إلى الجحيم، فالعلم الضروري بأنه جاء بذلك وأراده كالعلم الضروري بوجوده ومبعثه ومخرجه وقتاله لمن خالفه، فالقدح فيما أخبر به من ذلك وأنه لا يفيد اليقين كالقدح في مخبر الأخبار المتواترة وأنه لا يفيد اليقين.

الوجه الحادي والعشرون:

إن كل صنف من أصناف العلماء تكفلوا بعلم من العلوم المنقولة عن الرسول متفقون على أكثر علمهم مسائله ودلائله.

بيان أن العلماء حصل لهم اليقين بمراد الرسول في الفروع فكيف لا يحصل لهم في الأصول

[١/٨٢/ب]

ب

فالفقهاء / متفقون على غالب الشريعة عامها وخاصها، وهم متفقون على أكثر خاصها الذي لا يعرفه العامة، وإذا كانوا قد عرفوا مراده بهذا، فكيف لا يعرفون مراده بالذي هو أظهر وأشهر وأكثر نصوصاً وأعظم بياناً؟.

(١) (إليه): أي إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

والمفسرون فسروا القرآن واتفقوا على المراد منه في غالب القرآن ونزاعهم في القليل من ذلك وأكثره عند التحقيق ليس نزاعاً في نفس الأمر بل هو اختلاف في التعبير واختلاف تمثيل وتنويع لا اختلاف تناقض ولا تضاد.

وأهل الحديث متفقون على أحاديث الصحيحين، وإن تنازعوا في أحاديث يسيرة منها جداً وهم متفقون على لفظها ومعناها، كما اتفق المسلمون على لفظ القرآن ومعناه، وهذا مما ينفرد بعلمه^(١) الخاصة وهم القليل من الناس، وهم مع ذلك يعلمون بالاضطرار بطلان تأويل القرآن والحديث بما يتأوله به الفلاسفة^(٢) والقرامطة^(٣) والجهمية، ويعلمون: أنه خلاف مراد الرسول بالضرورة فكيف ما اشتركت الأمة عامتها وخاصتها في نقله قرناً بعد قرن فكيف لا يعرفون مراد الرسول منه يقيناً، فإن الأمة كلها تنقل عن من قبلها ومن قبلها عن من قبلها، حتى ينتهي الأمر إلى الرسول، أن الله يرى ويسمع ويتكلم ويعلم وأنه فوق السموات السبع على العرش، وأنه يرى يوم القيامة جهرة، وعلم الأمة بمراد الرسول من ذلك فوق علمهم بمراده من أحاديث الشفعة والربا والحيض والفرائض ونحوها فكيف يقال: حصل لهم اليقين بمراده من ذلك دون هذا وهل هذا إلا من أقبح المكابرة؟! .

(١) ب: (به بعلمه)، ولعل الصواب حذف (به).

(٢) سبق التعريف بهم، ص ٢١٩ .

(٣) سبق التعريف بهم، ص ٢٩٩ .

بيان أن المخاطبين
بالقرآن والسنة أولاً
لم يتوقف حصول
اليقين لهم بمراده على
تلك المقدمات
العشر

الوجه الثاني والعشرون :

أن يقال: من المعلوم بالضرورة أن المخاطبين أولاً
بالقرآن والسنة لم يتوقف حصول اليقين لهم بمراده على تلك
المقدمات العشر، التي ذكروها ولا على شيء منها،
أما عصمة رواية اللغة، فإنهم خوطبوا شفاهاً، فلم يحتاجوا
إلى واسطة في نقل الكلام فضلاً عن واسطة في نقل اللغة
ولا إلى قاعدة ينفون بها نفي احتمال اللفظ لغير المعنى الذي
قصده المتكلم، فإنهم علموا مراده بالضرورة وإذا كانوا
عالمين بمراده بالضرورة مع علمهم بصدقه امتنع عندهم أن
يكون في نفس الأمر معارض ينافي مراده.

وقد قال أبو عبدالرحمن السلمي^(١) من كبار التابعين:
حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان
وعبدالله بن مسعود وغيرهم، أنهم كانوا إذا تعلموا من
النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم / يتجاوزها حتى
يتعلموا ما فيها من العلم قالوا: «فتعلمنا القرآن والعلم
والعمل جميعاً»^(٢) وكان يمكث أحدهم في السورة مدة حتى
يتعلمها، وقد أقام ابن عمر على تعلم سورة البقرة ثماني

[١/٨٣/١]

ب

(١) هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبدالرحمن السلمي مقرئ الكوفة، ولد في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم، أخذ القراءة عن عثمان وعلي وزيد وأبي وابن مسعود،
وأخذ عنه القرآن عاصم بن أبي النجود ويحيى بن وثاب، قال ابن عبدالبر: هو عند
جميعهم ثقة، توفي سنة ٧٤ بالكوفة.

سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٧، ٢٧٢؛ تهذيب التهذيب ٥/١٨٣، ١٨٤؛ الجرح
والتعديل ٥/٣٧؛ البداية والنهاية ٩/٧؛ الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/١٧٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٩؛ وطبقات ابن سعد ٦/١٧٢، دار صادر بيروت.

سنين، وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا، ولم يتوقف معرفة مراد الله ورسوله من كلامه عندهم على شيء من تلك الأمور العشرة، ولا تابعي التابعين ولا أئمة الفقه المتبوعين ولا أئمة الحديث ولا أئمة التفسير حتى نبغت قلف^(١) الأذهان عجم القلوب فزعموا أنهم لا يحصل [لهم]^(٢) اليقين بمراده إلا بعد هذه الأمور، ثم^(٣) قالوا: ولا سبيل إلى العلم بانتفائه إذ غاية ما يقدر بعد البحث والطلب التام عدم العلم بها ولا يلزم من عدم العلم عدم المعلوم فلا سبيل لنا إلى العلم بمراد الرسول البتة، وطلبت نفوسهم ما يحصل لها به العلم فعادوا إلى العقول فوجدوها قد تصادمت فيما تقضي به من جائز على الله وواجب ومستحيل أعظم تصادم، فخرجوا عن السمع الصحيح ولم يظفروا بدلالة العقل الصريح ففاتهم العقل والسمع جميعاً.

الوجه الثالث والعشرون:

بيان أن هذه المقدمات العشر ترجع إلى احتمال اللفظ لمعنى آخر غير ما يظهر من الكلام

إن جميع ما ذكره من الوجوه العشرة يرجع إلى حرف واحد وهو احتمال اللفظ لمعنى آخر غير ما يظهر من الكلام، فإنه لا ينازع عاقل أن غالب ألفاظ النصوص لها ظواهر هي موضوعة لها ومفهومة عند الإطلاق منها، لكن النزاع أن

(١) القُلْفَة: الجلدة التي تقطع في الختان. والمعنى أن قلوبهم مغطاة عن معرفة الحق. لسان

العرب ٣٧٢٥/٥، مادة قلف؛ المصباح المنير ٦٢١/٢.

(٢) (لهم): ليست في ب وبها تستقيم العبارة.

(٣) (ثم): مكررة في ب.

اعتقاد ذلك المعنى يقيني لا يحتمل غيره أو ظني يحتمل غيره، فالمدار كله على احتمال إرادته صلى الله عليه وسلم معنى آخر غير الظاهر وعدم ذلك الاحتمال، ومعلوم أن الطرق التي يعلم بها انتفاء إرادته معنى يناقض ذلك المعنى طرق كثيرة لا يحتاج شيء منها إلى ما ذكره، بل قد يعلم السامع انتفاء معنى يناقض المعنى الذي ذكره المتكلم ضرورة، وتارة يغلب على ظنه^(١) قرينة من الضرورة وتارة يحصل له ذلك ظناً، وتارة لا يفهم مراده، وتارة يشبهه عليه المراد بغيره، وهذا القطع والظن والشك له أسباب غير الأمور التي ذكرها فقد يكون سبب الاحتمال كون السامع لم يألف ذلك اللفظ في لغة قومه، أو أن له في لغتهم معنى غير معناه في لغة المتكلم، أو أن اللفظ قد اقترنت به قرينة يقطع السامع معها بالمراد، فخفضت عليه أو ذهل عنها، ولونبه عليها لتنبه، كما اقترنت بلفظ المفادة - في أنه الخلع^(٢) - تقدم طلقتين، وتأخر طلقة ثالثة، ووقع بين الطلقتين / والطلقة الثالثة^(٣) ففهم جمهور

[ب/٨٣/١]

ب

(١) في ب: (على ظنه عليه)، ولعل الصواب حذف (عليه).

(٢) في هامش ب: (جمهور الصحابة أن الخلع لا ينقص الطلاق).

(٣) يشير بذلك إلى قوله تعالى:

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يُحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾

[البقرة: ٢٢٩، ٢٣٠]. =

الصحابة منه أنه غير محسوب من الثلاث، واحتج بذلك ابن عباس وغيره، وقد تكون القرينة منفصلة في كلام آخر بحيث يجزم السامع بالمراد من مجموع الكلام، فيخفى أحدهما على السامع، أو لا يتفطن له، فلا يعرف المراد، فهذا قد يقع لأعلم الناس بخطابه صلى الله عليه وسلم، وهو من لوازم الطبيعة^(١) الإنسانية، ولكنه قليل جداً بالإضافة إلى ما يتقنونه من مراده لا نسبة له إليه، فلا يجوز أن يدعي لأجله أن كلام الله ورسوله لا يفيد اليقين بمراد ولا سبيل لنا إلى اقتباس العلم واليقين منه.

الوجه الرابع والعشرون:

بيان أن قولهم الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند أمور عشرة نفي عام

إن قول القائل: الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند أمور عشرة نفي عام وقضية سالبة كلية، فإن أراد قائلها أن أحداً من الناس لا يعلم مراد متكلم ما يقيناً إلا عند هذه الأمور العشرة فكذب ظاهر، وإن أراد به أنه لا يعلم أحد المراد بألفاظ القرآن والسنة إلا عند هذه الأمور ففرية ظاهرة أيضاً، فإن الصحابة كلهم من أولهم إلى آخرهم والتابعين كلهم وأئمة الفقه كلهم وأئمة التفسير كلهم، لم يتوقف علمهم بمراد الرسول على هذه الأمور بل لم يخطر ببالهم، ولم يذكرها أحد منهم في كلامه.

وإن أراد أن من بعد الصحابة لا يعرف مراد الرسول

= وانظر: تفصيل القول في هذه المسألة في تفسير ابن كثير ٢٧٥/١؛ وأضواء البيان ٢٧١، ٢٦٩/١.

(١) ب: (الطبيعية)، والصواب ما أثبتته.

إلا بهذه الأمور العشرة فكذب أيضاً، فإن التابعين ومن بعدهم جازمون متيقنون لمراده أعظم تيقن بل نحن ونسبتنا إليهم أقل نسبة متيقنون لمراد الله ورسوله^(١) من كلامه يقيناً لا ريب فيه، وجازمون به جزماً لا شك فيه، ومن قبلنا كان أعلم منا وأعظم جزماً ومن قبلهم كان كذلك، فكيف يستحل الرجل أن يحكم حكماً عاماً كلياً أن أحداً لم يحصل له اليقين من كلام الله ورسوله؟ وإن أراد به أنها لا تفيد اليقين في شيء وتفيده في شيء آخر، قيل له هذا لا يفيدك شيئاً حتى تبين أن محل النزاع بينك وبين أهل السنة وأنصار الله ورسوله من النوع الذي لا يفيد اليقين فهم يزعمون أن استفادتهم اليقين منه أعظم من استفادتهم اليقين من كلام كل متكلم، وليس لك أن تحكم عليهم بأنهم لم يستفيدوا منه اليقين فإن غاية ما عندك أنك أنت فاقد اليقين لم تظفر ببرده، ولم تفرز به فكيف ساغ لك أن تحكم على غيرك بهذا.

فإن أردت بذلك أني أنا لا أستفيد اليقين من هذه الأدلة إلا بعد هذه الأمور العشرة فعلمت أن غيري كذلك؟ قيل له هذا من أبطل الباطل عند كل عاقل / فإنه من المعلوم بالضرورة أن الشيء الواحد يكون مجهولاً عند رجل أو طائفة، ومعلوماً عند آخر، وضرورياً عند شخص ونظرياً عند آخر، والاشترار في المعلومات الضروريات غير واجب ولا واقع، والواقع خلافه، فالصحابة كانوا يعلمون من أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - بالاضطرار

[١/٨٤/أ]

ب

(١) ب: (ورسوله أكثر من)، ولعل الصواب حذف (أكثر).

ما لم يعلمه غيرهم، وكان أبو بكر يعلم من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامه يقيناً ما لا يعلمه غيره ولا يفهمه، كما قال أبو سعيد الخدري: «وكان أبو بكر أعلمنا به»^(١) وكان التابعون يعلمون من أحوال الصحابة بالاضطرار ما لا يعلمه غيرهم، والفقهاء وأهل الحديث يعلمون بالاضطرار أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد سجدتي السهو في الصلاة، وقضى بالشفعة، وجعل الدية على العاقلة، وأخبر أن الله ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنه يُرى بالأبصار جهرة يوم القيامة وأنه يدخل النار قوماً من أهل التوحيد، ثم يخرجهم بالشفاعة، وأنه أخبر بخروج الدجال، ونزول المسيح من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك مما يجمله كثير من الناس، ومن أقربه فهو عنده ظني، وأهل الحديث جازمون به متيقنون له كتيقنهم أنه بعث من مكة وهاجر إلى المدينة ومات بها، وأهل^(٢) المغازي والسير والحديث يعلمون بالاضطرار أن غزوة بدر كانت قبل أحد، وأن أحداً قبل الخندق، والخندق قبل الحديبية، والحديبية قبل خيبر، وخبير قبل فتح مكة، وفتح مكة قبل حنين، وحنين قبل الطائف، والطائف قبل تبوك، وتبوك آخر الغزوات، ولم يكن فيها قتال، وكان الغزو

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١٢/٧)، من طريق أبي سعيد، في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، قاله ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، ح ٣٦٥٤.

ورواه أحمد في المسند ١٨/٣، بهذا اللفظ.

(٢) في هامش ب: (ترتيب غزواته صلى الله عليه وسلم).

فيها للنصارى أهل الكتاب، وفي خير لليهود، وفي بدر وأحد للمشركين، وأنه أوقع باليهود أربع مرات بنى قينقاع^(١) وكانت بعد بدر، وبالنضير^(٢) وكانت بعد أحد، وبقریظة وكانت بعد الخندق، وبأهل خير وكانت بعد الحديبية، وأكثر الناس بل كثير من العلماء والفقهاء لا يعلمون هذا التفصيل، وكذلك العلماء بالتفسير والحديث يعلمون بالاضطرار أن سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال وبراءة مدنيات نزلن بعد الهجرة، وسورة الأنعام، والأعراف ويونس وهود ويوسف والكهف والنحل مكيات نزلن قبل الهجرة، وأكثر الناس لا يعلمون ذلك ضرورة، ولا نظراً، فليس المعلوم^(٣) من أقوال الرسول وسيرته ومراده بكلامه أمراً مشتركاً بين جميع الناس ولا بين المسلمين / ولا بين العلماء، وإذا لم يكن هذا أمراً مضبوطاً لا من العالم ولا في العلوم أمكن في كثير من مراد الرسول بالاضطرار [أن تكون مكتسبة عند قوم]^(٤) ضرورة عند آخرين وغير معلومة البتة عند آخرين، وإن قال: أردت أن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين عند من لا يعرف مدلولها إلا بهذه المقدمات، قيل له: فهذا لا فائدة فيه فكأنك قلت: من لم يعرف مراد المتكلم إلا بمقدمة ظنية كان استدلاله بكلامه ظنياً، وذلك من باب تحصيل الحاصل، وكذلك من لم يعرف

[١/٨٤/ب]
ب

(١) ب: (قينقاع)، وهو خطأ.

(٢) ب: (وبالنضير).

(٣) ب: (العلوم)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) ما بين المعكوفتين ليس في ب، ولعل الصواب إثباتها.

الدليل العقلي إلا بمقدمة ظنية كان استدلاله به ظنياً، وأيضاً فإنه إذا كان هذا مرادك فكيف تحكم حكماً عاماً كلياً أن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين فبطل حكم هذه القضية الكاذبة، أن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين على كل تقدير والله الحمد، يوضحه.

الوجه الخامس والعشرون:

بيان أن الذين لم يحصل لهم اليقين بالأدلة العقلية أضعاف أضعاف الذين حصل لهم اليقين بالأدلة السمعية

إن الذين لم يحصل لهم اليقين بالأدلة العقلية أضعاف أضعاف الذين حصل لهم اليقين بالأدلة السمعية، والشكوك^(١) القادحة في العقليات أكثر بكثير من الشكوك القادحة في السمعيات، فأهل العلم والكتاب والسنة متيقنون لمراد الله ورسوله جازمون به معتقدون لموجبه اعتقاداً لا يتطرق إليه شك ولا شبهة، أما المتكلمون الذين عدلوا عن الاستدلال بالأدلة السمعية إلى الأدلة العقلية في المسائل الكبار كمسألة حدوث العالم ومسألة ماهي الحوادث؟ ومسألة تماثل الأجسام وبقاء الأعراض ومسألة وجود الشيء هل هو زائد على ماهيته؟ أو هو نفس ماهيته؟ ومسألة المعدوم هل هو شيء أم لا؟ ومسألة المصحح للتأثير هل هو الحادث أو الإمكان؟ وهل يمكن أن يكون الممكن قديماً أم لا؟ ومسألة الجوهر الفرد وهل الأجسام مركبة منه أم لا؟ ومسألة الكلام وحقيقته وأضعاف ذلك من المسائل التي عولوا فيها على مجرد عقل أفضلهم وأشدهم^(٢) حيرة وتناقضاً واضطراباً فيها

(١) ب: (والشكول)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ب: واو العطف ليست في ب، والصواب إثباتها.

لا يثبت له فيها قول، بل تارة يقول بالقول ويجزم به، وتارة يقول بضده ويجزم به، وتارة يحار ويقف وتتعارض عنده الأدلة العقلية، وأهل الكلام والفلسفة أشد اختلافاً وتنازعاً بينهم فيها من جميع أرباب العلوم على الإطلاق، ولهذا كلما كان الرجل منهم أفضل كان إقراره بالجهل والحيرة على نفسه أعظم كما قال بعض العارفين: «أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام»، وقال أفضل المتأخرين / من هؤلاء لتلاميذه عند الموت: «أشهدكم أني أموت وما عرفت مسألة واحدة إلا مسألة افتقار الممكن إلى واجب، ثم قال: والافتقار أمر عدمي فها أنذا أموت وما عرفت شيئاً»^(١)، وقال ابن الجويني عند موته: «لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم وما أدري على ماذا أموت، أشهدكم أني أموت على عقيدة أُمي»^(٢)، وقال آخر في خطبة كتبه في الكلام: لعمرى:

[١/٨٥/١]
ب

لقد طفت [في تلك]^(٣) المعاهد كلها

وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر

على ذقن أو قارعاً سن نادم^(٤)

(١) سبق، انظر: ص ٤٠٥ .

(٢) سبق، انظر: ص ١٦٧، والقائل هو أبو المعالي الجويني .

(٣) ب: (لعمرى لقد طفت المعاهد كلها...)، وما أثبتته من نهاية الأقدام للشهرستاني، ص ٣ .

(٤) سبق، انظر: ص ١٦٦ .

وقال الرازي في كتابه «أقسام اللذات»^(١)، وقد ذكر أنواعها وأن أشرفها لذة العلم والمعرفة، وأشرف العلم العلم الإلهي لشرف معلومه وشدة الحاجة إليه، وأنه على ثلاثة أقسام: العلم بالذات وعليه عقدة، وهي أن الوجود هل هو الماهية، أو زائد عليها، والعلم بالصفات وعليه عقدة، وهي أن الصفات هل هي أمور وجودية زائدة على ذات الموصوف أم ليست بزائدة على الذات؟ والعلم بالأفعال وعليه عقدة، وهي هل الفعل مقارن للفاعل أو متراخ عنه؟ ثم قال: ومن الذي وصل إلى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب، ثم أنشد:

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعي العالمين ضلالٌ

وأرواحنا في وحشة من جسمنا

وحاصل دنيانا أذىً ووبالٌ

ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالٌ

وكم من جبالٍ قد علت شرفاتها

رجالٌ فماتوا والجبالُ جبالٌ

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها

تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة

القرآن: أقرأ في الإثبات:

(١) انظر: ص ١٦٧.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

واقراً في النبي :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي^(١). فليتأمل اللبيب ما في كلام هذا الفاضل من العبر، فإنه لم يأت في المتأخرين من حصل من العلوم العقلية ما حصله ووقف على نهايات أقدام العقلاء وغايات مباحث الفضلاء، وضرب بعضها ببعض ومخضها أشد المخض فما رآها تشفي علة داء الجهالة، ولا تروي غلة ظمأ الشوق والطلب، وأنها لم تحل عنه عقدة واحدة من هذه العقد الثلاث التي عقدها أرباب المعقولات على قافية القلب فلم يستيقظ لمعرفة / ذات الله ولا صفاته ولا أفعاله، وصدق والله فإنه شاك في ذات رب العالمين هل له ماهية غير الوجود المطلق يختص بها أم ماهيته نفس وجوده الواجب، ومات ولم تنحل له عقدها، وشاك في صفاته هل هي أمور وجودية أم نسب إضافية عدمية. ومات ولم تنحل له عقدها، وشاك في أفعاله هل هي مقارنة له أزلاً وأبداً لم تزَلْ معه أم الفعل متأخر عنه تأخراً لا نهاية لأمدّه فصار فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً، ومات ولم تنحل له عقدها، فننظر في كتبه الكلامية قول المتكلمين وفي كتبه

[ب/٨٥/١]

ب

(١) انظر: أول كلام الرازي، ص ١٦٧.

الفلسفية قول الفلاسفة، وفي كتبه التي خلط فيها بين الطريقتين يضرب أقوال هؤلاء بهؤلاء وهؤلاء بهؤلاء، ويجلس بينهما حائراً، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وكذلك أفضل أهل زمانه ابن أبي الحديد^(١)، فإنه مع بحثه ونظره وتصديه للرد على الرازي^(٢) حتى يقول في قصيدة له:

وحقك لو أدخلتني النار قلت للـ
لذين بها قد كنت ممن أحبه
وأفريت عمري في فنون دقيقة
وما بغيتي إلا رضاه وقربه
أما قلت من كان فينا مجاهداً
سيكرم مثواه ويعذب شربه
أما رد شك ابن الخطيب وزيفه
وتمويهه في الدين إذ حل خطبه^(٣)

(١) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني، أبو حامد المعروف بابن أبي الحديد، ولد سنة ٥٨٦، في المدائن. وهو من غلاة الشيعة وأعيان المعتزلة، كاتب وشاعر. له كتب منها: «شرح نهج البلاغة» و«السبع العلويات» و«شرح الآيات البينات» للفخر الرازي، توفي ببغداد سنة ٦٥٦.

البداية والنهاية ١٣/١٩٠؛ الأعلام ٣/٢٨٩؛ فوات الوفيات ١/٢٤٨، ٢٥٠.

(٢) سبق ذكر ترجمته، ص ٦٤٠.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٦١.

فوات الوفيات ١/٢٤٨، مطبعة بولاق. وقد رد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي بقصيدة مطلعها:

علمنا بهذا القول أنك آخذ بقول اعتزال جل في الدين خطبه
فليطالعها من شاء في فوات الوفيات ١/٢٤٩.

يعترف بأن المعقولات لم تعطه إلا حيرة وأنه لم يصل منها
إلى يقين ولا علم حيث يقول:

فيك يا أغلوطة الفكر
ضاع دهري وانقضى عمري
سَافَرْتُ فيك العقول فما
ربحت إلا أذى السفر
قاتل الله الأولي زعموا
أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا
خارج عن قوة البشر^(١)

وقال بعض الطالبين من المتأخرين، وقد سافر في طلب
ربه على هذه الطريق فلم يزد إلا حيرة وبعداً من مطلبه حتى
قيض الله له من أخذ بيده وسلك به على الطريق التي سلك
عليها الرسل وأتباعهم، فجعل يهتف بصوته لأصحابه:
هلموا فهذه والله الطريق وهذه أعلام مكة والمدينة، وهذه
أثار القوم لم تنسخها الرياح ولم تزلها الأهوية، ثم قال:

وكنت وصحبي في ظلام^(٢) من الدجى

نسير على غير الطريق ولا ندري /

[أ/٨٦/١]

ب

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٦١.

شرح الطحاوية، ص ٢٢٨.

(٢) ب: (ضلام).

وكنا حيارى في القفار ولم يكن
دليل لنا نرجوا الخلاص من القفر
ظماء إلى ورد يبل غليلنا
وقد قطع الأعناق منا لظى الحر
فما هو إلا أن تبدى لناظري
سنا بارق يبدو كخيط من الفجر
فقلت لصحبي هل ترون الذي أرى
فقالوا اتئد^(١) ذاك السراب الذي يجري
فخلفتهم خلفي وأقبلت نحوه
فأوردني عين الحياة لدى البحر
فناديت أصحابي فما سمعوا النداء
ولو سمعوه ما استجابوا إلى الحشر

فهذا اعتراف هؤلاء الفضلاء في آخر سيرهم بما أفادتهم
الأدلة العقلية من ضد اليقين ومن الحيرة والشك، فمن
الذي شك من القرآن والسنة والأدلة اللفظية هذه الشكاية؟
ومن الذي ذكر أنها حيرته ولم تهده؟ أو ليس بها هدى الله
أنبياءه ورسله وخير خلقه؟! قال تعالى لأكمل خلقه وأوفرهم
عقلاً:

﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ
رَبِّي ﴾ [سبأ: ٥٠].

(١) في هامش ب: (ترى ظ).

فهذا أكمل الخلق عقلاً صلوات الله وسلامه عليه يجبر
 أن اهتداه بالأدلة اللفظية التي أوحاها الله إليه، وهؤلاء
 المتهوكون المتحيرون يقولون انها لا تفيد يقيناً ولا علماً
 ولا هدى وهذا موضع المثل المشهور «رمتي بدائها
 وانسلت».

الوجه السادس والعشرون:

أن ألفاظ القرآن والسنة ثلاثة أقسام:
 نصوص لا تحتمل إلا معنى واحداً.

أقسام ألفاظ القرآن
 والسنة

وظواهر تحتمل غير معناها احتمالاً بعيداً مرجوحاً.

وألفاظ تحتاج إلى بيان، فهي بدون البيان عرضة
 الاحتمال.

فأما القسم الأول^(١): فهو يفيد اليقين بمدلوله قطعاً
 كقوله تعالى:

﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾

[العنكبوت: ١٤].

فلفظ الألف لا يحتمل غير مسماه، وكذلك لفظ
 الخمسين، وكذلك لفظ نوح، ولفظ قومه، وكقوله:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾

أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴿ [الأعراف: ١٤٢].

(١) في هامش ب: (ألفاظ الكتاب والسنة ثلاثة أقسام).

وقوله :

﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [المجادلة : ٤].

وقوله :

﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾

[البقرة : ١٩٦].

وقوله :

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة : ٢٣٤].

[١/٨٦/ب]
ب

وعامة ألفاظ القرآن من هذا الضرب، هذا شأن مفرداته / ، وأما تركيبه فجاء على أصح وجوه التركيب، وأبعدها من اللبس، وأشدّها مطابقة للمعنى، فمفرداته نصوص أو كالنصوص في مسماها، وتراكيبه صريحة في المعنى الذي قصد بها، والمخاطبون به تلك اللغة سجيّتهم وطبيعتهم غير متكلفة لهم، فهم يعلمون بالاضطرار مراده منها.

والقسم الثاني: ظواهر قد تحتل غير معانيها الظاهرة منها، ولكن قد اطردت في موارد استعمالها على معنى واحد، فجرت مجرى النصوص^(١) التي لا تحتل غير مسماها، والقسمان يفيدان اليقين والقطع بمراد المتكلم.

وأما القسم الثالث: إذا أحسن رده إلى القسمين قبله

(١) في هامش ب: (الظواهر تحري مجرى النصوص).

عرف مراد المتكلم منه، فالأول يفيد اليقين بنفسه، والثاني يفيد باطراده في موارد استعماله، والثالث يفيد إحسان رده إلى القسمين قبله، وهذا ظاهر جداً لمن له عناية بالقرآن وألفاظه ومعانيه واقتباس المعارف واليقين منه، فاستفادته اليقين من أدلته أعظم من استفادة كل طالب علم اليقين من مواد علمه وبراهينه.

بيان تأثير

المصطلحات الكلامية
في عدم قبول الحق

الوجه السابع والعشرون:
إن الذي حال بين هؤلاء وبين استفادتهم^(١) اليقين من كلام الله ورسوله أن كثيراً من ألفاظ القرآن والسنة قد صار لها معان اصطلاح عليها النظر والتكلمون وغيرهم، وألف ذلك الاصطلاح، وجرى عليه النشء، وصار هو المقصود بالتخاطب وإليه التحاكم^(٢)، فصار كثير من الناس لا يعرف سواه، فلما أرادوا أن يطابقوا بين معاني ألفاظ القرآن وبين تلك المعاني التي اصطلحوا عليها أعجزهم ذلك، فمرة قالوا: ألفاظ القرآن مجاز، ومرة طلبوا لها وجوه التأويل، ومرة قالوا: لا تفيد اليقين، ومرة جعلوها وقفاً تتلى في الصلاة ويتبرك بقراءتها ولا يتحاكم إليها مثال ذلك: لفظ الجسم في القرآن هو البدن كما قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَرَأَيْتَهُمْ نُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

وهم اصطلحوا على تسمية كل قائم بنفسه جسماً مرئياً

(١) ب: (استفادته) والصواب ما أثبت.

(٢) في هامش ب: (ما الجأهم إلى القول بأن ألفاظ القرآن مجاز).

كان أو غير مرثي، وسموا الموصوف بالصفات جسماً وسموا من له وجه ويدان جسماً ثم نفوا الجسم عن^(١) الصانع وأوهموا أنهم ينفون معناه لغة وقصدتهم نفي معناه اصطلاحاً فسموه بخلاف اسمه في اللغة ونفوا به ما أثبتته الرب لنفسه من صفات الكمال، وكذلك سمو صفاته / أعراضاً، ثم نفوا عنه الأعراض بالمعنى الذي اصطلحوا عليه لا بالمعنى الذي وضعت له ألفاظ الأعراض في اللغة، وكذلك سمو أفعاله حوادث ثم نفوها عنه بالمعنى الذي اصطلحوا عليه لا بمعناه في اللغة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً»^(٢)، وقال: «إياكم والحدث في الإسلام»^(٣)، وقال:

[أ/٨٧/١]
ب

- (١) ب: (على) والصواب ما أثبتته.
- (٢) رواه البخاري ٢٧٩/٦، من طريق علي بن أبي طالب، في كتابه الجزية والموادعة، باب إثم من شاهد ثم عذر، ح ٣١٧٩، بنحوه.
- ورواه مسلم ٩٩٤/٢، في كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، ح ٤٦٧.
- (٣) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٥٣/٢، ٥٥)، من طريق عبدالله بن مفضل، في أبواب الصلاة، باب ما جاء في ترك الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، ح ٢٤٤ (بنحوه). وقال حديث عبدالله بن المفضل حديث حسن والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
- رواه ابن ماجه ١٤٦/١، في أبواب إقامة الصلاة، باب افتتاح القراءة، ح ٧٧٩ بنحوه، ط. الأعظمي.
- ورواه أحمد في المسند ٨٥/٤ بنحوه.
- وقال الزيلعي في نصب الراية: «وبالجمله فهذا حديث صريح في عدم الجهر بالتسمية وهو وإن لم يكن من أقسام الصحيح فلا ينزل عن درجة الحسن وقد حسنه الترمذي =

« لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»^(١) فإذا قالوا: لا تحله الحوادث أو هموا الناس هذه الحوادث ومرادهم أنه لا يتكلم، ولا يكلم، ولا يرى، ولا يسمع، ولا استوى على عرشه بعد أن لم يكن مستوياً، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا ينادي عباده يوم القيامة، ولا يشاء مشيئة إلى أمثال ذلك.

وكذلك لفظ الاستواء حقيقة في العلو، ثم حدث له معنى الاستيلاء في قول الشاعر إن كان قاله:
قد استوى بشر على العراق^(٢)^(٣).

= والحديث الحسن يحتاج به لا سيما إذا تعددت شواهد وكثرت متابعاته... الخ» (نصب الراية ١/٣٣٣).

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١/٢٣٤)، من طريق أبي هريرة، في كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور، ح ١٣٥.
ورواه مسلم ١/٢٠٤، في كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، ح ٢.
(٢) في هامش ب: (وتمامه: من غير سيف أودم مهراق).

(٣) لسان العرب ٣/٢١٦٣؛ الصحاح للجوهري ٦/٢٣٨٥ دون أن ينسبه لأحد؛ تاج العروس ١/١٨٩، ونسبه للأخطل.
والبيت لم أجده في ديوان الأخطل المطبوع.
وذكره الدكتور عدنان زرزور في كتاب «الحاكم الجسمي ومنهجه في تفسير القرآن» ونسبه للبعيث ولم يذكر مصدره في هذا.

وقد ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥/١٤٦، ١٤٧، وقال فيه: ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا أنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاج إلى صحته فكيف يبيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة، =

فهذا شعر مولد حدث بعد كتاب الله، ولم يكن معروفاً قبل نزول القرآن، ولا في عصر من أنزل عليه القرآن فحملوا لفظ القرآن على الشعر المولد الحادث بعد نزوله، ولم يكن من لغة من نزل القرآن عليه.

وكذلك لفظ المحلل والمحلل له، فإنه في لغة من تكلم به ولغة أصحابه هو محلل النكاح الذي يريد أن يتزوج المرأة ليحلها لمطلقها، وفي اصطلاح بعض الفقهاء هو الذي يحلل موليته لغيره بلا مهر والذي يشترط التحليل لفظاً في صلب العقد.

وكذلك لفظ الخمر في لغة من تكلم به وصرح بتحريمه كل مسكر فاصطلح بعض الفقهاء على تخصيص بعض أنواع الأشربة المسكرة باسم الخمر ثم حملوا النصوص على تلك المعاني التي اصطلمحوا عليها.

وكذلك لفظ الجار في لغته صلى الله عليه وسلم هو الجار المعروف، فإذا اصطلمح على تسمية الشريك^(١) جاراً قياساً على تسمية الزوجة جاراً في قول الشاعر:

= ثم ذكر أن الخليل سئل هل وجدت في اللغة «استوى» بمعنى «استولى» فقال: هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها. ثم قال: «... إنه لو ثبت أنه من اللغة العربية لم يجب أن يكون من لغة العرب العرباء ولو كان من لفظ بعض العرب العرباء لم يجب أن يكون من لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ولو كان من لغته لكان بالمعنى المعروف في الكتاب والسنة وهو الذي يراد به ولا يجوز أن يراد معنى آخر.

(١) ب: (التشريك) والصواب ما أثبتته. انظر: المصباح المنير ١/١٣٩.

أجارتنا بيني فإنك طالقة^(١)

ثم حمل لفظ الشارع على المعنى الاصطلاحي لم يجز ذلك.

ومن هذا لفظ التركيب فإنه في لغة القرآن تركيب الشيء في غيره كقوله:

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].

ثم اصطلح عليه بعض الناس وجعل كل ما تميز منه شيء عن شيء مركباً، وإن كان حقيقته واحدة، فالعرب إنما تطلق لفظ التركيب والمركب في نحو تركيب الدواء وتركيب الخشبة على الجدار وتركيب المادة في صورة من الصور، ولا يسمى الهواء مركباً ولا النار ولا الماء ولا التراب، وإنما المركب عندهم ما ركب فيه شيء على شيء.

خالف المتأخرون / الاصطلاح الحادث، ثم نفوا [١/٨٧/ب]
ب

(١) هذا شطر من بيت للأعشى قاله عندما طلق امرأته الهزانية في قصيدة منها:
أيا جارتني بيني فإنك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقة
وبيني فإن بين خير من العصا وألاً تزال فوق رأسك بارقة
وفي الصحاح للجوهري - أجارتنا بيني - قال ابن بري والمشهور في الرواية أيا جارتنا، وهذا البيت يستدل به على وجود الطلاق في الجاهلية.
وقوله غاد: الغادي الذي يأتي غدوه.
وطارقة: الطارق الذي يطرق ليلاً.

ديوان الأعشى، ص ٢٩٩؛ لسان العرب ٤/١٥٤، دار صادر؛ الصحاح للجوهري ٦١٨/٢.

مسماه الاصطلاحي عن الرب سبحانه، ورأوا الأدلة اللفظية من القرآن والسنة لا تساعدهم على ذلك فقالوا لا تفيد اليقين.

الوجه الثامن والعشرون:

بيان أن كلام الله ورسوله في باب الأسماء والصفات في إفادة اليقين ككلامها في باب المعاد والأمر والنهي

إن هؤلاء القائلين: إن كلام الله ورسوله لا يستفاد منه علم ولا يقين، إما أن يريد به نفي اليقين في باب الأسماء والصفات فقط دون باب المعاد والأمر والنهي أو في باب الصفات وباب المعاد فقط دون الأمر أو في الجميع، فإن أراد الأول وهو مراد الجهمية، قيل له: فما جوابك للفلاسفة^(١) المنكرين لمعاد الأبدان حيث احتججت عليهم بأننا نعلم بالضرورة أن الرسل جاءوا به فرده عليهم تكذيب لهم فقالوا: الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين؟!.

فإن قلت الفرق بيننا وبينهم أن آيات الصفات وأخبارها قد عارضتها قواطع عقلية تنفيها بخلاف نصوص المعاد، قيل: أما أهل القرآن والسنة فيجيبونك بأن تلك المعارضات هذيان لا حقيقة لها، وشبهات خيالية:

﴿ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ (٢) شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾
[النور: ٣٩].

وأما أشباهك من الفلاسفة^(١) فيقولون: ونصوص

(١) سبق، انظر: ص ١٩١.

(٢) ب: (لم يجد) وهو خطأ.

المعاد قد عارضها قواطع عقلية تنفيها، فإن قلت: بل هذه شبهات باطلة، ومقدمات كاذبة، قيل: صدقت، والشبهات التي تعارض نصوص الصفات أبطل، والمقدمات التي تحالفها أكذب بكثير، فإن الشبهات العقلية المعارضة لنصوص الأنبياء ليس لها حد تقف عليه، بل قد عارض أرباب المعقول الفاسد جميع ما جاءوا به من أوله إلى آخره بعقولهم، ومعارضة المشركين لما دعت إليه الرسل من التوحيد بشبهاتهم من جنس معارضة الدهرية لما أخبروا به من المعاد بشبهاتهم، فهلموا نضع الشبهات جميعها في الميزان ونحكها على المحك، يتبين أنها زغل^(١) وزيف كلها، وإن زعمت أنها لا تفيد اليقين، لا في باب الخبر عن الله وصفاته، ولا في باب المعاد واليوم الآخر، ولا في باب الأمر والنهي فقد انسلخت من العقل والإيمان انسلاخ الحية من قشرها^(٢)، وجاهرت بالقدح في النبوات والشرائع، وكنت في العقل الصحيح أشد قدحاً، فإنه ليس في / المعقول شيء أصح مما جاءت به الرسل عن الله، وقد تقدم تقرير هذا والمؤمنون يعرفونه جملة والراسخون في العلم يعرفونه تفصيلاً.

[١/٨٨/١]
ب

- (١) سبق، انظر: ص ٤٤٠.
(٢) قشر كل شيء غطاؤه خلقه أو عرضاً.
فالقشر هنا بمعنى الجلد.
لسان العرب ٥/٣٦٣٥، مادة «قشر».

الوجه التاسع والعشرون :

أقسام ما جاء به
الشرع عند المعطلة

إن دعوى المدعي أن كلام الله ورسوله لا يستفاد منه يقين ولا علم، إما أن يدعيه حيث لا يعارض العقل السمع بل يوافقه، أو حيث يعارضه في زعمه أو حيث لا يعارضه ولا يوافقه، فإن ما جاء به الشرع عند هؤلاء ثلاثة أقسام: أحدها: ما يخالف ظاهره صريح العقل.

والثاني: ما يوافق العقل.

والثالث: ما لا يحيله العقل ولا يقتضيه، فقول القائل:

إن كلام الله ورسوله لا يفيد اليقين يقال له: لا يفيد في شيء من هذه الأقسام الثلاثة عندك، أو في الأول منها خاصة، أو فيه وفي الثالث، فإن كان مراده النفي في جميع الأقسام، كان ذلك عناداً ظاهراً، والحاداً في كلام الله ورسوله، وإن كان مراده أنه لا يفيد فيما يخالف صريح العقل، وهو الذي يريده هؤلاء قيل له: هذا الفرض وإن اعتقدته واقعاً فهو محال، فلا يعارض السمع الصحيح الصريح إلا معقولاً فاسداً تنتهي مقدماته إلى المكابرة أو التقليد أو التلبس والإجمال، وقد تدبر^(١) أنصار الله ورسوله وسنته هذا فما وجدوا بحمد الله العقل الصريح يفارق النقل الصحيح أصلاً، بل هو خادمه وصاحبه والشاهد له، وما وجدوا العقل المعارض له إلا من أفسد العقول وأسخفها وأشدها منافاة لصريح العقل وصحيحه ولولا الإطالة لذكرنا ذلك

(١) في هامش ب: (العقل خادم النقل).

على التفصيل، وقد تقدمت الإشارة إلى السير منه، ويجب على المسلم الذي لله وكتابه وقار وعظمة في قلبه أن يعتقد هذا، وإن لم يظهر له تفصيله فإذا ظهر له تفصيله كان نوراً على نور، فإن الله سبحانه أقام الحجة على الخلق بكتابه ورسوله، فلا يمكن أن يكون فيهما ما يظهر منه خلاف الحق، ولا ما يخالف العقل، ولا يمكن أن يحيل الرسول الناس في الهدى والعلم وصفاته وأفعاله على ما يناقض كلامه من عقلياتهم، وهذا واضح والله الحمد.

الوجه الثالثون:

إن قول القائل: الأدلة اللفظية موقوفة على هذه المقدمات أتريد به أن كل دليل منها يقف على مجموع / الأمور العشرة؟ أم تريد به أن جنسها يقف على جنس هذه العشرة؟ فإن أردت الأول فهو مكابرة ظاهرة يردّها الواقع، فإن جمهور الناس يعلم مدلول الكلام من غير أن تخطر هذه العشرة أو شيء منها بباليه، وإن أردت الثاني فالأدلة العقلية تتوقف على ما به مقدمة أو أكثر بهذا الاعتبار فإنه [ما] (١) من مسألة عقلية ألا وهي متوقفة على مقدمات غير المقدمات التي يتوقف عليها مسألة أخرى فما يتوقف عليه دلالة الدليل لا ضابط له وإنما هو أمر نسبي إضافي.

الوجه الحادي والثلاثون:

إن حكمك بتوقف دلالة الدليل على معرفة الإعراب والتصريف خطأ ظاهر، فإن من عرف أن الله الأسماء الحسنی

بيان أن كل دليل لا يتوقف على هذه المقدمات العشرة إجمالاً

[١/٨٨/ب]

ب

بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على معرفة الإعراب والتصريف

(١) ليست في ب، وبها تستقيم العبارة.

كالرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن، وأن الاسم يدل على المسمى في لغة العرب لم يتوقف في العلم بدلالة هذه الأسماء على الرب سبحانه على معرفته بأن الاسم مشتق من السمو أو من السمة، والاختلاف بين البصريين والكوفيين في ذلك ومعرفة أرجح القولين. فإن جماهير أهل الأرض يعرفون أن الله اسم لذات الخالق، فاطر السموات والأرض ولا يعرفون تصريف الاسم واشتقاقه، وأما الإعراب فهؤلاء العامة يجزمون، ويتيقنون مراد مكلّمهم بكلامه، ولا يتوقف ذلك على معرفتهم بوجوه الإعراب.

فإن قلت: إنما كلامنا في كلام العرب الفصحاء الذين يتوقف فهم معاني كلامهم على الإعراب؟ قيل ما يتوقف عليه فهم كلامهم من الإعراب سجية وطبيعة لهم، وأما من بعدهم فقد نقل إلينا ذلك نقلاً متواتراً عنهم كما نقل إلينا معاني مفردات ألفاظهم.

الوجه الثاني والثلاثون:

بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على العلم بعدم التخصيص والإضمار

قولك: إن ذلك يتوقف على نفي التخصيص والإضمار فهذا لا يحتاج إليه في فهم معاني الألفاظ المفردة، فإنها تدل على مسماها دلالة سائر الألفاظ على معانيها، كدلالة الأعلام ولفظ العدد وأسماء الأزمنة والأمكنة والأجناس على موضوعاتها.

واحتمال كون اللفظ العام خاصاً كاحتمال كون اللفظ الذي له حقيقة مستعملاً في غير حقيقته، وهذا منفي بالأصل ولا يحتاج في فهم ما هو جار على أصله إلى أن يعلم

انتفاء الدليل الذي يخرج عن أصله، وإلا لم يفهم مدلول لفظ أبداً لجواز أن يكون خرج عن أصل موضوعه بنقل أو مجاز أو غير ذلك، ولوساغ ذلك لم يكن / أحد يحتاج بدليل شرعي لجواز أن يكون منسوخاً، وهو لا يعلم ناسخه، ولم يشهد أحد لأحد بملك، لجواز أن يكون خرج عن ملكه ببيع أو تبرع، ولم يشهد أحد لأحد بزوجة امرأة ولا رق عبد، لجواز أن يكون طلق وأعتق، وفتح باب التجوزات لا آخر له ولا ثقة معه البتة^(١).

وهذا الباب قد دخل منه على الإسلام مدخل عظيم وخطب جسيم، وأهل الباطل على اختلاف أصنافهم لا يزالون يتعلقون^(٢) به، ولا تزال تعمد كل طائفة منهم إلى آية من كتاب الله فيقودها إلى مذهبه الذي يدعو إليه ويدعي أن لها دلالة خاصة عليه، وكذلك يفعل في كثير من الأخبار التي يجرها إلى معتقده.

وليست المحنة التي عرضت في هذا الباب مقصورة على أهل الإسلام فقط، بل هي مشتركة بين جميع أهل الأديان والملل، ومن أعطى التأمل حقه وجد أكثر ما ادّعاه أهل التأويلات المستشعنة، وأهل الباطل من جهة إخراج الألفاظ عن حقائقها، وفتح أبواب الاحتمالات والتجوزات عليها، وتغليب الخصوص على العموم، وادعائهم أن الأغلب في ألفاظ العموم إنما هو الخصوص دون العموم، ذهاباً منهم في ذلك إلى أن البيان الشافي إنما هو في المعنى الخاص دون

(١) في هامش ب: (سد باب التجوزات).

(٢) ب: (يتعلقون). والصواب ما أثبت.

العام، وأنه المتيقن من اللفظ، فإن ظفر به وإلا قال: المراد خاص مجمل فتعطل دلالة اللفظ العام الكلي بهذه الطريق كما تعطل دلالة اللفظ على حقيقته باحتمال إرادة المجاز والاستعارة ودلالة أوامر الله ورسوله على وجوب الامتثال باحتمال إرادة الاستحباب ومطلق الرجحان ودلالة نواهيته على التحريم باحتمال دلالتها على مجرد الكراهة وترك الأولى ودلالة النص الصريح الذي لا يحتمل غير معناه باحتمال كونه منسوخاً فقد أعد لكل دليل قانوناً يدفع به دلالته، فإن كان خبر واحد قال يحتمل أن يكون راويه كذب أو أخطأ، فإن أعجزه القدح في راويه لشهرته بالصدق والعدالة، قال: لعله رواه بالمعنى الذي فهمه، وهو غير فقيه، فإذا عارضه القياس كان المصير إليه أولى كما قال هؤلاء: إذا عارض النص العقل كان المصير إليه أولى، فإن غلب وأمكنه ادعاء انعقاد الإجماع على خلافه عارضه بالإجماع، فإن غلب عن ذلك عارضه باحتمال النسخ، فإن غلب عارض / دلالته بالاحتمالات وأنواع التأويلات، فله ما لقيت النصوص من هذه الفرق وأرباب التأويلات والمتعصبين لمذاهبهم، وإلى منزلها الشكائية وبه المستعان وعليه التكلان.

[١/٨٩/ب]

ب

بيان أن دلالة الدليل

لا تتوقف على
احتمال الخصوص
والمجاز والنقل
والاشتراك

الوجه الثالث والثلاثون:

إن القدح في دلالة العام باحتمال الخصوص وفي الحقيقة باحتمال المجاز والنقل والاشتراك، وسائر ما ذكر يبطل حجج الله على خلقه بآياته ويبطل أوامره ونواهيته وفائدة أخباره ونحن نبين ذلك بحمد الله بياناً شافياً، ونقدم

قبل بيانه مقدمة بين يديه وهي ذكر الوجوه التي تنقسم إليها معاني ألفاظ القرآن، وهي عشرة أقسام^(١):

القسم الأول: تعريفه سبحانه نفسه لعباده بأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله، وأنه واحد لا شريك له وما يتبع ذلك.

القسم الثاني: ما استشهد به على ذلك من آيات قدرته وآثار حكمته فيما خلق وذرأ في العالم الأعلى والأسفل من أنواع بريته وأصناف خليقته محتجاً به على من أُلحد في أسمائه وتوحيده وعطله عن صفات كماله وعن أفعاله، وكذلك البراهين العقلية التي أقامها على ذلك والأمثال المضروبة والأقيسة العقلية التي تقدمت الإشارة إلى الشيء اليسير منها.

القسم الثالث: ما اشتمل عليه بدء الخلق، وإنشاؤه، ومادته، وابتداعه له، وسبق بعضه على بعض وعدد أيام التخليق وخلق آدم، وإسجاد الملائكة، وشأن إبليس وتمرده وعصيانه، وما يتبع ذلك.

القسم الرابع: ذكر المعاد والنشأة الأخرى وكيفيته وصورته وإحالة الخلق فيه من حال إلى حال وإعادة خلقهم خلقاً جديداً.

القسم الخامس: ذكر أحوالهم في معادهم وانقسامهم

(١) في هامش ب: (الوجوه التي تنقسم إليها معاني ألفاظ القرآن).

إلى شقي وسعيد، ومسرور بمنقلبه ومثبور به، وما يتبع ذلك.

القسم السادس: ذكر القرون الماضية والأمم الخالية، وما جرى عليهم، وذكر أحوالهم مع أنبيائهم، وما نزل بأهل العناد والتكذيب منهم من المثلات، وما حل بهم من العقوبات، ليكون ما جرت عليه أحوال الماضين عبرة للمعاندن فيحذروا سلوك سبيلهم في التكذيب والعصيان.

القسم السابع: الأمثال التي ضربها لهم والمواعظ التي وعظهم بها، ينبههم بها على قدر الدنيا وقصر مدتها وآفاقها ليزهدوا فيها ويتركوا الإخلاق إليها ويرغبوا فيما أعد لهم في الآخرة من نعيمها المقيم وخيرها الدائم.

القسم الثامن: ما تضمنه من الأمر والنهي والتحليل والتحرير / وبيان ما فيه طاعته ومعصيته، وما يجبه من الأعمال والأقوال والأخلاق وما يكرهه ويبغضه منها وما يقرب إليه ويدني من ثوابه، وما يبعد منه ويدني من عقابه، وقسم هذا القسم إلى فروض فرضها وحدود حدها وزواجر زجر عنها وأخلاق وشيم رغب فيها.

القسم التاسع: ما عرفهم إياه من شأن عدوهم ومداخله عليهم ومكايده لهم وما يريد بهم وعرفهم إياه من طريق التحصن منه والاحتراز من بلوغ كيده منهم وما يتداركون به ما أصيبوا به في معركة الحرب بينهم وبينه، وما يتبع ذلك.

[أ/٩٠/١]

ب

القسم العاشر: ما يختص بالسفير بينه وبين عباده عن أوامره ونواهيه وما اختصه به من الإباحة والتحریم وذكر حقوقه على أمته وما يتعلق بذلك. فهذه عشرة أقسام عليها مدار القرآن، وإذا تأملت الألفاظ المتضمنة لها وجدت ثلاث أنواع.

أحدها: ألفاظ في غاية العموم فدعوى التخصيص فيها يبطل مقصودها وفائدة الخطاب بها.

الثاني: ألفاظ في غاية الخصوص فدعوى العموم فيها لا سبيل إليه.

الثالث: ألفاظ متوسطة بين العموم والخصوص، فالنوع الأول كقوله:

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

و ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

و ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ([الأنعام: ١٠٢].

وقوله:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

و ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

و ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

[النساء: ١].

وأمثال ذلك، والنوع الثاني كقوله:

﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله:

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقوله:

﴿ وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

والنوع الثالث كقوله:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾ [الحج: ٣٩].

وقوله:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة: ١٠٤].

و ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

و ﴿ يَنْعَبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الزمر: ٥٣].

ونحو ذلك مما يخص طائفة من الناس دون طائفة، وهذا النوع، وإن كان متوسطاً بين الأول والثاني، فهو عام فيما قصد به ودل عليه.

وغالب هذا النوع أو جميعه قد علقنا الأحكام فيه بالصفات المقتضية لتلك الأحكام، فصار عمومها لما تحته من جهتين: من جهة اللفظ والمعنى فتخصيصه ببعض نوعه إبطال لما قصد به وإبطال دلالاته، إذ الوقف فيها لاحتمال

إرادة الخصوص به أشد إبطاها وعوداً على مقصود المتكلم به بالإبطال فادعى قوم من أهل التأويل / في كثير من عمومات هذا النوع التخصيص وذلك في باب الوعد والوعيد وفي باب القضاء والقدر، أما باب الوعيد فإنه لما احتج عليهم الوعيدية بقوله:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾

[النساء: ٩٣].

وبقوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠].

وأمثال ذلك لجأوا إلى دعوى الخصوص، وقالوا: هذا في طائفة معينة ولجأوا إلى هذا القانون وقالوا: الدليل اللفظي العام مبني على مقدمات منها عدم التخصيص! وانتفأه غير معلوم، وأما باب القدر، فإن أهل الإثبات لما احتجوا على القدرية بقوله:

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

وقوله:

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

ونحوه ادعوا تخصيصه، وأكثر طوائف أهل الباطل ادعاءً لتخصيص العمومات هم الرافضة^(١)، فقل أن تجد في

القرآن والسنة لفظاً عاماً في الثناء على الصحابة إلا قالوا: هذا في علي وأهل البيت، وهكذا تجد كل أصحاب مذهب من المذاهب إذا ورد عليهم عام يخالف مذهبهم ادعوا تخصيصه، وقالوا: أكثر عمومات القرآن مخصوصة، وليس ذلك بصحيح بل أكثرها محفوظة باقية على عمومها.

فعليك بحفظ العموم^(١) فإنه يخلصك من أقوال كثيرة باطلة وقد وقع فيها مدعو الخصوص بغير برهان من الله وأخطأوا من جهة اللفظ والمعنى، أما من جهة اللفظ فلأنك تجد النصوص التي اشتملت على وعيد أهل الكباثر مثلاً في جميع آيات القرآن خارجة بألفاظها مخرج العموم المؤكد المقصود عمومه كقوله:

﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾

[الفرقان: ١٩].

وقوله:

﴿وَمَنْ يُؤْلِمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُمْ أَلَامَةٌ فَالْقِنَالِ﴾

[الأنفال: ١٦].

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ﴾

[النساء: ٩٣].

و﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

(١) في هامش ب: (عليك بحفظ العموم).

(٢) كذا في الأصل والآية: فمن.

وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية «جامعة فاذة»^(١)، أي عامة فذة في بابها، وقوله:

﴿إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَنْ يَأْتِهِ مُمُؤْنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾
[طه: ٧٤، ٧٥].

وقوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَىٰ﴾ [النساء: ١٠].

وقوله:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

وأضعاف أضعاف ذلك من عمومات القرآن المقصود عمومها التي إذا أبطل عمومها بطل مقصود عامة القرآن، ولهذا قال شمس الأئمة السرخسي^(٢): «إنكار العموم بدعة حدثت في الإسلام بعد القرون الثلاثة» /

[أ/٩١/١]
ب

وأما خطوهم من جهة المعنى، فلأن الله سبحانه إنما

(١) انظر: مارواه البخاري (فتح الباري ٧٢٦/٨)، من طريق أبي هريرة، في كتاب التفسير سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾، باب ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، ح ٤٩٦٢.

وانظر مارواه مسلم ٢/٦٨٠/٦٨٢، في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، ح ٢٤.
(٢) هو محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر شمس الأئمة، قاض حنفي مجتهد من أهل «سرخس» في خراسان، من أشهر كتبه «المبسوط» في الفقه، و«شرح الجامع الكبير للإمام محمد» و«شرح السير الكبير» للإمام محمد وغيرها. توفي في «فرغانة» سنة ٤٨٣.
الفوائد البهية، ص ١٥٨؛ الجواهر المضية ٢/٢٨، ٢٩؛ الأعلام ٥/٣١٥.

علق الثواب والعقاب على الأفعال المقتضية له اقتضاء السبب
لمسببه، وجعلها عللاً لأحكامها، والاشتراك في الموجب
يقتضي الاشتراك في موجبه، والعلة إذا تخلف عنها معلولها
من غير انتفاء شرط أو وجود مانع فسدت، بل يستحيل
تخلف المعلول عن علته التامة وإلا لم تكن تامة، ولكن غلط
ها هنا طائفتان من أهل التأويل الوعيدية، حيث حجرت
على الرب تعالى بعقولها الفاسدة أن يترك حقه ويعفو عن من
يشاء من أهل التوحيد وأوجبوا عليه أن يعذب العصاة
ولا بد، وقالوا: إن العفو عنهم وترك تعذيبهم إخلال
بحكمته وطعن في خبره، وقابلتهم الطائفة الأخرى فقالوا:
لا نجزم بثبوت الوعيد لأحد فيجوز أن يعذب الله الجميع
وأن يعفو عن الجميع، وأن ينفذ الوعيد في شخص واحد
يكون هو المراد من ذلك اللفظ، ولا نعلم هل هذه الألفاظ
للعوم أو للخصوص، وهذا غلو في التعطيل، والأول غلو
في التقييد، والصواب غير المذهبين، وأن هذه الأفعال سبب
لما علق عليها من الوعيد، والسبب قد يتخلف عن مسببه
لفوات شرط أو وجود مانع، والموانع متعددة منها ما هو متفق
عليه بين الأمة كالتوبة النصوح، ومنها الحسنات الماحية،
والمصائب المكفرة، وما يلحق العبد بعد موته من ثواب
تسبب إلى تحصيل أو دعاء أو استغفار له، أو صدقة عنه،
ومنها شفاعة بإذن الله فيها لمن أراد أن يشفع فيه، ومنها رحمة
تدركه من أرحم الراحمين يترك بها حقه قبله ويعفو عنه،
وهذا لا يخرج العموم عن مقتضاه وعمومه، ولا يجبر على
الرب تعالى حجر الوعيدية والقدرية وللدرد على الطائفتين

موضع غير هذا، والمقصود أن الأقسام الثلاثة التي تضمنها القرآن وهي الأعم والعام والأخص^(١) كل منها يفيد العلم بمدلوله ولا يتوقف فهم المراد منه على العلم بانتفاء المخصص والإضمار والحذف والمجاز، فإن ذلك يبطل أحكام تلك الأقسام العشرة، التي اشتمل عليها القرآن، وتحول بين الإنسان وبين فائدتها مع كونها أهم الأمور، والعناية الإلهية بها أشد، وبيانها واقع موقع الضرورة، فلوضح قول القائل: إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين لم يحصل لنا / اليقين من القرآن في شيء من تلك الأقسام العشرة البتة، وهذا من أبطل الباطل وأبين الكذب.

[ب/٩١/١]
ب

(١) فمثال الأعم قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومثال العام قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤].

وقوله:

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ومثال الأخص:

﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وكقوله:

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

انظر صفحة ٦٨٦، ٦٨٧ من هذا الكتاب.

الوجه الرابع والثلاثون :

بيان أن كثيراً من
المفسرين رد ألفاظ
القرآن من العموم
إلى الخصوص كما
عند كثير من
المؤولة.

إنك تجد عند كثير من المعروفين بالتفسير من رد كثير من
ألفاظ القرآن عن العموم إلى الخصوص نظير ما تجده من
ذلك عند أرباب التأويلات المستنكرة، ومتى تأملت الحال
فيما سوغوه من ذلك وجدتها عائدة من الضرر على الدين
بأعظم مما عاد من ضرر كثير من التأويلات، وذلك لأنهم
بالقصد إلى ذلك فتحوا لأرباب التأويلات الباطلة السبيل إلى
التهافت فيها فعظمت بذلك الجناية من هؤلاء وهؤلاء على
الدين وأهله.

وتجد الأسباب الداعية للطائفتين قصد الإغراب على
الناس في وجوه التفسير والتأويل وادعائهم أن عندهم منها
نوادير لا توجد عند عامة الناس لعلمهم أن الأمر الظاهر
المعلوم يشترك الناس في معرفته فلا مزية فيه، والشيء النادر
المستظرف يحل محل الإعجاب، وتتحرك الهمم لسماعه
واستفادته لما جبل الناس عليه من إيثار المستظرفات
والغرائب، وهذا من أكثر أسباب الأكاذيب في المنقولات
والتحريف لمعانيها ونحلتها^(١) معاني غريبة غير مألوفة
وإلا فلواقتصروا على ما يعرف من الآثار وعلى ما يفهمه

(١) النحل: بالضم إعطاؤك الإنسان شيئاً بلا استعاضة وقيل هو الشيء المعطى، ونحل
المرأة: مهرها، والاسم النحلة تقول أعطيتها مهرها نحلة بالكسر إذا لم ترد منها
عوضاً، وفي القرآن: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]. والمعنى: أنهم
أعطوا هذه الألفاظ معاني غريبة.
اللسان ٤٣٦٩/٦، مادة نحل.

العامّة من معانيها لسلم علم القرآن والسنة من التأويلات الباطلة والتحريفات، وهذا أمر موجود في غيرهم كما تجد المتعنتين بوجوه القرآن^(١) يأتون من القراءات البديعة المستشعنة في ألفاظها ومعانيها الخارجة عن قراءة العامّة وما ألفوه، ما يغربون به على العامّة، وأنهم قد أوتوا من علم القرآن ما لم يؤتته سواهم، وكذلك أصحاب الإعراب يذكرون من الوجوه المستكرهة البعيدة المتعقدة ما يغربون به على الناس، وكذلك كثير من المفسرين يأتون بالعجائب التي تنفر عنها النفوس ويأبأها القرآن أشد الإباء، كقول بعضهم: «طه» لفظة نبطية معناها يا رجل ويا إنسان، وقال بعضهم هي من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم مع «يس» وعدوا في أسمائه «طه ويس»، وقال بعضهم في نون والقلم إنها الدواة كأنه لما رأى هذا الحرف قد اقترن بالقلم جعله الدواة وقال بعضهم في صاد: إنها فعل ماض^(٢) مثل رام وقاض، وكما قال بعضهم في قوله:

[أ/٩٢/١]
ب

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾^(٣) [الفرقان: ٨].

هو الذي له سحر أي رثة افتري أراد بقوله لموسى:

﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

هذا المعنى، وأراد الكفار بقولهم:

(١) في هامش: (بعض التفسير الغير مرضية).

(٢) ب: (أمر)، والصواب ما أثبت.

(٣) مسحوراً ليست في ب وهي بيت القصيد.

﴿ إِنَّمَا سَكِرْتُمْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ [الحجر: ١٥].

هذا المعنى، وكما قال آخرون في قوله:

﴿ مِنْ كَاتٍ يُظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

[الحج: ١٥].

أن المعنى يرزقه، واستشهدوا بقولهم أرض منصوره أي
مطمورة، ولوتأمل هذا القائل سياق الآية وآخرها لعلم أن
تفسير النصر بالرزق يزيل معنى الآيات عن وجهه الذي
قصد به، وقال آخرون في قوله:

﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا ﴾ [يونس: ٩٢].

أي بدرعك ونجيك نلقيك على نجوة من الأرض،
وقال آخرون في قوله:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

إن المراد به ضع يدك على نحرك، وتكيس غيره وقال
المعنى: استقبل القبلة بنحرك فهضموا معنى هذه الآية التي
جمعت بين العبادتين العظيمتين الصلاة والنسك، وقال
آخرون في قوله:

﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاتِهِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

أنهم الزراع وهل أطلق سبحانه الكفار في موضع واحد
على غير الكافرين به، وكما قيل في قوله:

﴿ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور: ٣٥].

إن المشكاة هذا الموضع الذي يشكو المتعبد فيه إلى الله .
وأضعاف أضعاف ذلك من التفاسير المستنكرة المستكرهة
التي قصد بها الإغراب والإتيان بخلاف ما يتعارفه الناس
«كحقائق السلمي»^(١) وغيره مما لوتتبع وبين بطلانه لجاء
عدة أسفار كبار. ولولا قصد الإغراب والإتيان بما لم يسبق
إليه غيره لما أقدم على ذلك. كما قال بعض الرافضة^(٢): في
قوله:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩].

هما علي وفاطمة:

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ٢٠].

هو النبي صلى الله عليه وسلم:

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ ﴾ [الرحمن : ٢٢].

هما الحسن والحسين.

وجناية هؤلاء على القرآن جناية عظيمة. وبسبب

(١) السلمي: هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري أبو عبد الرحمن، ولد سنة ٣٢٥ بنيسابور، من علماء المتصوفة من كتبه «حقائق التفسير»، وفيه تحريف كثير على طريقة أهل التصوف، وتوجد نسخة منها في المحمودية بالمدينة (٥٢ تفسير).

ومنها: طبقات الصوفية و«الفرق بين الشريعة والحقيقة»، وغيرها.

قال محمد بن يوسف القطان كان يضع الأحاديث للصوفية، توفي سنة ٤١٢.

ميزان الاعتدال ٥٢٣/٣؛ الأعلام ٩٩/٦.

(٢) سبق التعريف بهم، انظر: ص ٢١٦.

ما اعتمده قال القائل: كلام الله لا يستفاد منه يقين؛ لاحتمال اللفظة منه عدة وجوه وقد فسرت بذلك كله، ولو شرح كتاب من كتب العلوم هذا الشرح لأفسده الشارح على صاحبه، ومسوخ مقاصده، وأزالتها عن مواضعها والمقصود أن حمل عمومات القرآن على الخصوص تعطيل لدلالاتها، وإخراج لها عما قصد بها، وهضم لمعناها وإزالة لفائدها كقول بعضهم في قوله تعالى:

[١/٩٢/ب]

ب

﴿ إِنهَآ وَآلِئِكُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهَمَّ رَكْعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

إن المراد به علي بن أبي طالب. وهذا كذب قطعاً على الله أنه أراد علياً وحده.

بهذا اللفظ العام الشامل لكل من اتصف بهذه الصفة وقول هذا القائل أو غيره في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[الزمر: ٣٣، ٣٤].

أنه علي بن أبي طالب.

وفي قوله:

﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

إنه علي بن أبي طالب.

وقول الآخر في قوله :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ عمر بن الخطاب
﴿ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ ﴾ أبو بكر، ﴿ تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا ﴾ عثمان
﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [الفتح : ٢٩] علي .

وقول الآخر في قوله :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

هم الخبز .

وفي قوله :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .
إنها أرض فلسطين والأردن .

وفي قوله :

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٠] .
هو «أما بعد» فهضموا هذا المعنى العظيم لإعطائه الحق
في أتم بيان .
وفي قوله :

﴿ حُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

المراد به المشط . ومن هذا يضع الرافضة^(١) المشط بين
أيديهم في الصلاة .

(١) سبق التعريف بهم، ص ٢١٦ .

فصل

وقد يقع في كلام السلف تفسير اللفظ العام بصورة خاصة على وجه التمثيل لا على تفسير معنى اللفظة في اللغة بذلك، فيغير به المعنى، فيجعله معنى اللفظة في اللغة، كما قال بعضهم. في قوله:

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١) [التكاثر: ٨].

إنه الماء البارد في الصيف، فلم يرد به أن النعيم المسؤل عنه هو هذا وحده.

وكما قيل في قوله:

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧].

إنه القدر والفأس والقصعة فالماعون اسم جامع لجميع ما ينتفع به فذكر بعض السلف هذا للسائل تمثيلاً وتنبهاً بالأدنى على الأعلى. فإذا كان الويل لمن منع هذا فكيف بمن منع ما الحاجة إليه أعظم، وإذا كان العبد يسأل عن شكر الماء البارد فكيف بما هو أعظم نعيماً منه.

وفي قوله:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

هم الغداء والعشاء.

وفي قوله:

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١].

(١) ب: (من)، وهو خطأ.

أنها المرأة الموافقة. فهذا كله من التمثيل للمعنى لعام ببعض^(١) / أنواعه. فإن أراد القائل أن الأدلة اللفظية موقوفة على عدم التخصيص، أنها موقوفة على عدم قصرها على هذا وأشباهه، فنعم هي غير مقصورة عليه ولا مختصة به، ولا يقال لفهم هذه الأنواع منها تخصيصاً.

ونظير هذا ما يذكره كثير من المفسرين في آيات عامة أنها في قوم مخصوصين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وهذا تقصير ظاهر منهم وهضم لتلك العمومات المقصود عمومها، وكأن الغلط في ذلك إنما عرض من جهة أن أقواماً في عصر الرسول صلوات الله وسلامه عليه قالوا أقوالاً وفعلوا أفعالاً في الخير والشر، فنزلت بسبب الفريقين آيات حمد الله فيها المحسنين، وأثنى عليهم، ووعدهم جزيل ثوابه، وذم المسيئين، ووعدهم وبيل عقابه. فعمد كثير من المفسرين إلى تلك العمومات فنسبوها إلى أولئك الأشخاص وقالوا: إنهم المعنيون بها.

وكذلك الحال في أحكام وقعت في القرآن كان بدو افتراضها أفعالاً ظهرت من أقوام، فأنزل الله بسببها أحكاماً صارت شرائع عامة إلى يوم القيامة، فلم يكن من الصواب إضافتها إليهم، وأنهم هم المرادون بها إلا على وجه ذكر سبب النزول فقط، وأن تناولها لهم ولغيرهم تناول واحد، فمن التقصير القبيح أن يقال في قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

(١) (بعض): مكرر في ب، لكونها جاءت في آخر الصفحة.

إن المراد بالناس أهل مكة فيأتي إلى لفظٍ مِنْ أشمل ألفاظ العموم، أريد به الناس كلهم عربهم وعجمهم، قرناً بعد قرن إلى أن يطوي الله الدنيا فيقول: المراد به أهل مكة، نعم هم أسبق وأول من أريد به إذ كانوا هم المواجهين بالخطاب أولاً، وهذا كثير في كلامهم، كقولهم: المراد بقوله كذا وكذا أبو جهل^(١) أو أبي بن خلف^(٢) أو الوليد بن المغيرة^(٣)، أو عبدالله بن أبي^(٤).

(١) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم «كان يقال له «أبا الحكم» فسماه المسلمون «أبا جهل» قتل في معركة بدر سنة ٢.

الأعلام ٨٧/٥.

(٢) هو أبي بن خلف بن حذافة بن جح من مشركي قريش، ومن أكثر الناس عداوة وحقداً على الإسلام والمسلمين.

طعنه النبي صلى الله عليه وسلم بالحرية يوم أحد فمات من أثرها عند رجوعه إلى مكة سنة ٣.

سيرة ابن هشام ٢٣/٣.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس من قضاة العرب في الجاهلية ولد سنة (٩٥ ق. هـ). من زنادقة قريش وزعمائها هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ودفن بالحجون، وهو والد خالد بن الوليد سيف الله المسلول.

الأعلام ١٢٢/٨.

(٤) هو عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب المشهور بابن سلول، وسلول جده لأبيه من خزاعة رأس المنافقين في الإسلام، وكان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم توفي سنة ٩.

الأعلام ٦٥/٤.

خلاصة تهذيب الكمال، ص ٢٠٠. الإصابة ٣١٢/٢، ٣١٣. تجريد أسماء الصحابة ٣١٥/١. الأعلام ٩٠/٤.

أو عبدالله بن سلام^(١) من سادة المؤمنين كما يقولون في كل موضع ذكر فيه: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾.

إنه عبدالله بن سلام^(٢)، وهذا باطل قطعاً؛ فإن هذا مذكور في سورة مكية كسورة الرعد حيث لم يكن عبدالله بن سلام قد أسلم، ولا كان هناك.

وكذلك يقولون في قوله:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ^ط﴾ [المنافقون: ٤].

إن المراد به عبدالله بن أبي^(٣) وكان من أحسن / الناس جسماً، والصواب أن اللفظ عام في من اتصف بهذه الصفات وهي صحة الجسم وتمامه، وحسن الكلام وخلوه من روح الإيمان ومحبة الهدى وإيثاره كخلو الخشب المقطوعة التي قد تساند بعضها إلى بعض من روح الحياة التي يعطيها النمو أو الزيادة والثمرة، واتصافهم بالجن والخور الذي يحسب صاحبه أن كل صيحة عليه، فمن

[١/٩٤/١]

ب

(١) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف صحابي جليل، أسلم عند قدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة وكان اسمه الحصين، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «عبدالله» وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية اتخذ سيفاً من خشب واعتزلها توفي بالمدينة سنة ٤٣. خلاصة تهذيب الكمال، ص ٢٠٠؛ تجريد أسماء الصحابة ٣١٥/١؛ الإصابة ٣١٢/٢، ٣١٣؛ الأعلام ٩٠/٤.

(٢) في هامش ب: (ليس المراد من عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام).

(٣) سبق، انظر ص ٧٠١.

التقصير الزائد أن يقال: إن المراد بهذا اللفظ هو عبد الله بن أبي .

ومن هذا قولهم في قوله - تعالى -:

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾

[الدخان: ٤٣ ، ٤٤].

إنه أبو جهل ابن هشام^(١)، وكذلك قوله:

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١ ، ٣٢].

إنه أبو جهل، وكذلك في قوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ...﴾ إلى

[المطففين: ٢٩].

آخرها

وكذلك قوله:

﴿وَلَا تَطْعَمُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ...﴾ إلى

[القلم: ١٠ ، ١١].

آخرها

إنه الوليد بن المغيرة^(٢).

وكذلك قوله:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴿٦﴾﴾

[لقمان: ٦].

(١) سبق، ص ٧٠١.

(٢) سبق انظر ص ٧٠١.

إنه النضر بن الحارث^(١). وفي قوله:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

إنها في أناس معينين وأضعاف ذلك مما إذا طرق سمع كثير من الناس ظن أن هذا شيء أريد به هؤلاء ومضى حكمه وبقي لفظه وتلاوته حتى قال بعض من قدم العقل على النقل، وقد احتج عليه بشيء من القرآن «دعني من كلام قيل في أناس مضوا وانقرضوا».

ومن تأمل خطاب القرآن وألفاظه وجلالة المتكلم به وعظمة ملكه وما أراد به من الهداية العامة لجميع الأمم قرناً بعد قرن إلى آخر الدهر وأنه جعله إنذاراً لكل من بلغه من المكلفين لم يخف عليه أن خطابه العام إنما جعل بإزاء أفعال حسنة محمودة، وأخرى قبيحة مذمومة، وأنه ليس منها فعل إلا والشركة فيه موجودة أو ممكنة، وإذا كانت الأفعال مشتركة كان الوعد والوعيد المعلق بها مشتركاً ألا ترى أن الأفعال التي حكيت عن أبي جهل بن هشام^(٢) والوليد بن

(١) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبدمناف من بني عبدالدار من قريش صاحب لواء المشركين يوم بدر وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم أسره المسلمون في بدر وقتلوه «بالأثيل» قرب المدينة سنة ٢.

الأعلام ٣٣/٨؛ البيان والتبيين ٤٣/٤، ٤٤.

(٢) سبق، انظر ص ٧٠١.

المغيرة^(١) والعاص بن وائل^(٢) وأضرابهم وعن عبدالله بن أبي^(٣) وأضرابه كان لهم فيها شركاء كثيرون حكمهم فيها حكمهم .

ولهذا عدل الله سبحانه عن ذكرهم بأسمائهم وأعيانهم إلى ذكر أوصافهم وأفعالهم وأقوالهم، لئلا يتوهم متوهم اختصاص الوعيد بهم وقصره عليهم، وأنه لا يجاوزهم، فعلق سبحانه الوعيد وقصره / عليهم، وأنه لا يجاوزهم فعلق سبحانه الوعيد على الموصوفين بتلك الصفات دون أسماء من قامت به إرادة لتعميم الحكم وتناوله لهم، ولأمثالهم ممن هو على مثل حالهم .

[أ/٩٤/١]
ب

وهكذا الحكم فيمن أثنى عليه ومدحه بما صدر منه من قول أو فعل عدل سبحانه عن ذكره باسمه وعينه إلى ذكره بوصفه وفعله ليتناول المدح لمن شركه في ذلك من سائر الناس، فإذا حمل السامع قوله :

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

[الزمر: ٣٣].

(١) سبق، انظر ص ٧٠١ .

(٢) هو العاص بن وائل بن هاشم السهمي من قريش، أحد الحكام في الجاهلية وكان نديماً لهشام بن المغيرة وأدرك الإسلام، وهو من زنادقة قريش، مات بالأبواء نحو سنة ٣ (ق. هـ) . وهو والد الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه .

الأعلام ٢٤٧/٣ .

(٣) انظر: ص ٧٠١ .

وقوله :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾

[الحديد : ١٩].

ونظائرهما على أبي بكر الصديق أو علي بن أبي طالب فقد ظلم اللفظ والمعنى، وقصر به غاية التقصير. وإن كان الصديق أول وأولى من دخل في هذا اللفظ العام، وأريد به. ونظير ذلك ما ذكره بعضهم في قوله :

﴿إِنَّ الْأَبْتَرِ أَرِيشَرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَتْ مِرَاجُهَا كَأْفُورًا﴾ إلى قوله ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان : ٥ - ٨].

أن المراد بذلك علي بن أبي طالب فجمع إلى حمل هذا اللفظ العام المجاهرة بالكذب والبهت في دعواه نزولها في علي فإن السورة مكية، وعلي كان بمكة فقيراً قد رباه النبي صلى الله عليه وسلم في حجره، فإن أبا طالب لما مات اقتسم بنو عبد المطلب أولاده، لأنه لم يكن له مال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ورباه عنده، وضمه إلى عياله فكان فيهم.

ومن تأمل هذه السورة علم يقيناً أنه لا يجوز أن يكون المراد بألفاظها العامة إنساناً واحداً فإنها سورة عجيبة التبيان افتتحت بذكر خلق الإنسان ومبدئه وجميع أحواله من بدايته إلى نهايته، وذكره أقسام الخلق في أعمالهم واعتقاداتهم ومنازلهم من السعادة والشقاوة فتخصيص العام فيها

بشخص واحد ظلم، وهضم ظاهر للفظها ومعناها، وشبيه
بهذا ما ذكره بعضهم في قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

أنها نزلت في أبي بكر الصديق وابنه عبدالرحمن.

ونظيره ما تقدم^(١) من تفسير قوله:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

إلى آخر الآية وقسمة جملها بين العشرة من الصحابة
ومن تأمل ذلك علم أن هذا تفسير مختل، محل
بمقصود / الآية، معدول به عن سنن الصواب، وهذا باب
يطول تتبعه جداً ولو أن الذين ارتكبوا ما ذكرنا من التفاسير
المستكرهة المستغربة، وحملوا العموم على الخصوص، وأزالوا
لفظ الآية عن موضوعه علموا ما في ذلك من تصغير شأن
القرآن، وهضم معانيه من النفوس، وتعريضه لجهل كثير من
الناس بما عظم الله قدره، وأعلى خطره، لأقلوا مما استكثروا
منه ولزهدوا فيما أظهروا الرغبة فيه، وكان ذلك من فعلهم
أحسن وأجمل وأولى بأن يوفى معه القرآن بعض حقه، من
الإجلال والتعظيم والتفخيم، ولولم يكن في حمل تفسير
القرآن على الخصوص دون العموم إلا ما يتصوره التالي له في
نفسه، من أن تلك الآيات إنما قصد بها أقوام من الماضين

[١/٩٤/ب]

ب

(١) انظر: ص ٦٩٨.

دون الغابرين^{(١)(٢)}، فيكون نفعه وعائدته على البعض دون البعض لكان في ذلك ما يوجب النفرة عن ذلك، والرغبة عنه، وبحكمة بالغة عدل الرب تعالى عن تسمية من ذكر هؤلاء أنه مراد باللفظ إلى ذكر الأوصاف والأفعال التي يأخذ كل أحد منها حظه، ولو سمي سبحانه أصحابها بأسمائهم لقال القائل لست منهم. يوضح ذلك:

بيان فوائد العموم

الوجه الخامس والثلاثون:

إن ألفاظ القرآن التي وقعت في باب الحمد والذم وقعت بما فيها من الفخامة والجلالة عامة، وكان عمومها من تفخيمها وجلالة قدرها وعظمة شأنها، وذلك أن من شأن من يقصد تفخيم كلامه، من عظماء الناس، أن يستعمل فيه أمرين: أحدهما: العدول بكلامه عن الخصوص إلى العموم، إلى حيث تدعو الحاجة إلى ذكر الخصوص، لأمر لا بد منه، ليكون خطابه كلياً شاملاً يدخل تحته الخلق الكثير، وكلما كان الداخلون تحت خطابه أعم وأكثر كان ذلك أفخم لكلامه وأعظم لشأنه فأين العظمة والجلالة في قوله:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

(١) في هامش ب: (الغابر: هو المستقبل).

(٢) الغابر: من الأضداد فيطلق على الماضي وعلى المستقبل. قال الأزهري والمعروف الكثير

أن الغابر الباقي.

لسان العرب ٣٢٠٥/٥، مادة (غبر).

إلى العظمة في قوله: — يا أهل مكة اعبدوا ربكم —
 فمن فخامة الكلام وجلالة المتكلم به أن يدخل في اللفظة
 الواحدة جميع ما يصلح له، فيدل باللفظ القصير على المعاني
 الكثيرة العظيمة، فتجمع العموم والإيجاز^(١) والاختصار
 والبيان وحسن الدلالة، فتأتي بالمعنى طبق اللفظ لا يقصر
 عنه، ولا يوهم غيره، ومن علم هذا، وتدبر القرآن وصرف
 إليه فكره علم أنه لم يقرع الأسماع قط كلام أوجز ولا أفصح
 ولا أشد مطابقة بين معانيه / وألفاظه منه .

[١/٩٥/١]

ب

وليس يوجد في الكتب المنزلة من عند الله كتاب جمعت
 ألفاظه من الإيجاز والاختصار والإحاطة بالمعاني الجليلة
 والجزالة والعدوية وحسن الموقع من الأسماع والقلوب
 ما تضمنته ألفاظ القرآن، وقد شهد له بذلك أعداؤه، وسمع
 بعض الأعراب قارئاً يقرأ:

﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤].

فسجد، فقيل له: ليست بآية سجود، فقال: سجدت
 لفصاحة هذا الكلام.

فإذا تأملت طريقته وجدتها طريقة مخاطبة ملك الناس
 كلهم لعبيده، ومماليكه، وهذا أحد الدلائل الدالة على أنه
 كلامه الذي تكلم به حقيقة لا كلام غيره من المخلوقين،
 وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع
 الكلام، وبين كلامه وكلام الله ما لا يحصره نسبة، فكيف

(١) ب: (الإيجاز)، ولعل الصواب والإيجاز.

يجوز في الأوهام والعقول أن تحمل جوامع كلمات الرب تعالى على ما يناقض عمومها، ويحطها من مرتبة عظمة العموم ومحاسنه^(١) وجلالة شأنه إلى حضيض الخصوص، بل الواجب أن يقال: إن خطاب الله عز وجل في كل ما أمر به ونهى عنه وحمد أو ذم عليه ووعد عليه بثوابه وعقابه، خرج في ذلك كله مخرجاً عاماً كلياً، بحسب ما تقتضيه جلالة الربوبية، ومرتبة الملك والسلطان العام لجميع الخلق.

ولو ترك المتأولون ألفاظه تجري على دلائلها الكلية، وأحكامها العامة، وظواهرها المفهومة منها، وحقائقها الموضوعية لها، لأفادتهم اليقين وجزموا بمراد المتكلم بها ولانحسنت بذلك مواد أكثر التأويلات الباطلة والتحريفات التي تابها العقول السليمة، ولما تهيأ لكل مبطل أن يعتمد إلى آيات من القرآن فينزلها على مذهبه الباطل، ويتأولها عليه، ويجعلها شاهدة له، وهي في التحقيق شاهدة عليه، ولسلم القرآن والحديث من الآفات التي جناها عليهما المتأولون، وألصقها بهما المحرفون، والله المستعان فهذا ما يتعلق بقوله: إن الأدلة النقلية موقوفة على العلم بعدم التخصيص بالأزمة والأمكنة والأشخاص.

بيان أن دلالة الدليل الوجه السادس والثلاثون:

لا تتوقف على عدم الإضمار
 قوله وعدم الإضمار، يقال: الإضمار على ثلاثة أنواع:
 * النوع الأول *
 *نوع يعلم انتفاؤه قطعاً وأن إرادته باطلة، وهو حال

(١) ب: (ومحاثة)، ولعل الصواب ما أثبت.

أكثر الكلام فإنه لو سُلط عليه الإِضمار فسَد التِخاطب، وبطلت العقود والأقارير والطلاق والعتاق والوصايا والوقوف والشهادات، ولم يفهم أحد مراد أحد إذ يمكنه أن يضمِر كلمة تغيّر / المعنى، ولا يدل المخاطب عليها.

وباب الإِضمار لا ضابط له فكل من أراد إبطال كلام متكلم ادعى فيه إضماراً يخرجُه عن ظاهره، فيدعي ملحد الإِضمار في قوله:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

أي وكلم ملك الله موسى . ويدعي في قوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

إضمار ملك الرحمن . كما ادعى بعضهم الإِضمار في قوله: «ينزل ربنا»^(١) أي ملك ربنا، وفي قوله:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

أي ملك ربك، ولو علم هذا القائل أنه قد نهج^(٢) الطريق، وفتح الباب لكل ملحد على وجه الأرض وزنديق وصاحب بدعة يدعي فيها يحتج به لمذهبه عليه إضمار كلمة أو كلمتين نظير ما ادعاه غيره لاختار أن يخرس لسانه،

(١) سبق تحقيقه، انظر: ص ٣٨٧.

(٢) النهج: الطريق البين الواضح المستقيم.

والمعنى بين الطريق ووضحه.

لسان ٤/٦، ٤٥٥٤، مادة نهج.

ولا يفتح هذا الباب على نصوص الوحي، فإنه مدخل لكل ملحد ومبتدع ومبطل لحجج الله من كتابه، ومن رأى ما أضمرة المتأولون من الرافضة^(١) والجهمية والقدرية^(٢) والمعتزلة، مما حرفوا به الكلم عن مواضعه وأزالوه به عن ما قصد له من البيان والدلالة^(٣). /

[ب/٩٦/١]

ب

علم أن لهم أوفر نصيب من مشابهة أهل الكتاب الذين ذمهم الله بالتحريف واللي^(٤) والكتمان. أفترى يعجز الجهمي عن الإضمار في قوله: «إنكم ترون ربكم عياناً»^(٥)؟! فيضمرك ملك ربكم ونعيمه وثوابه، ونحو ذلك، ويعجز الملحد عن الإضمار في قوله:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

أي أرواح من في القبور. وإذا انفتح سد يأجوج ومأجوج أقبلوا من كل حذب ينسلون.

(١) انظر: ص ٢١٦.

(٢) انظر: ص ٢١٩.

(٣) بعد هذه الكلمة ترك الناسخ صفحة ونصف الصفحة بياضاً، وكتب فيها (بياض في الأصل) والذي يبدو أنه ليس هناك سقط وذلك لوجود الترابط الوثيق في الألفاظ والمعاني.

(٤) اللي: أصله الفتل تقول لويت الحبل ألويه لياً: فتلته. والمعنى: أنهم يلوون ألسنتهم عن الحق كما قال الله عز وجل:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ

غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيَاءِ لِسِنِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].

لسان العرب ٤/١٠٧، مادة لوى. فتح القدير ١/٤٧٤.

(٥) سبق تحقيقه، ص ١٩١.

النوع الثاني: ما يشهد السياق والكلام به فكأنه مذكور في اللفظ وإن حذف اختصاراً كقوله تعالى:

﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣].

فكل واحد يعلم أن المعنى، فضربه فانفلق، فذكره نوع من بيان الواضحات، فكان حذفه أحسن، فإن الوهم لا يذهب إلى خلافه.

وكذلك قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعْنَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ * فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ ﴿يوسف: ٦٢، ٦٣﴾.

فكل أحد يفهم من هذا السياق أنهم جعلوها في رحالهم وأنهم وصلوا بها إلى أبيهم، ومثل هذا في القرآن كثير جداً. وفهم الكلام لا يتوقف على أن يضم فيه ذلك مع أنه مراد ولا بد فكيف يتوقف فهم الكلام الذي لا دليل فيه على الإضمار بوجه وهو كلام مفيد قائم بنفسه، معط لمعناه على دليل منفصل، يدل على أن المتكلم لم يضم فيه خلاف ما أظهره، وهل يتوقف أحد من العقلاء في فهم خطاب غيره له على هذا الدليل أو يخاطر بباله.

والنوع الثالث: كلام يحتمل الإضمار ويحتمل عدمه، فهذا إذا قام الدليل على أن المتكلم به عالم ناصح مرشد، قصده البيان والهدى والدلالة والإيضاح بكل طريق، وحسم مواد اللبس ومواقع الخطأ، وأن هذا هو المعروف المؤلف من

خطابه، وأنه اللائق بحكمته لم يشك السامع في أن مراده ما دل عليه ظاهر كلامه، دون ما يحتمله باطنه من إضمار ما لم يجعل للسامع عليه دليلاً، ولا له إلى معرفته سبيلاً، إلا أن يجوز عليه أنه أراد منه ذلك، وكلفه ما لا يطيقه، وعرضه للعناء والمشقة والعزلة، ولم يقصد البيان، ولا نكير على من ظن ذلك في المتكلم أن يظن بكلامه ما هو مناسب لظنه به. يوضحه:

الوجه السابع والثلاثون:

إن الإضمار هو الإخفاء، وهو أن يخفي المتكلم في نفسه معنى، ويريد من المخاطب أن يفهمه، فهذا إما أن يجعل له عليه دليلاً / من الخطاب أولاً. فإن جعل له عليه دليلاً من السياق، لم يكن ذلك إضماراً محضاً، بل يكون قد أظهره له بما دله عليه من السياق، ودلالة اللفظ قد تحصل من صريحه تارة، ومن سياقه، ومن قرائنه المتصلة به، فهذا لا محذور فيه إذا كان المخاطب قد دل السامع على مقصوده ومراده، وإن لم يجعل له عليه دليلاً، فإنه لم يقصد بيانه له، بل عدل عن بيانه إلى بيان المذكور، فلا يقال: إن كلامه دل عليه بالإضمار فإن هذا كذب صريح عليه، فتأمله فإنه واضح.

بيان أن الإضمار هو
الإخفاء

[١/٩٧/أ]

ب

الوجه الثامن والثلاثون:

قوله وعدم التقديم والتأخير، فهذا أيضاً من نمط ما قبله، فإنه نظم الكلام الطبيعي المعتاد الذي علمه الله للإنسان نعمة منه عليه أن يكون جارياً على المؤلف المعتاد

بيان أن دلالة الدليل
لا تتوقف على عدم
التقديم والتأخير

منه^(١)، فالمقدم مقدم والمؤخر مؤخر، فلا يفهم أحد قط من المضاف والمضاف إليه في لغة العرب إلا تقديم هذا وتأخير هذا، وحيث قدموا المؤخر من المفعول ونحوه، وأخروا المقدم من الفاعل ونحوه، فلا بد أن يجعلوا في الكلام دليلاً على ذلك لئلا يلتبس الخطاب، فإذا قالوا: ضرب زيداً عمرو، لم يكن في هذا التقديم والتأخير إلباس، فإذا قالوا: ضرب موسى عيسى، لم يكن عندهم المقدم إلا الفاعل، فإذا أرادوا بيان أنه المفعول، أتوا بما يدل السامع على ذلك من تابع منصوب يدل على أنه مفعول، فلا يأتون بالتقديم والتأخير إلا حيث لا يلتبس على السامع، ولا يقدر في بيان مراد المتكلم كقوله تعالى:

﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴿البقرة: ١٢٤﴾﴾

وقوله:

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا ﴿الحج: ٣٧﴾﴾

وقوله:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الروم: ٤٧﴾﴾

وقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿الشعراء: ٨﴾﴾

وقوله:

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴿الأعراف: ٨٢﴾﴾

(١) في هامش ب: (التقديم والتأخير).

ونحوه فهذا من التقديم الذي لا يقدر في المعنى، ولا في الفهم، وله أسباب تحسنه وتقتضيه مذكورة في علم المعاني والبيان.

وأما ما يدعى من التقديم والتأخير في غير ذلك كما يدعى من التقديم في قوله:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا ۖ أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۖ﴾

[يوسف: ٢٤].

وإن هذا قد تقدم فيه جواب لولا عليها، فهذا أولاً لا يميزه النحاة، ولا دليل على دعواه، ولا يقدر في العلم بالمراد، وكذلك ما يدعون من التقديم والتأخير في قوله:

﴿أَذْهَبَ بِكِنْيَتِي هَكَذَا فَأَلْقَهٗ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨].

/ قالوا: تقديره فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم، فكأنهم لما فهموا من قوله: ﴿تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ مجيئه إليه ذاهباً عنهم احتاجوا إلى أن يتكلفوا ذلك، وهذا لا حاجة إليه، وإنما أمره بما جرت به عادة المرسل كتابه إلى غيره، ليعلم ما يصنع به، أن يعطيه الكتاب، ثم ينزل عنه، حتى ينظر ماذا يقابله به، وليس مراده بقوله: ﴿تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أي أقبل إلي، ولو أراد ذلك لقال: فألقه إليهم وأقبل، وقد علم من كونه رسولاً له أنه لا بد أن يرجع إليه، فليس في ذلك كبير فائدة بخلاف أمره بتأمله أحوال القوم عند قراءة كتابه، وقد انزل عنهم ناحية.

[ب/٩٧/١]

ب

أنواع التقديم
والتأخير
النوع الأول

والتقديم والتأخير نوعان :

نوع يُجَلَّ تقديم المؤخر وتأخير المقدم فيه بفهم أصل المعنى ، فهذا لا يقع في كلام من يقصد البيان والتفهم ، وإنما يقع في الألغاز والأحاجي ، وما يقصد المتكلم تعمية المعنى فيه ، وقد يقع بسبب شدة الاختصار وضيق القافية عن الترتيب المفهم كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكاً

أبو أمه حي أبوه يقاربه^(١)

فهذه شبيهه باللغز ومعناه : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه . وهذا النوع لا يقع في كلام الله ولا رسوله .

النوع الثاني : التقديم والتأخير الذي لا يجَلَّ بأصل المعنى ، وإن أحل بالغرض المقصود ، فيكون مراعاته من باب إخراج الكلام على مقتضى الحال ، وهذا هو الذي يتكلم

(١) انظر : شرح ديوان الفرزدق ، ص ١٠٨ ، جمعه وعلق عليه عبد الله سليمان الصاوي : وقال : هذا البيت لم يرد في أصول الديوان ولكنه ورد في عدة مراجع موثوق بها شاهد للتعقيد المعنوي .

وانظر : أيضاً أسرار البلاغة للجرجاني ، ص ٢٠ .

كتاب سيوبه وشرح شواهده للأعلم ١٤/١ .

تحصيل عين الذهب للششمري ، ص ٢٢ .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك .

والمعنى : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا هذا الملك الذي أبو أمه أبو هذا الممدوح ، وبعبارة أوضح : ما مثل هذا الممدوح في الناس إلا الخليفة الذي هو ابن أخته .

عليه علماء المعاني والبيان قال سيبويه^(١)(٢): وهو يذكر
الفاعل والمفعول، «كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم
بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمنهم ويعنيانهم» انتهى
كلامه.

وهذا يقع في باب الاستفهام، والنفي، والمبتدأ والخبر،
والفاعل والمفعول فمن ذلك أنك إذا قلت: أفعلت كذا؟
وبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان الغرض
بالاستفهام علمك بوجوده، وإذا قلت أنت فعلت كذا؟
فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد
فيه ففرق بين قولك: أكتبت الكتاب، وبين قولك أنت
كتبت، وهذا كما أنه قائم في الاستفهام، فكذلك هو في
التقرير فإذا قلت: أنت فعلت هذا؟ كان المقصود
تقريره / بأنه هو الفاعل، كما قال قوم إبراهيم له:

[أ/٩٨/١]

ب

﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا لِهَيْتَانِيَا بُرْهِيْمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢].

فلم يكن مرادهم السؤال عن الفعل هل وجد أم لا،
ولو أرادوا ذلك لقالوا أكسرت أصنامنا؟ وإنما مرادهم السؤال
عن الفاعل، ولهذا كان الجواب قوله:

(١) انظر: كتاب سيبويه ٣٤/١، بتحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، ١٩٧٧، الطبعة الثانية.

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر الملقب «سبويه»، إمام في
النحو، ولد سنة ١٤٨، في إحدى قرى شيراز، وتوفي بالأهواز سنة ١٨٠.

طبقات النحويين واللغويين، ص ٦٦، ٧٢؛ مراتب النحويين، ص ١٠٦؛ الأعلام

﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣].

فالقائل: أفعلت؟ سائل عن الفعل من غير تردد بين الفاعل وغيره، وإذا قال: أنت فعلت؟ كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره، ولم يكن منه تردد في نفس الفعل، ومن هذا استفهام الإنكار كقوله تعالى:

﴿أَفَأَصْفَنَّاكَ بِرَبِّكُمْ يَا بَنِيَّ﴾ [الإسراء: ٤٠].

وقوله:

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصفات: ١٥٣].

وقوله:

﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

فهذا إذا قدم الاسم فيه استحال الكلام من إنكار الفعل إلى الإنكار في الفاعل مثل قوله:

﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩].

وقول أهل النار:

﴿أَنْحَنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْمُدَى﴾ [سبأ: ٣٢].

فهذا سؤال عن فعل وقع فتوجه الإنكار إلى نسبه إلى الفاعل الذي نسب إليه، وهذا كما إذا بلغك قول عن من لم تكن تظنه به، قلت: أفلان قال ذلك؟ وأما قوله تعالى:

﴿إِنَّ لَدَكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمْرَ الْأُنثِيَّيْنَ أَمَا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ

الْأُنثِيَّيْنَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

فإن الإنكار وإن توجه إلى نفس التحريم، والمراد إنكاره من أصله فإنه خطاب لمن قد أثبت تحريماً في أشياء، وحلا في نظائرها، فسئل عن عين المحرم، أهو هذا، فيشمل التحريم نظيره مما حلله، أو الآخر، فيشمل نظيره أيضاً، فكأنهم قيل لهم: أخبرونا عن هذا التحريم الذي زعمتم فيم هو أفي هذا أم في ذاك أم في الثالث؟ ليتبين بطلان قولهم، وتظهر فريتهم على الله. وهذا كما تقول لمن يدعي أمراً، وأنت تنكره: متى كان هذا، أفي ليل أم نهار؟ وكذلك تقول: من أمرك بهذا؟ أو من أذن لك فيه؟ وأنت لا تريد أن أمراً أمره به، وأذن له فيه، ولكن أخرجت الكلام مخرج من كان قد يتنزل^(١) مع مخاطبه إلى أن ذلك قد كان ثم طالبه ببيان عينه ووقته ومكانه والأمر به لكي يضيق عليه الجواب، ويظهر كذبه حيث لا يمكنه أن يجيل على شيء مما سئل عنه فيفتضح. وكذلك إذا قلت: أتفعل كذا؟ كنت مستفهماً له عن نفس الفعل، وإذا قلت: أأنت تفعل كذا؟ كنت مستفهماً له عن كونه هو الفاعل فقوله تعالى:

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

مخرجه غير مخرج قوله:

﴿أَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ / مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

[ب/٩٨/١]
ب

وقوله:

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة: ٣].

(١) ب: (يترك) ولعل الصواب ما أثبت.

وقوله:

﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مَكْمُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

فأنت تجد تحت قولك: أنت الذي تقهرني؟ أن القاهر لي غيرك لا أنت، وكذلك قوله:

﴿أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ﴾ [يونس: ٩٩].

﴿أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى﴾ [الزخرف: ٤٠].

وكذلك الشأن في تقديم المفعول وتأخيره كقوله تعالى:

﴿قُلْ أَعْيَّرَ اللَّهُ أَلْحَدُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤].

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقوله:

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ^(١) إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ أَلْسَاعُ أَعْيَرِ

اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾

[الأنعام: ٤٠، ٤١].

فلو أحر لكان الاستفهام عن مجرد الفعل فلما قدم كان الاستفهام عن الفعل وكون المفعول المقدم مختصاً به. وكذلك قوله:

﴿أَبَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا تَتَّبِعُهُ﴾ [القمر: ٢٤].

لما كان الإنكار متوجهاً إلى كون المتبوع بشراً، وأنه

(١) ب: (أرأيتم).

منهم، وأنه واحد وردوه^(١)، ولم يقع إنكارهم على مجرد الاتباع في قوة كلامهم أنه لو كان ملكاً أو من غيرنا لا تلحقنا غضاضة برئاسته علينا أو عصبه كثيرة لا يمتنع من متابعتهم لاتبعناهم. وكذلك التقديم بدل التأخير في النفي. فإذا قلت: ما فعلت، كنت قد نفيت عنك الفعل ولم تتعرض لكونه فعل أو لم يفعل. وإذا قلت ما أنا فعلت، كنت قد نفيتك عن نفسك مدعياً بأن غيرك فعله. ومن ها هنا كان ذلك تعريضاً بالقذف بموجب الحد^(٢) في أصح القولين، وبه عمل الصحابة في قول القائل: «أنا زانيت»، كما رفع إلى عمر بن الخطاب رجل لاحي^(٣) آخر فقال: «ما أنا بزنان ولا أُمي بزانية». فضربه الحد^(٤)، وهذا مذهب مالك وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وكذلك إذا قلت: ما ضربت زيداً كنت قد نفيت الضرب لزيد عنك، ولم تتعرض لضرب وقع منك على غيره نفيًا وإثباتًا، وإذا قلت ما زيداً ضربت كنت مفهوماً أن الضرب قد وقع منك على إنسان غير زيد.

(١) ورموه كذا في الأصل، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في حاشية ب: (التعريف بالقذف بموجب الحد).

(٣) لاحي آخر: أي نازع آخر.

لسان العرب ٤٠١٥/٥، مادة لحا.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٣٨/٩، في كتاب الحدود، باب من كان يرى في التعريض عقوبة.

ورواه عبدالرزاق في المصنف ٤٢٥/٧.

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢٥٢/٨.

وأخرجه ابن حزم في المحلى ٢٦٨/١٣، ٢٦٩.

وكذلك الأمر في المبتدأ والخبر، فهذا التقديم والتأخير يرجع إلى إيراد الكلام على مقتضى الحال التي يقصدها المتكلم، ومن عرف أسلوب كلام العرب وطريقتهم في كلامهم، فهم أحكام التقديم والتأخير، وهذا غير مخرج لاستفادة السامع اليقين من كلام المتكلم، ولا يوقف لفهمه على دليل يدل على أنه أراد تأخير ما قدمه، وتقديم ما أخره ليفهم خلاف المعنى الظاهر من كلامه.

الوجه التاسع^(١) والثلاثون:

بيان أن دلالة الدليل
لا تتوقف على نفي
المعارض العقلي

[٥/٩٩/١]

ب

قوله: وموقوف على نفي المعارض العقلي لثلا يفضي إلى القدح في العقل، الذي يفتقر إليه النقل. جوابه / : أنا لا نسلم أن القدح فيما عارض النقل من المعقول قدح فيما يحتاج إليه النقل، فإن صحة النقل^(٢)

لا شيء عنده بإثبات موجود لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به، ولا منفصل عنه ولا فوقه ولا تحته.

وتأمل دلائلهم على ذلك يتبين أن العقل صريح مع رسل الله كما معهم الوحي الصحيح.

وتأمل أقوالهم على تناقضها واختلافها في كلامه كيف؟ تجدها مخالفة لصريح العقل مخالفة بينه. ودلائلهم على تلك

(١) ب: (الثامن) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) في حاشية ب: (سقط من ها هنا شيء).

والظاهر أن ها هنا سقط كما جاء في الحاشية، ويمكن أن تكتمل الجملة الثانية لوقيل . . . ولو تأملت ما يقوله المبطل في الله وجدت لا شيء عنده . . . الخ أو عبارة نحوها.

الأقوال المختلفة أبطل منها. وكيف يجد العقل الصريح أنا
نشهد بما جاءت به الرسل أن الله سبحانه تكلم بكلام
سمعه^(١) منه جبريل وبلغه إلى من أمر بتبليغه، وكلم نبيه
موسى، وكلم ملائكته بكلام حقيقي سمعوه منه، وأنه
يتكلم بمشيئته وإرادته، وكل قول خالف هذا، فهو خلاف
العقل الصريح وإن زخرفت له الألفاظ ونسجت له الشبه.

وتأمل ما جاءت به النصوص، إن كلماته لا نهاية لها
وهل يقتضي العقل الصريح غير ذلك؟.

وتأمل ما جاءت به النصوص من شمول قدرته ومشيئته
لجميع الكائنات أعيانها وصفاتها وأفعالها وما خالف ذلك
فهو مخالف لصريح العقل.

كما أن النصوص جاءت بأن أفعال العباد أعمال لهم
واقعة باختيارهم وإرادتهم، ليست أفعالاً لله، وإن كانت^(٢)
مفعولة له تجد ما خالف ذلك مخالفاً لصريح العقل.

وتأمل ما جاءت به النصوص، أنه سبحانه لم يزل
ملكاً، رباً غفوراً، رحيماً، محسناً، قادراً، لا يعجزه الفعل،
ولا يمتنع عليه. وكيف لا تجد ما خالف ذلك مخالفاً لصريح
العقل كقول الفلاسفة^(٣) أنه لا يفعل باختياره ومشيئته،
وقول المتكلمين: أنه كان من الأزل إلى حيث خلق هذا العالم

(١) في هامش ب: (في كلام الله تعالى).

(٢) في هامش ب: (عقيدة أهل السنة).

(٣) انظر: ص ١٩١.

معطلاً عن الفعل غير متمكن منه والفعل مستحيل، ثم انقلب من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي بأن تجدد سبب اقتضى ذلك، فانظر أي هذه المذاهب مخالف لصريح العقل كما هو مخالف لصحيح النقل، وتأمل قولهم - في الإرادة والقدرة والعلم - كيف أثبتوا إرادة لا تفعل وقدرة لا تفعل وعلماً لا يعقل. فقابلهم طائفة من الفلاسفة^(١)^(٢) كيحيى^(٣) بن عدي النصراني^(٤) قولها في الكلمة انها الله كقول^(٥) المتكلمين في السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة أنها نفس الذات، فانظر مخالفة هذه الطوائف لصريح العقل، وتأمل قولهم: إن السمع هو عين / البصر، والبصر هو عين السمع^(٦)، والبصر هو عين العلم، والكل صفة واحدة، فهل في مخالفة العقل الصريح أشد من ذلك، وتأمل قولهم: إن الرب تعالى علة ثابتة في الأزل لجميع المعلومات،

[ب/٩٩/١]
ب

(١) في هامش ب: (سقط من ها هنا شيء).

قلت والذي يبدو أن الكلام متصل فليس هناك سقط لتربط المعنى والسياق بعد زيادة الكاف في يحيى.

(٢) انظر: ص ١٩١.

(٣) ب: (ليحيى) ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) هو يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا، أبوزكريا ولد سنة ٣٨٠ بتكرت فيلسوف متكلم، انتهت إليه رئاسة المنطق في عصره، قرأ على الفارابي وترجم عن السريانية كثيراً إلى العربية من كتبه: «تهذيب الأخلاق» و«مقالة أرسطو في علم ما بعد الطبيعة» وهونصراني يعقوبي النحلة توفي سنة ٣٦٤، ودفن في بيعة القطيعة.

الفهرست، ص ٣٦٩؛ الأعلام ١٥٦/٨؛ أخبار الحكماء، ص ٢٣٦ - ٢٣٨.

(٥) ب: (لقول) ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) ب: (والبصر هو عين البصر) ولعل الصواب ما أثبت.

ووجودها في آن واحد مستحيل، فجعلوه علة ثابتة لنا،
هو ممتنع الوجود في غير وقته، وهذا قول الفلاسفة^(١)،
فقابلهم المتكلمون في ذلك، ولم يجعلوا الفعل ممكناً له في
الأزل بحال، ولم يفرقوا بين نوع الفعل وعينه^(٢) وخالف
الفريقان صريح العقل.

فتأمل قول الفريقين في الموجب بالذات، والفاعل
بالاختيار كيف؟

تجدهم قد خرجوا فيه عن صريح العقل، وقالوا
ما يشهد العقل ببطلانه.

وتأمل قولهم في أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد،
كيف خرجوا عن صريح العقل في المصدر والصادر
عنه.

وتأمل قولهم في إنكار قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه
التي ترجموها بمسألة حلول الحوادث كيف خرجوا فيها عن
المعقول الصريح، وكابروه أبين مكابرة، والتزموا لأجله
تعطيل الحي الفعال عن كل فعل، والتزموا لأجله حصول
مفعول بلا فعل، ومخلوق بلا خلق، فإن الفعل عندهم عين
المفعول والخلق نفس المخلوق، وهذا مكابرة لصريح
العقل.

(١) انظر: ص ١٩١.

(٢) نوع الفعل مثل: اتصافه سبحانه بالكلام.

وعين الفعل. مثل: تكليمه لموسى عليه السلام.

وتأمل خروجهم عن العقل الصريح في إنكار الحكم^(١) والغايات التي يفعل الرب تعالى لأجلها^(٢) [وانه لا]^(٣) يرى عياناً لا فوق الذاتي ولا تحته، ولا خلفه ولا أمامه، ولا عن يمينه ولا عن يساره، ثم زادوا جواز تعلق الرؤية بكل موجود من الأصوات والروائح والمعاني، وتعلق الإدراكات الخمس بذلك، فجوزوا سماع الرائحة، وشم الأصوات، وسماع الطعوم، فخرجوا عن صريح المعقول كما خرجوا عن صحيح المنقول: أن المسلمين يرون ربهم من فوقهم.

وتأمل خروجهم عن صريح العقل في مسألة الطفرة^(٤) والأحوال^(٥) والكسب^(٦) ومسألة النبوات^(٧)، وأن النبوة

- (١) في هامش ب: (إثبات الحكم).
(٢) في ب: (سقط من ها هنا شيء).
(٣) (وانه لا): ليست في ب وبإثباتها تستقيم العبارة.
(٤) ذكر ابن القيم معناها في ص ١٨٥. وانظر: في معناها والرد عليها الفصل في الملل والأهواء والنحل ٦٤/٥، ٦٥.
(٥) سبق التعريف بها، ص ٣٣٩.
(٦) سبق التعريف بها، ص ٣٣٩.
(٧) اختلف في النبوة هل هي صفة ثبوتية أو صفة إضافية فهي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به، بقول الرب تعالى: «إني أرسلتك».
قال ابن تيمية: «والصحيح أن النبوة تجمع بين هذا وهذا فهي تتضمن صفة ثبوتية في النبي وصفة إضافية هي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به بقول الرب: «إني أرسلتك...» ثم قال: ليس من شرط أدلتها أن تكون حالة في ذات النبي ولكن يجوز أن تكون له أدلة قائمة بذات النبي كما كان في محمد - صلى الله عليه وسلم - أدلة من دلائل النبوة كما هو مبسوط في دلائل نبوته». النبوات لابن تيمية، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

لا ترجع إلى صفة وجودية وإنما هي تعلق الخطاب القديم بالشيء والتعلق أمر عديمي .

وتأمل خروجهم عن صريح العقل بتجويزهم رؤية الشيء في غير جهة من الذاتي^(١) . وقولهم : بأن المتولدات^(٢) لا فاعل لها، وقولهم : بأن الله يريد بإرادة يخلقها لا في محل فخالقوا صريح العقل من وجهين من إثبات كونه مريداً من غير قيام صفة الإرادة به، ومن جعلهم صفة الإرادة قائمة / بغير محل ومن ذلك خروجهم عن صريح العقل في قولهم : إن الرب تعالى عالم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، قادر بلا قدرة، حي بلا حياة، فأنكر ذلك عليهم طوائف العقلاء ففر بعضهم إلى أن قال علمه وسمعه وبصره وقدرته وحياته هي ذاته، وقال - أعقلهم عند نفسه وعند اتباعه - : إنه سبحانه علم كله، وقدرة كله، وحياة كله، وسمع كله، وبصر كله إلى إضعاف أضعاف ما ذكرنا من

[أ/١٠٠/١]
ب

(١) الذاتي، انظر: ص ٨١٣ .

(٢) التولد هو: أن يوجب فعلٌ لفاعله فعلاً آخر، نحو حركة اليد والمفتاح وكمن رمى سهماً فجرح به إنساناً أو غيره، وكحرق النار وتبريد الثلج وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات .

واختلفوا في الفاعل، فقال بعضهم: ما تولد من فعل إنسان أوحى فهو من فعل الإنسان أو الحي .

واختلفوا فيما تولد من غير حي فقال بعضهم: هو من فعل الله . وقال آخرون: هو من فعل الطبيعة .

انظر: تفصيل القول في ذلك والرد عليه في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/٥٩، وما بعدها ٥/١٤٠؛ المواقف في علم الكلام، ص ٣١٦، وما بعدها؛ الإرشاد . ٢٣١/٢٣٠ .

أقوالهم التي خرجوا فيها عن صريح العقل فهل تجد في نصوص الوحي التي عارضوا فيها بين العقل والنقل مثل ذلك أو قريباً منه فتأملها، وتأمل أقوالهم تعلم أي النوعين معه العقل، ومن الذي خرج عن صريحه وبالله التوفيق (١) * [٢].

الوجه الأربعون:

إن الأدلة القاطعة قد قامت على صدق الرسول «صلوات الله وسلامه عليه» في كل ما يخبر به، ودلالاتها على صدقه أبين وأظهر من دلالة تلك الشبه العقلية على نقيض ما أخبر به عند كافة العقلاء، ولا يستريب في ذلك إلا مؤؤف^(٣) في عقله، مصاب في قلبه وفطرته. فأين الشبه النافية لعلو الله على خلقه وتكلمه بمشيئته وتكليمه لخلقته^(٤) ولصفات كماله ولرؤيته بالأبصار في الدار الآخرة، ولقيام أفعاله به إلى براهين نبوته وصدقه التي زادت على الألف، وتنوعت كل تنوع، فكيف يقدر في البراهين العقلية الضرورية بالشبه^(٥) الخيالية المتناقضة إلا من هو من أفسد

-
- (١) في ب: (تم بلغ بحمد الله مقابلة حسب الطاقة).
(٢) ما بين (* — *) من قوله: (طاووس انه كان لا يرى طلاقاً)، ص ٦٢٨ إلى قوله: (عن صريحه وبالله التوفيق)، ص ٧٢٩، إضافة من ب.
وفي ب تبدأ الإضافة من الورقة ٧٦ حتى الورقة ١٠٠ أي قرابة ست وأربعين صفحة. وهذا تنتهي نسخة ب.
(٣) أي في عقله آفة.
(٤) ظ، م: (بخلقته)، والصواب ما أثبتته.
(٥) ظ: (بالتشبه).

الناس عقلاً ونظراً، وهل ذلك إلا من جنس الشبه التي أوردوها في التشكيك في الحسيات والبدهييات؟ فإنها وإن عجز كثير من الناس عن حلها، فهم يعلمون أنها قدح فيها^(١) علموه بالحس والإضطرار، فمن قدر على حلها وإلا لم يتوقف جزمه بما علمه بحسه^(٢) واضطراره على حلها، وكذلك الحال في الشبه^(٣) التي عارضت ما أخبر به [الرسول «صلى الله عليه وسلم»]^(٤) سواء، فإن المصدق به وبما جاء به يعلم أنها لا تقدح في صدقه، ولا في الإيمان به، وإن عجز عن حلها فإن تصديقه بما جاء به الرسول ضروري، وهذه الشبه عنده لا تزيل ما علمه بالضرورة، فكيف إذا تبين بطلانها على التفصيل؟ يوضحه:

الوجه الحادي والأربعون:

وهو أن الرسول «صلوات الله وسلامه عليه» بين مراده، وقد بين لنا — أكثر مما تبين لنا — كثيراً من دقائق المعقولات الصحيحة. فمعرفةنا بمراد الرسول من كلامه فوق معرفتنا بتلك الدقائق، إذا كانت صحيحة المقدمات في نفسها صادقة^(٥) النتيجة غير كاذبة، فكيف إذا كان الأمر فيها بخلاف ذلك؟ فتلك التي تسمى معقولات قد تكون خطأ،

بيان أن المعارضة واقعة بين ما فهمه النفاة من النصوص وبين العقل الصريح.

(١) ظ: (في).

(٢) ظ، م: (عمله بحسنه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (التشبيه).

(٤) (الرسول «صلى الله عليه وسلم»): إضافة من م.

(٥) ظ، م: (صادقاً)، ولعل الصواب ما أثبتته.

ولكن لم يتفطن لخطئها. وأما كلام المعصوم، فقد قام البرهان القاطع على صدقه، وأنه حق، ولكن قد يحصل الغلط في فهمه، فيفهم منه ما يخالف صريح العقل، فيقع التعارض بين ما فهم من النقل، وبين ما اقتضاه صريح العقل، فهذا لا يدفع. ولكن إذا تأمله من وهبه الله حسن القصد وصحة التصور، تبين^(١) له أن المعارضة واقعة بين ما فهمه النفاة من النصوص، وبين العقل الصريح، وأنها غير واقعة بين ما دل عليه النقل^(٢) وبين العقل.

ومن أراد معرفة هذا فليوازن بين مدلول النصوص وبين العقل الصريح، ليبين له مطابقة أحدهما للآخر، ثم يوازن بين أقوال النفاة وبين العقل الصريح، فإنه يعلم حينئذ أن النفاة أخطأوا خطأ بين الخطأ على السمع، بأن^(٣) فهموا منه خلاف مراد المتكلم، وخطأ على العقل بخروجهم عن حكمه فخرجوا عن العقل والسمع جميعاً.

الوجه الثاني والأربعون:

إن المعارضين بين العقل والنقل وبين ما أخبر به الرسول قد اعترفوا بأن العلم بانتفاء المعارض مطلقاً لا سبيل إليه، إذ^(٤) ما من معارض بنفسه إلا ويحتمل أن يكون له معارض آخر، وهذا مما اعتمد عليه صاحب نهاية

بيان أن العلم بانتفاء
المعارض مطلقاً
لا سبيل إليه.

(١) ط، م: (بين) والصواب ما أثبت.

(٢) م: (العقل).

(٣) ظ: (فإن).

(٤) ظ: (إذا).

العقول^(١)، وجعل السمعيات لا يحتج بها على العلم بحال، وحاصل هذا أنا لا نعلم ثبوت ما أخبر به الرسول، حتى نعلم انتفاء ما يعارضه، ولا سبيل إلى العلم بانتفاء المعارض مطلقاً لما تقدم، وأيضاً فلا يلزم من انتفاء العلم بالمعارض العلم^(٢) بانتفاء المعارض، ولا ريب أن هذا القول من أفسد أقوال العالم، وهو من أعظم أصول أهل الإلحاد والزندقة^(٣)، وليس في عزل الوحي عن مرتبته أبلغ من هذا.

الوجه الثالث والأربعون:

بيان أن الرسول قد بلغ البلاغ المبين
 أن الله سبحانه قد أخبر في كتابه أن على^(٤) الرسول
 البلاغ المبين، فقال تعالى:

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]،

[العنكبوت: ١٨].

وقال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

(١) هو الرازي محمد بن عمر بن الحسين، وقد سبقت ترجمته، ص ٦٤٠، وكتابه: «نهاية العقول» يوجد منه نسختان مخطوطتان في دار الكتب المصرية بالقاهرة، الأولى برقم (٧٤٨) توحيد، والثانية رقم (٥٦٥) طلعت علم الكلام.

(٢) ظ: (بالعلم).

(٣) سبق، انظر: ص ٦٤٦.

(٤) ظ: (على أن).

وقال:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد شهد الله له - وكفى به شهيداً - بالبلاغ الذي أمر
به فقال:

﴿فَقَوْلٌ^(١) عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤].

وشهد له أعقل الخلق وأفضلهم وأعلمهم بأنه قد بلغ،
فأشهد الله عليهم بذلك في أعظم مجمع وأفضله، فقال في
خطبته بعرفات في حجة الوداع: «إِنَّكُمْ^(٢) مَسْئُولُونَ عَنِّي
فَمَاذَا^(٣) أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت
ونصحت، فرفع إصبعه إلى السماء مستشهداً بربه الذي فوق
سمواته، وقال: «اللهم اشهد»^(٤)، فلولم يكن قد عرف
المسلمون وتيقنوا ما أرسل به / وحصل لهم منه العلم اليقين
لم يكن قد حصل منه البلاغ المبين، ولما رفع الله عنه اللوم،
ولما شهد له أعقل الأمة بأنه قد بلغ وبين. وغاية ما عند
النفاة أنه بلغهم ألفاظاً لا تفيدهم علماً ولا يقيناً، وأحالمهم في

[٧٣/١*]

(١) ظ، م: (فتولى) والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (أنتم) والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (فإذا).

(٤) سبق تحقيقه، انظر ص ١٨١.

(* هذا الترقيم من المخطوطة الأصل ظ.

طلب العلم واليقين على عقولهم^(١)، ونظرهم وأبحاثهم،
لا على ما أوحى إليه، وهذا معلوم البطلان بالضرورة.

الوجه الرابع والأربعون:

إن عقل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أكمل
عقول^(٢) أهل الأرض على الإطلاق، فلو وزن عقله
بعقولهم، لرجح بها كلها، وقد أخبر - سبحانه - أنه قبل
الوحي لم يكن يدري الإيمان، كما لم يكن يدري الكتاب.

بيان أن الرسول
وهو عقل الخلق
قبل الوحي لم يكن
يدري الإيمان
ولا الكتاب

فقال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾
[الشورى: ٥٢].

وقال تعالى:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾
[الضحى: ٦، ٧].

وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر الشورى^(٣)، فإذا
كان أعقل خلق الله على الإطلاق إنما حصل له الهدى
بالوحي، كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ
رَبِّيَ﴾ [سبأ: ٥٠].

(١) م: (علومهم).

(٢) م: (عقل).

(٣) وهي الآية المذكورة قبلها.

فكيف يحصل لسفهاء العقول وأخفاء الأحلام^(١) وفراش^(٢) الألباب، الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الأنبياء:

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ
وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٨٩، ٩٠].

الوجه الخامس والأربعون:

إن الله سبحانه قد^(٣) أقام الحجة على خلقه بكتابه
ورسله، فقال:

بيان أن الله قد أقام
الحجة على عباده
بالكتاب والسنة
وهي أدلة لفظية

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ^(٤) عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾
[الفرقان: ١].

وقال:

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

فكل من بلغه هذا القرآن فقد أنذر به، وقامت عليه
حجة الله به. وقال تعالى:

(١) ظ: (الأحكام).

(٢) الفراش: دواب مثل البعوض يطير. قال جرير:

أزرى بحلمكم الغياش فأنتم مثل الفراش غشين نار المصطل
وفي المثل: أطيّش من فراشة، والفراش: الخفيف الطياشة من الرجال، والمعنى: أنهم
فراش الألباب لما فيهم من الطيش والخفة.

لسان العرب ٣٣٨٤/٥.

(٣) ظ، م: (إذا) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) م: (القرآن).

﴿رُسُلًا^(١) مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالى:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى:

﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ^(٢) نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ
جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ
[الملك: ٨، ٩].

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَأَعْرَفُوا
بِذُنُوبِهِمْ فَنَسَحْنَا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠، ١١].

وقال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
فَتَحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ
آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وقال:

﴿يَلْمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ
أَنْفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

(١) ظ، م: (ورسلاً).

(٢) ظ: (يأتیکم).

فلو كان كلام الله ورسوله لا يفيد اليقين والعلم،
والعقل معارض للنقل، فأى حجة تكون قد قامت على
المكلفين بالكتاب^(١) والرسول؟. وهل^(٢) هذا القول إلا
مناقض لإقامة حجة الله على خلقه بكتابه من كل وجه؟
وهذا ظاهر لكل من فهمه والله الحمد.

الوجه السادس والأربعون :

بيان أن الله بين لعباده
غاية البيان

إن الله سبحانه وصف نفسه بأنه بين لعباده غاية البيان،
وأمر رسوله بالبيان، وأخبر أنه أنزل عليه كتابه ليبين للناس،
ولهذا قال الزهري^(٣) : «من الله البيان، وعلى رسوله البلاغ،
وعلينا التسليم»^(٤)، فهذا البيان الذي تكفل^(٥) به سبحانه،
وأمر به رسوله، إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده،
أو المعنى وحده، أو اللفظ والمعنى جميعاً، ولا يجوز أن يكون
المراد به بيان اللفظ دون المعنى، فإن هذا لا فائدة فيه،
ولا يحصل به مقصود الرسالة، وبيان المعنى وحده بدون
دليله، وهو اللفظ الدال عليه ممتنع، فعلم قطعاً أن المراد
بيان اللفظ والمعنى.

والله تعالى أنزل كتابه، ألفاظه ومعانيه، وأرسل رسوله
ليبين اللفظ والمعنى، فكما أنا نقطع ونتيقن أنه بين اللفظ،

(١) م : (في الكتاب).

(٢) م : (وعلى).

(٣) انظر ترجمته ص ١٨٤.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١١٢/٢.

(٥) م : (يتكفل).

فكذلك نقطع ونتيقن أنه بين المعنى، بل كانت عنايته^(١) بيان^(٢) المعنى أشد من عنايته^(٣) بيان^(٤) اللفظ، وهذا هو الذي ينبغي، فإن المعنى هو المقصود، وأما اللفظ^(٥) فوسيلة إليه ودليل عليه، فكيف تكون عنايته بالوسيلة أهم من عنايته بالمقصود؟ وكيف نتيقن بيانه للوسيلة، ولا نتيقن بيانه للمقصود؟ وهل هذا إلا من أبين المحال؟

فإن جاز عليه أن لا يبين المراد من ألفاظ القرآن، جاز عليه أن لا يبين بعض ألفاظه، فلو كان المراد منها خلاف حقائقها وظواهرها ومدلولاتها، وقد كتبه عن الأمة، ولم يبينه لها، كان ذلك^(٦) قدحاً في رسالته وعصمته، وفتحاً^(٧) للزنادقة^(٨) والملاحدة من^(٩) الرافضة^(١٠) وإخوانهم، باب كتمان بعض ما أنزل عليه وهذا مناف للإيمان به وبرسالته،
يوضحه:

(١) ظ: (غريته)؛ م: (غاية) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (بيان) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) م: (غاية).

(٤) م: (بيان).

(٥) ظ، م: (اللفظة) ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) ظ: (كذلك).

(٧) ظ، م: (وفتحانه)؛ وفي م: لعله (فتحاً).

(٨) سبق التعريف بهم ص ٦٤٦.

(٩) م: (والرافضة).

(١٠) سبق، انظر ص ٢١٦.

الوجه السابع والأربعون:

إن القائل بأن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين، إما أن يقول^(١): إنها تفيد ظناً أو لا تفيد علماً ولا ظناً، فإن قال: لا تفيد علماً، ولا ظناً فهو مع مكابرتة للعقل والسمع والفطرة الإنسانية من أعظم / الناس كفراً وإحاداً، وإن قال: بل تفيد ظناً غالباً، وإن لم تفد يقيناً، قيل له: فالله^(٢) سبحانه قد ذم الظن المجرد وأهله، فقال تعالى:

[٧٤/١]

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾

[النجم: ٢٨].

فأخبر أنه ظن^(٣) لا يوافق الحق ولا يطابقه. وقال تعالى:

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

وقال أهل النار:

﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيقين﴾ [الجاثية: ٣٢].

ولكان قوله تعالى عنهم:

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

خبراً غير مطابق، فإن علمهم بالآخرة إنما استفادوه من

(١) ظ، م: (قبول) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) م: (الله).

(٣) ظ: (الظن).

الأدلة اللفظية، لا سيما وجمهور المتكلمين يصرحون بأن المعاد إنما علم بالنقل، فإذا كان النقل لا يفيد يقيناً، لم يكن في الأمة من يوقن بالآخرة^(١)، إذ الأدلة العقلية لا مدخل لها فيها وكفى بهذا بطلاناً وفساداً. فإنه سبحانه لم يكتف من عباده بالظن، بل أمرهم بالعلم، كقوله:

﴿فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله:

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
[المائدة: ٩٨].

وقوله:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَوْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

ونظائر ذلك. وإنما يجوز اتباع الظن في بعض المواضع للحاجة، كحادثة يخفى على المجتهد حكمها، أو في الأمور الجزئية كتقويم السلع ونحوه.

وأما ما بينه الله في كتابه وعلى لسان رسوله، فمن لم يتيقن بل ظنه ظناً، فهو من أهل الوعيد، ليس من أهل الإيمان، فلو كانت الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، لكان ما بينه الله ورسوله بالكتاب والسنة لم يتيقنه أحد من الأمة.

(١) م: (في الآخرة).

الوجه الثامن والأربعون :

إن الله سبحانه أخبر أن قلوب المؤمنين مطمئنة بذكره ،
وهو كتابه الذي هدى به عباده ، فقال تعالى :

بيان أن قلوب
المؤمنين مطمئنة
بذكره وهو كتابه

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ
اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٧ ، ٢٨] .

أجابهم سبحانه عن سؤالهم - ترك^(١) - إنزال آيات
الاقتراح - بجوابين ، أحدهما : أنها لا توجب إيماناً ، بل الله
هو الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، لا الآيات التي
اقترحتموها . الثاني : أنه نبههم على أعظم الآيات وأشدّها
اقتضاء للإيمان^(٢) ، وأنها في اقتضاءها للإيمان أبلغ من الآيات
التي تقترحونها ، وهي كتابه الذي هو ذكره ، وما تضمنه من
الحق الذي تطمئن إليه القلوب ، وتسكن إليه النفوس ،
ولو كان باطلاً لم يزد القلوب إلا شكاً وريباً ، فإن الكذب
ريبية ، والصدق طمأنينة ، فلو كانت كلماته وألفاظه لا تفيد
اليقين بمدلولها ، لم تطمئن به القلوب ، فإن الطمأنينة هي
سكون القلب إلى الشيء ووثوقه به ، وهذا لا يكون إلا مع
اليقين ، بل هو اليقين بعينه .

ولهذا تجدد قلوب أصحاب الأدلة السمعية مطمئنة
بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته واليوم

(١) م : (نزل) .

(٢) ظ ، م : (الإيمان) .

الأخر، لا يضطربون في ذلك ولا يتنازعون فيه، ولا يعرض لهم الشك عند الموت، ولا يشهدون على أنفسهم، ويشهدون عليهم غيرهم بالحيرة والوقوف والشك، فيكفي في صحة مدلولها الأدلة اللفظية وبطلانها مدلول الشبه^(١) العقلية التي تخالفها هذا القدر وحده.

فمتى رأيت أصحاب الأدلة السمعية يقول أحدهم عند الموت: «نهاية إقدام العقول عقال»^(٢)، أو يقول: «لعمري لقد طفت المعاهد كلها»^(٣)، أو يقول: «فيك يا أغلوطة الفكر»^(٤)، أو يقول: «والله ما أدري على أي عقيدة أموت»^(٥)، إلى أضعاف ذلك من أحوال أصحاب الشبه العقلية، وبالله التوفيق.

الوجه التاسع والأربعون:

قوله: إن العلم بمدلول الأدلة اللفظية موقوف على نقل بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على نقل اللغة، كلام ظاهر البطلان، فإن دلالة القرآن والسنة على معانيها من جنس دلالة لغة كل قوم على ما يعرفونه ويعتادونه من تلك اللغة، وهذا لا يخص^(٦) العرب^(٧)، بل هو أمر اللغة

(١) م: (النسبة).

(٢) سبق، انظر ص ١٦٧.

(٣) سبق، انظر ص ١٦٦.

(٤) سبق، انظر ص ٦٦٨.

(٥) سبق، انظر ص ١٦٧.

(٦) ظ، م: (يختص)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٧) م: (العرب).

ضروري لجميع بني آدم، يتوقف العلم بمدلول ألفاظهم على كونهم من أهل تلك اللغة التي وقع بينهم بها التخاطب، ولهذا لم يرسل الله رسولاً إلا بلسان قومه، ليبين لهم، فتقوم عليهم الحجة بما فهموه من خطابه لهم.

فدلالة اللفظ هي العلم بقصد المتكلم به، ويراد بالدلالة أمران: نقل الدال، وكون اللفظ بحيث يفهم معنى، ولهذا يقال: دله بكلامه دلالة، ودل الكلام على هذا دلالة، فالمتكلم دال بكلامه، وكلامه دال بنظامه، وذلك يعرف من عادة المتكلم في ألفاظه، فإذا كانت عادته أنه قصد^(١) بهذا اللفظ هذا المعنى، علمنا متى خاطبنا به أنه أراد من وجهين: أحدهما أن دلالة اللفظ مبناها على عادة المتكلم التي يقصدها بألفاظه، ولهذا استدل على مراده بلغته التي عادته أن يتكلم بها، فإذا عرف السامع ذلك المعنى، وعرف أن عادة المتكلم إذا تكلم بذلك اللفظ أن يقصده، علم أنه مراده قطعاً وإلا لم يعلم مراد المتكلم أبداً وهو محال.

الثاني: إن المتكلم إذا كان قصده إفهام المخاطبين كلامه، وعلم السامع من طريقته وصفته أن ذلك قصده، لا أن قصده التلبيس والإلغاز / أفاده^(٢) مجموع العلمين اليقين بمراده، ولم يشك فيه، ولو تخلف عنه العلم لكان ذلك قادحاً في أحد العلمين، إما قادحاً في علمه بموضوع ذلك

[٧٥/١]

(١) ظ، م: (قضى)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (أفادت).

اللفظ، وإما في علمه بعبارة المتكلم به وصفاته وقصده.
فمتى عرف موضوعه وعرف عادة المتكلم أفاده ذلك القطع.
يوضحه:

الوجه الخمسون:

بيان أن إفادة كلام الله
لليقين فوق استفادة
ذلك من كلام كل
متكلم

إن السامع متى سمع المتكلم يقول: لبست ثوباً،
وركبت فرساً، وأكلت لحماً، وهو عالم بمدلول هذه الألفاظ
من عرف المتكلم، وعالم أن المتكلم لا يقصد بقوله: لبست
ثوباً معنى ذبحت شاة، ولا من قوله: ركبت فرساً معنى
لبست ثوباً علم مراده قطعاً.

إن من قصد خلاف ذلك عد ملبساً مدلساً، لا مبيناً
مفهماً، وهذا مستحيل على الله ورسوله أعظم استحالة. وإن
جاز على أهل التخاطب فيما بينهم، فاءذاً إفادة كلام الله
ورسوله لليقين فوق استفادة ذلك من كلام كل متكلم
وهو أدل على كلام الله ورسوله من دلالة كلام غيره على
مراده.

وكلما كان السامع أعرف بالمتكلم وصفاته وقصده وبيانه
وعادته، كان استفادته للعلم بمراده أكمل وأتم.

الوجه الحادي والخمسون:

بيان أن مراد المتكلم
يعرف من أسلوبه
وتركيبه

إن معرفة مراد المتكلم تعرف بإطراد استعماله ذلك
اللفظ في ذلك المعنى، في مجاري كلامه ومخاطباته، فإذا ألف
منه إطلاق ذلك اللفظ، أو اضطراده في استعماله في معنى،
ألف منه أنه متى أطلقه أراد ذلك المعنى وألف منه تجريده في

موارد استعماله من اقتران ما يدل على خلاف موضوعه أفاد ذلك علماً يقيناً لا ريب فيه لمراده .

الوجه الثاني والخمسون :

إن من تأمل عامة ألفاظ القرآن وجدها نصوصاً صريحة دالة على معناها دلالة لا تحتمل غيرها بوجه من الوجوه، وهذا كأسماء الأنبياء، وأسماء الأجناس، وكأسماء الأعلام، وكأسمائه سبحانه، التي أطلقها على نفسه، فإنها لا تصلح أن يكون المراد بها غيره البتة ظاهرة كانت أم مضمرة^(١)، وكأسماء يوم القيامة، والجنة، والنار، والسماء، والأعداد، وذكر الثقلين، وخطابهم، وعامة ألفاظ القرآن، فهل يفهم أحد قط من قوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ١، ٣].

غير الله سبحانه؟ ومن :

﴿ أَلْوَسَوَا فِي الْخَنَاسِ ﴾ [الناس: ٤].

غير الشيطان؟ ومن: ﴿ صُدُّورِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ٥].

(١) المضمرة: مثل قوله تعالى: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ .

وقوله: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وقوله: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي

كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، وقوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

وغیرها مما عبر فيها عن الله بالضمير. وهي ليست أسماء استقلالاً، فلا يقال: هو أو أنا أو أنت اسم من أسماء الله، بل حيث وردت في سياق جملة تدل على ذلك، كما في الآيات السابقة، وإطلاق لفظ أسماء على الضمير العائد على الله فيه تجوز.

غير بني آدم؟ وهل يفهم من قوله:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١].

غير ذات رب العالمين؟ وأنه واحد لا شريك له وأنه لم يولد^(١) من غيره، ولم يلد منه غيره، وليس له من يماثله ويكافئه، وهل يفهم من:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى آخرها [المسد: ١، ٥].

غير ما دلت عليه؟ وهكذا جميع سور القرآن وآياته مفيدة لليقين بالمراد منها، وإن أشكل على كثير من الناس كثير من ألفاظه، فإن هذا لا يخرجهم عن إفادته اليقين، ولا يسلب الأدلة اللفظية عن إفادتها اليقين، بل كل علم من علوم بني آدم اليقينية القطعية تشتمل على مسائل^(٢) يتيقنها أصحاب ذلك العلم وهي مسلمة^(٣) عندهم ومجهولة عند كثير منهم، ولا يخرج ذلك العلم عن كونه يقينياً قطعياً. فعزل الأدلة اللفظية جملة عن اليقين لألفاظ يسيرة مشتبهة على بعض الناس كعزل العلوم اليقينية القطعية عن موضوعها لمسائل يسيرة فيها غير يقينية ولا قطعية.

الوجه الثالث والخمسون:

بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على نقل النحو والتصريف، جوابه: إن قوله: إن فهم الأدلة اللفظية موقوف على نقل النحو والتصريف، جوابه: إن القرآن نقل إعرابه كما نقلت ألفاظه النحو والتصريف

(١) ظ، م: (لم يولد)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (بل يتيقنها).

(٣) ظ، م: (مشملة)، وصححها ناسخ م فقال: لعلها (مسلمة).

ومعانيه، لا فرق في ذلك كله، فألفاظه متواترة، وإعرابه متواتر، ونقل معانيه أظهر من نقل ألفاظه، وإعرابه، كما تقدم بيانه. فإن القرآن، لغته، ونحوه، وتصريفه، ومعانيه، كلها منقولة بالتواتر، لا يحتاج في ذلك إلى نقل غيره، بل نقل ذلك كله بالتواتر أصح من نقل كل لغة نقلها ناقل على وجه الأرض، وقواعد الإعراب، والتصريف الصحيحة مستفادة منه، مأخوذة من إعرابه وتصريفه، وهو الشاهد على صحة غيرها مما يحتاج له بها، فهو الحجة لها والشاهد، وشواهد الإعراب والمعاني منه أقوى وأصح من الشواهد من غيره، حتى إن فيه من قواعد الإعراب، وقواعد علم المعاني والبيان، ما لم تشتمل عليه ضوابط النحاة وأهل علم المعاني إلى^(١) الآن كما أن فيه من قواعد البراهين العقلية والأدلة القطعية ووجوهها ما لم تشتمل عليه قواعد الأصوليين والجدليين إلى^(٢) الآن وفيه من علم الأحكام وفقه القلوب وأعمال الجوارح وطرق الحكم بين العباد ما لم تتضمنه قواعد الفقهاء إلى الآن وهذا أمر يتسارع الجهال والمقلدون إلى إنكاره والذين أوتوا العلم يعرفونه حقاً. فبطل قول هؤلاء إن الأدلة اللفظية تتوقف دلالتها على عصمة رواة مفردات / تلك الألفاظ ورواة إعرابها وتصريفها، وظهر تدليسهم وتلبسهم في هذا القول، وبالله التوفيق.

(١) ظ: (وإلى).

(٢) ظ، م: (وإلى)، ولعل الصواب ما أثبتته.

الوجه الرابع والخمسون:

بيان أن عامة ألفاظ القرآن منقولة
القرآن منقولة
أن يقال: هب أنه يحتاج إلى نقل ذلك، لكن عامة
ألفاظ القرآن منقول معناها وإعرابها بالتواتر، لا يحتاج الناس
بالتواتر
فيه إلى النقل عن عدول أهل العربية كالخليل^(١)،
وسيبيويه^(٢)، والأصمعي^(٣)، وأبي عبيدة^(٤) والكسائي^(٥)،

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، ولد سنة ١٠٠ في البصرة، إمام من أئمة اللغة، وواضع علم العروض وهو أستاذ سيبيويه. توفي بالبصرة سنة ١٧٠. مراتب النحويين، ص ٥٤، ٧٢؛ طبقات النحويين واللغويين، ص ٤٧، ٥١؛ الأعلام ٣١٤/٢.

(٢) انظر: ص ٧١٨.

(٣) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، ولد بالبصرة سنة ١٢٢، رواية العرب وأحد أئمة اللغة والشعر والبلدان، وكان كثير التطواف بالبوادي، توفي بالبصرة سنة ٢١٦.

مراتب النحويين، ص ٨٠، ١٠٥؛ طبقات النحويين واللغويين، ص ١٦٧، ١٧٤؛ الأعلام ٣٠٧/٤.

(٤) هو معمر بن المثني، أبو عبيدة التيمي مولا هم البصري النحوي، روى عن هشام بن عروة، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي الوليد بن داب وغيرهم، وعنه أبو عثمان بكر بن محمد المازني وابن حاتم سهل بن محمد السجستاني وأبو عبيد القاسم بن سلام، وهو صاحب كتاب:

«المجاز» وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان الغالب عليه معرفة الأدب والشعر وكان يرى رأي الخوارج ويبغض العرب، مات سنة ٢١٠.

طبقات النحويين واللغويين، ص ١٧٥، ١٧٨؛ تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٦، ٢٤٨؛ مراتب النحويين، ص ٧٧، ٧٩.

(٥) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي، أبو الحسن الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين، توفي سنة ١٨٩، في الري عن سبعين عاماً.

طبقات النحويين واللغويين، ص ١٢٧، ١٣٠؛ ومراتب النحويين، ص ١٢٠، ١٢١؛ الأعلام ٢٨٣/٤.

والفراء^(١) حتى الألفاظ الغريبة في القرآن مثل «أبسلوا» و«قسمة ضيزى» و«عسعس»^(٢) ونحوها معانيها منقولة في اللغة بالتواتر، لا يختص بنقلها الواحد والاثنان، فلم تتوقف دلالتها على عصمة رواة معانيها فكيف في الألفاظ الشهيرة كالشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والجبال والشجر والدواب، فهذه الدعوى باطلة في الألفاظ الغريبة، والألفاظ الشهيرة.

الوجه الخامس والخمسون:

إن أصحاب هذا القانون الذي عزلوا به نصوص من أمثلة إيهام الوحي عن إفادتها للعلم واليقين، قالوا: إن أظهر الألفاظ المتكلمين لفظ الله، وقد اختلف الناس فيه أعظم اختلاف، هل

(١) هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أبوزكريا المعروف بالفراء، ولد سنة ١٤٤ بالكوفة، عالم بالنحو واللغة، انتقل إلى بغداد وعهد إليه المأمون بتربية ابنه. وكان يميل إلى مذهب المعتزلة توفي في طريقه إلى مكة سنة ٢٠٧. مراتب النحويين، ص ١٣٩، ١٤١؛ طبقات النحويين واللغويين، ص ١٣١، ١٣٣؛ الأعلام ١٤٥/٨، ١٤٦.

(٢) أبسلوا: أبسلته، رهنته، وفي القرآن: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ [الأنعام: ٧٠]. قيل معناه: افتضحوا أو حيسوا أو جوزوا، وقال ابن كثير في تفسيره: وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى وحاصلها الإسلام للهلكة والحبس عن الخير والارتهان عن درك المطلوب.

المصباح المنير ٦٢/١؛ تفسير ابن كثير ١٤٤/٢.

* ضيزى: ضاز في الحكم أي جار، وضازه حقه يضيئه ضيئاً نقصه ويخسه ومنعه ومعنى «قسمة ضيزى» أي جائزة. لسان العرب ٢٦٢٣/٤، ٢٦٢٤.

* عسعس: عسعس الليل عسعسة: أقبل بظلامه وفي القرآن ﴿وَأَيُّلٌ إِذْ أَعْسَسَ﴾ قيل: هو إقباله وقيل: هو إدباره قال الفراء: أجمع المفسرون على أن معنى «عسعس» أدبر. لسان العرب ٢٩٤١/٤، وانظر: ص ٧٥٧ من النص.

هو مشتق أم لا؟ وهل هو مشتق من التأله^(١) أو من الوله، أو من لاه إذا احتجب. وكذلك اسم الصلاة، وفيه من الاختلاف ما فيه، وهل هو مشتق من الدعاء أو من الاتباع أو من تحريك الصلوتين؟ فإذا كان هذا في أظهر الأسماء فما الظن بغيره؟ فتأمل هذا الوهم والإيهام واللبس والتليس فإن جميع أهل الأرض، علمائهم وجهالهم، ومن يعرف الاشتقاق ومن لا يعرفه، وعربهم وعجمهم، يعلمون أن «الله» اسم لرب العالمين، خالق السموات والأرض الذي يحيي ويميت، وهورب كل شيء ومليكه، فهم لا يختلفون في أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى، وهو أظهر عندهم وأعرف وأشهر من كل اسم وضع لكل مسمى. وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع منهم في معناه. وكذلك «الصلاة» لم يتنازعوا في معناها الذي أراده الله ورسوله، وإن اختلفوا في اشتقاقها^(٢) وكذلك قوله:

﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤].

لم يتنازعوا في المراد به، وأنه محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب، وإن اختلفوا في اشتقاقه، هل هو من النبأ أو من النبوة، فليس ذلك نزاعاً منهم في مسماه، وكذلك مواضع كثيرة تتنازع النحاة في وجه دلالتها مع اتفاقهم على المعنى كقوله:

(١) ظ: (بالتأله).

(٢) ظ: (اشتقاقها).

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

فالبصريون يجعلونها مخففة من الثقيلة، واللام فارقة بين المخففة والنافية، والكوفيون يجعلونها نافية واللام بمعنى إلا. وليس هذا نزاعاً في المعنى، وإن كان نزاعاً في وجه الدلالة عليه. وكذلك قوله:

﴿ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا ﴾ [النساء: ١٧٦].

يقدره البصريون كراهة أن يضلوا، والكوفيون لثلا يضلوا. وكذلك اختلافهم في التنازع^(١) وأمثال ذلك. إنما هو نزاع في وجه دلالة اللفظ على ذلك المعنى مع اتفاقهم على أن المعنى واحد، وهذا القدر لا يخرج اللفظ عن إفادته للسامع اليقين^(٢) بمسماه.

الوجه السادس والخمسون:

أن يقول: هذه الوجوه العشرة مدارها على حرف واحد، وهو أن الدليل اللفظي يحتمل أزيد من معنى واحد، فلا نقطع بإرادة المعنى الواحد فهذه الوجوه العشرة مضمونها كلها احتمال اللفظ لمعنيين فصاعداً حتى لا يعرف

(١) إذا تنازع عاملان معمولاً جاز إعمال أيهما شئت باتفاق، تقول ضربت وأهنت زيدا. واختار إعمال الأول الكوفيون لسبقه، واختار إعمال الثاني البصريون لقربه، وما جاء في القرآن والحديث من التنازع فهو على إعمال الأقرب إلى المعمول وهذا يرجح رأي البصريين.

ضياء السالك ١٠٣/٢، الطبعة الأولى.

(٢) م: (المتيقن).

عين^(١) مراد المتكلم فيقول: من المعلوم أن أهل اللغة لم يسوغوا للمتكلم أن يتكلم بما يريد به خلاف ظاهره إلا مع قرينة تبين المراد، والمجاز إنما يدل مع القرينة بخلاف الحقيقة، فإنها تدل على التجرد وكذلك الحذف والإضمار لا يجوز إلا إذا كان في الكلام ما يدل عليه وكذلك التخصيص ليس لأحد أن يدعيه إلا مع قرينة تدل عليه. فلا يسوغ العقلاء لأحد أن يقول: جاءني زيد، وهو يريد ابن زيد إلا مع قرينة كما في قوله:

﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

واسأل العير^(٢) عند من يقول: إنه من هذا الباب فإنه يقول: القرية والعير لا يسألون فعلم أنه أراد أهلها. ومن جعل القرية اسماً للسكان والمسكن، والعير اسماً للركبان والمركوب، لم يحتج إلى هذا التقدير، وإذا كانت هذه الأنواع لا تجوز مع تجرد الكلام عن القرائن المبينة للمراد، فحيث / تجردت علمنا قطعاً أنه لم يرد بها ذلك وليس لقائل أن يقول: قد تكون القرائن موجودة ولا نعلم بها لأن من القرائن ما يجب أن يكون لفظياً كمخصصات الأعداد وغيرها، ومنها ما يكون معنوياً كالقرائن الحالية

[٧٧/١]

(١) م: (غير).

(٢) في سورة يوسف:

﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

[يوسف: ٨٢].

والمقالية^(١)(٢) والنوعان لا بد أن يكونا ظاهرين للمخاطب ليفهم من تلك القرائن مراد المتكلم، فإذا تجرد الكلام عن القرائن فهم^(٣) معناه المراد عند التجرد، وإذا اقترن بتلك القرائن فهم معناه المراد عند الاقتران فلم يقع لبس في الكلام المجرد ولا في الكلام^(٤) المقيد، إذ كل من النوعين مفهوم لمعناه المختص به.

وقد اتفقت اللغة والشرع على أن اللفظ المجرد إنما يراد به ما ظهر منه، وما^(٥) يقدر من احتمال مجاز أو اشتراك أو حذف أو إضمار ونحوه إنما يقع مع القرينة أما مع عدمها فلا والمراد معلوم على التقديرين، يوضحه:

الوجه السابع والخمسون:

إن غاية ما يقال: إن في القرآن ألفاظاً استعملت في معان لم تكن تعرفها العرب، وهي الأسماء الشرعية، كالصلاة والزكاة والصيام والاعتكاف ونحوها، والأسماء الدينية^(٦) كالإسلام والإيمان والكفر والنفاق ونحوها، وأسماء

بيان أن في القرآن ألفاظاً استعملت في معان لم تكن تعرفها العرب

(١) ظ: (والعقلية)؛ م: (والعقلية)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) القرينة الحالية مثل أن تقول للمسافر: «في حفظ الله» فإن في العبارة حذفاً يدل عليه تجهز المخاطب للسفر وهي القرينة الحالية والقرينة المقالية مثل رأيت أسداً يخطب، فلفظ يخطب تدل على أن المراد بالأسد الرجل الشجاع فهي قرينة مقالية.

التعريفات للجرجاني، ص ١٥٢، طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٧.

(٣) ظ، م: (فإن فهم)، ولعل الصواب حذف (فإن).

(٤) ظ، م: (ولا الكلام في)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٥) ظ، م: (وإنما)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦) ظ: (الدينية).

مجملة لم يرد ظاهرها، كالسارق والسارقة، والزاني والزانية، ونحوه. وأسماء مشتركة كالقرء^(١)، وعسعس^(٢)، ونحوهما، فهذه الأسماء لا تفيد اليقين بالمراد منها، فيقال: هذه الأسماء جارية في القرآن ثلاثة أنواع. نوع بيانه معه، فهو مع بيانه يفيد اليقين^(٣) بالمراد منه، ونوع بيانه في آية أخرى، فيستفاد اليقين بالمراد من مجموع الإثنيين، ونوع بيانه موكول^(٤) إلى الرسول «صلى الله عليه وسلم» فيستفاد اليقين من المراد منه ببيان الرسول، ولم نقل نحن ولا أحد من العقلاء: إن كل لفظ^(٥) فهو مفيد لليقين بالمراد منه بمجرد من غير احتياج إلى لفظ آخر، متصل به، أو منفصل عنه، بل نقول: إن مراد المتكلم يعلم من لفظه المجرد تارة، والمقرون تارة، ومنه ومن لفظ آخر يفيدان اليقين بمراده تارة، ومنه ومن بيان آخر بالفعل أو القول يحيل^(٦) المتكلم عليه تارة، وليس في القرآن خطاب أريد منه العلم ببدلولة إلا وهو داخل في هذه الأقسام.

أنواع البيان في
القرآن:
الأول
الثاني
الثالث

(١) القرء: والقرء هو الحيض والظهر وذلك لأن القرء هو الوقت فقد يكون للحيض أو الظهر ومنه قول الشاعر:

إذا ما الساء لم تغم ثم أخلفت قروء الثريا أن يكون لها قطر
يريد وقت نوثها الذي يمطر فيه الناس.

لسان العرب ٥/٣٥٦٤، ٣٥٦٥.

(٢) سبق، انظر ص ٧٦٩.

(٣) ظ، م: (بيان)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) م: (موكولاً).

(٥) ظ، م: كرر (لفظ).

(٦) ظ: (يجعل)؛ م: (يجفل).

مثال النوع الأول

فالبیان المقترن (١) كقوله:

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾
[البقرة: ١٨٧].

وكقوله:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥].

وقوله:

﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].
ونظائر ذلك.

مثال النوع الثاني

والبيان المنفصل: كقوله:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].
و(٢) قوله:

﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

مع قوله:

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

فأفاد مجموع اللفظين بأن مدة الحمل ستة أشهر (٣)،
وكذلك قوله:

(١) انظر ص ٢١٠.

(٢) (الواو): ليست في ظ ولا م، ولعل الصواب إثباتها.

(٣) انظر ص ٥٢٣. والمراد هنا أقل مدة الحمل.

﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ﴾ [النساء: ١٢].

مع قوله:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ﴾ الآية

[النساء: ١٧٦].

أفاد مجموع النصين^(١)، العلم بالمراد من الكلاله وأنه من لا ولد له وإن سفل، ولا والد له وإن علا^(٢) وكذلك قوله:

﴿أَسْكُنُوهُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْنَ وَجَدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦].

مع قوله:

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾

[الطلاق: ٢].

أفاد مجموع الخطابين في الرجعيات دون البوائن. ومنه قوله:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ [التكوير: ١٧/١٨].

مع قوله: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾^(٣) وَالصُّبْحِ إِذَا آسَفَرَ

[المدثر: ٣٢ - ٣٤].

فإن مجموع الخطابين يفيدان العلم بأن الرب سبحانه أقسم بإدبار هذا وإقبال هذا، أو بإقبال كل منهما على من

(١) ظ: (النصين).

(٢) سبق. ص ٥٦٩.

(٣) ظ، م: (إذا).

فسر^(١) «أدبر» بأنه دبر النهار أي جاء في دبره، وعسعس^(٢) بأقبل، فعلى هذا القول يكون الإقسام بإقبال الليل وإقبال النهار. وعلى القول الأول يكون قد وقع الإقسام بإدبار الليل وإقبال النهار، وقد يقال: وقع الإقسام في الاثنين^(٣) بالنوعين^(٤).

وأما البيان الذي يحيل المتكلم عليه فكما أحال الله سبحانه وتعالى رسوله في بيان ما أمر به عباده من الصلاة، والزكاة والحج وفرائض الإسلام التي إنما علم مقاديرها وصفاتها وهيئاتها من بيان الرسول «صلى الله عليه وسلم» فلا يخرج خطاب القرآن عن هذه الوجوه. ولم يخاطب الله عباده بلفظ إلا وقد بين لهم مراده به بأحد هذه الوجوه الأربعة^(٥)، فصار الخطاب مع بيانه مفيداً لليقين بالمراد منه، وإن لم يكن بيانه متصلاً به، وذلك لا يعزل كلام الله ورسوله عن إفادة العلم واليقين.

بيان أن حصول
اليقين بمدلول الأدلة
السمعية أظهر من
حصوله بمدلول
الأدلة العقلية

الوجه الثامن والخمسون:

إن حصول اليقين بمدلول الأدلة السمعية والعلم بمراد المتكلم بها أيسر وأظهر من حصوله بمدلول الأدلة العقلية.

-
- (١) ظ، م: (فسوه)، ولعل الصواب ما أثبتته.
(٢) سبق الحديث عن معنى عسعس، ص ٧٦٩.
(٣) ظ، م: (سين)، والصواب ما أثبتته.
(٤) في الاثنين: أي الليل والنهار. بالنوعين: أي الإقبال والإدبار.
(٥) وهي المذكورة في ص ٧٥٤ وهي: أن مراد المتكلم يعلم من لفظه المجرد تارة، والمقرون تارة، ومنه ومن لفظ آخر يفيد أن اليقين بمراده تارة، ومنه ومن بيان آخر بالفعل أو القول يحيل المتكلم عليه تارة، ولم يمثل المصنف للمجرد لوضوحه.

فإن الأدلة السمعية تدل بقصد الدال وإرادته، وعلم
المخاطب بذلك أيسر عليه من علمه باقتضاء
الدليل / العقلي بمدلوله. ولهذا كان أول ما يفعله الطفل
معرفة مراد أبويه بخطابهما له قبل علمه بالأدلة العقلية،
وأيضاً فمن قصد تعليم غيره مقتضى الدليل العقلي،
لم^(١) يمكنه ذلك حتى يعرفه مدلول الألفاظ التي صاغ بها
الدليل العقلي، فعلمه بمدلول الدليل السمعي الدال على
مقتضى الدليل العقلي أسبق إليه وأيسر عليه. وهذا
هو الترتيب الطبيعي الموجود في الناس، كما يخاطب المعلم
المتعلم^(٢) بالألفاظ الدالة على الدليل العقلي، فلا بد أن
يعرف مدلول تلك الألفاظ أولاً، ثم يرتب مدلولها في ذهنه
ترتيباً ينتج له العلم بالنتيجة، وليس أحد من البشر يستغني
عن التعلم السمعي، كيف وآدم أبوهم أول من علمه الله
أصول الأدلة السمعية؟ وهي الأسماء كلها وكلمه قبلاً^(٣)
ونبأه وعلمه بخطاب الوحي ما لم يعلمه بمجرد العقل^(٤)،
وهكذا جميع الأنبياء من ذريته، علمهم بالأدلة السمعية وهي
الوحي ما لم يعلموه بمجرد عقولهم، وحصل لهم من اليقين

[٧٨/١]

(١) ظ: (كمن)؛ م: (كمن)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (العلم للمتعلم).

(٣) قبلاً: أي معاينة وفي القرآن:

﴿أَوْتَاتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَكِ قَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٩٢].

لسان العرب ٥/٣٥٢٠. فتح القدير ٣/٢٥٨.

(٤) ظ: (العطي).

والعلم بالأدلة السمعية التي هي خطاب الله لهم ما لم يحصل لهم بمجرد العقل، وأحيلوا هم وأممهم على الأدلة^(١) السمعية، ولم يحاولوا على العقل وهداهم الله بالأدلة السمعية لا بمجرد العقل وأقام حجته على أممهم بالأدلة السمعية لا بالعقل. يوضحه:

الوجه التاسع والخمسون:

بيان أن النبوة
خطاب سمعي

وهو ما اتفقت عليه أهل الملل^(٢) أن النبوة خطاب سمعي بوحى يوحيه الملك إلى النبي عن الرب تعالى ليست مجرد معرفة الحقائق بقوة قدسية في البشر تميّز^(٣) بها عن غيره وقوة تخيل وتخييل يتمكن بها من^(٤) التصور وحسن البصيرة وقوة تأثير يتمكن بها من التصرف في عناصر العالم كما يقول المتفلسفة^(٥) ويقولون إن ما يحصل للنبي من المعارف إنما هو بواسطة القياس العقلي كغيره من البشر لكن هو أسرع وأكمل إدراكاً للحد الأوسط من غيره ويزعمون أن علم الرب كذلك والقائلون بأن اليقين والعلم إنما يحصل من الأدلة العقلية لا من الأدلة السمعية هم هؤلاء وعندهم تلقي^(٦) هذا الأصل، ومنهم أخذ، فهو أحد أصول الفلسفة^(٧)

(١) ظ، م: (أدله)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ: (الملك).

(٣) أي: النبي.

(٤) ظ، م: (أخر) بدل (من) ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) سبق. انظر ص ١٩١.

(٦) ظ: (نللي).

(٧) انظر ص ١٩١.

والإلحاد والزندقة^(١) الذي يتضمن عزل النبوات وما جاءت به الرسل عن الله من الأدلة السمعية — وتولية القواعد المنطقية والآراء الفلسفية فأخذه^(٢) منهم متأخرو الجهمية فصالوا به على أهل الكتاب والسنة ولقد كان قدماؤهم^(٣) لا يصرحون بذلك ولا يتجاسرون عليه فكشف المتأخرون القناع^(٤) وألقوا جلباب الدين وصرحوا بعزل الوحي عن دَرَجِهِ^(٥) والمسلمون^(٦) بل وأهل الملل^(٧) قاطبة يعلمون بالضرورة أن^(٨) أكمل التعليم تعليم الله لصفية آدم الأسماء كلها وأكمل التكليم تكليمه سبحانه لكليمه موسى، وأعلى أنواع العلوم وأعظمها إفادة لليقين العلوم التي ألقاها الله سبحانه إلى أنبيائه بواسطة السمع. وأن نسبة العلوم العقلية المشتركة بين الناس إليها أقل وأصغر من نسبة علوم العجائز والأطفال إلى تلك العلوم فبين العلوم الحاصلة من الأدلة السمعية للرسل واتباعهم وبين العلوم الصحيحة الحاصلة بأفكار العقلاء من التفاوت أضعاف ما بين الخردلة إلى الجبل

(١) انظر ص ٦٤٦.

(٢) ظ، م: (فأذه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) م: (قدماؤهم).

(٤) ظ: (النساع).

(٥) الإدراج: جمع درج وهو الطريق يقال: خَلَّى دَرَجَ الضَّبِّ ودَرَجُهُ طريقه، أي لا تعرض له. والمعنى أنهم صرحوا بعزل الوحي عن طريقه.

لسان العرب ١٣٥٢/٢، مادة (درج).

(٦) ظ، م: (والمسلمين).

(٧) ظ: (الملك).

(٨) ظ، م: (وإن)، ولعل الصواب حذف الواو.

العظيم فكيف النسبة^(١) بين العلوم السمعية اليقينية للرسول واتباعهم، وبين الشبه^(٢) الخيالية التي هي من جنس شبه السوفسطائية^(٣) في التحقيق، فدعوى هؤلاء المخدوعين المخادعين أن ما جاءت به الأنبياء لا يفيد اليقين وأن تلك الهدايات التي بنوا عليها واستدلوا بها هي المفيدة لليقين من جنس دعوى فرعون وقوله:

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾

[غافر: ٢٩].

وقال عن موسى وما^(٤) جاء به:

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾

[غافر: ٢٦].

فدعوى هؤلاء من جنس دعواه سواء وبالله التوفيق.

الوجه الستون:

إن دلالة الأدلة السمعية على مدلولها من جنس دلالة الآيات المعينة على مدلولها وهذان النوعان هما أكمل الأدلة وهما المستلزمان للعلم بالرب تعالى وأسمائه وصفاته والمعاد وإثبات صدق الرسل بخلاف الأدلة العقلية الكلية التي

بيان أن دلالة الأدلة السمعية على مدلولها من جنس دلالة الآيات المعينة على مدلولها

(١) ظ، م: (التشبيه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (التشبيه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) انظر ص ٦٤٦.

(٤) ظ، م: (وجاء به)، ولعل الصواب ما أثبتته.

طريقها صناعة المنطق فإنها إذا صحت مقدماتها وكانت يقينية وكانت منتجة فإنما تنتج مطلوباً كلياً لا يحصل به إثبات رب معين ولا رسول معين ولا إثبات شيء من أصول الإيمان التي لا سعادة للعبد بدونها فإن غاية ما عند هؤلاء أن الممكن يفتقر إلى واجب فبعد تقرير إمكان العالم والتخلص من الشبه الواردة على الإمكان إنما استفادوه إثبات وجود واجب. ومعلوم أن فرعون وهامان ونمرود بن كنعان^(١) والمجوس^(٢) والصابئة^(٣) لا يشكون في إثبات وجود واجب / بل عباد الأصنام أهدي من هؤلاء حيث اعترفوا برب قيوم خالق قادر يفعل بمشيئته وقدرته وأصحاب هذه الأدلة^(٤) العقلية التي تفيد اليقين لم يصلوا فيما استفادوه بها إلى هذا ولا قريب منه بل أثبتوا وجوداً واجباً وهل هو هذا الفلك أو فلك وراءه؟ أو^(٥) وجود مطلق أو علة أولى أو الوجود الكلي العام الساري في الموجودات؟ كما قال بكل من ذلك طائفة. وأما كونه الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم القاهر فوق عباده الذي استوى على عرشه يعلم ما تخفيه^(٦) الضمائر، ويرى ويسمع

[٧٩/١]

(١) هو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ملك بابل وهو المذكور في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمُلْكَ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

تفسير ابن كثير ٣١٣/١.

(٢) سبق، انظر: ص ٣٤٩.

(٣) سبق، انظر: ص ١٦٢.

(٤) ظ: (الأدلية).

(٥) ظ، م: (ووجود)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦) ظ، م: (تحتة)، والصواب ما أثبت.

ويتكلم ويكلم ويرضى ويغضب ويخلق ما يشاء فهذا لا تدل عليه مقدماتهم المنطقية وأدلتهم الكلية فلا تفيد شيئاً من مطالب الإيمان المشتركة بين أهل الملل (١) البتة، وأما أدلة الرب سبحانه بآياته السمعية والخلقية (٢) فهي التي دلت عباده على توحيدِهِ وصفات كماله ونعوت جلاله وصدق رسله وصحة معاد (٣) الأبدان وقيام الناس من قبورهم إلى دار شقاوة وسعادة فلولا هذه الآيات السمعية لم يعرفوا شيئاً من ذلك، وقد أخبر سبحانه عن هذه الآيات السمعية والخلقية (٤) بقوله:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

فبين سبحانه أنه يري عباده من الآيات المشهودة العيانية في الأفاق وفي أنفسهم ما تبين لهم به أن آياته السمعية القرآنية حق وصدق، فأيات الرب تعالى العيانية الأفقية والنفسية مستلزمة لإثبات الأدلة السمعية. ثم دلالة آياته السمعية التي لا تفيد اليقين عند هؤلاء أكمل دلالة على المطالب الإيمانية من الأدلة الكلية المؤلفة من القياسات (٥) المنطقية، بل دلالتها على تلك المطالب كدلالة الشمس على

(١) ظ: (الملك).

(٢) ظ: (الخليقة).

(٣) ظ: (معادن).

(٤) ظ: (الخليقة).

(٥) ظ: (القياسان).

النهار ودلالة ضوء الصبح على الصباح ودلالة الدخان على النار والمصنوع على الصانع ودلالة النجوم على الطرق ونحو ذلك. وهذا يبين^(١) أن أضعف أنواع الأدلة هي الأدلة القياسية العقلية التي هي عند كثير من الفلاسفة والمتكلمين أكمل الأدلة ثم الدليل القياسي التمثيلي أقوى وأظهر دلالة من الدليل القياسي الشمولي خلاف ما يدعيه المنطقيون ومن اتبعهم، فأدلة هؤلاء (هي)^(٢) آخر المراتب وأضعفها وأدلة القرآن في أعلى مراتب الأدلة وأشدّها ارتباطاً بمدلولها واستلزماً له خلاف لمن عكس ذلك كابن سينا^(٣) وابن الخطيب^(٤) والآمدّي^(٥) وأشباههم.

فدلالة المقال أكمل من دلالة الحال ودلالة الحال المعينة

(١) ظ، م: (وهل أيبين).

(٢) لفظ: (هي): سقط من م.

(٣) هو الحسين بن عبدالله بن سينا أبو علي شرف الملك الفيلسوف الرئيس، ولد سنة ٣٧٠ في إحدى قرى بخارى كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين. من كتبه: «الشفاء» و«الإشارات»، توفي سنة ٤٢٨.

لسان الميزان ٢/٢٩١ - ٢٩٣؛ الأعلام ٢/٢٤١ - ٢٤٤؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٩.

(٤) سبق، انظر: ص ٦٤٠.

(٥) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي، أبو الحسن الملقب سيف الدين الأمدي، ولد سنة ٥٥١، ونسبته إلى «آمد»، وهي مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم ومن كتبه: «أبكار الأفكار» في علم الكلام و«مناجح القرائح» وهو مختصر الكتاب السابق و«رموز الكنوز» و«منتهى السؤل في علم الأصول»... وغيرها، توفي سنة ٦٣١.

وفيات الأعيان ٣/٢٩٣، ٢٩٤؛ طبقات الشافعية ٨/٣٠٦ - ٣٠٧؛ شذرات الذهب ١٤٤/٥.

أكمل من الدلالة الكلية المنطقية ودلالة كلام الله أكمل من دلالة كل كلام وإفادته اليقين فوق إفادة كل دليل اليقين بمدلوله ودلالة آياته^(١) العيانة على مدلولها فوق إفادة كل دليل عقلي ومدلوله. فقول من قال إنها لا تفيد اليقين بمدلولها لأنها أدلة لفظية والأدلة العقلية لا تفيد لكونها أمثال جزئية لا أقيسة كلية فيسمون آياته السمعية أدلة لفظية^(٢) وآياته العيانة تمثيلات جزئية ويقولون هذا تمثيل لا دليل وفي الأول هذا دليل لفظي لا عقلي فقول هؤلاء قلب للحقائق وعكس لما فطر الله عليه عباده وقدح في المعلوم قطعاً ويقيناً بالشبه الخيالية والأقيسة المنطقية وقد أفسدوا من الفطر وغيرها عما فطرت عليه خلأ لا يحصيهم إلا الله وهؤلاء للملل^(٣) بمنزلة السوس في الخشب والثياب وغيرها ولهذا سماهم أنصار الله ورسوله سوس الملل^(٤) وإذا شئت أن تعرف حقيقة الأمر فانظر إلى أهل الأدلة السمعية وأهل الأدلة المنطقية العقلية ووازن بين معارف هؤلاء وعلومهم وإيمانهم وهدايتهم ونفع الخلق بهم وسيرتهم وبين علوم أولئك ومعارفهم وسيرتهم، وضرر^(٥) الخلق بهم وإخراجهم لمن أنشبوا مخالبتهم فيه من العقل والدين خروج الشعرة من العجين.

(١) ظ، م: (آيات)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (القطعية)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (للملك).

(٤) ظ: (الملك).

(٥) ظ، م: (ضرار).

الوجه الحادي والستون :

إنه من أعظم المحال أن يكون المصنفون في جميع العلوم قد بينوا مرادهم وعلم الناس مرادهم منها يقيناً سواء كان ذلك المعلوم (١) مطابقاً للحق أو غير مطابق له ويكون الله ورسوله لم يبين مراده بكلامه، ولا تيقنت الأمة إلى الآن ما أراد بكلامه فهذا لا يقوله إلا من هو من أجهل الناس بالله ورسوله وكلامه ونحن لا ننكر أن في أرباب المعقولات من هو في غاية البعد عن معرفة الله ورسوله وما جاء به وأنه لم يحصل له اليقين من كلام الله ورسوله وذلك لبعده منه وعدم الثقة (٢) به / وسوء ظنه به واعتقاده أن كلامه خطابة لا برهان وأنه تخييل خيل به إلى النفوس وشبه لها الأمور العقلية وأخرجها في الصور المحسوسة وأن القرآن إنما هو خطاب للعرب الجهال الذين هم من أجهل الأمم بالعلوم والحقائق وأنهم لم تمكن (٣) دعوتهم إلا بالطريق الخطابية التخيلية لا بالطريق البرهانية العقلية الحكيمة وأن طريق الحكمة والبرهان هي طرق الفلاسفة (٤) والمنطقيين والصابئة (٥) وأتباعهم فلا ريب أن القرآن في حق مثل هذا لا يفيد اليقين بل هو عمى عليه وضلال في حقه كما قال تعالى :

بيان أن من أعظم المحال أن يكون المصنفون قد بينوا مرادهم ويكون الله ورسوله لم يبين مرادها

[٨٠/١]

(١) ظ، م : (العلوم)، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) ظ، م : (الفسه) .

(٣) م : (لم يكن) .

(٤) سبق، انظر: ص ١٩١ .

(٥) سبق، انظر: ص ١٦٢ .

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوهُدَىٰ وَشَفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرُّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۗ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ
بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

قال مجاهد: بعيد من قلوبهم فهم ما يتلى عليهم^(١) وقال الفراء: تقول للرجل الذي لا يفهم كلامك: أنت تنادي من مكان بعيد^(٢) وقال صاحب النظم: أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وهذا حال هؤلاء الذين لا يستفيدون من كلام الله ورسوله يقيناً ولا علماً وهذه أيضاً حال الجهال ومن نشأ بالبوادي ومن لا يفهم له من أهل البله والبلادة وأمثال هؤلاء فإن هؤلاء لا يستفيدون من كلام الله ورسوله علماً ولا يقيناً. فقول القائل الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين لم يذكر المفعول بل حذفه فإن أراد أنها^(٣) لا تفيد اليقين لهاتين الطائفتين^(٤) فصدق، وإن أراد أنها لا تفيده للراسخين في العلم وأهل الذكاء الذين هم أحسن الناس قصوداً^(٥) وأصحهم أذهاناً فقد كذب عليهم وبهتهم فإنهم قد استفادوا

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/١٠٣، الجملة الأولى فقط: وكذا فتح القدير ٤/٥٢٠.

(٢) فتح القدير ٤/٥٢٠.

(٣) ظ، م: (فإن إفادتها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) يريد الطائفتين المذكورتين آنفاً وهما:

١ - الجهال ومن نشأ في البوادي.

٢ - أهل البله والبلادة.

(٥) م: (قصودوا).

منها من اليقين ما لم يستفده أهل منطق اليونان وأتباع الفلاسفة^(١) وأفراخ الصابئة^(٢) وورثة الملاحدة^(٣) وأوقاح الجهمية من قواعدهم الباطلة، فدعواهم أنهم^(٤) لم يستفيدوا منها يقيناً مكابرة لهم في الأمور الوجدانية الحاصلة لهم.

وإن قالوا نحن لم نستفد منها يقيناً قيل لهم: لا يلزم من ذلك أن لا تفيد اليقين لأهل العلم والإيمان. وقد قال من لم يستفد العلم واليقين من القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم ما حكاه الله عنهم بقوله:

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيءَآذَانِنَا وَقُرَّوْا مِنَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥].

ولم يمنع هذا ارتفاع هذه الموانع واستفادة الهدى واليقين في حق المؤمنين المصدقين بل كان في حقهم هدى وشفاء. وإن قال: هي لا تفيد اليقين في نفسها وليست موضعاً لذلك فهذا غاية البهت والإلحاد. يوضحه:

الوجه الثاني والستون:

بيان المراد بقولهم
لا تفيد اليقين
أن يقال لهم: ما تريدون بهذا النفي؟ أتريدون بالأدلة اللفظية جنس كلام بني آدم الدال على مرادهم في الخطاب والتصنيف وغيره، أو كلام الله ورسوله؟ وهل مرادكم بهذا

(١) انظر: ص ١٩١.

(٢) أنظر: ص ١٦٢.

(٣) سبق، انظر: ص ٣٠٠.

(٤) ظ، م: (انكم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

السلب أن شيئاً منها لا يفيد اليقين، أو أن مجموعها لا يفيد، وإن أفاده بعضها.

وهل المراد أنه لا يستفيد أحد منها اليقين البتة؟ أو أن الناس كلهم لا يستفيدون منها اليقين بل يستفيدة بعضهم دون البعض.

وهل المراد بها لا تفيد اليقين بمراد المتكلم بها؟ أو لا تفيد اليقين بثبوت ما أخبر بثبوتة ونفي ما أخبر بنفيه وإن تيقنا مراده فهما مقامان والفرق بينهما معلوم فهذه ثمانية تقادير فبينوا مرادكم منها فإن أحداً من العقلاء لا يمكنه (أن)^(١) ينفي حصول اليقين منها على هذه التقادير كلها.

وإذا كان المراد نفي اليقين على بعض التقادير المذكورة، فبينوه بالدعوى ليتوارد النفي والإثبات على محل واحد، والظاهر والله أعلم، أنكم تريدون أن كلام الله ورسوله لا يستفاد منه علم ولا يقين في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وإثبات ملائكته وصفاتهم وأنواعهم، وإذا لم يفد اليقين في ذلك، وهو أعظم أقسام القرآن وأظهرها وأكثرها وروداً فيه، فكيف يفيد في باب المعاد والأحكام كما تقدم تقريره؟

الوجه الثالث والستون:

إن هذا القانون مضمونه جحد الرسالة في الحقيقة، وإن أقربها صاحبه بلسانه، بل مضمونه إن ترك الناس بلا رسول

بيان أن مضمون هذا القانون جحد الرسالة

(١) (ان): سقط من م.

يرسل إليهم خير من أن يرسل إليهم رسول، وإن الرسل لم يهتد بهم أحد في أصول الدين، بل ضل بهم الناس، وذلك أن القرآن على ما اعتقده أرباب هذا القانون لا يستفاد منه علم ولا حجة، بل إذا علمنا بعقولنا سبباً اعتقدناه، ثم نظرنا في القرآن فإن كان موافقاً لذلك أقرناه على ظاهره؛ لكونه معلوماً بذلك الدليل العقلي الذي استفدناه به لا يكون الرسول أخبر به، وإن كان ظاهره / مخالفاً لما عرفناه^(١) واستنبطناه بعقولنا، اتبعنا العقل وسلكننا في السمع طريقة التأويل، أو الإعراض والتفويض، فأني فائدة حصلت إذا بإخبار الرسول، بل مضمون ذلك أنا حصلنا على العناء الطويل لاستخراج^(٢) وجوه التأويلات المستلزمة، أو التعرض^(٣) لاعتقاد الباطل والضلال بحمل الكلام على ظاهره، فكانت الأدلة اللفظية مقتضية لضلال هؤلاء، ولعناء^(٤) أولئك فأين^(٥) الهدى والشفاء الذي حصل بها لهؤلاء وهؤلاء؟ ومن العجب اعتراف أرباب هذا القانون بهذا، وجوابهم عنه بجواب أهل الإلحاد، وهو أن المخاطبين لم يكونوا يفهمون الحقائق، فضربت لهم الأمثال من غير أن يكون المخبر ثابتاً في نفس الأمر، فراجع كتب القوم تجد ذلك فيها.

(١) ظ: (عرفنا).

(٢) ظ: (باستخراج).

(٣) ظ، م: (التعريض)، ولعل الأولى ما أثبتته.

(٤) ظ، م: (والعناء).

(٥) م: (في أي).

الوجه الرابع والستون:

بيان اختلاف
أصحاب هذا
القانون

إن أصحاب هذا القانون في قول مختلف، يؤفك عنه من أفك، فتارة يقولون: نحن نعلم انتفاء الظاهر قطعاً، وأنه غير المراد، وإن كنا لا نعلم عين المراد، وتارة يقولون: بل الرسول خاطب الخلق خطاباً جمهورياً، يوافق ما عندهم وما ألفوه، ولو خاطبهم بإثبات موجود لا داخل العالم ولا خارجه، ولا يتكلم ولا يكلم، ولا يرى عياناً ولا يشار إليه لقالوا: هذه صفات معدوم لا موجود فوقعوا في التعطيل، فكان الأصلح أن يأتي بالفاظ دالة على ما يناسب ما نحلوه وألفوه فيخلصهم من التعطيل.

فكيف^(١) يجمع هذا القول وقولهم: إن الظاهر غير مراد، فإن كان قد أراد منهم الظاهر بطل قولهم: إن الظاهر غير مراد، وإن أراد منهم التأويل يبطل قولهم^(٢): إنه قصد خطابهم بما يخيل إليهم، ويتمكنون معه من إثبات الصانع، ويتخلصون من التعطيل فأى تناقض أشد من هذا؟ فإن أراد الظاهر فقد أراد عندكم إفهام الباطل الذي دل عليه لفظه، وإن لم يرد الظاهر بل أراد منهم التأويل، لم يحصل الغرض الذي ذكرتموه ولم يخلصوا^(٣) من التعطيل وهذه لا حيلة لكم في دفعه.

فهما طريقتان باطلتان مضادتان لقصد الرسالة، هؤلاء

(١) م: (فكيف يكون يجمع)؛ وفي ظ: (يكون ملغاة).

(٢) ظ: (قولكم).

(٣) م: (ولم يتخلصوا).

يقولون: أراد منهم أن يتخيلوا ما ينفعهم، وإن لم يكن حقاً في نفس الأمر، وأصحاب التأويل يقولون، أراد منهم ضد ذلك المعنى الذي دل عليه كلامه، ونصه، وتارة يقولون: أراد منهم تأويل النصوص، وتارة يقولون: أراد منهم^(١) تفويضها وقد نزه الله ورسوله عن أن يريد المعاني الباطلة، أو يقصر في بيان ما أراده فإن الأول كذب وتدليس وتلبيس، والثاني تقصير في البيان، وإذا كان الرسول منزهاً عن هذا وهذا، فالرب تعالى أولى بتنزيهه عن الأمرين.

وقد قام الدليل القطعي على تنزيه الله ورسوله عن ذلك، فلا يقدح فيه بالشبه^(٢) الخيالية الفاسدة.

الوجه الخامس والستون:

إن الله سبحانه قَسَمَ الأدلة السمعية إلى قسمين، محكم ومتشابه وجعل المحكم أصلاً للمتشابه، وأما له يرد إليه فما^(٣) خالف ظاهر المحكم فهو متشابه يرد إلى المحكم، وقد اتفق المسلمون على هذا، وأن المحكم هو الأصل والمتشابه مردود إليه، وأصحاب هذا القانون جعلوا الأصل المحكم ما يدعونه من العقلية، وجعلوا القرآن كله مردوداً إليه فما^(٤) خالفه فهو متشابه، وما^(٥) وافقه فهو المحكم، ولم يبق

بيان أن أصحاب هذا القانون جعلوا الأصل المحكم ما يدعونه من العقلية

(١) ظ، م: (منها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (التشبيه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (فمن)، والأولى ما أثبتته.

(٤) ظ، م: (فمن)، والأولى ما أثبتته.

(٥) ظ، م: (ومن)، والأولى ما أثبتته.

عند أهل القانون في القرآن محكم يرد إليه المتشابه،
ولا هو أم الكتاب وأصله .

الوجه السادس والستون :

إنه على قول أرباب القانون : لا سبيل لأحد أن يعرف
أن شيئاً من القرآن محكم ، فإن ذلك إنما يعرف إذا حصل
اليقين بانتفاء^(١) المعارض العقلي ، وهذا النفي غير معلوم .
إذ غاية ما يمكن انتفاء العلم بالمعارض لا العلم بانتفاءه .
بيان أن هذا القول
يؤدي إلى أن لا سبيل
لأحد أن يعرف أن
شيئاً من القرآن
محكم

فإن قلت: نحن نقول: إن صرف اللفظ عن ظاهره
وإخراجه عن كونه محكماً لا يجوز إلا عند قيام الدليل العقلي
القطعي على أن ظاهره محال ممتنع، قيل: وأنتم تقولون مع
ذلك إن حمله على ظاهره لا يجب إلا إذا قام الدليل العقلي
على أن ظاهره حق فما لم يعضده دليل عقلي لم يجزم بثبوتة،
فالمعتمد إذاً عندكم^(٢) في النفي والإثبات على الدليل العقلي
والقرآن عديم التأثير لا يجزم بنفي ما نفاه ولا بإثبات
ما أثبته، وهذا قول من لم يؤمن بما أنزل الله من الكتاب
ولا بما أرسل به الرسول .

الوجه السابع والستون :

إن أصحاب القانون لا يمكنهم إنكار أن الأدلة اللفظية
تفيد ظناً غالباً وإن لم تفدهم يقيناً، وما عندهم مما يسمونه
أدلة عقلية على نفي ما دل عليه القرآن والسنة من الصفات
ظناً غالباً
بيان أن أصحاب
هذا القانون
لا يمكنهم إنكار أن
الأدلة اللفظية تفيد
ظناً غالباً

(١) ظ: (باقتضاء).

(٢) م: (عندهم).

إنما هي أقوال باطلة لا تفيد عند^(١) التحقيق لا علماً ولا ظناً، بل جهلاً مركباً يظن صاحبها / أن معه علماً، وإنما معه الجهل المركب، فهي في العلوم كأعمال من خالف الرسل في الأعمال:

﴿ كَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْءَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

[النور: ٣٩].

فهذا مثل أعمال هؤلاء وعلوم أولئك، ولا ريب أن الظن المستفاد من الأدلة السمعية خير من هذا الجهل المركب، إلا أن يقول أرباب القانون: إن الأدلة اللفظية لا يستفاد منها علم ولا ظن البتة، ولا يبتعد^(٢) هذا من قولهم.

وهم يقولون: إن ظاهرها باطل وتشبيهه وتجسيمه، وإذا انتهى الأمر إلى هنا انتقلنا إلى إثبات أن محمداً رسول الله، فإن زاعم ذلك غير مقرر برسالته^(٣) في نفس الأمر كما تقدم والله أعلم.

بيان أن هذا يتضمن الوجه الثامن والستون: إن هذا يتضمن القدح في أعظم آيات الرب الدالة على ربوبيته وحكمته، ووجد ما هو من أعظم نعمه على عباده. على ربوبيته

(١) ظ: (عنه).

(٢) م: (يستعد).

(٣) ظ، م: (مقربه ساكنه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

أما الأول: فلأن الله سبحانه جعل من آيات ربوبيته الهداية العامة لخلقه^(١). كما قال:

﴿سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾
[الأعلى : ١ - ٣].

وقال فرعون لموسى :

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَىٰ ﴿١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴿٢﴾ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه : ٤٩ ، ٥٠].

فهدى كل نفس لجلب^(٢) ما يصلحها وينفعها ودفع ما يضرها ويفسدها.

وخص النوع الإنساني^(٣) بأنواع آخر من الهداية التي يعرفها ويتمكن من النطق بها لهداية غيره، ومن أعلى أنواع هذا الهدى هدى البيان^(٤)، والدلالة^(٥) وتعريف الإنسان ومعرفته مراده ومراد غيره، وذلك إنما هو بصفة النطق التي هي أظهر ما في الإنسان، ولذلك شبه الله سبحانه بها ما أخبره به من الغيب.. فقال:

﴿فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾
[الذاريات : ٢٣].

(١) ظ : (بخلقه).

(٢) م : (بجلب).

(٣) ظ : (الإنسان).

(٤) م : (البيان).

(٥) ظ، م : (الدالة).

وأما أن ذلك من أعظم نعم الله على عباده، فلأن الإنسان إنما يميز عن سائر الحيوان بكمال هذه القوة وتمامها فيه، واقتداره منها على ما لم تقتدر عليه الحيوانات العجم. ولذلك عدد ذلك من نعمه على عباده في جملة ما أنعم به عليهم، فقال:

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

وقال:

﴿أَقْرَأُورُوكَ الْآكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [اقرأ: ٣ - ٥].

وقال:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ - ١٠].

فإنكار حصول العلم واليقين من كلام المتكلم قدح في أعظم آيات الله، وجحد لما هو من أعظم نعمه.

وكنا نظن أن قائل ذلك أراد: أن بعض الأدلة اللفظية لا تفيد العلم واليقين، حتى رأيناه قد صرح بأن شيئاً منها لا يفيد اليقين البتة، ولا قدح في آياته، ولا جحد لنعمه أبلغ من ذلك.

الوجه التاسع والستون :

إن هذا القول الذي قاله أصحاب القانون لم يعرف عن طائفة من طوائف بني آدم لا طوائف المسلمين ولا اليهود ولا النصارى ولا أحد من أهل الملل^(١)، ولا طوائف الأطباء، ولا النحاة، ولا أهل اللغة، ولا أهل المعاني والبيان ولا غيرهم قبل هؤلاء، وذلك لظهور العلم بفساده، فإنه يقدح فيما هو أظهر العلوم الضرورية لجميع الخلق، فإن بني آدم يتخاطبون ويكلم بعضهم بعضاً مخاطبة ومكاتبة. وقد أنطق الله سبحانه بعض الجمادات وبعض أنواع الحيوانات بمثل نطق بني آدم، فلم يسترب سامع ذلك النطق في حصول العلم واليقين به، بل كان ذلك عنده من أعظم العلوم الضرورية.

فقال النملة لأمة النمل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل : ١٨].

فلم يشك النمل ولا سليمان في مرادها وفهموه يقيناً، ولما علم سليمان مرادها يقيناً تبسم ضاحكاً منه، وخاطب الهدهد، وخاطبه الهدهد، فحصل للهدهد اليقيني بمراد سليمان من^(٢) كلامه، وحصل لسليمان ذلك من كلام

(١) ظ : (الملك).

(٢) م : (عن).

الهدهد، وذهب الهدهد^(١) بكتاب^(٢) سليمان لما حصل له اليقين من كلامه، وأرسل سليمان الهدهد والكتاب، وفعل ما حكى الله لما حصل له اليقين بمراد الهدهد من كلامه.

وأطلق سبحانه الجبال بالتسييح مع داود، وعلم سليمان منطلق الطير، وسمع^(٣) الصحابة تسييح الطعام مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم»^(٤) وسمع رسوله تسليم^(٥) الحجر عليه^(٦) أفيقول مؤمن أو عاقل: إن اليقين لم يكن

(١) ظ: (الهدد).

(٢) ظ، م: (وكتاب)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (وأسمع)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٥٨٧/٦)، عن عبدالله بن مسعود، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح ٣٥٧٩، ولفظه عن علقمة عن عبدالله قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في سفر فقل الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ولقد كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل».

ورواه الترمذي ١١٠/١٠، في أبواب المناقب، باب منه، ح ٣٧١٢.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) ظ، م: (تسييح)، والصواب ما أثبت.

(٦) رواه مسلم ١٧٨٢/٤، من طريق جابر بن سمرة، في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي «صلى الله عليه وسلم» وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ح ٢، ولفظه عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».

ورواه الترمذي ٩٨/١٠، بنحوه، في كتاب المناقب، باب ما جاء في آيات نبوة النبي

«صلى الله عليه وسلم» وما قد خصه الله به، ح ٣٧٠٣.

وقال الترمذي: حديث حسن غريب ورواه أحمد.

يحصل للسامع بشيء من مدلول هذا الكلام؟ فعلم أن هذا القول في غاية السفسطة^(١) وجحد الحقائق وقلبها وإفساد العقول والفطر.

الوجه السبعون:

إن حاصل كلام أرباب القانون يدور على ثلاث مقدمات:

بيان أن حاصل
مرادهم يدور على
ثلاث مقدمات

الأولى: إن العلم بمراد المتكلم موقوف على حصول العلم بما يدل على مراده.

الثانية: إنه لا سبيل إلى العلم بمراده إلا بانتفاء هذه الأمور العشرة.

الثالثة: / إنه لا سبيل إلى العلم بانتفائها. [٨٣/١]

فهذه ثلاث مقدمات، الأولى منها صادقة، والأخريان^(٢) كاذبتان، أما المقدمة الأولى فصحيحة، والعلم بمراد المتكلم كثير^(٣) ما يكون علماً اضطرارياً كالعلم بمخبر الأخبار المتواترة، فإن الإنسان إذا سمع مخبراً يخبر بأمر حصل عنده، ظن، ثم يقوى بالمخبر الآخر حتى يصير علماً ضرورياً، فكذلك إذا سمع كلام المتكلم فقد يعلم مراده ابتداءً بالضرورة، وقد يظنه، ثم يتكرر كلام المتكلم

(١) انظر صفحة ٦٤٦.

(٢) ظ، م: (الأخر)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: كرر لفظ (كثير).

أو يتكرر سماعه له ولما يدل على مراده فيصير علمه بمراده ضرورياً.

وقد يكون الكلام بالمراد استدلالاً نظرياً وحينئذ فقد يتوقف على مقدمة واحدة، وقد يتوقف على مقدمتين أو أكثر بحسب حاجة السامع، وما عنده من القوة القريبة والبعيدة وسرعة إدراكه وبطئه وقلة تحصيله وكثرته وحضور ذهنه وغيبته وكمال بيان المتكلم وضعفه، فدعوى المدعي أن كل استدلال بدليل لفظي فإنه يتوقف على عشر مقدمات فهذا باطل قطعاً.

وأبطل منه دعواه أن كل مقدمة فهي ظنية، فإن عامة المقدمات التي يتوقف عليها فهم مراد المتكلم قطعية في الغالب.

وأبطل من ذلك دعواه، أنه^(١) لا يعلم المراد إلا بعد العلم بانتفاء^(٢) الدليل الدال على نقيضه، فإن هذا باطل قطعاً، إذ من المعلوم أن العلم بثبوت أحد الضدين^(٣) ينفي العلم بثبوت الضد الآخر، فنفس العلم بالمراد ينفي كل احتمال يناقضه.

وهكذا الكلام في نفي المعارض العقلي والسمعي، فإنه

(١) ظ، م: (لأنه)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (انتقال)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) سبق انظر، ص ٢٩٥.

إذا علم المراد علم قطعاً أنه لا ينفيه دليل آخر^(١) لا عقلي ولا سمعي، لأن ذلك نقيض له.

وإذا علم ثبوت الشيء علم انتفاء نقيضه وحينئذ فينقلب هذا القانون عليهم بأن نقول: العلم بمدلول كلام الله ورسوله علم يقيني قطعي لا يحتمل النقيض فنحن نستدل على بطلان كل ما يخالفه ويناقضه بثبوت العلم به.

فإن ثبوت أحد الضدين^(٢) يستلزم نفي الضد الآخر، وحينئذ فيقطع ببطلان كل شبهة عقلية تناقض مدلول كلام الله ورسوله وإن لم ينظر فيها على التفصيل.

وهذا الأصل العظيم أصح من قانونهم وأقرب إلى العقل والإيمان وتصديق الرسل، وإقرار كلام الله ورسوله على حقيقته، وما يظهر منه يوضحه.

الوجه الحادي والسبعون:

وهو أن أرباب هذا القانون الذي منعهم استفادة اليقين من كلام الله ورسوله مضطربون في العقل الذي يعارض النقل أشد اضطراب، فالفلاسفة^(٣) مع شدة اعتنائهم بالمعقولات أشد الناس اضطراباً في هذا الباب من طوائف أهل الملل، ومن أراد معرفة ذلك فليقف على مقالاتهم في

بيان أن هؤلاء مضطربون في العقل

(١) ظ: (الآخر).

(٢) سبق انظر، ص ٢٩٥.

(٣) انظر صفحة ١٩١.

كتب أهل المقالات، كالمقالات الكبير للأشعري^(١) (٢) والآراء والديانات للنوبختي^(٣) وغير ذلك، وأما المتكلمون: فاضطرابهم في هذا الباب من أشد اضطراب في العالم، فتأمل اختلاف فرق الشيعة^(٤) والخوارج^(٥) والمعتزلة وطوائف أهل الكلام ومقالاتهم المذكورة في كتب المقالات. وقد ذكرها أبو الحسن الأشعري في كتاب «مقالات

(١) ظ، م: (الأشعري)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) سبق ترجمته، ص ٢٦٠، وقد ألف الإمام أبو الحسن الأشعري ثلاثة كتب في المقالات:

١ - مقالات غير الإسلاميين وهو في مقالات الفلاسفة والملحدين.

٢ - مقالات الإسلاميين: وهو في مقالات المسلمين.

٣ - جل المقالات: جمع فيه بين مقالات الملحدين ومقالات الموحدين.

ولعل المذكور هنا هو الثالث.

تبيين كذب المفتري، ص ١٣١، ١٣٤؛ الأعلام ٤/٢٦٣؛ مقدمة مقالات الإسلاميين، ص ٢٨، ٢٩.

(٣) النوبختي هو الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي، أبو محمد عارف بالفلسفة

قال في الأعلام: «كانت تدعيه الشيعة والمعتزلة» ولعله جمع بين التشيع والاعتزال فكثير

من الشيعة معتزلة. نسبه إلى جده (نوبخت) من كتبه «اختصار الكون والفساد

لأرسطوطاليس، والرد على أصحاب التناسخ، والفرق والمقالات، والآراء والديانات كبير

ولم يتمه وقد ذكره فؤاد سزكين باسم كتاب الآراء وديانات الشيعة». وقال: ولم يبق من

هذا الكتاب إلا مقتبسات عند المسعودي في مروج الذهب ١/١٥٦؛ وعند ابن الجوزي

في تلبس إبليس (القاهرة ١٣٤٠)، ص ٤٣، ٤٤، ٤٩. وتوفي سنة ٣١٠.

صون المنطق والكلام، ص ٣٢٥؛ لسان الميزان ٢/٢٥٨؛ الأعلام ٢/٢٢٤؛ تاريخ

التراث العربي المجلد الأول ٣/٢٩٠.

(٤) سبق صفحة ٢١٦.

(٥) سبق صفحة ٣٠٦.

المصلين»^(١) وغيره ممن صنف في المقالات، وكل^(٢) منهم يدعي أن صريح العقل معه، وأن مخالفه قد خرج عن صريح العقل فنحن نصدق جميعهم ونبطل عقل^(٣) كل فرقة بعقل الفرقة الأخرى، ثم نقول للجميع: بعقل من منكم يوزن كلام الله ورسوله؟ وأي عقولكم تجعل معياراً له؟؟ فما وافقه قبل وأقر على ظاهره وما مخالفه رد أو أول أو فوض. وأي عقولكم هو إحدى المقدمات العشرة التي تتوقف إفادة كلام الله ورسوله لليقين على العلم بعدم معارضته له؟ أعدل أرسطو^(٤) وشيعته،

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٢٦٠.

وكتابه مقالات المصلين هو المسمى مقالات الإسلاميين وقد سبق ذكره، ص ٧٨٢. وقد طبع في جزئين بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد - طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩. وقد طبع بتحقيق ريتر في إستانبول سنة ١٩٢٩ م.

تبيين كذب المفتري، ص ١٣١؛ الأعلام ٤/٢٦٣؛ درء تعارض العقل والنقل ٥٦٢/١١.

(٢) ظ: (كلي).

(٣) ظ، م: (عقد)، والصواب ما أثبتته.

(٤) هو أرسطوطاليس، ولد سنة ٣٨٤ ق. م. ، فيلسوف يوناني تتلمذ على «أفلاطون» وعلم الإسكندر الأكبر (ملك مقدونية)، وكان يحاضر ماشياً، فسمي هو وأتباعه بـ«المشائين»، ألف «الأورغانون» في المنطق وينقسم إلى ثلاثة أقسام: كتاب المقولات ومبحثه التصورات، وكتاب العبارة ومبحثه الأقوال المؤلفة من التصورات، وكتاب التحليلات ومبحثه الاستدلال. كما ألف كتاب «الطبيعة»، وكتاب «في أجرام السماء»، وله رسالة في الأخلاق «الأخلاق إلى نيقوما خوس»، كما ألف في السياسة والإلهيات. وتوفي سنة ٣٢٢ ق. م.

تاريخ الفلسفة الغربية، بيراترندرسل، ص ٢٥٨، ٢٧٨، ٣٢٤، ٣٣١؛ أخبار الحكماء لابن القفطي، ص ٢٢ - ٢٦؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص ١١٧.

أم عقل^(١) أفلاطون^(٢) وشيعته، أم فيثاغورس^(٣)، أم
انبادقليس^(٤)،

(١) ظ: (أم أعقل).

(٢) أفلاطون، ولد سنة ٤٢٧ ق.م. ، فيلسوف يوناني تتلمذ على «سقراط»، رسم في الجمهورية صورة للمدينة الفاضلة كما تخيلها وتمناها، وفلسفة «أفلاطون» يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام هي: الجدل، والطبيعة، والأخلاق. توفي سنة ٣٤٧ ق.م. من كتبه: «السيزر» في الصداقة - أيون في الشعر وشرح الإلياذة (الملحمة) - وبولينيا في الدستور وقد اشتهر أفلاطون في محاوراته. وقد قسمها الباحثون إلى ثلاثة أقسام: محاورات الشباب - محاورات الكهولة - محاورات الشيخوخة.

تاريخ الفلسفة الغربية، ص ١٧٦ - ٢٥٧؛ أخبار الحكماء، ص ١٣، ٢١؛ الملل والنحل ١٩٠/٢؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٦٢، ٦٥.

(٣) هو فيثاغورس بن منسارخس، من أهل ساميا، ولد في ساموس سنة ٥٧٢ ق.م. ، فيلسوف ورياضي شهير. من أقواله: «إن العالم أشبه بعلم الأعداد منه بعالم العناصر الأربعة: الماء والهواء والنار والتراب. وفيثاغورس نظرية هندسية مدونة باسمه، توفي سنة ٤٩٧ ق.م.

تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٠، ليوسف كرم؛ أخبار الحكماء، ص ١٧٠، ١٧١؛ الملل والنحل ١٧٣/٢؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣٤٢.

(٤) في ظ، م: (بندقليس)؛ وفي أخبار الحكماء، ص ١٢: (انبدقليس)؛ وفي الملل والنحل ١٦٦/٢: (انبدقليس) وهو انبادقليس أو انبادوقليس. ولد سنة ٤٩٠ ق.م. ، وهو متأثر بآراء فيثاغورس. واشتهر بالطب والفلسفة والشعر والخطابة. ويقول «أرسطو»: إنه منشئ علم البيان، استخدم علمه في سبيل الخير فكان الناس يتسابقون إليه، وطلبوا أن يتوجوه ملكاً على المدينة فأبى، وكان يجوب «صقلية» وجنوب إيطاليا لنشر ما لديه من علم، ثم عبر البحر إلى «المورة» وتوفي هناك فيما يرجح سنة ٤٣١ ق.م.

تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٣٥؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص ٩٨ - ١٠٥؛ أخبار الحكماء، ص ١٢، ١٣؛ الملل والنحل ١٦٦/٢.

أم سقراط^(١)، أم تامسطيوس^(٢)، أم الإسكندر
ابن فيليبس^(٣)، أم عقل الفارابي^(٤)، أم عقل جهم بن

(١) هو سقراط بن سفر نيسوقوس، ولد سنة ٤٦٩ ق.م.، اشتغل بالزهد ورياضة النفس
والبعد عن ملاذ الدنيا، واعتزل في الجبل، وأقام في غَارِهِ. كان حديثه في الإلهيات
والأخلاقيات. لم يكن له تأليف ولا كتب، وبسبب آرائه المخالفة للرؤساء ثوروا عليه
العامة وألجأوا الملك إلى قتله، فحبسه ثم سقاه السم (٣٩٩ ق.م.).

تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٥٠-٥٧؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص ١٤٣-١٥٩؛
أخبار الحكماء، ص ١٣٥-١٤٠؛ الملل والنحل ١٨٥/٢.

(٢) أحد الفلاسفة، وهو الشارح لكلام «أرسطوطاليس»، وكان كاتباً لـ «ليوليانس» الذي
ارتد عن النصرانية إلى مذهب الفلاسفة وزمانه بعد زمان «جالينوس»، ومن كتبه:
«كتاب ليوليانس» في التدبير، وكتاب «الرسالة إلى ليوليان الملك».
أخبار الحكماء، ص ٧٥-٧٦؛ الملل والنحل ٨٥/٣، ٨٦.

(٣) لعله الإسكندر بن فيليبس (الإسكندر الأكبر)، ولد سنة ٣٥٦ قبل الميلاد، ملك
مقدونيا، تتلمذ على أرسطو، أسس مدينة الإسكندرية، كان له نشاط عسكري بارز،
فتح مصر وتوغل جنوده حتى الهند وبلغ «سوسة». توفي سنة ٣٢٣ ق.م. وعمره
٣٣ سنة.

تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١١٣؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٥١، ١٥٢؛ درء
تعارض العقل والنقل ٣١٢/١-٣٠٠/١٠.

(٤) هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، أصله تركي، ولد
سنة ٢٦٠ في (فاراب) على نهر جيحون، وانتقل إلى بغداد ونشأ فيها، سمي المعلم
الثاني لشرحه كتب أرسطو المعلم الأول، من كتبه: مبادئ الموجودات، وإبطال أحكام
النجوم وغيرها... قال ابن كثير: «ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في تاريخه لنتنه
وقباحته». توفي سنة ٣٣٩.

آراء أهل المدينة الفاضلة؛ أخبار الحكماء، ص ١٨٢-١٨٤؛ البداية
والنهاية ٢٥١/١١؛ الأعلام ٢٠/٧.

صفوان^(١)، أم عقل النظام^(٢)، أم عقل العلاف^(٣)،
أم عقل الجبائي^(٤)^(٥)، أم عقل بشر المريسي^(٦)، أم عقل

(١) هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالى بني راسب، رأس الجهمية وإليه ينتسبون لأنه أول من نشر المذهب. قال الذهبي: الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان أصغر التابعين وما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شراً عظيماً. قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٨.
ميزان الاعتدال ٤٢٦/١؛ تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٢٢/٤؛
الأعلام ١٤١/٢.

(٢) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة، وإليه تنسب «النظامية» إحدى فرق المعتزلة، وكان من أئمة تلاميذ أبي الهذيل العلاف، وكان شاعراً وفقهياً وفيلسوفاً طبيعياً. من كتبه: «التوحيد» و«العالم». توفي سنة ٢٣١.
سير أعلام النبلاء ٥٤١/١٠، ٥٤٢؛ تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٦٨/٤؛
الأعلام ٤٣/١.

(٣) هو محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العبدي، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف، ولد سنة ١٣٥ في البصرة، وكان من أئمة المعتزلة. كف بصره في آخر عمره. توفي سنة ٢٣٥ بسامراء.
سير أعلام النبلاء ٥٤٢/١٠، ٥٤٣؛ تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٦٦/٤؛
الأعلام ١٣١/٧.

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب الجبائي البصري، ولد سنة ٢٣٥، من أئمة المعتزلة بالبصرة، وإليه تنسب فرقة الجبائية، ونسبته إلى «جبى» من قرى البصرة له تفسير مطول، رد عليه الأشعري. توفي سنة ٣٠٣، ودفن بـ«جبى».
تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٧٥/٤؛ الأعلام ٢٥٦/٦.
(٥) ظ: (الجبائين).

(٦) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة، عبدالرحمن المريسي العدوي بالولاء، أبو عبدالرحمن، فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، وإليه تنسب الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف وقال برأي الجهمية، وكان أبوه يهودياً، وهو من أهل بغداد، ينسب إلى درب المريسي، قالوا في وصفه: كان قصيراً، دميم =

الإسكافي^(١)، أم عقل حسين النجار^(٢)، أم أبي يعقوب الشحام^(٣)، أم أبي الحسين الخياط^(٤)، أم أبي القاسم

= المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، كبير الرأس والأذنين، وقد رد عليه الدارمي في كتاب «النقض على بشر الميسي». توفي سنة ٢١٨.

ميزان الاعتدال ٣٢٢/١؛ تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٦٥/٤؛ الأعلام ٥٥/٢.

(١) هو محمد بن عبدالله الإسكافي، أبو جعفر، كان معتزلاً مشهوراً ببغداد، وإليه تنسب الإسكافية، كان من أتباع جعفر بن حرب، ويقال: إنه ألف سبعين كتاباً في علم الكلام. توفي سنة ٢٤٠.

سير أعلام النبلاء ٥٥٠/١٠، ٥٥١؛ تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٧١/٤؛ الأعلام ٢٢١/٦.

(٢) هو الحسين بن محمد النجار الرازي، أبو عبدالله، وإليه تنسب الفرقة النجارية، من أهل «قم»، له كتب منها: البدل في الكلام والمخلوق والإرجاء والقضاء والقدر، والثواب والعقاب.. وغيرها، وأكثر معتزلة الري من النجارية، وقد وافقوا المعتزلة في نفي الصفات، ووافقوا الصفاتية في خلق الأعمال وأنكروا الرؤية. وقد توفي في حدود سنة ٢٢٠.

مقالات الإسلاميين ٢١٦/١؛ الملل والنحل، ص ١٣٩، تحقيق محمد فتح الله بدران؛ الأعلام ٢٥٣/٢.

(٣) هو يوسف بن عبدالله، أبو يعقوب الشحام، من أهل البصرة. كان رئيس المعتزلة في أيامه، أخذ عن أبي الهذيل العلاف، ومن تلاميذه أبو علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي، ولي الخراج في أيام الواثق، وكان من أحذق الناس بالجدل، وله كتاب في تفسير القرآن، توفي نحو ٢٨٠ وعمره ثمانون سنة.

تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٧٥/٤؛ الأعلام ٢٣٩/٨.

(٤) هو عبدالرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين الخياط، شيخ المعتزلة ببغداد، وإليه تنسب فرقة منهم تسمى «الخياطية»، كان أبو القاسم البلخي وأبو علي الجبائي من تلامذته. من كتبه: «الاتصار في الرد على ابن الراوندي، والاستدلال، ونقض نعت الحكمة». توفي سنة ٣٠٠.

تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٧٤/٤، ٧٥؛ الأعلام ٣٤٧/٣.

البلخي^(١)، أم ثمامة بن أشرس^(٢)، أم جعفر بن
مبشر^(٣)، أم جعفر بن حرب^(٤)^(٥)، أم أبي الحسين
الصالح^(٦)،

(١) هو عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي، أبو القاسم، أصله من بلخ، عاش ببغداد وتلمذ بها على أبي الحسين الخياط، ثم عاد إلى بلخ، من أئمة المعتزلة، عرف أتباعه باسم الكعبية، له كتب منها: «التفسير» وتأييد مقالة أبي الهذيل – ومقالات الإسلاميين». توفي سنة ٣١٩.

تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٧٧/٤؛ الأعلام ٦٦/٤.

(٢) هو ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، أحد مشاهير المعتزلة، أخذ بعض الآراء عن أبي الهذيل العلاف ودرس عليه الجاحظ، ويعرف أتباعه باسم الثمامية. توفي سنة ٢١٣.

ميزان الاعتدال ٣٧١/١، ٣٧٢؛ تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٦٣/٤؛ الأعلام ١٠١/٢.

(٣) هو جعفر بن مبشر بن أحمد بن محمد، أبو محمد الثقفي، من أئمة المعتزلة من أهل بغداد، متكلم زاهد عفيف بليغ، أخو الفقيه حبيش بن مبشر. روى عن عبدالعزيز بن أبان، وعنه عبيدالله بن محمد الترمذي. توفي سنة ٢٣٤.

سير أعلام النبلاء ٥٤٩/١٠؛ لسان الميزان ١٢١/٢؛ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٨٣.

(٤) هو جعفر بن حرب الهمداني، أبو الفضل، ولد سنة ١٧٧، أصله من بغداد، تلمذ على أبي الهذيل العلاف بالبصرة وكان يميل إلى الزيدية. توفي سنة ٢٣٦.

سير أعلام النبلاء ٥٤٩/١٠، ٥٥٠؛ لسان الميزان ١١٣/٢؛ تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٧٠/٤؛ الأعلام ١٢٣/٢.

(٥) ظ، م: (بن حرميه) والصواب ما أثبتته كما في طبقات المعتزلة، ص ٢٨١.

(٦) أبو الحسين الصالح، أحد أئمة المعتزلة، ذكره القاضي عبد الجبار في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، وقال: وله كتب كثيرة وكان يميل إلى الإرجاء، وله في ذلك مناظرات مع أبي الحسين الخياط.

انظر: طبقات المعتزلة، ص ٢٨١، للقاضي عبد الجبار؛ فرق طبقات المعتزلة، لابن المرتضى، ص ٧٨، بتحقيق علي سامي النشار وزميله.

أم أبي الحسين البصري^(١)، أم أبي معاذ التومني^(٢)، أم
معمر بن عباد^(٣)، أم هشام الفوطي^(٤)^(٥)، أم عباد بن
سليمان^(٦)؟

(١) هو محمد بن علي بن الطيب البصري، ولد في البصرة، ودرس ببغداد على القاضي
عبدالجبار، كان من أئمة المعتزلة، درس علم الكلام والفلسفة والعلوم الطبيعية
والفقه، من كتبه: «المعتمد» في أصول الفقه، و«تصفح الأدلة» و«غرر الأدلة»
و«شرح الأصول الخمسة» و«كتاب في الإمامة»، وغيرها. توفي سنة ٤٣٦ ببغداد.
البداية والنهاية ٥٨/١٢، ٥٩؛ تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٨٦/٤؛
الأعلام ٢٧٥/٦.

(٢) أبو معاذ التومني، من أئمة المرجئة، وإليه تنسب فرقة التومية. من آرائه أن من قتل
نبياً أو لطمه كفر، وليس من أجل اللطمة أو القتل كفر، ولكن من أجل الاستخفاف
والعداوة والبغض له. وكان يزعم أن الموصوف بالفسق من أصحاب الكبائر، ليس
بعُدو لله ولا ولي له.

الملل والنحل ١٩١/١، ١٩٢؛ مقالات الإسلاميين ٢٢١/١، ٢٢٢.

(٣) هو معمر بن عباد السلمي، أبو معتمر أو عمرو، وأصله من البصرة. عاش في عصر
هارون الرشيد في بغداد، من غلاة المعتزلة، وكان من أعظم القدرية غلواً، ناظر
النظام، وتنسب إليه فرقة تعرف بـ«العمرية». توفي سنة ٢١٥.

سير أعلام النبلاء ٥٤٦/١٠؛ الملل والنحل ٨٣/١، ٨٤؛ تاريخ التراث العربي،
المجلد الأول ٦٤/٤؛ الأعلام ٢٧٢/٧.

(٤) هو هشام بن عمرو الفوطي، أحد أئمة المعتزلة، وكان من المقرين للخليفة المأمون،
تولى القضاء، وتوفي سنة ٢٤٢.

سير أعلام النبلاء ٥٤٧/١٠؛ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٥) ظ، م: (القرطي) والصواب أنه الفوطي، كما في طبقات المعتزلة، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٦) هو أبو سهل عباد بن سليمان البصري المعتزلي، من أصحاب هشام الفوطي، وكان
أبو علي الجبائي يصفه بالحدق في الكلام ويقول: لولا جنونه... من كتبه: «إنكار أن
يخلق الناس أفعالهم» وكتاب «تثبيت دلالة الأعراض» وكتاب «إثبات الجزء الذي
لا يتجزأ». وربما تكون وفاته في حدود ٢٥٠.

سير أعلام النبلاء ٥٥١/١٠، ٥٥٢؛ فرق طبقات المعتزلة، لابن المرتضى، ص ٨٣.

أم ترضون بعقول المتأخرين؟ الذين هذبوا العقليات
ومحضوا زبدتها واختاروا لنفوسهم ولم يرضوا بعقول سائر من
تقدمهم. فهذا أفضلهم عندكم محمد بن عمر الرازي^(١)
فبأي معقولاته تزنون نصوص الوحي؟ وأنتم ترون اضطرابه
فيها في كتبه أشد الاضطراب، فلا يثبت على قول، فعينوا لنا
عقلاً واحداً من معقولاته ثبت عليه؟ ثم اجعلوه ميزاناً.

أم ترضون بعقل نصير الشرك والكفر والإلحاد
الطوسي^(٢)؟ فإن له عقلاً آخر خالف فيه / سلفه من
الملحدين^(٣)، ولم يوافق فيه اتباع الرسل.

أم ترضون عقول القرامطة^(٤) والباطنية^(٥)
والإسماعيلية^(٦)؟

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٦٤٠.
(٢) هو محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، وكان يقال له: نصير الدين. ولد سنة ٥٩٧،
فيلسوف متكلم، كان رأساً في الكفر والإلحاد. قال عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان:
«نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة وزير هولاء... فقتل الخليفة والقضاة
والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعين والسحرة... هـ. من
كتبه: «تجريد العقائد» و«تلخيص المحصل»، للفخر الرازي، و«حل مشكلات
الإشارات والتنبيهات» لابن سينا، و«تحرير المجسطي في الهيئة». توفي ببغداد
سنة ٦٧٢.

البداية والنهاية ١٣/٢٥٤؛ إغاثة اللهفان ٢/٢٦٧؛ الأعلام ٧/٢٥٧ - ٢٥٨.

(٣) سبق، انظر ص ٣٠٠.

(٤) سبق، انظر ص ٢٩٩.

(٥) سبق، انظر ص ٣٠٣.

(٦) سبق، انظر ص ٤٤٢.

أم عقول الاتحادية^(١) القائلين بوحدة الوجود؟ فكل هؤلاء وأضعافهم، وأضعاف أضعافهم يدعي أن المعقول الصريح معه وأن مخالفه خرجوا عن صريح المعقول، وهذه عقولهم تنادي عليهم في كتبهم وكتب الناقلين عنهم، ولولا الإطالة لعرضناها على السامع عقلاً عقلاً، وقد عرضها المعتنون بذكر المقالات فاجمعوها إن استطعتم، أو خذوا منها عقلاً واجعلوه ميزاناً لنصوص الوحي، وما جاءت به الرسل، وعياراً على ذلك ثم اعذروا بعد من قدم كتاب الله وسنة رسوله الذي يسمونه الأدلة اللفظية على هذه العقول المضطربة المتناقضة بشهادة أهلها وشهادة أنصار الله ورسوله عليها، وقال: إن كتاب الله ورسوله يفيد العلم واليقين، وهذه العقول المضطربة المتناقضة إنما تفيد الشكوك^(٢) والحيرة والريب والجهل المركب، فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصريح ورمي بهذه العقول تحت الأقدام وحطت حيث حطها الله وحط أصحابها.

الوجه الثاني والسبعون:

إن الله سبحانه دعى إلى تدبر كتابه وتعقله وتفهمه، وذم الذين لا يفهمونه ولا يعقلونه وأسجل عليهم بالكفر والنفاق، فقال عن المنافقين:

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

[محمد: ١٦].

(٢) ظ: (الشكوان).

(١) سبق، انظر ص ٣٠٣.

وقال:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾
[الأنعام: ٢٥].

وقال:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾
[يونس: ٤٢].

وقال:

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨].

فالقائل: إن كتاب الله وسنة رسوله لا يستفاد منها يقين من جنس هؤلاء لا فرق بينهم وبينه، وأما من يستفيد^(١) منها العلم واليقين، فهم الذين قال الله فيهم:

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ [سبأ: ٦].

وهؤلاء يرونه غير مفيد وقد كشف سبحانه حال الفريقين بقوله:

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ نَمَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَوْلَئِئِكَ نَمَّا نَبِيٍّ ﴾ [الرعد: ١٩].

(١) ط، م: (مستفيد منها) ولعل الصواب ما أثبتته.

وقال:

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْرَ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

الوجه الثالث والسبعون:

إن أدلة القرآن والسنة التي يسميها هؤلاء الأدلة اللفظية، نوعان:

بيان أن أدلة القرآن
والسنة نوعان:
سمعية وعقلية

أحدهما: يدل بمجرد الخبر.

والثاني: يدل بطريق التنبيه والإرشاد على الدليل العقلي.

والقرآن مملوء من ذكر الأدلة العقلية التي هي آيات الله الدالة عليه، وعلى ربوبيته، ووحدانيته، وعلمه، وقدرته، وحكمته، ورحمته.

فآياته العيانة المشهودة في خلقه تدل على صدق النوع الأول، وهو مجرد الخبر، فلم يتجرد إخباره سبحانه عن آيات تدل على^(١) صدقها، بل قد بين لعباده في كتابه من البراهين الدالة على صدقه وصدق رسوله، ما فيه شفاء وهدى وكفاية.

فقول القائل: إن تلك الأدلة لا تفيد اليقين، إن أراد به النوع المتضمن لذكر الأدلة العقلية العيانة، فهذا من أعظم البهت والوقاحة والمكابرة، فإن آيات الله التي جعلها أدلة

(١) ظ، م: (عن) ولعل الصواب ما أثبتته.

وحججاً على وجوده ووحدانيته وصفات كماله، إن لم تفد يقيناً لم تعد دليل بمدلول أبداً.

وإن أراد به النوع الأول الدال بمجرد الخبر، فقد أقام^(١) سبحانه الأدلة القطعية والبراهين اليقينية على ثبوته، فلم يحل عباده فيه على خبر مجرد، لا يستفيدون ثبوته إلا من الخبر نفسه دون الدليل الدال على صدق الخبر.

وهذا غير الدليل العام، الدال على صدقه، فيما أخبر به، بل هو الأدلة المتعددة الدالة على التوحيد وإثبات الصفات والنبوات والمعاد وأصول الإيمان فلا تجد كتاباً قد تضمن من البراهين والأدلة العقلية على هذه المطالب ما تضمنه القرآن فأدلته لفظية عقلية فإن لم يفد اليقين:

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) [الجاثية: ٦].

انتهى الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث
وأوله: فصل فهذا الطاغوت الأول

(١) ظ، م: (قام) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (يوقنون).